الدكتور خضر إلياس جلو

اليهود
في المشرق الإسلامي:
دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية

للحقبة

(11 - 923هـ / 632 - 1517م)



Dr .Khudir Alias Jalo

JEWS

In The Islamic Orient

Study on population distribution and economic life

For The Period

(11-923A.H / 632-1517A.D)







اليهود في المشرق الإسلامي

دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية

اليهود في المشرق الإسلامي

دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية

للحقبة (11ـ923هـ/ 632ـ1517م)

الدكتور خضر إلياس جلو

الإصدار الأول 2017 م

عدد الصفحات: 352 / القياس: 17 × 24

ISBN: 978-9933-495-86-2



صفحات

للدراسات والنشر والتوزيع

سورية ـ دمشق ـ ص.ب 3397
هاتف: 095 13 22 11 00963
تلفاكس: 013 33 22 11 00963
موبايل: 818 411 991 00963
info@darsafahat.com

الإمارات العربية المتحدة - دبي
ص.ب: 231422
جوال 942 442 528 00971
Darsafahat.pages@gmail.com



الإشراف العام: يزن يعقوب
www.darsafahat.com
facebook.com/darsafahatyazan

الدكتور
خضر إلياس جلو

اليهود في المشرق الإسلامي

دراسة في التوزيع السكاني والحياة الاقتصادية

للحقبة (11-923هـ/632-1517م)



2017

Jews In The Islamic Orient

For The Period

Study On Population Distribution And Economic Life

(11-923A.H/632-1517A.D)

Dr.Khudir Alias Jalo

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68) ﴾

(سورة آل عمران)

اهداء

إلى مدينتي الموصل الحدباء...

إلى عائلتي التي اعانتني في مسيرتي...

أقدم هذا الجهد المتواضع...

الباحث

المحتويات

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

المقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً. والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد الأمين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم وسار على نهجهم إلى يوم الدين.

يعد حقل دراسات اليهوديات (السامية) حقلاً مهماً من حقول الدراسات التاريخية، وقد أولى الغربيون وبالذات الباحثون من اليهود هذا الأمر حيزاً مهماً من خلال دراسة تاريخ بني إسرائيل، أو ما يعرف بالدراسات السامية. وقد أسهمت الكثير من الجامعات الغربية بتلك الدراسات ومنها على سبيل المثال لا الحصر، جامعة كامبردج(Cambridge)، وليدن (Leiden) وغيرهما.

وأول ما يشرع باحث ما بدراسة التاريخ اليهودي حتى تصدمه مقولة لأحد المختصين البارزين في تاريخ الشرق الأوسط مفادها: ((نجد النهج اللاتاريخي نفسه في الحاخامية اليهودية ويهودية الشتات، فمنذ نهاية الدولة اليهودية القديمة حتى عصر النهضة الايطالية والفرنسية وأثرها على اليهود، هناك انعدام تام تقريباً للكتابة التاريخية، وحتى رفض التاريخ. ومن ثمَّ نجد أن موسى بن ميمون (ت 605هـ / 1208م) رجل البحث الفكري الواسع النطاق، يدين الانشغال بأحداث الماضي بوصفه أمر كما بلا قيمة وأي فائدة. وأن هذه الكتب (التاريخية) لا تملك الحكمة ولا الفائدة للجسم، ولكنها مجرد مضيعة للوقت. وهذا النقص في الاهتمام بالتاريخ بين اليهود في تلك الفترة وهذه الخلفية هو أكثر من رائع لافت للنظر، لاسيما إذا تأملنا فكرة أن البعض منهم كانوا يعيشون بين الشعوب التي لها اهتمام قوي جداً بالتاريخ، مثل: الرومان أو العرب، وأنهم تأثروا تأثراً عميقاً في

نواحٍ أخرى في الثقافات التي عاشوا بين ظهرانيها، والمؤرخون في تلك الأيام كانوا أداة بيد الدولة أو الكنيسة، ولما لم يكن لليهود دولة أو كنيسة لم يكن لديهم تاريخ)) [1].

وللكلام دلائل متعددة منها أن تاريخ اليهود توقف بزوال الدولة اليهودية، بل أن هناك رفضاً للكتابة التاريخية، وأن ما كتب ينصب في معظمه حول الجوانب الدينية (الحاخامية). وما يؤكد ذلك كلام موسى بن ميمون الآنف الذكر. وكذلك التناقض لدى اليهود فمن جانب يعد الانشغال بالأحداث التاريخية مضيعة للوقت، يقابله انبهار برنارد لوس بموقف اليهود وعدم تأثرهم بالتاريخ على الرغم من عيش البعض منهم بين الشعوب التي لها اهتمام واضح بكل ما يتعلق بالتاريخ، وتأثرهم بنواحي أخرى من الثقافات. فهل يعقل أن تكون هناك عملية فصل بين مختلف الجوانب الثقافية وهي جزء لا يتجزأ من التاريخ؟

وفي نهاية الحديث يعلل أن اليهود ليس لديهم تاريخ لأنه ليس لديهم دولة أو كنيسة. متناسياً الحاخامية وما تمثله من مؤسسة تشرف على إدارة شؤون اليهود.

وعند استعراض ما كتب عن التاريخ اليهودي في العالم العربي والإسلامي تبين أمران أولهما تأخر اهتمام الباحثين بذلك المجال، والثاني قلة ما كتب من قبل أولئك الباحثين عن التاريخ اليهودي وما كتب معظمه إما عن الجوانب العقدية لبني إسرائيل وأنبيائهم، ويندرج تحت التاريخ القديم. أو الجوانب الأخرى التي كتب بها في التاريخ الحديث فقد شملت الصهيونية ممثلة بالكيان الصهيوني المزعوم في أرض فلسطين، وحتى هذه لا تمثل إلا نسبة ضئيلة مقارنة لما يكتب في الغرب.

أما ما يخص الحقبة الإسلامية فلا يختلف عن غيره فقد كان السبق فيه للكتاب الغربيين، الأمر الذي أوجد لديهم أقساماً متخصصة على صعيد البحث التاريخي. أما في العالم الإسلامي وتحديداً العربي منه فهناك ندرة واضحة فيما كتب عن تاريخ اليهود تحت ظل الحكم الإسلامي، وسيدرك القارئ ذلك عندما يطلع على قائمة المراجع في نهاية البحث. ولعل ندرة الدراسات مردها يعود إلى ندرة المعلومات التي أوردتها المصادر التاريخية والبلدانية والتراجم وغيرها، وكذلك عائق اللغة التي يحتاج إليها الباحث لكون معظم ما كتب كان باللغة الانكليزية والعبرية وغيرهما من اللغات الأجنبية.

1- Bernard Lewis, From Babel to Dragoman, p.394-395.

وما يجدر ذكره أن قلة المعلومات عن اليهود في ظل الحكم الإسلامي لا يعني إهماله وما يؤكد ذلك إفراد كتب خاصة للحديث عن أهل الذمة تشير فيها إلى أدق التفاصيل عما لهم وما عليهم من الحقوق والواجبات، ومن أشهرها كتاب أحكام أهل الذمة لأبن قيم الجوزية، (ت 751هـ / 1350م)، وقد أفرد الفقهاء أبواب خاصة بأحكام أهل الذمة، وجميع الكتابات تحدثت عن أهل الذمة بكل طوائفهم من دون تفضيل طائفة على غيرها، وذلك ما أقرته تعاليم الإسلام بالسماحة مع الملل الأخرى، ولاسيما أهل الكتاب.

أما اختيار الموضوع فلم يكن بعد القبول في مرحلة الدكتوراه وإنما سبق ذلك بما يقرب من عام ونصف، وما دفعني إلى اختيار الموضوع كونه لم يسبق أن كتب به، وأن ما كتب من بحوث في معظمها تحدثت عن أهل الذمة في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية ولحقب تاريخية مختلفة، وبعد عملية جرد لما كتب عن اليهود في تلك البحوث قدرت ما بين (5-10 %) من أجمالي المصادر والمراجع المعتمدة في البحث، ويشمل الأمر الدراسات الأكاديمية وغير الأكاديمية، وذلك يؤكد ندرة المعلومات عنهم من جانب، ومن جهة أخرى يشير إلى أنهم أقلية أسوة بسائر الطوائف الذمية الأخرى، وسبب آخر كان وراء اختيار موضوع البحث هو حاجة المكتبة الإسلامية إلى مثل هكذا موضوع، وبالذات إذا علمنا مدى الخلاف بين ما ورد في المصادر العربية والإسلامية وبين ما كتبه المستشرقون من اليهود، مثل المستشرق الفرنسي ألياهو آشتور، وشلومو جواتين، وجاكوب مان، وموشي جيل، ومارك كوهين، الذين تجسد كتاباتهم وأبحاثهم وجهة النظر اليهودية الصرفة دون الأخذ في الاعتبار بوجهة النظر الإسلامية أو حياد المؤرخين إزاء ما ورد في المصادر التاريخية.

ولعل القارئ يتساءل عن العنوان ((اليهود في المشرق الإسلامي)) دراسة في التوزيع السكاني والنشاط الاقتصادي للحقبة (11-923هـ / 632-1517م). وأما عن تحديد المكان بالمشرق الإسلامي، فيجب التنويه إلى ان المصادر التاريخية والجغرافية قسمت العالم الإسلامي إلى مشرق إسلامي ومغرب إسلامي، ونطاق البحث شمل المشرق الإسلامي الممتد من مصر التي تعد من ابرز أقاليم الشرق الإسلامي إلى بلاد الصين شرقاً، فضلاً عن مصر هناك الرقعة الجغرافية لأقاليم الجزيرة العربية واليمن والعراق وبلاد الشام وإيران وبلاد ما وراء النهر.

أما تحديد الزمان فلعل القارئ يتساءل عن طول المدة الزمنية بتسعة قرون، وثمة أمور عدة لعل أبرزها قلة أعداد اليهود في العالم الإسلامي لذا فإن اختيار أي جزئية للبحث لا بد من تحديد حقبة زمنية طويلة لتغطية جزئيات البحث، كما أن القرون الثلاث الأولى تكاد تنعدم عنها المعلومات وبالذات بعد قيام الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بإجلاء اليهود عن شبه الجزيرة العربية، ومن ناحية أخرى فاليهود لم يجتمعوا في مكان واحد فعلى الرغم من قلتهم إلا أنه لا تكاد تخلو منطقة من مناطق المشرق الإسلامي من تواجدهم، ولكن أكبر تجمعاتهم تركزت في المدن التي تتمتع بموقع مهم على طرق المواصلات سواء البرية أو البحرية، وتكون آمنة في حال تنقلهم سواء داخل تلك الأماكن أو خارجها. الأمر الذي يتطلب من الباحث توسيع الحقبة الزمنية والمكانية للبحث. ولابد من الإشارة إلى أن اليهود لم يستقروا بإقليم أو مدينة بعينها، بل يحكم ذلك مدى الاستقرار السياسي الذي ينعكس على الأنشطة الاقتصادية، وهو ما أشير إليه بين صفحات البحث فكانت هناك عمليات نقل اليهود فيها أنشطتهم الاقتصادية من العراق والمناطق المجاورة له في أعقاب التوترات السياسية التي وقعت آنذاك إلى بلاد الشام، ولعل أكبر عملية نقل لأنشطتهم الاقتصادية كانت في زمن الدولة الفاطمية إذ توافد إليها اليهود من مختلف أرجاء الدولة الإسلامية بشطريها الشرقي والغربي. الأمر الذي تطلب من الباحث القيام بعملية تتبع لذلك النشاط الاقتصادي بغية الوصول إلى صورة واضحة عن مدى إسهامهم به، ولذا كان لا بد من الأخذ بنظر الاعتبار حقبة زمنية طويلة إذ امتدت عملية تنقلهم من مكان لآخر قرون عدة.

أما عن خطة البحث فلم تكن بحسب ما هو مخطط لها بحسب الخطة الأولية من تقسيم إلى خمسة فصول تشمل التوزيع الجغرافي والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية. فاستقر الأمر على أن تكون الدراسة عن التوزيع السكاني لليهود كفصل تمهيدي، والبقية عن أنشطتهم الاقتصادية. والسبب يرجع إلى المصادر التي تم جمعها من خارج العراق وعدم الاعتماد على ما هو متوفر في المكتبات سواء أكانت المتخصصة داخل الجامعات العراقية أم المكتبات الشخصية. وبفضل الله ومنه وكرمه تمكن الباحث من الحصول على اغلب الدراسات الأكاديمية الخاصة بأهل الذمة وبالذات ما كتب في مصر والأردن واليمن وغيرها من الأقطار العربية، وشمل الأمر الكتب بمختلف توجهاتها

التاريخية والجغرافية والاقتصادية على الرغم من أثمانها الباهظة إلا أن نقطة التحول المهمة كانت عن طريق الدراسات الأجنبية التي سيتم التطرق لها بالتفصيل لاحقاً حول ما وفرته من معلومات غيرت من مسار البحث، ولم يقتصر الأمر على المصادر الأجنبية بل العربية كذلك التي سيتم تناولها بالتفصيل في الفقرة الخاصة بالمصادر والمراجع.

وتم تقسيم البحث إلى خمسة فصول، تناول الفصل الأول التوزيع الجغرافي لليهود في أقاليم المشرق الإسلامي، وشمل خمسة مباحث وفي بدايته تمهيد عن التواجد اليهودي فيها قبل الإسلام بصورة مختصرة في تلك الأقاليم سبق ذكرها، ويعد هذا الفصل بمثابة فصل تمهيدي لإلقاء الضوء على مواطن استقرار اليهود وتحديد أعدادهم قدر المستطاع من خلال المقارنة استنادا إلى ما ورد في المصادر التاريخية وغيرها.

وتناول الفصل الثاني النشاط الزراعي لليهود، واثبت البحث بالأدلة أن الأساس الاقتصادي لليهود لم يكن العمل التجاري، بل أن أول الأمر انصب على الرعي ثم أخذوا ينشطون في الجانب الزراعي بعد ذلك، وفضلوه على أية حرفة أو مهنة أخرى، وحتى أنهم فضلوه على التجارة. وتم تقسيم الفصل بحسب الأقاليم وكانت البداية بالحجاز واليمن لكونها مهد الرسالة النبوية مبينين دورهم في المدينة المنورة وباقي مناطق الحجاز على وفق ما توفر من معلومات، ثم الحديث عن اليمن على الرغم من شهرتها بالزراعة وكذلك تواجد اليهود فيها منذ أزمنة بعيدة إلا أنه ما ذكر عن دورهم في الزراعة لا يكاد يعدو إشارات محدودة.

ثم جرى الحديث عن العراق مستعينين بما ورد في التلمود البابلي من الشروح والتعاليم المتعلقة بالزراعة، وعن مدى تأثرهم بالحضارة البابلية وبالذات ما يتعلق بفنون الزراعة والري. وأما في بلاد الشام فقد بيّنا طبيعة الأراضي الزراعية وكيف أنها فتحت صلحاً، ولطبيعة بلاد الشام الزراعية توفر للباحث بعض النصوص التاريخية التي تبين مدى اهتمام الدولة الإسلامية بالأنظمة الزراعية من خلال عمليات مسح لتلك الأراضي، وتحديد مقدار الخراج على تلك الأراضي، واستمر ذلك الاهتمام إلى نهاية دولة المماليك. أما عن مصر وإيران وبلاد ما وراء النهر، فقد لوحظ ندرة المعلومات عن النشاط الزراعي لليهود وقد تم بيان أسباب ذلك.

وخصص الفصل الثالث لمكانة التجارة عند اليهود، وكيف أن التجارة لم تكن من أولويات اهتمام اليهود، وذلك من خلال إيراد البراهين والأدلة التي أوردها الباحثون ممن سبق لهم الحديث عن ذلك، في بيان فضل التسامح الإسلامي على اليهود الأمر الذي أتاح لهم مزاولة النشاط التجاري، وفي الفقرة الثانية تم استعراض الطرق (المسالك) التجارية التي كان يتنقل من خلالها اليهود بين مختلف مناطق العالم آنذاك. وأما الفقرة الثالثة فجرى الكلام بها عن الجاليات اليهودية التجارية التي كانت تقيم في المدن والموانئ التجارية التي تقع على طرق المواصلات، وكذلك ذكر بعض المدن المهمة التي تواجد فيها اليهود إلا أن المصادر لم تورد تفاصيل عن نشاط مثل مدينة بغداد، وكذلك تم تفصيل مصطلح الراذانية والآراء التي ذكرت بحقه وبيان الراجح منها على وفق ما تيسر للباحث من الأدلة والبراهين.

وعالج الفصل الرابع النشاط التجاري لليهود، وشمل فقرتين الأولى منهما فئات التجار من حيث كبار التجار (تجار الجملة)، وتجار التجزئة، والتجار الجوالين مع إيراد أمثلة من التجار اليهود على كل فئة من تلك الفئات. والفقرة الثانية كانت حول أنواع التجارة بفرعيها التجارة الداخلية التي خصص الكلام فيها عن إسهام اليهود في التجارة الداخلية داخل أقاليم الدولة الإسلامية الممتدة من الأندلس غرباً وحتى الصين شرقاً، مع بيان أهم المراكز التجارية لذلك النشاط وطبيعة البضائع التي يتم نقلها أو التبادل بها ما بين منطقة وأخرى، وكذلك إيراد بعض الإشارات حول شراكات كانت قائمة بين التجار اليهود والمسلمين. والفرع الثاني مدى إسهامهم بالتجارة الخارجية وبيان مقدار ذلك الإسهام الذي يحاول المستشرقون من اليهود جعل اليد الطولى فيه لهم دون غيرهم، وذكر أهم المدن الإسلامية التي كان اليهود يديرون من خلالها تجارتهم الخارجية ما بين العالم الإسلامي وكل من الهند والصين وأوربا. وأهم السلع التي يتم نقلها والآلية المتبعة من قبل اليهود لتلك التجارة عن طريق وكلاء يتوزعون ما بين المراكز التجارية ليتم من خلالهم تنظيم تجارة اليهود الخارجية، وكذلك إيراد بعض الإحصاءات لمقدار تجارة اليهود سواء ما يتعلق بالداخلية أو الخارجية منها من خلال المراسلات التي كانت تتم بين التجار اليهود أو بين اليهود مع غيرهم.

وشمل الفصل الخامس النشاط الحرفي والصناعي لليهود، وأظهر البحث ان التشريع الإسلامي لم يكن حائلاً لممارسة أهل الذمة ومنهم اليهود أي عمل يريدونه ولهم الحرية في اختياره، وكيف أن اليهود مارسوا مختلف أنواع الحرف والصناعات وتم الحديث عنها بحسب التسلسل التاريخي قدر الإمكان، وتناول فيها المناصب (الوظائف) الحكومية التي تولاها اليهود كحرفة أكثر من كونها عملاً إدارياً، ومنها العمل بصفة كاتب في دواوين الدولة الإسلامية، وبصفة جهابذة علماً أن ما ذكر عن الجهبذة والصيرفة لم يكن فيه جديداً فقد كانت هناك العديد من الدراسات العربية والأجنبية تناولت الموضوع بصورة مفصلة، وأشير إلى بعض تلك الدراسات في طيات البحث. ومن الوظائف المهمة التي تولاها اليهود في الدولة الإسلامية الوزارة وبالذات في العصر الفاطمي، واستغلوا مناصبهم للسيطرة على الإعمال الإدارية وبالذات في مصر وبلاد الشام، واستمر عملهم بالوظائف الحكومية في العصر الأيوبي لكن بوتيرة أقل مما كان عليه الوضع في العصر الفاطمي، وكذلك الحال في العصر المملوكي فمنهم من تولى ديوان الجيش، والترجمة وغيرها.

والفقرة الثانية شملت الحرف الخدمية، ومن أبرزها الطب فلا يكاد يخلو عصر من العصور الإسلامية إلا وتورد المصادر أسماء بعض الأطباء اليهود مما يدل على أهمية هذه الحرفة لليهود أنها تعد أحد المداخل للوصول إلى الخلفاء والأمراء والسلاطين الذين اعتمدوا عليهم في عملية التطبيب، حتى ان البعض منهم تولى رئاسة الطب في الديار المصرية، وعالجت الفقرة الثالثة الحرف اليدوية التي مارسها اليهود ومن أبرزها الصباغة والصياغة والخياطة وعمل الحلويات وغيرها، مع بروز لهم في بعض المهن كالصباغة، وفي مهن أخرى لم تكن تتعدى الإشارة الواحدة.

وقد خصصت الفقرة الرابعة للصناعات التي مارسها اليهود أو عملوا بها، ولعل من أبرزها صناعة الزجاج والأماكن التي برزت فيها ممثلة ببلاد الشام بمدنها المختلفة وعملية انتقال بعض اليهود ممن يعمل بصناعة الزجاج إلى مصر. وصناعة الحرير بكل مراحله، مع ذكر لبعض أسماء اليهود الذين ذكروا في المصادر التاريخية ممن إحترف تلك الصناعة، وصناعة النسيج للقطن والصوف والكتان وبيان اهتمام اليهود بتلك الصناعة في مراحلها النهائية، وأهم مراكز توزيعها في مدينة تستر وأصبهان، وبلاد الشام كحلب وقيسارية والرملة

وإسهام النساء اليهوديات في هذه الصناعة. وكذلك دور اليهود في صناعة السكر، علماً أن عملهم به قد اقتصر على مصر دون غيرها، وصناعات أخرى كالأقفال للأبواب والإبر وغيرها.

أما عن المنهج المتبع في انجاز البحث فلم يقتصر على منهج بعينه بسبب طبيعة الموضوع وما متوفر من معلومات عن اليهود في العالم الإسلامي. فقد اعتمد الباحث في بعض الأحيان عقد المقارنات لغرض إبراز دقائق الأمور وبيان مواطن الاتفاق والاختلاف بين ما ورد في المصادر من معلومات مختلفة، وقد حرص الباحث في الدراسة على الالتزام بالترتيب الجغرافي للأماكن التي أقام فيها اليهود، آخذين بنظر الاعتبار أهميتها من حيث الجانب الديني والتاريخي لليهود وكذلك أعدادهم في تلك الأماكن أو المدن. وعدم الالتزام بخط سير الرحلات اليهودية التي تم الاستعانة بها فمدينة مثل القدس أو بغداد أو الفسطاط تختلف عن غيرها من المدن الأقل شأناً من غيرها. ويمكن القول أن المنهج المتبع في انجاز هذه الدراسة هو أن الباحث اتبع المنهج التاريخي الوصفي النقدي التحليلي، لما هو متوفر من المعلومات للخروج بصورة منصفة قدر الإمكان عن موقف الدولة الإسلامية المتسامح تجاه اليهود، ومدى إسهام اليهود في مختلف النواحي ومنها الاقتصادية التي تمثل محور الدراسة.

وقد استلزم إعداد هذه الدراسة الرجوع إلى العديد من الوثائق والمصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق

تنطوي وثائق الجنيزة[1] على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للدراسة عن اليهود في الدولة الإسلامية، وهي وثائق مدونة باللغة العربية بحروف عبرية، وتضم تلك الوثائق في طياتها العديد من المعلومات الخاصة بالمراسلات بين اليهود مع بعضهم البعض أو مع

1- الجنيزة كلمة عبرية تشبه الكلمة العربية جنز بمعنى دفن الشيء ستره. ابن منظور، لسان العرب، 5 / 324 وقد جرى العرف اليهودي على حفظ أي ورقة مكتوب عليها اسم الله، وذلك بتضمينها في حجرة مخصصة لهذا الغرض ملحقة بالمعبد، كذلك الحال بالنسبة لحجرة التخزين التي عثر عليها في معبد "ابن عزرا" بالفسطاط. وبعض الأوراق التي عثر عليها مدفونة أيضاً في مقابر اليهود بمنطقة البساتين. للمزيد من التفاصيل ينظر::

Goitein, The Documents of the Cairo Geniza as a source for Mediterranean social history، p.19 ; The Cairo Geniza as a source for the history of Muslim Civilization, p.75.

غيرهم التي تلقي بدورها الضوء على الأحوال الاقتصادية والتجارية والاجتماعية ليهود العصور الوسطى، وتغطي تلك الوثائق حقبة تاريخية طويلة تمتد من العصر الفاطمي حتى العصر الحديث، علماً أن تلك الوثائق اكتشفت منذ سنة (1896م) [1]. ولم يكن الحصول على تلك الوثائق بالأمر اليسير إذ أنّ عملية الاهتمام بها وتنظيمها وتحقيقها تمت في الجامعات الغربية، ولعل من أهم تلك الدراسات التي أنجزها الباحث اليهودي،

S.D.Goitein, A Mediterranean Society the Jewish communities of the world as portrayed in the Documents of the Cairo Geniza.

ويتألف الكتاب من خمسة أجزاء، شملت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والحياة اليومية لليهود في مجتمع البحر المتوسط، وللباحث نفسه كتاب:

Letters of Medieval Jewish Traders

الذي يشتمل على مجموعة من المراسلات بين التجار اليهود شملت رقعة واسعة داخل العالم الإسلامي وخارجه. وقد بلغ عدد تلك المراسلات (80) رسالة تختلف من حيث الحجم فبعضها يتكون من سطور معدودة وأخرى تتكون من صفحات عدة. وكلا الكتابين أفادا البحث بالكثير من المعلومات عن الجاليات اليهودية والنشاط التجاري الداخلي والخارجي، وأنواع السلع التجارية التي تعامل بها اليهود، وعن الحرف والمهن الخاصة بهم.

ومن الكتابات التي شملت وثائق الجنيزة كتاب اشترك فيه

Goitein and Mordechai A. Fredman، India traders of the Middle Ages; Documents from the Cairo Geniza.

ومجموعة الوثائق التي شملها الكتاب بلغ (177) وثيقة، تتعلق بالتجارة مع الهند، وقضايا مقدمة للمحاكم حول بعض المشاكل بين التجار اليهود واثبات لحقوق البعض منهم فيما يتعلق بالشراكات التجارية بين اليهود مع بعضهم البعض أو مع غيرهم، وقدمت إشارات مهمة حول التجارة الخارجية لليهود ما بين مناطق الهند المختلفة والعالم الإسلامي.

1- للمزيد من التفاصيل حول شكل الوثائق ينظر الملاحق رقم (7 – 10)، ص 279-282:
Adina Hoffman and peter Cole، Sacred trash the lost and found world of the Cairo Geniza ; Paul E. Kahle، The Cairo Geniza، p.3-13.

ثانياً: المصادر

يلاقي الباحث في الدراسات التاريخية الكثير من العقبات والصعاب لا سيما في تاريخ الأقليات وبالذات إن كانت مادة البحث عن اليهود الذين يعدون أقلية مقارنة بباقي فئات أهل الذمة، لا سيما أنهم اشتهروا بالانغلاق على أنفسهم وبالذات إن كان الأمر يتعلق بالمال وكما هو معلوم موقفهم منه، مما يضطر الباحث إلى جمع فتات المعلومات المتناثرة ذات الصلة بالموضوع من قريب أو بعيد، وعلى الرغم من كثرة المصادر بمختلف أنواعها إلا أنها ركزت على الجوانب السياسية والملوك والأمراء والصراعات المريرة الداخلية والخارجية التي كانت تقوم بين الوقت والآخر، ومن ثم أهملوا التاريخ الاقتصادي، وهذا شكل عقبة كبيرة تطلبت جهداً أضافياً للبحث والتمحيص لما توفر من المصادر سواء أكانت تاريخية أو جغرافية أو أدبية لكي يتم جمع مادة تفي بغرض البحث وسد الثغرات التي أهملتها المصادر التاريخية التي ضمت بين صفحاتها معلومة أو اثنتين تخص الموضوع قيد الدراسة، وسيتم ذكرها على وفق ما قدمته من المعلومات التي أغنت البحث.

وكان كتاب ابن عساكر (ت 571هـ / 1175م) تاريخ دمشق، من أهم المؤلفات التي أفادت البحث فيما يتعلق باليهود في بلاد الشام، وموقف الدولة الإسلامية تجاه الأراضي الزراعية وما يتعلق بها من نظام الخراج وغيره. وكتاب ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي (ت 555هـ / 1160م) الذي يعد من أهم المصادر التي قدمت معلومات عن ابرز الشخصيات اليهودية في العصر الفاطمي كالوزير يعقوب بن كلس، وعملية انتقاله من العراق وصولاً إلى مصر وجوانب أخرى ذكرت في بعض صفحات البحث.

ويعد كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبن الجوزي (ت 597هـ / 1200م)، من ابرز المصادر التي أفادت البحث، إذ انفرد بروايات عن اليهود في العراق تتعلق بمناطق تواجدهم وعلاقتهم بالمسلمين وإشارة عن نشاطهم الزراعي. ومؤلفات المقريزي (ت 845هـ / 1442م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، وكتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وقد وجدت بهما معلومات مختلفة فيما يخص مناطق تواجد اليهود والنشاط الحرفي لهم وما إلى ذلك، وتعد كتبه من أهم المصادر في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية.

ومن ابرز المصادر التاريخية التي اعتمد عليها البحث كتاب صبح الأعشى في صناعة الانشا، للقلقشندي (ت 821هـ / 1418م) وهو من الموسوعات المهمة وأفاد البحث بوثائق

خاصة تشير إلى اهتمام الدولة الإسلامية بالعدل بين مختلف الطوائف دون النظر إلى انتمائهم، ومنها ما يشمل النشاط الزراعي لليهود. وكتاب الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب لإبن الفوطي (ت 723هـ / 1323م)، وقد أمد البحث بالعديد من الإشارات حول الوزير سعد الدولة اليهودي وسيطرته على المناصب المهمة في عصر الدولة الايلخانية، وغير ذلك من الإشارات مثل امتهان اليهود لحرفة الصياغة في العصر العباسي. ومن المصادر المهمة كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي (ت 654هـ / 1256م) وهو من أشهر المصادر المعاصرة للعصر الأيوبي وتحديداً بلاد الشام، فقد قدم إشارات للمناصب الإدارية التي تولاها السامرة اليهود في دمشق وغيرها.

ويعد كتاب ابن تغري بردي (ت 874هـ/ 1460م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، من المصادر المهمة فأورد بعض المراسيم الخاصة باستخدام الموظفين من أهل الذمة، مثل تولي اليهود رئاسة الطب بمصر.

ومن كتب السياسة الشرعية المهمة التي أثرت الدراسة كتاب الخراج لأبي يوسف (ت182هـ / 798م)، وقدم معلومات مهمة عن أهل الذمة ومنهم اليهود وموقف الدولة الإسلامية منهم في مختلف المجالات وبالذات الاقتصادية منها، وتكمن أهمية تلك المعلومات أنها جاءت في العصر الذهبي للتحولات الاقتصادية في بداية العصر العباسي، ومنها أن الحرف والمهن كانت متاحة للجميع على حد سواء من دون النظر إلى انتمائهم الديني ما لم يتعارض مع التشريع الإسلامي.

كما افاد البحث من كتب مهمة أخرى منها كتاب التنوخي (ت 384هـ / 994م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، وكتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبن مسكويه (ت 421هـ / 1030 م)، لا سيما بالمعلومات التي تتحدث عن الجهابذة من اليهود وعلاقتهم مع القائمين على إدارة شؤون الدولة الإسلامية، وقد انحصرت في معظمها بالعراق والأحواز، ومدى تأثيرهم آنذاك على سير إدارة الدولة.

وكتاب الإشارة إلى محاسن التجارة، للدمشقي (ت 850هـ / 1446م) الذي أسهم في تحديد أصناف (فئات) التجار، وما يتوجب على كل تلك الفئات إتقانه لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأرباح وتجنب الأخطار.

أما عن كتب التراجم فتعد ذات أهمية خاصة لأنها تكمل أوجه القصور في بعض المصادر التاريخية لأنها تترجم للأشخاص وتلقي الضوء على حياتهم العامة والخاصة وتبرز مدى إسهامهم في أوجه النشاط الإنساني والعلاقات الاجتماعية لهم، كما تكشف عن دورهم في الحياة السياسية والعلمية والدينية والاقتصادية، ومن أبرزها كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، للقفطي (ت 646هـ/ 1248م)، وأفاد البحث بمعلومات قيمة عن أطباء اليهود في العصور الإسلامية المختلفة وصولاً إلى العصر الأيوبي. والكتاب الآخر الذي لا يقل أهمية عن المذكور، لأبن أبي أصيبعة (ت 668هـ / 1269م)، كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء وهو من ابرز كتب التراجم عن الأطباء وتكلم فيه عن أطباء العرب والعجم والهنود والمغرب وأطباء مصر وبلاد الشام، وقد أغنى البحث عن أطباء اليهود في مختلف الحقب التاريخية وأبرزها في العصرين الفاطمي والأيوبي ومكانتهم في عالم الطب وعلاقتهم بالملوك ووزرائهم وما منحوه لهم من امتيازات، والمؤلفات الطبية التي صنفوها، فضلاً عن إبراز المكانة المرموقة التي تمتع بها أطباء اليهود في بلدان المشرق الإسلامي.

ومن كتب التراجم الأخرى كتابا الصفدي (ت 764هـ / 1374م)، الوافي بالوفيات، وأعيان العصر وأعوان النصر، وقد شملت المعلومات التي أفادت البحث عن أطباء اليهود في العصر المملوكي. ولا يمكن إغفال كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة، لأبن الصيرفي (ت542هـ / 1147م) الذي يقدم ترجمة مفصلة عن وزراء الدولة الفاطمية ومنهم اليهود، ويعد المصدر لمعظم المصادر الثانوية التي جاءت من بعده.

وتحتل كتب الجغرافية والبلدانيات مكانة مهمة في المصادر التي اعتمد عليها البحث، وتتضمن الكثير من المعلومات عن الأقاليم والبلدان، وسكانها في مختلف العصور، لكونها تلقي الضوء على جوانب شتى عن طوائف تلك المجتمعات وقد أمدت البحث بذخيرة طيبة من المعلومات التي تفتقر إليها المصادر التاريخية الأخرى.

وأبرزها من حيث الأهمية للبحث كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (626هـ / 1228م)، فأغنى البحث بالعديد من أسماء المدن والقرى التي يتواجد بها اليهود في أقاليم المشرق الإسلامي، وما قدمه من معلومات عن إقامتهم في العراق بمناطقه المختلفة. ويأتي بعده من حيث الأهمية كتاب المسالك والممالك، لأبن خرداذبه (ت 280هـ / 893م) وكتاب

البلدان لأبن الفقيه (ت 365هـ / 975م) فقد انفردا بنص مهم عن اليهود الراذانية، والطرق البرية والبحرية التي يسلكها اليهود عند القيام برحلاتهم التجارية ما بين الشرق والغرب، فضلاً عن أهم البضائع التي تاجر بها اليهود، وتكمن أهمية النص أنّه المرجع الوحيد لكل الباحثين المحدثين من المسلمين والمستشرقين من اليهود وغيرهم.

ومن الكتب الجغرافية الأخرى كتاب المسالك والممالك الأصطخري (ت 346هـ/ 957م)، وكتاب صورة الأرض لأبن حوقل (ت 367هـ / 977م)، وكتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي البشاري (ت 380هـ / 990م) وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ت 560هـ / 1146م) ورحلة ابن جبير (ت 614هـ / 1217م) وغيرها من الكتب الجغرافية الأخرى. فقد وفرت للبحث مجموعة مهمة من النصوص المختلفة منها ما يتعلق بالتوزيع الجغرافي، والنشاط الزراعي لليهود، وتحديد بعض المواقع والمدن التي ورد ذكرها في أثناء البحث.

ومن الكتب البلدانية وبالذات ما يخص اليمن فقد اعتمد البحث على العديد منها مثل كتاب ابن المجاور (ت 690هـ / 1291م)، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى بتاريخ المستبصر، وكتاب ثغر عدن للطيب بامخرمة (ت 947هـ / 1540م)، قدم الكتابان معلومات عن مناطق تواجد اليهود في اليمن وبعض أعمالهم التجارية. أما كتاب تاريخ مدينة صنعاء، للرازي (ت 460هـ / 1068م) فقد انفرد بتقديم رواية حول عدد منازل اليهود بالمدينة وذلك مما لم يذكره غيره.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك مصادر أخرى اعتمدها البحث لكنها لا تصل إلى مستوى المصادر التي ذكرت بقدر تعلق الأمر باليهود.

ثالثاً: الرحلات اليهودية

تعد الرحلات اليهودية من أهم المصادر التاريخية، فالرحالة بتنقله من مدينة لأخرى واتصاله بأهلها يعطينا صورة واضحة عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والدينية والاجتماعية، وتقدم الرحلات اليهودية كما هائلاً من المعلومات المختلفة، على الرغم مما يتخللها من الهفوات وما يشوبها أحياناً من المبالغات، إلا أنها تمثل رافداً مهماً من روافد

المعلومات التاريخية عن اليهود وذلك غير متوفر في المصادر الأخرى على الرغم من كثرتها. وينبغي الإشارة إلى أن معظم تلك الرحلات لم يترجم إلى الآن.

ومن ابرز تلك الرحلات رحلة للرحالة اليهودي بنيامين بن يونه التطيلي المتوفى في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد، الذي زار العالم الإسلامي في رحلة استغرقت من (561-569هـ / 1165-1173م) وكان بنيامين وجيهاً من وجهاء قشتالة، وتاجراً بدلالة الاهتمام الكبير الذي أبداه بالأحوال الأقتصادية للبلدان التي زارها [1]. وتعد الرحلة من أغنى الرحلات اليهودية لما قدمته من المعلومات عن التوزيع الجغرافي لليهود في المدن والقرى وأعدادهم وحرفهم، ليس ذلك فحسب بل أنه حدد موقف الدولة الإسلامية منهم وأنهم يعيشون بأمان وعز ورفاهة في ظل أمير المؤمنين [2].

ومع أهمية الرحلة لما توفره من المعلومات إلا أنها لم تخلو من المبالغات وبالذات بأعداد اليهود، وذكر لمدن يتواجد فيها اليهود لم تذكرها المصادر، ويغلب على البعض منها طابع الروايات الإسرائيلية، وتم ذكر البعض منها في مواضع متعددة من البحث حسبما تيسر للباحث. واعتمد البحث على الرحلة المترجمة من عزرا حداد وهناك مواضع اعتمدت فيها نسخ ثانية من أجل ايضاح الفرق بينها، وتوفرت للدراسة نسخ متعددة منها، نسخة قام بدراستها والتقديم لها عبد الرحمن بن عبد الله الشيخ معتمداً على ترجمة عزرا حداد، ونسخة آشر The I Therary of Rabbi Benjamin of Tudela: Asherr

طبعة لندن سنة (1841م) وتقع في جزأين الأول نص الرحلة باللغة الانكليزية والعبرية، والجزء الثاني شمل تعليقات وملاحظات آشر على الرحلة. ونسخة أخرى أوردها توماس رايت (Thomas Wright) في مجموعته المسماة الرحلات المبكرة إلى فلسطين. Early Travel in Palestine.

المطبوعة في لندن سنة (1848م). ونسخة أخرى باللغة العبرية ضمن مجموعته باعتناء J.D.E Isenstein تحت عنوان خلاصة الرحلات اليهودية. A Compendium of Jewish Travels طبعة نيويورك سنة (1926). أما النسخة الأخرى فقد أوردها ادلر (Adler) تحت عنوان الرحلات اليهودية Jewish Travellers طبعة لندن سنة(1930).

1- رحلة بنيامين، ص39.

2- رحلة بنيامين، ص165.

وعلى الرغم من الاهتمام بالرحلة من الباحثين المحدثين يرى الباحث أنها تحتاج إلى دراسة متأنية لنسخ الرحلة ومقارنتها مع غيرها من الرحلات أو المصادر التاريخية من أجل التوصل إلى نظرة شاملة ودقيقة عنها.

وثاني الرحلات اليهودية في الأهمية رحلة الربي بتاحيا الراتسبوني (571-576هـ/ 1175-1180م) وفيها معلومات مهمة عن أحوال العالم عامة والمشرق الإسلامي خاصة في حقبة من أهم الحقب التاريخية في القرن (6هـ / 12م) مما يجعلها في مصاف أهم رحلات هذا القرن ومن المصادر المعول عليها في كتابة تاريخ هذه الحقبة [1]. وقدمت الرحلة معلومات مهمة فيما يخص التوزيع الجغرافي لليهود ومقارنتها برحلة بنيامين للخروج برؤية أقرب للصحة قدر الإمكان، إلا أن الملاحظ أنها تكاد تخلو من المعلومات الاقتصادية إذا ما قورنت بسابقتها ولعل السبب في ذلك أن بتاحيا رجل دين على العكس من بنيامين الذي كان يعمل تاجراً.

وتوفر للباحث نسخ متعددة منها باللغة العربية التي ترجمها وحققها عبد الرحيم الدويكات وهي التي اعتمدت بالبحث، ونسخة باللغة الانكليزية اعتنى بها

A. Benisch, Travels of Rabbi petachia of Ratispon.

طبعة لندن سنة (1856م). ونسخة ضمن مجموعة آدلر، وباللغة العبرية ضمن مجموعة خلاصة الرحلات اليهودية المشار إليها سابقاً.

ومن الرحلات اليهودية الأخرى رحلة عوبديا جاردا برتينورو **Obadiah Jar Da Bertinoro**، وهو أحد اليهود الايطاليين الذين اتخذوا من القدس وطناً بديلاً لهم، وكان يعيش في بلدة برتينورو بمقاطعة فلورنسة، فخرج منها عازماً الهجرة إلى فلسطين في (29 تشرين الأول 1486م / 18 شوال 891هـ)، وانتهت رحلته بوصوله القدس في (25 آذار 1488م / 3 جمادى الآخرة 893هـ). وبذلك استغرق في ترحاله حوالي سنة واربعة أشهر، واستقر به المقام هناك مستوطناً إياها حتى توفي بها عام (1500-905م) [2].

والرحلة عبارة عن ثلاثة خطابات موجهة من عوبديا إلى والده وأخيه وصديق له، وقد عني الناشر اليهودي آدلر بتضمين نصوص الخطابات الثلاثة في مجموعة الرحلات

1- رحلة بتاحيا، ص7.

2- **Jewish En.vol,3, p.108 ; Adler، Jewish Travelers, p.209.**

اليهودية، وقد سبق ذكرها وبقراءة متأنية لتلك الخطابات يتبين أنها غنية بالمعلومات التاريخية التي يمكن من خلالها الاطلاع على تجمعات اليهود في العقود الأخيرة من العصور الوسطى، وقد شملت العديد من المدن والجزر في شرق البحر المتوسط، وكذلك شملت الديار المصرية وفلسطين في ظل الحكم المملوكي. ورفدت الرحلة البحث بمعلومات مهمة عن مناطق استقرار اليهود في مصر وفلسطين، وتحديد أحد الطرق التجارية التي يسلكها اليهود من أوربا مروراً بالديار المصرية ومنها وصولاً إلى بيت المقدس، وقدم نصاً مهماً عن احتراف احد اليهود الترجمة في الإسكندرية.

كما اعتمدت الدراسة على رحلة الرابي ميشولام بن الرابي مناحم من فولتيرا إحدى المدن الايطالية التي قام برحلته منها سنة (886هـ / 1481م)، وشملت رحلته الديار المصرية وبلاد الشام، أورد فيها مجموعة من النصوص المختلفة عن الجماعات اليهودية في المدن الإسلامية، وأعداد اليهود فيها، وأفادت تلك المعلومات إثبات تناقص أعدادهم في بعض المدن مثل: الإسكندرية، أو تفنيد البعض منها كما هو مبين في الفصل الخاص بالتوزيع الجغرافي، ومعلومات مهمة أخرى.

وهناك رحلات يهودية أخرى اعتمد عليها في البحث إلا أنها أقل أهمية إذا ما قورنت بالرحلات المذكورة أعلاه وهي رحلة الرابي يعقوب الباريسي، الذي زار بلاد الشام بين السنوات (636-642هـ / 1238-1244م)، واسحق بن جوزيف بن شيلو، الذي زار بيت المقدس سنة (735هـ / 1334م). وتلك الرحلات نشرت ضمن مجموعة أدلر الرحلات اليهودية، باللغة الانكليزية، وباللغة العبرية ضمن مجموعة خلاصة الرحلات اليهودية.

رابعاً: المراجع العربية

شمل البحث مراجع حديثة متعددة، من أبرزها كتاب دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، لـ نعيم زكي فهمي، بالنظر لما قدمه من مادة علمية أغنت البحث بجزئياته المختلفة منها مكانة التجارة عند اليهود، والأماكن التي تواجدت بها الجماعات اليهودية، وتحديده لجهود بعض الأفراد والأسر اليهودية المالية والتجارية. ولحسن ظاظا والسيد محمد عاشور كتاب اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة، ساقا فيه العديد من الأدلة والبراهين

التي تبين من خلالها الأسس الاقتصادية لليهود، ومثل الكتاب مدخلاً للحديث عن مكانة التجارة عند اليهود. ومن بين المراجع المهمة كتاب اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، لـ زبيدة محمد عطا، الذي رفد البحث بجزئيات متفرقة شملت معظم فصوله، مكانة التجارة وكل ما يتعلق بها من الأنشطة وتحديداً في مصر الإسلامية. وكتاب اليهود في مصر الإسلامية حتى نهاية العصر الأيوبي، لـ هويدا عبد العظيم رمضان وكتاب اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة، لـ محاسن محمد الوقاد، وأفادا البحث في جزئيات تتعلق بالنشاط التجاري لليهود.

ومن المراجع الأخرى كتاب اليهود في ظل الحضارة الإسلامية لـ عطية القوصي، وقد احتوى على مجموعة من البحوث المختلفة منها ما يتعلق بدور اليهود في الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية (جهابذة القرن الرابع الهجري) الذي بين من خلاله نفوذ الجهابذة في بغداد، وأن هناك دوراً للجاؤنية في حل الإشكاليات التي يواجهها اليهود عن طريق أولئك الجهابذة. وعند الحديث عن يهود اليمن لا بد من ذكر كتاب عبد الرحمن بشير، من تاريخ اليمن صراع السلطة – الوجود اليهودي، ولعل أهم ما قدمه للبحث من المعلومات دور اليهود في التجارة وبالذات الخارجية منها من حيث أنواع السلع المتبادلة مع الهند، وبعض الإشكاليات التي كانت تقع بين اليهود أثناء دخولهم بشراكة تجارية. وكتاب تاريخ اليهود في حلب، لمحمود حريتاني، الذي أفاد الباحث بتحديد اماكن تواجد اليهود بحلب، وإشارات عن بعض الجوانب الاقتصادية الأخرى.

ولا يمكن أن إغفال كتاب اليهود في شرق البحر المتوسط لـ علي أحمد محمد السيد، الذي أفاد البحث بالعديد من المعلومات عن التوزيع الجغرافي لليهود –تحديداً في مصر– ومواضع أخرى من البحث. وهناك مراجع أخرى اعتمدت في البحث لم نذكرها هنا لسببين الأول: أن اعتمادها كان محدوداً، والثاني أن البعض منها يفتقر إلى الأمانة العلمية فلا يكاد يكون أكثر من كتاب مترجم من كتابات المستشرقين اليهود أو غيرهم بحيث تصل نسبة الاقتباس بحوالي (95 %)، وينأى الباحث عن ذكر أسماء تلك الكتب حتى لا يخرج البحث عن الإطار العلمي الذي وضع لأجله

وهناك أمر لا بد من ذكره يخص الباحثين والكاتب منهم، وهو التحلي بالأمانة العلمية في عمليات النقل من المراجع الحديثة، فقد لوحظ أثناء عملية جمع المادة

والكتابة وجود خلل في عمليات النقل عن مصادر لم يطلع عليها الباحثون، فالخطأ والسهو يقع في موضع أو موضعين لا في مواضع عديدة، بل أن عملية النقل للمعلومة من قبل أول باحث عن طريق الخطأ لكونه لم يطلع على المصدر الأساسي، ومن ينقل عنه تلك المعلومة ينقلها على علتها من دون الرجوع إلى النص الأصلي ومما يدل على ذلك إن الباحث يشير إلى كتاب بطبعة معينة عند الرجوع إليها يلاحظ إن المعلومات أما غير موجودة أو أنها تقع بموضع غير الذي ذكر أو أنه نقله بصيغة تخل بمعناه الحقيقي.

خامساً: المراجع الأجنبية

إن عملية الكتابة عن اليهود ليست بالأمر اليسير ومن يدخل في هذا المجال لا بد له من استخدام المراجع الأجنبية لأسباب عدة لعل من أبرزها التعرف على وجهة نظر الآخر وآلية تعاملهم مع النصوص التاريخية لبيان مواطن الخلل ومحاولة تصويبه ووضعه بالإطار الصحيح قدر الإمكان، علماً أن محاولة التلاعب بالنصوص لا يمكن تعميمه على الجميع وذلك لوجود دراسات غربية تتسم بالرصانة العلمية التي نفتقد إليها في العالم العربي.

ومن أهم تلك المراجع التي أغنت البحث بالمعلومات كتاب:

Daid Solomon Sassoon, A. History of the Jews in Baghdad.

طبعة **U.S.A** سنة (2006) وتكمن أهمية الكتاب بتقديم معلومات مهمة عن يهود العراق، التي مكنت الباحث من تحديد أماكن تواجد اليهود في مدن العراق عن طريق المراسلات فيما بينهم بمختلف أرجاء العراق وبين رأس الجالوت ببغداد. وكتاب:

Goitein, Jews and Arabs

طبعة **New York** سنة (2005)، الذي حاول من خلال جزء منه إثبات إسهام اليهود في الجزيرة العربية وتحديداً في إنتاج السفن، وغيرها من المعلومات الأخرى. ومن كتب **Goitein** الأخرى كتاب:

" Studies in Islamic history and Institutions"

طبعة **Brill** سنة (2010)، وقد اعتمد الدراسة على النسخة الانكليزية في بعض المواضع مع وجود ترجمة للكتاب باللغة العربية وسبب ذلك دقة المعلومات في النسخة الانكليزية عن العربية.

ومن الكتب المهمة التي استندت إلى وثائق الجنيزة للباحثة: Jessica L.Goldberg "Trade and Institutions in the Medieval Mediterranean the Geniza Merchants and their Business World"

طبعة Cambridge سنة (2012)، وأفاد البحث بتقديم إحصائيات لنسب التجارة الداخلية والخارجية للتجار اليهود من خلال وثائق الجنيزة، وتحديد نسبة كل مدينة من خلال ذلك النشاط.

وكتاب الباحث اليهودي Jacob Mann

"The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs"

طبعة Oxford سنة (1920) ويقع في جزأين أورد فيه العديد من وثائق الجنيزة، وأغنى البحث بنصوص عن التوزيع الجغرافي لليهود وإشارات عن مختلف الأنشطة الاقتصادية من تجارة وزراعة، ودور الشخصيات اليهودية في العصر الفاطمي. ومن ابرز المراجع الأجنبية عن يهود اليمن كتاب

Yosef Tobi: "The Jews of Yemen studies their history and Culture"

طبعة Brill سنة (1999)، أورد فيه نصوص مهمة عن مدى ثراء يهود عدن، ومدى تأثير ذلك الثراء على تولي رئاسة الجالية اليهودية في اليمن، وكيف جمع أولئك اليهود بين أمرين إدارة شؤون اليهود وعملهم بالتجارة في آن واحد.

ومن بين المراجع الحديثة التي استخدمت في البحث كتاب الباحث اليهودي

"Moshe Gil, A History of Palestine، 634-1099"

طبعة Cambridge سنة (1997)، وقد اعتمد في جزءٍ لا بأس به على وثائق الجنيزة، ورفد البحث بمعلومات عن دور اليهود في التبادل التجاري ما بين الديار المصرية وبلاد الشام، وأهم السلع المتبادلة وإشارات عن أسعار تلك السلع وتحديد المطلوب منها.

وكذلك كتاب

Walter Fischel, Jews in Economic and Life in Medieval Islam

طبعة London سنة (1937).

أمدنا بمعلومات عن بعض الأنشطة الاقتصادية لليهود وكذلك أبرز الشخصيات اليهودية التي تولت أعمالا إدارية في مختلف الحقب الإسلامية.

أما عن المراجع الحديثة التي اختصت بالعصر المملوكي فهو كتاب باللغة العبرية

"E.Strauss-Ashtor, History of the Jews in Egypt and Syria under the rule of the Mamluks"

وهو بثلاثة أجزاء الأول منها طبعة فلسطين سنة 1944، والثاني سنة 1951، وأما الثالث طبعة Jerusalem مؤسسة Kook سنة 1970 وأمد البحث بمعلومات مهمة عن الأنشطة الاقتصادية المختلفة، إلا أن أبرزها ما يتعلق بالنشاط المهني (الحرفي لليهود في العصر المملوكي).

وعندما يتم الحديث عن يهود إيران فلا بد أن يكون كتاب تاريخ يهود إيران لـ حبيب لوي من بينها، ويتكون الكتاب من ثلاثة أجزاء طبعة طهران سنة (1960) والكتاب باللغة الفارسية يتحدث عن اليهود منذ بداية تواجدهم في بلاد إيران وصولاً إلى بدايات القرن العشرين، وما يهمنا ما تحتويه من المعلومات التي تخص الحقبة الإسلامية، إذ قدم معلومات عن مناطق تواجد اليهود في بلاد إيران وغيرها من الإشارات إلى أحوال اليهود واشتغالهم بالتجارة والزراعة لكن التعامل مع الكتاب يحتاج إلى الحذر لما فيه من معلومات مغلوطة أوردها الباحث من دون الإشارة إلى مصدرها، وفيه تناقضات تم ذكر البعض منها أثناء البحث.

ولا بد من الإشارة إلى أنه هناك الكثير من المصادر والمراجع الحديثة العربية والأجنبية ورسائل الماجستير والدكتوراه والبحوث الأكاديمية لم نذكرها لأنها تحتاج إلى حيز كبير من التحليل، وكذلك أقتصر توظيفها أحيانا على موضع أو أثنين، لذا ارتأى الباحث عدم ذكرها في هذا الموضع، ونكتفي بإيرادها في ثبت المصادر والمراجع.

الفصل الأول

التوزيع الجغرافي لليهود في الشرق الإسلامي

المبحث الأول: اليهود في إقليم الجزيرة العربية.

المبحث الثاني: اليهود في إقليم العراق.

المبحث الثالث: اليهود في إقليم بلاد الشام.

المبحث الرابع: اليهود في إقليم مصر.

المبحث الخامس: اليهود في إقليم إيران وبلاد ما وراء النهر.

المبحث الأول
اليهود في إقليم الجزيرة العربية

إقليم شبه الجزيرة العربية (جزيرة العرب) يحدها غرباً البحر الأحمر وشبه جزيرة سيناء، وشرقاً الخليج العربي وجزء كبير من بلاد العراق الجنوبية، وجنوباً بحر العرب الذي هو امتداد لبحر الهند، وشمالاً بلاد الشام، وجزء من بلاد العراق على اختلاف بعض هذه الحدود [1].

وقسم الجغرافيون العرب شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض (اليمامة والبحرين)، واليمن [2].

لم يقطع أحد من المؤرخين في تحديد المدة الزمنية والكيفية التي دعت اليهود إلى الهجرة للجزيرة العربية لاسيما المدينة المنورة التي كانت تسمى يثرب قبل الهجرة النبوية، ولكن الغالب والأعم أنهم رحلوا من الشام على فترات إلى شبه الجزيرة العربية لاسيما عقب الحوادث والنوازل والكوارث التي كانت تقع على بني إسرائيل [3].

وحاول بعض المؤرخين اليهود التأكيد على أن شبه الجزيرة العربية كانت موطناً لليهود، إذ يقول أحمد سوسة: ((والأغرب من ذلك كله أن نرى بعض الباحثين يقول أن الجزيرة العربية هي موطن اليهود الأصلي)) [4]، ومنهم برنز بقوله: ((إن أكثر الباحثين يتفقون على أن الجزيرة هي موطن اليهود الأصلي)) [5] ومثل ذلك يقول إسرائيل ولفنسون:

1- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص11.
2- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص47؛ الحموي، معجم البلدان، 2 / 137؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، 1 / 332؛ السمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، 4 / 55.
3- يوسف رشاد، اليهود المتخفون، ص236.
4- ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، ص210.
5- Burns، Western Civilization, p.98
نقلاً عن سوسة، ملامح، ص210.

((إن الهجرة الإسرائيلية صدرت من الجزيرة العربية، وفتحت بلاد فلسطين وكان هذا الفتح سبباً لتقلبات اجتماعية ودينية كثيرة كبيرة الأثر في التاريخ العام)) [1].

ويعلق سوسة على ذلك، ولا ندري كيف يوفق ولفنسون بين نزوح اليهود من مصر في عهد النبي موسى (عليه السلام) وبين نزوحهم من جزيرة العرب كما تؤكد التوراة ذلك [2].

وبمؤلف آخر يشير ولفنسون إلى تقسيم تاريخ بني إسرائيل في بلاد العرب إلى طورين أساسيين، الأول يشمل حوادث لبطون إسرائيلية بائدة في بلاد العرب، والثاني يتناول أخباراً لجموع من اليهود كان لها شأناً عظيماً في تاريخ شبه الجزيرة العربية، أما الطور الأول فينتهي عند القرن الخامس ق.م، والثاني ينتهي بإجلاء - الخليفة - عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أخر الطوائف اليهودية من جزيرة العرب [3].

بينما يشير مارغليوث إلى أن علاقتهم بالجزيرة مرت بثلاث فترات ما قبل التاريخ الأولى لا تحديد لبدايتها، إنما تنتهي بالقرن الخامس قبل الميلاد، والثانية تبدأ بالعهد القديم والتوراة إلى عهد المؤرخ يوسفوس، وأما الثالثة التي انتشرت فيها اليهودية في شمال وجنوب الجزيرة العربية [4].

ولذلك فهؤلاء المؤرخون اليهود وغيرهم ممن نقل عنهم يقولون إن اليهود هم أوائل من سكنوا يثرب وذلك غير صحيح، لأن أول من نزل أرض يثرب هم أهل سبأ من عرب اليمن[5]، ويؤكد ذلك قول ابن كثير: ((وذلك أنهم لما هلكت أموالهم وضربت بلادهم - أي أهل سبأ - احتاجوا إلى أن يرتحلوا منها وينتقلوا عنها، فتفرقوا في غور البلاد... فنزلت طوائف منهم الحجاز، ومنهم من نزل المدينة المنورة، فكانوا أول من سكنها، ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود هم: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، فحالفوا الأوس والخزرج وأقاموا عندهم...)) [6].

1- تاريخ اللغات السامية، ص5.
2- ملامح، ص210.
3- تاريخ اليهود في بلاد العرب، ص1-2.
4- Margollouth، The Relations between Arabs and Israelites prior the rise of Islam، p.1.
5- رشاد، اليهود، ص238-239.
6- البداية والنهاية، 2 / 136-137.

وقال ياقوت الحموي: ((وكان أول من زرع بالمدينة واتخذ بها النخل وعمّر بها الدور والآطام واتخذ بها الضياع العماليق وهم بنو عملاق بن ارفخشد بن سام بن نوح (عليه السلام)، ونزلت اليهود بعدهم الحجاز، وكانت العماليق ممن انبسط في البلاد فأخذوا بين البحرين وعمان والحجاز كله...)) [1].

ويجب الإشارة إلى أن الخوض في مسألة الوجود اليهودي في شبه الجزيرة العربية وفي شمال الحجاز بالذات، بالغة التعقيد، ولا تخلوا من منزلقات خطيرة يجب أن نكون حذرين من الخوض فيها إلا بالقدر الذي يخدم موضوع البحث [2]، وتلك المسألة تقع خارج نطاق البحث، والغرض من الكلام السابق هو إعطاء صورة حول بداية تواجد اليهود في الجزيرة العربية [3]، وبغض النظر عن أصل المنطقة التي وفدوا منها التي تبقى مجرد فرضيات، لكن يبقى القول بأن اليهود ظلوا جسماً غريباً عن المنطقة [4].

والأهم من ذلك تحديد الأماكن التي تواجدوا فيها، فقد استوطن اليهود في الأماكن الواقعة على الطرق التجارية المشهورة بمياهها وخصوبة أرضها في شمال غرب شبه جزيرة العرب، وامتدت إقامتهم من ((جربا)) الواقعة في الشمال الشرقي من ((أيله)) ((العقبة)) نحو الجنوب إذ نجد جماعة منهم استوطنت ((مقنا) بقرب أيله باتجاه الجنوب الشرقي، ثم نجد مستوطناتهم تمتد نحو الجنوب إلى تيماء وفدك ووادي القرى وخيبر، وأخيراً نجد أن أكبر تجمع لهم كان في يثرب، وانتشرت جماعات يهودية في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية [5].

وأهم الأماكن التي تواجد فيها اليهود في الجزيرة العربية هي:

مدينة يثرب (المدينة المنورة) وتقع على طريق القوافل التجارية بين بلاد العرب الجنوبية وبلاد الشام، وتعد واحة خصبة جذبت إليها السكان منذ أزمنة سحيقة في

1- معجم البلدان، 5 / 84.
2- رياض مصطفى احمد شاهين، النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز، ص34.
3- حول بدايات تواجد اليهود في جزيرة العرب، ينظر: ولفنسون، تاريخ اليهود، ص1-49؛ سوسة، ملامح، ص210-215؛ زبيدة محمد عطا، اليهود في العالم العربي، ص57-65؛ محمد رشيد العقيلي، اليهود في شبه الجزيرة العربية، ص55 - 79؛ سعيد المرصفي، أسطورة الوطن اليهودي، ص119-120.
4- إبراهيم بيضون، الحجاز والدولة الإسلامية، ص41.
5- صالح موسى درادكة، العلاقات العربية اليهودية، ص108. ولمعرفة الأماكن المشار إليها أعلاه ينظر الخارطة رقم (1).

القدم[1]، ويتألف اليهود في مدينة يثرب من ثلاثة قبائل: بنو النضير، وبنو قريظة، وبنو قينقاع [2]، وكان انتشارهم فيها بالشكل الآتي:

1. بنو النضير، استوطنوا بالعالية بوادي يصب في بطحان جنوب يثرب [3].
2. بنو قريظة، استوطنوا شرق وادي مهزور [4].
3. بنو قينقاع، استوطنوا وسط يثرب وفيها سوق من أسواق المدينة، وتقع منازلهم عند منتهى جسر بطحان مما يلي العالية [5].

وفي يثرب كانت الأحياء اليهودية متباعدة نوعاً ما بعضها عن بعض، سواء أكان ذلك بحكم طبيعة المنطقة وتفرع الأودية التي فرضت تجزئة طبيعية، أو نتيجة خلافاتهم وتفككهم، وهذا ما أكدته الأيام من خلال مواقفهم وعلاقتهم مع الأوس والخزرج أو عدم مساعدة احدهما الآخر عندما تصطدم قبيلة منهم مع رسول الله (ﷺ) [6]، وما يؤكد ذلك قول سلام بن مشكم: ((لا قامت يهودية بالحجاز أبداً، ليس لليهود عزم ولا رأي)) [7].

وأما خيبر فتقع على بعد ثلاثة أيام (165 كم) شمال المدينة على طريق الشام [8]، وتأتي خيبر بعد يثرب في الأهمية، وكان يسكنها جماعة من اليهود لما لها من أهمية اقتصادية، وذلك ما أشار إليه الواقدي أن خيبر هي ريف الحجاز في الطعام والأموال [9]. ولقد كان يهود خيبر على جانب كبير من القوة والمنعة، ولم يذكر التاريخ أنهم تعرضوا طيلة عهد استعمارهم لخيبر حتى ظهور الإسلام لأي غزو، كما لم يروى التاريخ أنه حدثت فيما بينهم أية حروب أهلية كما هو شأن يهود يثرب [10].

1- احمد الشريف، مكة والمدينة، ص290.
2- هاشم يحيى الملاح، موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، ص10.
3- السمهودي، وفاء الوفا، 2 / 213؛ احمد بن الزغيبي، العنصرية اليهودية، 2 / 33.
4- الأصفهاني، الأغاني، 22 / 13؛ السمهودي، وفاء الوفا، 2 / 213.
5- السمهودي، وفاء، 1 / 164.
6- فتحي احمد محمود، اليهود والدعوة الإسلامية في الحجاز، ص11 – 12.
7- الواقدي، المغازي، 2 / 530.
8- البغدادي، مراصد، 1 / 494؛ السمهودي، وفاء الوفا، 4 / 74؛ محمد محمد حسن شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص109
9- المغازي، 2 / 634.
10- محمد احمد باشميل، غزوة بني قريظة، ص49.

وتشتهر خيبر بالحصون والقلاع الحصينة التي أنشأها اليهود عندما كانت لهم السيطرة عليها [1]، وهي سبعة حصون، حصن ناعم، والقموص، والشق، والنطاة، والسلالم، والكتيبة، والوطيح [2]. ولم تحدد المصادر التاريخية الزمن الذي استوطن اليهود به في خيبر، ولعلهم جاؤوها بعد أن طردهم الرومان من فلسطين في القرن الأول قبل الميلاد [3].

وبعد غدر يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة [4]، وإجلائهم أصبحت خيبر ملجأ لليهود، واستقروا هناك يتطلعون إلى الانتقام، وأدرك الرسول(ﷺ) أهدافهم [5]، وفي مطلع السنة السابعة للهجرة، سار بالمسلمين إلى خيبر [6]، وبعد زحف المسلمين على أول حصون خيبر، وقد استغلوا الفزع الشديد والفوضى التي انتابت اليهود[7]، فقال الرسول(ﷺ): ((الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم، فساء صباح المنذرين))[8]، وفتحوا حصون خيبر، وانتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلالم، وحاصرهم الجيش الإسلامي حتى إذا أيقنوا بالهلكة، سألوه أن يُسيِّرَهم وأن يحقن لهم دماءهم، ففعل [9].

وأراد رسول الله (ﷺ) إخراج اليهود من خيبر، فسألت اليهود رسول الله (ﷺ)، ليقرهم بها أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله (ﷺ): ((نقركم بها على ذلك ما شئنا)) [10]، ولعل حكمة الرسول (ﷺ) باتخاذ ذلك الأجراء يعود لأمرين، الأول الخبرة الزراعية لليهود، لاسيما إذا ما قورنت بخبرة الصحابة وبالذات المهاجرين منهم، والثاني الحاجة إلى الصحابة في عملية نشر الدعوة الإسلامية، وذلك مؤكد إذا أخذنا بالحسبان

1- نفسه، ص49.
2- البغدادي، مراصد، 1 / 494.
3- صالح احمد العلي، الحجاز في صدر الإسلام، ص76.
4- سامي حمدان أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي، ص121 - 137.
5- علي حسني الخربوطلي، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص83.
6- الواقدي، المغازي، 2 / 633؛ ابن هشام، السيرة النبوية، 2 / 328؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3 / 9.
7- درادكة، العلاقات، ص365.
8- صحيح البخاري، 1 / 159 الحديث (610)؛ صحيح مسلم، 3 / 1426 الحديث (1365).
9- ابن هشام، السيرة، 2 / 337.
10- صحيح البخاري، 3 / 824 الحديث (2213)؛ ابن الجارود، المنتقى من السنن المسندة، ص166 الحديث (663).

النشأة الحديثة للدولة في حينها. فقبلوا ثم اقرهم أبو بكر (ﷺ) بعد وفاة الرسول (ﷺ) على هذه المعاملة حتى توفي، ثم أقرهم عمر (ﷺ) صدراً من خلافته، حتى بلغه أن الرسول(ﷺ) قال في وجعه الذي قبضه الله فيه: ((لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان)) ففحص عمر ذلك حتى تثبت منه، فأرسل إليهم وابلغهم إن الله عز وجل قد أذن في جلائهم وطلب ممن يحمل عهداً من الرسول (ﷺ) أن يأتيه به، ومن لم يكن عنده عهد من الرسول (ﷺ) من يهود أن يتجهز للجلاء، فأجلوا [1]. فأخذ المسلمون سهامهم في خيبر، فتصرفوا فيها تصرف المالكين [2].

ولقد تهيأ لعمر(ﷺ) الظروف أن ينفذ وصية الرسول (ﷺ)، إذ اجتمعت معها أسباب تدعو إلى إخراجهم، فبالنسبة لليهود فقد بدر منهم ما يعجل بطردهم، إذ إنهم كانوا قد عدوا على أحد المسلمين وقتلوه [3]، كما اعتدوا على عبد الله بن عمر(ﷺ) ففدعت [4] يداه ورجلاه، ولذلك لما علم عمر (ﷺ) بما حصل للمسلمين على أيدي اليهود، قال: ((ليس لنا هناك عدو غيرهم هم عدونا وتهمتنا)) [5]. والسبب الآخر يورده ابن شبه فقد ذكر أنه في زمن عمر (ﷺ)، كثر العمال في أيدي المسلمين ووقوا على عمل الأرض، فأجلاهم إلى الشام [6]، والسبب الأخير هو الراجح فلم يكن الأمر انتقاماً من اليهود.

وذكر بنيامين (ت 569هـ / 1173م): ((إنه كانت تقيم جماعة من اليهود يقال إنها من بقايا أسباط رأوبين وجاد ومنشة، الذين أجلاهم شلمناصر ملك أشور، فهاجروا إلى هذا الصقع وشيدوا فيه المدن والقلاع... وخيبر مدينة كبيرة آهلة بنحو خمسين ألفاً من اليهود، بينهم العلماء)) [7]. إلا أن ما يذكره بنيامين بعيد عن الصحة فصيغة النص يتبين أنها من الأساطير الإسرائيلية أولاً، وثانياً ذكره رقم خمسين ألف يهوديّ يؤكد عدم صحة

1- ابن هشام، السيرة، 2 / 356-357.
2- ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسيرة، ص149.
3- ابن هشام، السيرة، 2 / 356.
4- فدعت يداه، أي أزيلت من مفاصلها (خلعت) أعوجت. ابن عمرون اليحصبي، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، 2 / 149.
5- صحيح البخاري، 2 / 973، رقم (2580).
6- تاريخ المدينة، 1 / 188.
7- رحلة، ص180.

الرواية، بل إن ما أوردته المصادر الإسلامية المختلفة من حديث وسيرة وتاريخ كلها تناقض ما أورد بنيامين.

وأما تيماء التي كانت تقع شمال الحجاز بين الشام ووادي القرى [1]، وتقع الآن في الجزء الشمالي الغربي من السعودية، وتبعد (420 كم) إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة [2]. وفيها حصن يمتاز بالحصانة، بنائه من الحجارة والكلس وتسميه العرب الأبلق لما يشوبه من البياض والسواد، وكان ملكه عاديا ثم ابنه السموأل اليهودي [3]، ولذلك كان يقال لها تيماء اليهودي [4]، وقد أقامت فيها جالية يهودية كبيرة [5]. وقال الأعشى فيه:

ولا عاديا لم يمنع الموت ماله
وفرد تيماء اليهودي أبلق

بناه سليمان بن داود حقبة
له أزج صم وطيء موثق

يوازي كبيداء السماء ودونه
ملاط ودارات وكلس وخندق[6]

وفدك تقع شمال شرق المدينة وكان أكثر سكانها من اليهود[7]، وهي أقرب القرى التي سكنها اليهود في شمال المدينة [8]، وتبعد عنها يومان وقيل ثلاث [9] حوالي (280كم)، وأشار البلاذري أن يهود فدك لهم رئيس يدعى يوشع بن نون[10]، حينما بعث رسول الله(ﷺ)

1- ابن خرداذبة، المسالك، ص138: خالدة عبداللطيف ياسين، موقف الرسول (ﷺ) من يهود الحجاز، ص40.
2- التيمائي، تيماء، ص15.
3- الثعالبي، ثمار القلوب، ص520: الحموي، معجم، 1 / 75.
4- الحموي، معجم، 2 / 67.
5- أبو زهري، يهود المدينة، ص43.
6- ديوان الأعشى، ص116-117.
7- الحموي، معجم، 4 / 238: الحميري، الروض المعطار، ص437.
8- ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، ص26.
9- الحموي، معجم، 4 / 238.
10- فتوح البلدان، ص34.

محيصة بن مسعود الأنصاري (ت 51-60هـ / 671-680م) يدعوهم إلى الإسلام [1]. ولما بلغ يهود فدك أن خيبر فتحت وصالحت رسول الله (ﷺ)، أرسلوا وفداً منهم إلى رسول الله صالحهم، ولا يعرف فيما إذا كان وفد فدك قد عقد الصلح في خيبر أو الطائف أو بعد عودته إلى المدينة المنورة، وبموجب الصلح صارت نصف أرض فدك خالصة لرسول الله(ﷺ)، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب [2]، وترك النخل والأرض في أيدي اليهود، يعملون فيها مقابل نصف الثمر[3].

ويشير البلاذري أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما أجلى يهود خيبر، بعث إليهم - يهود فدك - من يقوم أرضهم، فبعث أبا الهيثم بن التيهان (ت 21هـ / 641م) وفروة بن عمرو بن حيان بن صخر (ت 14هـ / 635م)، وزيد بن ثابت (ت 45هـ / 665م) فقوموها لهم، النخل والأرض، فأخذها عمر ودفع إليهم نصف قيمة النخل بتربتها، فبلغ ذلك خمسين ألف درهم أو يزيد، وأجلاهم إلى الشام [4].

وأما وادي القرى فيقع شمال غرب يثرب، وقد سمي بذلك لأحاطته بقرى منظومة، ويقع بين تيماء وخيبر، ويشتهر الوادي بأرضه الخصبة، وكثرة العيون والآبار، فيه جاليات من اليهود عاشوا في ظل تحالفات مع القبائل العربية [5].

وقد استثنى الخليفة عمر(رضي الله عنه) من الإجلاء من كانوا يحملون عهوداً خاصة من الرسول (ﷺ) وقد شمل الإجلاء معظم يهود خيبر وفدك، وأما يهود وادي القرى وتيماء فلم يتعرض إليهم مما يدل على أنّه كانت لهم عقود خاصة، وقد بقيت أغلبيتهم في وادي القرى إلى القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد، وكذلك وجدت طوائف منهم في تيماء في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، ثم انعدم وجودهم في الحجاز وأطرافها شيئاً فشيئاً حتى اختلطوا في الأعراب وذابوا في المجتمع [6].

1- ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 4 / 232.
2- ابن هشام، السيرة، 2 / 353.
3- البلاذري، فتوح، ص38.
4- المغازي، 2 / 707.
5- الهمذاني، صفة جزيرة العرب، ص296؛ الحموي، معجم، 5 / 341؛ جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 7 / 363-364.
6- Montgomery Watt, Muhammad and Statesman, p.191.

ومن المناطق الأخرى التي يتواجد فيها اليهود مقنا، وتقع في شمال الحجاز على ساحل البحر الأحمر [1]، وقد كتب رسول الله (ﷺ) ليهود مقنا أنهم آمنون بأمان الله تعالى وأمان محمد (ﷺ) وأن عليهم ربع غزولهم وربع ثمارهم [2].

وأما اليمن فقد كانت اليهودية فيها قبل الإسلام أقوى من أي مكان آخر في جزيرة العرب من حيث الانتشار وقوة السلطان، إذ أصبحت في عهد من العهود دين الدولة الرسمي، وذلك في عهد بعض ملوك الحميريين[3]، ويشير أحد الباحثين أن يهود اليمن هم من أقدم يهود العالم على الإطلاق، وأنهم كانوا موجودين فيها قبل تحطيم الهيكل الأول في القدس عام586 ق.م [4].

أما في العصر الإسلامي فقد تمتع اليهود بحرية تامة في ممارسة عقائدهم مقابل دفعهم للجزية. فقد كتب رسول الله (ﷺ) إلى معاذ بن جبل (ﷺ)، وهو باليمن أن على كل حالم وحالمة ديناراً أو عدله من المعافر، ولا يفتن يهودي عن يهوديته [5]، ولم يعرف الكثير عن أوضاع يهود اليمن خلال الحقبة الإسلامية الأولى [6].

وقد انتشر اليهود في اليمن في ظل الإسلام في قرى بلغ عددها (359) قرية، وكانت هذه القرى تبنى إما وحدها بعيدة عن قرى جيرانهم من المسلمين أو كانوا يكوّنون لأنفسهم حياً خاصاً بهم داخل كل مدينة أو بلدة كبيرة [7]، وأشارت إحصائية إلى أن عدد الدور التي يشكل مجموعها حي اليهود في هذه المدينة، والإحصائية كانت في عام (381هـ / 991م) في زمن حاكمها أبي جعفر أحمد بن قيس بن الضحاك، وتذكر الإحصائية أن عدد دور مدينة صنعاء كان ألفاً وأربعين داراً منها خمسة وثلاثون داراً لليهود [8].

1- العزيزي، المسالك والممالك، ص21.
2- الواقدي، المغازي، 3 / 1032.
3- باشميل، غزوة بني قريظة، ص54؛ علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، 3 / 170-171.
4- عباس علي الشامي، يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، ص33.
5- ابن زنجويه، كتاب الأموال، 129.
6- أبو جبل، يهود اليمن، ص19.
7- احمد فخري، اليمن ماضيها وحاضرها، ص35.
8- الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص163.

وكان اليهود يعيشون في حي بمدينة صنعاء أطلق عليه قاع اليهود غرب مدينة صنعاء[1]، وهو حي ضيق له بابان، وفيه سوق خاص لليهود ولا يسمحون للمسلمين بالسكن معهم[2]. ومن الأماكن المهمة الأخرى التي يتواجد فيها اليهود عدن، فذكر بنيامين أن فيها عدداً غفيراً من اليهود يقيمون في المعاقل الحصينة على رؤوس الجبال [3].

ومدينة زبيد التي تعد من أشهر مدن اليمن، ويجتمع بها التجار من الحجاز والحبشة ومصر[4]، يتواجد فيها عدد يسير من اليهود [5].

وفي حاشد التي تقع غرب صنعاء[6]، سكن اليهود في عدة مناطق خاصة في ناحية ظلمية، وفي جانب من المداير، وجانب من مدينة صبور[7]، وكذلك في أبّ التي يذكر الحموي أنها بليدة [8]، سكنوا بحارة الجائه التي تقع إلى الجنوب الشرقي منها [9]. وفي السياني سكن اليهود في قرية خاصة بهم أسمها الجدس وفي جبلة على بعد (20 كم) من أبّ سكن اليهود حارة المكعدد [10].

وذكر بنيامين عند كلامه عن اليمن، نهر فيرا ويقيم حوله نحو ثلاثة آلاف يهودي[11]. لكن الملاحظ أنه بعد عملية بحث وتقصي للمصادر المختلفة التي تمكن الباحث من الإطلاع عليها لم يتم العثور على أية تفاصيل عن النهر المشار إليه.

ويشير ابن المجاور إلى انتشار اليهود في أماكن أخرى كصعدة وذي جبلة والجند[12]. من دون الإشارة إلى تفاصيل عنهم.

1- محمد بن عبدالله الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، 5 / 380.
2- أبو الوفا محمد، تاريخ صنعاء، ص265.
3- رحلة، ص202.
4- الحموي، معجم، 3 / 131؛ الحميري، الروض المعطار، ص184.
5- رحلة، ص202.
6- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص112.
7- الشامي، يهود اليمن، ص39.
8- معجم، 1 / 64.
9- الشامي، يهود اليمن، ص39.
10- نفسه، ص39.
11- رحلة، ص180.
12- صفة بلاد اليمن، ص209.

لكن الملاحظ على كلام بنيامين عن اليهود في اليمن أن فيه محاولة لإظهار قوتهم بقوله: ((وأنهم – اليهود- مرهوبو الجانب)) [1]، متغافلاً دخول الإسلام إلى بلاد اليمن منذ ما يقرب من ستة قرون حين تكلم عن اليهود في اليمن، وأنهم أصبحوا من بين فئات أهل الذمة في الدولة الإسلامية، ولهم من الحقوق التي أقرتها الشريعة الإسلامية.

وأما نجران فهي مدينة قديمة يكثر ذكرها في السيرة عرفت منذ تاريخ العرب الأول، وفيها كانت قصة أصحاب الأخدود المذكورة في القرآن الكريم، وتقع الآن في جنوب السعودية على مسافة (910 كم) جنوب شرقي مكة [2]، وذكر البلاذري أن يهود نجران دخلوا مع النصارى في الصلح، وكانوا كالأتباع لهم [3]. ويمكن التوصل إلى أحد أمرين من خلال قراءة النص، الأول إن تواجد اليهود في نجران لا يعدو أن يكون أقلية، والثاني أنهم كانوا كالأتباع للنصارى مما يشير إلى ضعفهم.

ولما دخلت سنة (20هـ / 640م) أمر الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) بإجلاء يهود نجران إلى النجرانية بناحية الكوفة، وبهم سميت [4].

وفي مدينة الطائف قوم من اليهود طردوا من اليمن ويثرب، فأقاموا بها للتجارة فوضعت عليهم الجزية، ومن بعضهم ابتاع معاوية (ﷺ) أمواله بالطائف [5].

وكان بالبحرين قوم من اليهود صالحوا المسلمين مثل النصارى على دفع الجزية عن رؤوسهم [6]، وقد كتب المنذر بن ساوى العبدي (ت 10 هـ / 631م) يخبر الرسول(ﷺ) أن بأرضه يهوداً ومجوساً، فكتب إليه رسول الله (ﷺ): ((من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية)) [7]. وأبقاهم الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عندما أخرج اليهود من الجزيرة [8]. ويذكر بنيامين أن في القطيف نحو خمسة آلاف يهودي [9]، ومن الواضح أن الرقم مبالغ

1- رحلة، ص180.
2- البكري، معجم ما استعجم، 4 / 1299؛ الحموي، معجم، 5 / 266-271؛ شراب، المعالم الأثيرة، ص286.
3- فتوح، ص68.
4- البلاذري، فتوح، ص68؛ الطبري، تاريخ، 4 / 112؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2 / 387.
5- البلاذري، فتوح، ص57.
6- نفسه، ص81.
7- ابن سعد، الطبقات، 1 / 258.
8- البكري، معجم، 1 / 12.
9- رحلة، ص196.

فيه. ويظهر أنه لم يكن لليهود في البحرين قبل الإسلام أثر واضح مهم [1]، ولم يتجاوز محيط التجارة، ومنهم ابن يامن وهو يهودي من أهل هجر، وكان يمتلك عدداً من السفن[2]، قال طرفة بن العبد:

عدولية أومن سفين ابن يامن

يجور بها الملاح طورا ويهدي

يشق حباب الماء حين ومهابها

كما قسم الترب المقايل باليد[3]

ويشير البيت الشعري الأول إلى العدولية وهي قرية بالبحرين تنسب إليها السفن[4]، وربما كانت له علاقة بصناعة السفن. وكان ايضاً يمتلك النخيل، وذلك ما قاله امرئ القيس في معلقته:

فشبهتهم في الآل لما تكشوا

حدائق دوم أو سفيناً مقيراً

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين الصفا اللائي يلين المشقرا[5]

أما بعد الإسلام فيبدو أنهم بقوا يعملون في التجارة والزراعة[6]. ومن المناطق الأخرى التي ظهرت فيها جماعات يهودية أيضاً جربا وأذرح على ساحل البحر الأحمر[7].

أما مكة فقد أشارت كتب الحديث والسير والتاريخ إلى صلة بعض اليهود بها وإقامتهم فيها للتجارة [8]، كما وردت إشارة أخرى إلى تردد بعض التجار اليهود إلى مكة للتجارة

1- عبد الرحمن عبد الكريم العاني، البحرين في صدر الإسلام، ص71.
2- البكري، معجم، 3 / 926 و 4 / 1233.
3- ديوان طرفة بن العبد، ص19.
4- الحميري، الروض، ص408.
5- ديوان امرئ القيس، ص93.
6- العاني، البحرين، ص7.
7- ابن سعد، الطبقات، 1 / 290.
8- ابن سعد، الطبقات، 1 / 162؛ الحاكم، المسند على الصحيحين، 2 / 657؛ ابن الجوزي، المنتظم، 2 / 342؛ ابن كثير، البداية، 2 / 326؛ وينظر: درادكة، العلاقات، ص111، أبو زهري، يهود المدينة، ص44؛ الشريف، مكة والمدينة، ص255.

مع أهلها [1]، فضلاً عن إشارات على وجود بعض اليهود الموالي ومنهم جبر مولى بني عبد الدار، وقد اسلم بمكة وكتم إسلامه [2]، ومن مجمل الروايات يتبين أنه لم يكن بمكة جالية يهودية، وإنما كان بها أفراد قلائل من اليهود [3]، ويذكر ولفنسون أنه لو كان هناك يهود يسكنون مكة قبيل ظهور الإسلام، لكان لهم كنيس خاص بهم في مكة [4]. وكذلك لو تواجد اليهود بمكة لذكرهم القرآن الكريم في سوره المكية، وجاء على مجادلتهم وطقوسهم بمكة كما حدث في يثرب، ولوجدنا لهم آثاراً في الأحداث التاريخية التي وقعت في بداية الدعوة الإسلامية فمع وجود عدد كبير من الأجانب في مكة إلا أنهم لم يؤلفوا كياناً متكاملاً ذا أثر ايجابي واسع في مكة، وعلى ذلك كانت العلاقات بين المكيين واليهود سواء كانوا في مكة أو خارجها، علاقات تمليها المصالح المتبادلة، وذلك أن اليهود اشتغلوا بالصناعات، ومنها صناعة الحلي والزينة التي لم يمارسها المكيون [5].

وذكر بنيامين وجود منطقة تدعى شفياثيب، وأن حاضرة هذه البلاد "تناجم" وحولها أربعين مدينة ومائتي قرية ومائة ضيعة يقيم بها نحو ثلاثمائة ألف يهودي، وأنها بلدة حصينة تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ميلاً بالطول ومثلها بالعرض، ومن هذه المدن تلماس ويقيم بها نحو مائة ألف يهودي [6].

وتلك رواية لا يمكن التسليم بصحتها لعدة أسباب منها:

1 – أن الرحالة اليهودي بتاحيا (ت 576هـ / 1180م) زار منطقة شفياثيب بعد بنيامين بسبع سنوات، ولم يشر إلى أي شيء من حيث أعداد اليهود والمدن والقرى والضياع فيها، فيتفق معه فقط بأمر واحد بأنه يوجد كنيس جلب اليهود حجارته وترابه من القدس، لكن بتاحيا ذكر أنه شاهد هذا الكنيس خراباً لم يبق منه سوى جدران وهو خرب لا سقف له [7].

1- السيوطي، الخصائص الكبرى، 1 / 146.
2- الواقدي، المغازي، 2 / 865؛ ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، 1 / 562.
3- الشريف، مكة والمدينة، ص255؛ العقيلي، اليهود، ص61.
4- تاريخ اليهود، ص94.
5- درادكة، العلاقات، ص111.
6- رحلة، ص180.
7- رحلة بنيامين، ص178؛ رحلة بتاحيا، ص115.

2 - إن المدن التي ذكرها (تناحم، تلماس) لم تشر لها كتابات المتقدمين أو المتأخرين من مسلمين أو غيرهم، مما تمكن الباحث من مراجعته، سواء ما تعلق بالكتابات الجغرافية أو غيرها، وإشارته إلى حاضرة البلاد تناحم مساحتها خمسة عشرا ميلاً بالطول ومثلها بالعرض أي حوالي (841 كم2) مساحة كبيرة لا يمكن القبول بها.

3 - إنه لم يذكر أسماء علماء أو شخصيات لليهود فيها مع أنه بلغ عددهم بحسب ادعائه نحو ثلاثمائة ألف يهود، مقارنة مع ما قاله أثناء حديثه عن مدن أخرى، مثل إشارته إلى يهود الموصل بـ(700) يهودي، وذكر أعيانهم [1] وغيرها من الأمثلة على الرغم من قلة عددهم، فهل يعقل وجود ذلك الرقم الكبير من اليهود وليس بينهم علماء أو أعيان مشهورون يمكن ذكرهم؟

4 - ونؤيد ما ذهب إليه مترجم الرحلة عزرا حداد الذي يشكك في زيارة بنيامين إلى جزيرة العرب، وقوله: أغلب الظن أن ما ذكره بنيامين قد سمعه من أفواه اليهود، ربما قرأ في كتب العرب بعض الأساطير والروايات التي ظلت عالقة بالأذهان عن قبائل اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام [2].

1- رحلة بنيامين، ص156.

2- رحلة بنيامين، مقدمة المترجم، ص43.

المبحث الثاني
اليهود في إقليم العراق

اقترن الوجود اليهودي في بلاد الرافدين بالسبي البابلي الأول والثاني، إلا أن جذوره تمتد إلى أبعد من ذلك بكثير [1]، فتصل إلى عهد الإمبراطورية الأشورية الثانية (745-612 ق.م) ففي إحدى الحملات التي شنها تيجلاتبليزر الثالث (745-727ق.م) توجه إلى إسرائيل واستولى على كل أراضيها وضمها إلى آشور وحمل سكانها اليهود إلى أماكن جبلية نائية من المملكة، وكان ذلك في سنة (732 ق.م) وتبعه في ذلك سرجون الثاني (721-705 ق.م) أجلى من اليهود ما قدر عددهم بأكثر من (27،000) ألف وأسكنهم في المناطق الجبلية الشمالية من مملكة آشور، وأحل محلهم أقواماً من أقاليم أخرى [2]. ومن خلال ذلك يتضح أن المناطق الشمالية من العراق كانت أول مستقر لليهود.

وبعد سقوط الدولة الآشورية ومجيء الدولة البابلية تحت حكم نبوخذ نصر (605 - 526ق.م) اكتسح هذا الحاكم بلاد الشام واجبر أهلها على دفع الجزية وعليه تمردت المملكة اليهودية[3]. فأثاروا غضب نبوخذ نصر بمحالفتهم لفرعون مصر، فاستولى ملك بابل[4] القوي على أورشليم في سنة (586ق.م)[5]. فقضى عليها ونقل أهلها إلى مملكة بابل، وكان ذلك خلاف عادة الآشوريين الذين كانوا يشتتون أسراهم في مناطق جبلية نائية

1- مازن لطيف، يهود العراق، ص14.

2- سوسة، ملامح، ص27-28.

3- فؤاد حسين مرنز، أطماع اليهود وأسفارهم، ص25.

4- هي مدينة شهيرة تقع على مسافة (5 كم) شمال الحلة وعلى نحو (90 كم) جنوب بغداد، وتعرف حالياً بآثار بابل. ينظر: سوسه، العرب واليهود، ص878؛ علي حسين فرج العامري، أسماء المواضع القديمة في بلاد بابل، ص11-16؛ كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص98.

5- غوستاف لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص60.

عن أوطانهم، فمكن ذلك اليهود من التجمع في المنفى وتكوين مجتمعهم المنعزل الخاص بهم في منطقة بابل [1].

وتؤكد المصادر أن نبوخذ نصر وهب اليهود بعد نقلهم إلى بابل أخصب مقاطعاته وأسكنهم فيها مثل منطقة "نفر"[2] التي تعد من أغنى مقاطعات بابل، ومنحهم أوسع الحريات في العمل وممارسة طقوسهم الدينية، وكانت السلطات الحاكمة تعاملهم على أحسن وجه[3]. وبذلك تتضح الصورة حول تواجد اليهود في العراق من خلال الكلام الآنف الذكر، وهنالك العديد من الدراسات التي تتطرق للأمر [4].

ومن خلال النصوص التاريخية التي أوردتها المصادر، يمكن ملاحظة تواجد اليهود في مختلف أرجاء العراق، وتطرقت إلى بروز عدد من الشخصيات اليهودية في الجوانب السياسية والإدارية والاقتصادية والعلمية، ولا يكاد يذكر جزء من العراق إلا وفيه عدد منهم.

ومن بين أبرز المناطق التي عاش فيها اليهود بغداد كونها مقراً لإقامة رؤساء الطائفة اليهودية [5]. وقد ذكر بنيامين أن عدد يهود بغداد يصل إلى أربعين ألف شخص [6]، بينما يشير بتاحيا إلى أن عددهم ألف يهودي [7]، وذلك دعا آدم متز للقول متعجباً من قول الأخير أنه لم يكن ببغداد سوى ألف [8]. وكلا الرقمين يمكن الجزم بعدم دقتهما، فما ذكره بنيامين مبالغ فيه، وكذلك لا يمكن أن يكون عددهم ألف يهودي فقط، وبالأخص إذا علمنا بوجود عشر مدارس لهم ببغداد [9]. وأيضاً يناقض بتاحيا روايته عندما يشير برواية أخرى أن عدد الطلاب من اليهود حوالي ألفين [10]، ويعاضد ذلك وجود ثمانية وعشرين كنيساً لهم

1- سوسه، العرب واليهود، ص982-983.
2- نفر بلد من نواحي بابل بأرض الكوفة. البكري، معجم، 4 / 1318؛ الحموي، معجم، 5 / 295.
3- سوسه، ملامح، ص128.
4- للمزيد عن تواجد اليهود في العراق ينظر. ابتهال عادل إبراهيم الطائي، اليهود في المصادر المسمارية خلال الألف الأول قبل الميلاد، ص123، أبراهام بن يعقوب، موجز تاريخ يهود بابل، ص3.
5- رحلة بنيامين، ص165-166؛ رحلة بتاحيا، ص88-89.
6- رحلة، ص165؛ حول مواضع المدن التي يتواجد فيها اليهود في المشرق الإسلامي ينظر خارطة رقم (2)، ص273.
7- رحلة، ص88.
8- الحضارة الإسلامية، 1/62.
9- رحلة بنيامين، ص165-166.
10- رحلة، ص91.

في بغداد[1]، فهل يعقل أن يكون كنيس لكل (35) يهودي، علماً إن المصادر التاريخية لا تشير إلى أعداد اليهود في المدينة.

وكان هؤلاء اليهود يعيشون في أحياء بغداد المختلفة، فكان منهم من يسكن في الجانب الشرقي من بغداد لاسيما الكرخ [2]، وذكر ابن أبي أصيبعة (ت668هـ - 1270م) إلى وجود محلة تعرف بمحلة اليهود [3]، مما يشعر بوجود عدد كبير من اليهود يسكنون في هذه المحلة[4]، كما أشار الخطيب البغدادي إلى وجود شارع في بغداد يسمى درب اليهود[5]، ولعل الإشارتان تخصان حياً واحدة.

وكان قسم منهم يسكن في خرابة ابن جرادة [6]، بل إنه كان هناك قطيعة خاصة باليهود تقع على نهر عيسى (كرخايا) [7]، وقد كان اليهود يعيشون مع المسلمين جنباً إلى جنب، وما يؤكد ذلك الأمر الذي أصدره الخليفة المقتدي بأمر الله عام (478هـ / 1085م) بنقض ما علا من دور اليهود، وإغلاق أبواب لهم كانت تقابل الجامع [8].

وكانت بابل من المواطن المهمة لتواجد اليهود، فذكر بنيامين أنه يقيم فيها عشرون ألفاً من اليهود، ولديهم كنيس واحد[9]، بينما ذكر بتاحيا وجود أربعة كنس لليهود فيها[10]، لكن ما يلفت الأنظار أنه لا يتطرق إلى ذكر أعداد اليهود فيها على الرغم من إقامته فيها، وقدم تفاصيل دقيقة عن المكان، أما فيما يخص الرقم الذي أورده بنيامين فلعله يكون مبالغاً فيه، وأن أعدادهم ببابل أقل من ذلك بكثير، وما يؤكد ذلك التناقض في الأرقام التي أوردها كلاهما.

1- رحلة بنيامين، ص168.

2- ابن الجوزي، المنتظم، 15/ 214؛ القفطي، تاريخ الحكماء، ص241؛

Sassoon, A history of the Jews in Baghdad,p.89.

3- عيون الأنباء، ص376.

4- يحيى احمد عبد الهادي حسين، أهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي، ص135.

5- تاريخ بغداد، 5/ 476.

6- ابن الأثير، الكامل، 8/561؛ ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص130.

7- الخطيب البغدادي، تاريخ، 1/ 112.

8- ابن الجوزي، المنتظم، 6/242-243.

9- رحلة، ص170.

10- رحلة، ص127-128.

وترد إشارات إلى وجود أعداد من اليهود في بلدة حربى في أقصى الدجيل بين بغداد وتكريت مقابل الحظيرة [1]، إذ كان يقيم فيها نحو خمسة عشر ألفاً من اليهود [2]، ويشير إبن الفوطي أن في هذه المدينة (البلدة) طائفة معروفة من اليهود [3].

وأما في مدينة الحلة فتوجد طائفة كبيرة من اليهود قدر عددها بنيامين عندما زارها بنحو عشرة آلا ف يهودي، وعندهم أربعة كنس[4]، وقد أشارت وثائق الجنيزة إلى وجود مراسلات بين الغؤون صموئيل بن الدستور وبين يهود الحلة وأنّ المرابي اليهودي إسحاق سارشالوم R.Isaac Sar Shalom كان يلقي فيها مواعظه في السنوات (607-630هـ / 1210-1232م) [5]، وان النقوش التي تعود للحقبة من القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشر الميلادي، تدل على أن الحلة كانت تضم في هذه الحقبة جماعة كبيرة من اليهود [6].

وبالقرب من الحلة تقع بلدة سورا على نهر سورا من الأنهار المتفرعة من الفرات عند هيت، وتبعد حوالي (20 كم) شمال مدينة بابل [7]، والغالب على أهلها اليهود [8]، وكان فيها مقر رأس الجالوت ورؤساء المثيبة [9]، وقد نشأت فيها جماعات كبيرة من اليهود [10]، وقد أسست فيها مدرسة دينية كبرى لليهود على يد الحبر أبا أريخا (ت 247م) [11].

وفي عكبرا أحدى مدن سامراء تقع على بعد (60 كم) إلى الشمال من بغداد على الضفة الشرقية لنهر دجلة [12]، يقيم نحو عشرة آلاف يهودي بحسب رواية بنيامين [13]. على

1- قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة تكريت، ينسج فيها ثياب الكرباس الصفيق. الحموي، معجم، 2/ 237، 274؛ ناجية عبد الله إبراهيم، ريف بغداد، ص116.

2- رحلة بنيامين، 159.

3- الحوادث الجامعة، ص260.

4- رحلة، ص171.

5- Sassoon, A History, p.95-96.

6- Sassoon, A History, p.98.

7- الحموي، معجم، 241/4؛ العامري، أسماء المواضع، ص122.

8- القفطي، أخبار الحكماء، ص151.

9- رحلة بنيامين، ص177.

10- رحلة بنيامين، هامش (2)، ص177.

11- عزرا حداد، ملحق رحلة بنيامين، ص233-234.

12- الحموي، معجم، 142/4؛ إبراهيم، ريف بغداد، ص112؛ العامري، أسماء، ص129.

13- رحلة، ص159-160.

الرغم من التحفظ على الأرقام الآنفة الذكر إلا أن تواجد اليهود في المناطق المذكورة متحققاً نظراً لوجود مزارات دينية مشهورة لليهود قريبة منها، وكذلك فيها مقر رأس الجالوت ورؤساء المثيبة قبل انتقالهم إلى بغداد [1].

وكانت المدائن التي تبعد عن بغداد سبعة فراسخ (41 كم) جنوب بغداد [2]، وقد ذكر ابن الجوزي أنَّ فيها جماعة يهودية، ولهم كنيس مجاور للمسجد، وفي عام (573هـ / 1177م) احتج اليهود على كثرة الأذان، ورفع المسلمون أمر شكواهم إلى بغداد [3]. إلا أن بنيامين ذكر وجود منطقة بالقرب من المدائن تعرف بجاهيجان (زريران) فيها نحو خمسة آلاف يهودي [4]، والراجح أنها امتداد للمدائن وقد أخذت مكانها، وما يؤكد ذلك ابن جبير (ت 614هـ / 1217م) ذكر المدائن بأنها خراب [5]، وهذا يدل على قوة اليهود في المدائن.

وكان في واسط جماعة يهودية، قدرهم بنيامين بنحو عشرة آلاف يهودي [6]، بينما أشار حداد محقق رحلة بنيامين أن عددهم ألفان في نسخة آشر [7]، والراجح أن الرقم الثاني هو الأدق لأنه يتفق مع ما أورده ساسون [8]، وقد ورد اسم واسط في رسائل الجنيزة، إذ كان الغاؤون صموئيل بن الدستور يرسل رسائله إلى يهودها [9]، بل وكانت كذلك من بين الأماكن التي كان الواعظ اليهودي إسحاق ساشالوم يزورها لإلقاء مواعظه على يهودها [10]، ويذكر ساسون أن يهود واسط كانوا يتبرعون بمبلغ مائة وخمسين ديناراً من الذهب لصيانة مدرسة سورا [11].

1- رحلة بنيامين، ص171 وص177.
2- اليعقوبي، البلدان، ص158.
3- المنتظم، 18/ 242.
4- رحلة، ص169.
5- رحلة ابن جبير، ص265.
6- رحلة، ص180.
7- رحلة بنيامين، هامش (3)، ص180.

8- Sassoon, A History, p.97.
9- Ibid, p.95
10- Ibid, p.96.
11- Ibid, p.97.

وكان في الكوفة جالية يهودية يعود تأريخها إلى ما قبل الإسلام لوجود كنيس حول أحد القبور اليهودية يعود إلى يكنية ملك يهوذا، ويقيم بها نحو سبعة آلاف يهودي[1]، وأن أعداداً كبيرة منهم كانوا ممن قدم من خيبر والحجاز[2]. ويؤكد ذلك ما أورده الطبري ضمن أحداث عام (20 هـ / 640 م) إن الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) أجلى يهود نجران إلى الكوفة[3]، وحدد ماسينيون موقع محلة اليهود أنها بالقرب من النصارى، وعلى مقربة من دار الرزق[4]. لكن ينبغي الإشارة إلى أن الأرقام التي أوردها بنيامين سواء ما يتعلق بالكوفة أم غيرها هي محل نظر لعدم دقتها. وقرية الرحبة بقرب القادسية على مرحلة (42 كم) عن الكوفة[5]، يقيم فيها نحو ألفي يهودي[6].

وسكن اليهود في المناطق الجنوبية للعراق، ففي البصرة كان يعيش نحو عشرة آلاف يهودي [7]، وأشار ابن عساكر إلى تواجد اليهود في منطقة تحمل اسم رحبة اليهود بالبصرة [8]. وبغض النظر عن أعدادهم بالبصرة إلا أن تواجدهم فيها يحدده موقع البصرة كونها من المراكز التجارية المهمة، وما يؤكد ذلك وجود جزيرة ابن قيس في خليج البصرة، وما تمثله من مركز تجاري مهم يقصدها التجار للبيع والشراء، وأغلب سكانها وسطاء بين التجار، ويقيم بها نحو خمسمائة يهودي [9]، ومن الطبيعي أن يكون لهم دور مهم في الجزيرة بحكم خبرتهم التجارية التي اشتهروا بها.

وكان يهود البصرة يسهمون في تقديم الدعم المالي إلى مدرسة سورا قيمتها ثلاثمائة دينار من الذهب[10]. وكان في ميسان وتحديداً على نهر سمرة نحو ألف وخمسمائة يهودي[11]، وفيها يقع قبر عزير النبي (عليه السلام) ويقوم اليهود على خدمته [12].

1- رحلة بنيامين، ص176.
2- عطا، اليهود في العالم العربي، ص155.
3- تاريخ، 2 / 600.
4- خطط الكوفة، ص47.
5- الحموي، معجم، 3 / 33.
6- رحلة بنيامين، ص157.
7- نفسه، ص181.
8- تاريخ دمشق، 41/ 435.
9- رحلة بنيامين، ص196.

10- Sassoon, A History, p.408.

11- رحلة بنيامين، ص181.
12- الحموي، معجم، 5/ 242.

ومدينة الأنبار التي تقع على نهر الفرات غربي بغداد وبينها وبينها عشرة فراسخ (60كم)[1]، وتعد من أهم المراكز الدينية لليهود وفيها ألفين منهم بينهم العلماء والفقهاء، ويسميها بنيامين فومبديثة، ولهم فيها كنيس[2]، وكان فيها إحدى كبريات المدارس الدينية التلمودية لليهود في العراق [3]، ولكنها ضعفت بانتقال رؤساء المثيبة إلى بغداد، وأغلقت نهائياً في خلافة القادر بأمر الله (381-422هـ / 991-1031م) [4]. وبالقرب من مدينة هيت تقع نفاحة أو نفاطة حيث منابع النفط والكبريت على الفرات يسكن فيها نحو مائتي يهودي[5].

وهناك إشارة حول تواجد اليهود في سامراء، وبين المقدسي أن لها ثمانية دروب ومنها درب (شارع) اليهود، وأن لهم بها كنيسة [6]، وعلى مسافة ثلاثة فراسخ (18 كم) عند سامراء تقع قرية هاطري، وكان أكثر أهله من اليهود [7].

أما الوجود اليهودي في الموصل، فإن أصوله تعود إلى حقبة الأسر الأشوري، وفي هذا الصدد يشير (غرانت) إلى أن أكثرية يهود شمال العراق هم أحفاد الأسباط العشرة الذين أسرهم الآشوريون [8]، وذلك ما يؤكده الأخوان ويكرام، بأن هناك مستعمرة يهودية كبيرة ظلت تعيش في حيها التاريخي منذ أن استاق سرجون الأشوري أسلافهم من بلاد السامرة في القرن الثامن قبل الميلاد، وهم يقولون هذا بكل مظاهر الجد والإخلاص [9]، وذكر البلاذري ضمن أحداث فتح الموصل، أن من بين محلات المدينة محلة اليهود [10]، وتقع هذه المحلة في المنطقة الغربية للمدينة القديمة [11]، وعندما زارها بنيامين وجد فيها سبعمائة

1- الحموي، معجم، 4/ 371.
2- رحلة بنيامين، ص158.
3- رحلة بنيامين، ص158 هامش (3).
4- حداد، ملحق رحلة بنيامين، ص236.
5- رحلة بنيامين، ص172.
6- أحسن التقاسيم، ص123.
7- الحموي، معجم، 5/389؛ البغدادي، مراصد، 3/1449.
8- علي شيت الحياني، يهود الموصل، ص12.
9- مهد البشرية، ص71.
10- فتوح، ص306.
11- هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل، ص94.

يهودي[1]، لكن بعد مراجعة النسخ الأخرى من الرحلة فإنها تشير إلى أن بنيامين قدر عددهم بنحو سبعة آلاف يهودي [2]، والراجح أن الرقم سبعة آلاف هو الصحيح، وان العدد سبعمائة في نسخة الرحلة من ترجمة عزرا حداد، هو عملية خطأ أثناء نقل العدد، ومع ذلك فإن العدد الذي ذكره بنيامين مبالغ فيه.

وما يؤكد ذلك الرحالة بتاحيا قدر عددهم بحوالي ستة آلاف يهودي [3]، ولهم فيها كنيس يسمى عوبدية [4]، ومن يهود الموصل رأس الجالوت صموئيل (ت 586هـ / 1190 م) وهو آخر رأس جالوت تولى هذا المنصب قبل أن يقوم الغاؤون ابن الدستور بالقضاء على رئاسة الجالوت نهائياً [5].

ومدينة بلد (بلط) وهي مدينة قديمة تقع على دجلة فوق الموصل، بينها سبعة فراسخ (42)[6]، والآن يطلق عليها أسكي موصل، ويعيش فيها أعداد من اليهود ويدل على ذلك أن الطبيب أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي بن ملكا البلدي (ت560هـ / 1164م)، وكان يهودياً فأسلم في أواخر عمره، وخدم الخليفة المستنجد بالله (555-566هـ / 1160-1170م)، وهو في الأصل من بلد [7].

وسكن اليهود في نواحي العمادية التي تقع على بعد (104 كم) شمال شرقي الموصل، وهي من أعمالها[8]، وتقع الآن ضمن محافظة دهوك في إقليم كردستان، وقد أشار بنيامين إلى أن حوالي خمسة وعشرين ألف يهودي، كانوا يعيشون على شكل جماعات، وينتشرون في أكثر من مائة موقع بنواحي العمادية [9].

1- رحلة، ص156.

2- Thomas Wright, Benjamin of Tudela، p. 94 ; Asher, The Ininarary of rabbi Benjamin, vol. 1، p. 91; Adler, Benjamin، p. 42.

3- رحلة، ص77.

4- رحلة بنيامين، ص157.

5- Sasson, A History, p.69 ; Rashad, The Abbasid Caliphate, p. 165.

6- الحموي، معجم، 1/ 481.

7- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص374؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص10؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 28/ 341.

8- الحموي، معجم، 4/149؛ مردخاي زاكن، يهود كردستان، ص127.

9- رحلة، ص185.

وترد إشارات تدل على وجود اليهود في مدينة إربل، وتعد من أعمال الموصل وبينهما مسيرة يومين (80 كم) [1]. ومن هذه الإشارات ما يدل على وجود يهود فيها، فقد شملتها مراسلات الغاؤون صموئيل بن الدستور [2]، بل إن أحد رؤساء المثيبة في بغداد، وهو عالي بن زخريا الاربلي، الذي تولى رئاسة المثيبة عام (648هـ / 1250م) هو من يهودها [3]. لكن لا تعني بالضرورة أن أعدادهم قليلة في إربل، فوجود شخص من يهود أربل على رأس المثيبة له دلالة واضحة على أنه كان لهم دور باتخاذ القرارات التي تخص اليهود.

وهناك مدن وقرى موجودة في شمال العراق، كانت تعيش فيها جماعات من اليهود، مثل شهرزور التي تقع بين إربل وهمدان [4]، ولعل السبب في عدم ذكرهم يعود لقلة تواجدهم فيها، أو أنهم تحولوا إلى المسيحية [5].

أما جزيرة ابن عمر التي تقع شمال مدينة الموصل وبينهما حوالي (140كم)[6]، وموقعها الآن جنوب شرق تركيا على الحدود السورية، ويحدها من الشرق مدينة زاخو العراقية وتبعد عنها (45 كم)، ويعيش فيها نحو أربعة آلاف يهودي، وبالقرب منها كنيس لليهود، يحجون إليه في مواسم الأعياد لإقامة الصلاة [7]. وهذا العدد لا شك في أنه مبالغ فيه كثيراً، لأن مدينة صغيرة كجزيرة ابن عمر، لم تكن من السعة بحيث تحتمل وجود مثل هذا العدد الكبير من اليهود، لاسيما وأنهم كانوا يشكلون أقلية ضئيلة قياساً مع الطوائف الأخرى[8]. ومن المرجح أن وجود اليهود في جزيرة ابن عمر، إنما كان لأسباب تجارية صرفة، لما عرف عن تعاطيهم التجارة وأعمال الصيرفة، كشأنهم الذي عرف في عصورهم التاريخية المختلفة [9].

1- الحموي، معجم، 1/ 136.

2- Sasson, A. History, p.95.

3- ابن الفوطي، الحوادث، ص293.

4- الحموي، معجم، 3/ 165.

5- سوسه، ملامح، ص49.

6- ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص245؛ ابن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص176.

7- رحلة بنيامين، ص155-156.

8- يوسف غندور، تاريخ جزيرة ابن عمر، ص245.

9- عبد الله رشيد الجميلي، دولة الأتابكة في الموصل، ص289.

ونصيبين مدينة عامرة من بلاد الجزيرة تبعد عن الموصل وبينهما مسيرة ستة أيام (240 كم) وعلى جادة القوافل من الموصل إلى الشام [1]. ذكر بنيامين أنه كان يعيش فيها نحو ألفي يهودي [2]، كما زارها الرحالة بتاحيا حوالي سنة (571 هـ / 1175م) وجد فيها حوالي ثمانمائة يهودي[3]، والراجح ما ذكره بتاحيا لكونه زار نصيبين مرتين وقدم تفاصيل دقيقة عن المدينة، وأن فيها كنيس الربي يهوذا ابن بثيرة، أحد علماء القرن الأول للميلاد [4].

وأما ماردين فتقع على سفح جبل، وفيها قلعة مشهورة ومشرفة على نصيبين ومدن أخرى[5]، كان فيها جماعة يهودية كما تشير إلى ذلك مراسلات الغاؤون صموئيل ابن الدستور[6]. ومدينة ميافارقين يتواجد فيتها اليهود ولهم فيها محلة معروفة بزقاق اليهود، قرب كنيسة اليهود [7].

والرقة مدينة مشهورة من بلاد الجزيرة على الفرات من الجانب الشرقي[8]، وكان يعيش فيها جماعة من اليهود كما دلت على ذلك رسائل الجنيزة[9]، وفيها نحو سبعمائة يهودي، ولهم فيها كنيس[10]. ومدينة حران التي تبعد عن الرقة مسيرة يومين (80 كم) وتعد مركز ديار مضر، وتقع على مفترق طرق الموصل والشام والروم[11]، وفيها عشرون يهودياً [12].

1- الحموي، معجم، 5/ 288.
2- رحلة، ص154.
3- رحلة، ص136.
4- رحلة، ص70-75 و ص135-136.
5- ابن حوقل، صورة الأرض، ص199؛ الحموي، معجم، 5/ 39.
6- Sassoon, A History, p.95.
7- الحموي، معجم، 5/ 238.
8- الحموي، معجم، 3/ 58-59.
9- Sassoon, A History, p.95.
10- رحلة بنيامين، ص153.
11- الحموي، معجم، 2/ 235.
12- رحلة بنيامين، ص153.

المبحث الثالث
اليهود في إقليم بلاد الشام

من المرجح ان دخول اليهود إلى بلاد الشام كان في الألف الثاني قبل الميلاد بقيادة موسى (ﷺ)، الذي خرج بهم من مصر هاربا بهم من العبودية والوثنية [1]. ولم يتسن لهم العبور إلى فلسطين إلا في عهد خلفاء موسى(ﷺ) إذ أقاموا دولتهم على أجزاء منها مجاورين الكنعانيين. وانقسمت المملكة اليهودية بعد وفاة سليمان (ﷺ) ثاني ملوك اليهود (960-925 ق.م) يهوذا والسامرة [2]، وتعرضت مملكة السامرة للسبي الآشوري في عام 721 ق.م بعد تدميرها، ثم احتل نبوخذ نصر مملكة يهوذا وسبى سكانها إلى بابل في القرن السادس ق. م، لكن الفرس بقيادة كورش سمحوا لليهود بالعودة إلى فلسطين بعد تدمير بابل 538 ق.م فعاد جزء كبير منهم [3].

وعندما ثار اليهود احتجاجاً على محاولة إحصاء عددهم عام 66م، اجتاح الجيش الروماني بقيادة تيتوس عام (70 م) بيت المقدس وأحرقها مع هيكلها وشتت اليهود في بقاع الأرض لاسيما في بلاد ما بين النهرين والجزيرة العربية ومصر وبرقة [4].

وكان أخر تمرد لليهود ضد الرومان ذلك الذي قاده باركوخبا عام (132م)، إذ ادعى أنه المسيح المنتظر، فاستطاع إثارة الحماس اليهودي في بني قومه، وحثهم على السعي إلى التجمع في فلسطين والانتفاضة على الحكومة الرومانية. ولكن الحكومة الرومانية قضت على ذلك التمرد في عام 135م بعد أن قاموا بمذبحة رهيبة ونهائية قضت على اليهود، وختمت على مصيرهم في فلسطين كتجمع ديني [5].

1- حامد محمد الهادي محمد الصالح الشريف، أهل الذمة في بلاد الشام، ص78. وحول الخروج من مصر ينظر: مصطفى كمال عبد العليم وسيد فرج راشد، اليهود في العالم القديم، ص55-56؛ محمد بيومي مهران، بنو إسرائيل، 1 / 319-411.

2- عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية، ص37-40؛ سليمان ناجي، اليهود عبر التاريخ، ص48 وما بعدها.

3- الشريف، أهل الذمة، ص78.

4- يوسيفوس، تاريخ يوسيفوس اليهودي، ص253؛ كامل سعفان، اليهود تاريخ وعقيدة، ص24.

5- محمد علي محمد آل عمر، عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، ص54؛ بديعة أمين، المشكلة اليهودية، ص39.

وفي عام (610م) قام الملك الفارسي خسرو الثالث (ت 628م) بغزو أراضي بلاد الشام التي كانت تحت سيطرة البيزنطيين، وسيطر الفرس على أنطاكية عام 611م ودمشق بعد عامين والقدس عام 614م، وقد تلقى الفرس العون من يهود فلسطين [1]. وتمكن الإمبراطور هرقل من استرداد بيت المقدس عام 630م وحرم على اليهود الدخول إلى بيت المقدس في منطقة يتراوح قطرها من 3-5 أميال [2].

ويشير ترتون متعجباً أن المؤلفين المسلمين قلما يشيرون إلى اليهود، ويرد ذكرهم في كتب الفقه التي تقصر كلامها في الغالب على الذميين أو النصارى، فلا جرم إذا تبادر إلى الذهن أنهم فئة ضئيلة مستضعفة ليست بذات خطر، بيد أن واقع الحال لا يؤيد هذا الفهم وليس له من سند يزكيه [3].

إن كلام ترتون فيه محاولة لتصوير اليهود أنهم فئة مستضعفة ليست بذات خطر، وذلك أمر غير دقيق لأن الشريعة الإسلامية كفلت لأهل الذمة يهوداً ونصارى الحماية الكاملة والحرية المطلقة على وفق ما أقره القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أما عن مناطق استقرار اليهود في بلاد الشام فيمكن القول إنه لا تكاد تخلو مدينة منهم، لكن يتباين عددهم من مدينة إلى أخرى بحكم عوامل اقتصادية ودينية وغيرها.

ومن البلدان الشامية التي سكنها اليهود دمشق، فذكر بنيامين الذي زارها بحدود سنة (564هـ / 1168م) أنه يقيم فيها نحو ثلاثة آلاف يهودي [4]، إلا أن بتاحيا حين دخل دمشق (571هـ / 1175م) [5] أي بعد سنتين من زيارة بنيامين، وأشار إلى وجود عشرة آلاف يهودي فيها [6]، والراجح أن الرقم الثاني مبالغ فيه، والأول اقرب إلى الصواب، وما يؤكد ذلك ذكر الرحالة اليهودي ميشولام بن مناحم الذي زار دمشق سنة (886هـ / 1481م) أن

1- كارين ارمسترونج، القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ص363-364.
2- ابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ص4؛ ميخائيل مكس اسكندر، القدس عبر التاريخ، ص97.
3- أهل الذمة في الإسلام، ص97.
4- رحلة، ص145.
5- سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، 711/2.
6- رحلة، ص138.

جماعة اليهود بلغوا فيها أربعمائة وخمسين أسرة [1]، ولم تكن الأسر اليهودية في ذلك الزمان ينجبون أكثر من طفلين أو ثلاثة، وفقاً لمخاطبات موسى بن ميمون وابنه أبراهام اللذين توليا رئاسة اليهودي في مصر في ق (6هـ/12م)، [2] وبذلك فإن الرقم الأول أقرب للصحة من الثاني.

وهناك إشارات تاريخية متعددة تؤكد على وجود، أماكن عديدة يقطنها اليهود، ومنها ما أورده ابن عساكر عن وجود دار القاضي عمار بن فهد الأزدي في زقاق كنيسة اليهود [3]، وأشار ابن شداد إلى وجود مسجد كليلة في درب كليلة بحارة اليهود [4]، وتكلم النعيمي عن تولي الأمام عماد الدين بن محي الدين الطرسوسي قاضي الحنيفة إمامة مسجد نور الدين بحارة اليهود [5].

وتوزع اليهود في دمشق على أحياء سكينة خاصة بهم كما هو شأن الأقليات الطائفية الأخرى، وتركز سكنهم داخل أسوار دمشق في الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي من المدينة وفي الشمال منها، واكبر تجمع لهم كان في الجزء الشرقي [6].

ووصف ابن كثير حارة اليهود ضمن أحداث سنة (765هـ / 1163م)، وفتح باب كيسان وسمي الباب القبلي، ووضع الجسر منه إلى الطريق السالكة، ودخلت المارة عليه من المشاة والركبان، وسلك الناس حارات اليهود، وانكشف داخل الحي وأمِن الناس من خبثهم ومكرهم [7]، واسم الحارة الآن هو حي الأمين [8].

يشير النص إلى أن هناك حارات متعددة وعملية اختراق، وأنها كانت شبه مغلقة وإن اجتيازها من قبل غير اليهود غير آمن، ذلك ما يؤكده النص المشار إليه.

1- Meshullam of Volterra, P.199.

2- Ashtor, Prolegomena to the Medieval, P.59.

3- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 43/ 343.

4- الأعلاق الخطيرة، 2 ق1/ 106.

5- الدارس في تاريخ المدارس، 1 / 399.

6- يوسف نعيسة، يهود دمشق، ص12.

7- البداية والنهاية، 14 / 351.

8- قتيبة الشهابي، معجم دمشق التاريخي، 1 / 170.

أما أكبر أحياء اليهود في المدينة فيقع في جنوب شرق دمشق وخارج أسوارها حين قام نور الدين زنكي (ت 569هـ / 1173م) بتطويقه بسور المدينة بما فيها كنائسهم [1].

وكانت حلب من الأماكن المهمة التي يتواجد فيها اليهود ذكر بنيامين أن بها نحو ألف وخمسمائة يهودي [2]. وسمي الباب الشمالي لمدينة حلب باب اليهود لأن محال اليهود من داخله [3]، ومنه يخرجون إلى مقابرهم [4].

ويذكر حريتاني أن اليهود عاشوا بمدينة حلب في عشرة أحياء من المدينة القديمة[5]، ومن أهم تلك الأحياء (المحلات) محلة بحسيتا من اكبر محلات المدينة وتقع في شمالها[6]، وأكثر سكانها يهود[7]. ومحلة جب أسد الله داخل الأسوار بالقرب من الجامع الأموي، ومحلة الصليبة الصغرى[8]، وكذلك الجلوم الصغرى[9]، وساحة بزة داخل الأسوار بالقرب من باب المقام[10]، وسويقة علي التي تعد من أعمر محلات حلب وأعظمها موقعاً وأكثرها أسواقا وأروجها تجارة[11]، ومحلة العقبة بالقرب من باب أنطاكية[12]، ومحلة الدباغة العتيقة[13]، ومحلة البندرة بالقرب من باب النصر وتسمى بندرة اليهود[14]، ومحلة المصابن وتعرف أيضاً باسم قسطل الحجارين[15].

1- ابن كثير، البداية، 12 / 344.
2- رحلة، ص151.
3- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص155؛ ابن العديم، بغية الطلب، 1 / 55؛ زبدة حلب، ص.
4- ابن شداد، الأعلاق الخطيرة، 1 ق1 /22.
5- تاريخ اليهود في حلب، ص17.
6- الحموي، معجم، 1 / 316.
7- الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، 2 / 161.
8- الغزي، نهر الذهب، 2 / 167؛ حرتياني، تاريخ اليهود، ص99.
9- الغزي، نهر الذهب، 2 / 67.
10- الغزي، نهر الذهب، 2 / 86؛ حريتاني، تاريخ اليهود، ص109.
11- الغزي، نهر الذهب، 2 / 138.
12- نفسه، 2 / 70.
13- نفسه، 2 / 152.
14- نفسه، 2 / 154.
15- نفسه، 2 / 158.

أما عن تواجد اليهود في مدينة القدس (إيلياء) عند فتحها سنة (17هـ / 638م) [1] لم يكن تواجد فيها، والثابت أن من عقد صلح بيت المقدس مع الخليفة عمر بن الخطاب(ﷺ) هم أهلها من النصارى، فاشترطوا نبذ اليهود، إذ ورد فيه ((ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود)) [2].

ولم يكن بالقدس أحد من اليهود إذ حرم الروم عليهم سكناها كما أشير سابقاً، ويأتي شرطهم على المسلمين ألا يسكنها اليهود دليل على خلوها منهم عند الفتح الإسلامي، والأمر الآخر أن سكنى من أخرج من يهود الحجاز في أذرعات[3] وأريحا[4] دليل على حرمانهم منها وإلا لما رضوا عنها بديلاً، ولم يجرؤ اليهود طوال عصر الخلفاء الراشدين على الإقامة في القدس [5]. والمصادر التاريخية لا تذكر ما يدل على أي شكل للوجود اليهودي في القدس خلال عصر الراشدين. مما يقوي صحة الشرط الذي أخذه النصارى في صلح بيت المقدس بعدم سكنى اليهود فيها، أما وجود اليهود فيها بعد العصر الأموي، فجاء نتيجة لتغير حال المدينة ودوران الحكم بزوال العلة، إذ أصبحت مدينة إسلامية بخضوعها للمسلمين... فتسامحوا في دخول اليهود إليها، وربما أفاد اليهود من هذا التحول واستثمروا التسامح الإسلامي، واستغلوا الفتن الداخلية في التسلل إلى بيت المقدس وسكناها [6].

ويشير مجير الدين إلى أول تواجد لليهود بالقدس بعد أن سمح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65–86هـ / 685–705م) لهم بالعمل بصفة خدم للعمل في فناء الحرم

1- البلاذري، فتوح، ص136.

2- الطبري، تاريخ، 3 / 609؛ ابن تيمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، 1 / 305؛ مجير الدين، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، 1 / 253.

3- أذرعات، بلد من أطراف الشام، تبعد أربعة أيام عن دمشق (كم) واليوم تقع داخل الحدود السورية، قرب مدينة درعا وهي من أعمالها. الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص177؛ ابن حوقل، صورة الأرض، 1 / 167؛ عاتق بن غيث بن زوير بن حمود الحربي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، ص22.

4- أريحا، مدينة بقرب بيت المقدس من أعمال الأردن بالغور، بينها وبين بيت المقدس خمسة فراسخ (30 كم). القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص142؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، 2 /647، شراب، المعالم الأثيرة، ص27.

5- حسن ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص40.

6- عبد الله حسين الشريف، موقف يهود الشام من الفتح الإسلامي، ص519–520.

في أيامه عشرة من اليهود ويقومون بأعمال الكنس والنظافة نظير إعفائهم من الجزية [1]، وفي عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك (96–99هـ / 715–717م) كان اليهود مكلفين بإنارة بيت المقدس، فلما ولّي الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله (99–101هـ / 717–720م) عزل اليهود من هذه الأعمال وجعل خدم الحرم من المسلمين [2].

أما بعد العصر الأموي فلا تشير المصادر التاريخية إلى أعداد معلومة لليهود في بيت المقدس، والسبب أنهم كانوا قلة، ففي القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد وجد فيه عدد قليل من اليهود، وكان اليهود يأتون لزيارة بيت المقدس من أنحاء متفرقة من العالم[3]، وسكنوا في حارة خاصة أطلق عليها حارة اليهود[4]. وفي منتصف القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد ذكر بنيامين أن فيها نحو مائتين من اليهود[5]، وبعد بنيامين بسنوات قليلة يشير بتاحيا إلى وجود يهودي واحد في بيت المقدس[6]. والراجح أن ما ذكره بتاحيا جاء لأسباب متعددة.

منها ما قرره براور أن عدد اليهود في بيت المقدس في بعض نسخ مخطوطة بنيامين للرحلة، وصحته أربع عائلات يهودية فقط، على أساس أن الصليبيين كانوا قد منعوا اليهود والمسلمين من العودة والاستقرار في المدينة المقدسة، وصدر مرسوم رسمي يمنعهم من التواجد خشية أن يؤدي وجودهم إلى تدنيس قدسية المدينة، وهكذا فإذا وجدنا يهوداً أو مسلمين فيها فهم في العادة حجاج أو أناس حصلوا على موافقة خاصة على القدوم من أجل انجاز بعض المهام أو الأعمال، ودفعوا في مقابل ذلك رسوماً معينة من أجل الموافقة على القدوم للمدينة [7].

وأكد محمد مؤنس ذلك بقوله: إنه من الممكن أن نؤيد ما ذهب إليه براور على أساس أن أعداد اليهود لم تكن كبيرة في بيت المقدس، من خلال إدراك أن تلك المدينة لم تكن ذات

1- الأنس الجليل، 1 / 281.
2- مجير الدين، الأنس الجليل، 1 / 281.
3- ناصر خسرو، سفرنامة، ص55.
4- مجير الدين، الأنس الجليل، 2 / 52.
5- رحلة، ص126.
6- رحلة، ص150.
7- Prawer, The settlement of the Latins in Jerusalem, speculum, vol.27,p.494, not,(21).
نقلاً عن عوض، الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، ص161.

أهمية اقتصادية كبيرة، وأن أهميتها اتسمت بالطابع الديني الصرف، ثم هناك إشارات مهمة وردت في مؤلفات رحالة آخرين قدموا للمنطقة بعد قيام بنيامين برحلته إلى المملكة الصليبية، أعطت انطباعاً بان أعداد اليهود في تناقص مستمر، بصورة تفند تصور أنهم مثلوا نحو مائتي عائلة في تلك المدينة كما ورد في بعض النسخ المخطوطة للرحلة [1].

والسبب الآخر في ترجيح رواية بتاحيا أنه يحدد أن اليهودي الوحيد في بيت المقدس هو إبراهيم الصباغ الذي كان مرافقاً له في تجواله بالمدينة وأراه جبل الزيتون [2].

وظل شتات اليهود وتحريم سكناهم مدن فلسطين لاسيما القدس قائماً حتى فتح صلاح الدين لهذه المدينة عام (583هـ/ 1187م) سمح لليهود بالعودة إليها، وحين شعروا بسماحة أخلاق هذا الفاتح العظيم وعدم تعصبه أخذوا في العودة من مخابئهم إلى أرض فلسطين والقدس ابتدءا من عام (586هـ / 1190م) [3]. ولم تقتصر هجرتهم من المدن التي كانت خاضعة للحكم الإسلامي في ذلك الوقت بل من بلدان أوربا، ففي عام (612هـ / 1215م) ذكر صموئيل بن سيمون وهو يهودي أنه وصل إلى فلسطين أكثر من 300 من الربابنة من جنوب انكلترا وفرنسا [4]، ويؤكد لنا الشاعر اليهودي يهودا الحريزي الأسباني الذي زار بيت المقدس عام (622هـ / 1225م)، أن فتح صلاح الدين الأيوبي لبيت المقدس أعقبته هجرة عدد كبير من اليهود إليها، وأن صلاح الدين نفسه لم يمنعهم من الإقامة في المدينة[5].

وأخيراً تجب الإشارة إلى أنه على الرغم مما يقال عن كثرة المهاجرين إلى بيت المقدس في العصر الأيوبي، إلا أننا نلاحظ أن عدد اليهود في القدس كان ضئيلاً، في أواخر العصر الأيوبي وبداية عصر سلاطين المماليك [6]، وذلك ما يؤكده الرحالة اليهودي نحمانيدس (Nahmannids) الذي زار بيت المقدس عام (666هـ / 1267م) فوجد بها أثنين من اليهود فقط [7]. والراجح أن قلة عدد اليهود في المدينة بعد مضي نصف قرن من عودتها

1- الرحالة الأوربيون، ص161.
2- رحلة، ص150-151.
3- عطية القوصي، صلاح الدين واليهود، ص41.
4- Jewish Ency, vol.7,p.131.
5- Jewish Ency. Vol.7, p. 132.
6- علي السيد علي، القدس في العصر المملوكي، ص101.
7- Jewish Ency. Vol.7, p. 132.

للحكم الإسلامي والسماح لهم بالإقامة في المدينة، وأن كثيراً منهم اعتنق الإسلام نظراً لحسن المعاملة والتسامح من قبل هؤلاء الحكام.

ومع بداية (ق 8 هـ / 14 م) نلاحظ زيادة في هجرة اليهود إلى المدينة، فقد كتب الرحالة اليهودي إسحاق تشلو (Isaac Chelo) الذي زار القدس عام (735هـ / 1334م)، أن الجالية اليهودية في القدس كثيرة العدد، وأنها تتشكل من آباء عائلات قدموا من أصقاع الأرض المختلفة، ولاسيما من فرنسا [1]. أما الرابي ميشولام بن مناحم (Meshullam Ben R.Menahem)، الذي زار المدينة عام (886هـ / 1481م) وفقدّر عدد بيوت اليهود بـ (250) بيتاً [2]، وأشار عبوديا في خطاباته عام (893هـ / 1488م) أن عددهم قبل هذا التاريخ كان (300) أسرة ما لبثوا أن أخذوا في التراجع تدريجياً [3].

إلا أن عدد اليهود في المدينة بدأ يزداد، والسبب في ذلك إنه بنهاية القرن التاسع للهجري/ الخامس عشر الميلادي، وتحديداً في عام (898هـ / 1492م) قرر الملكان الكاثوليكيان فرديناند ملك أرغونا (856-922هـ / 1452-1516م)، والملكة إيزابيلا ملكة قشتالة (855-910هـ / 1451-1504 م)، إصدار مرسوم ملكي يقضي بنفي اليهود، وعليهم أن يتركوا اسبانيا [4]، وكانت فلسطين لاسيما بيت المقدس من بين الأماكن التي قصدها اليهود نظراً لمنزلتها الدينية.

أما عن تواجد اليهود في مدن الساحل فلا تكاد تخلو مدينة منهم إلا أن أعدادهم قليلة ولا يشكلون إلا نسب ضئيلة من سكانها، وذلك ما سنلاحظه من خلال الحديث عنها. ففي عسقلان يذكر بنيامين أنَّه يقيم فيها نحو مائتي يهودي من الربانيين، ونحو الأربعين منهم القرائين، وثلاثمائة من السامريين [5]. إلا أن الأرقام المذكورة لا يمكن التسليم بصحتها لعدم وجود إحصائيات تحدد أعداد اليهود كل ضمن فرقته أو طائفته وهذا القول يسري على كل ما ذكره من أعداد.

1- The Roads from Jerusalem, p.133.
2- Meshullam, The Roads, p.189.
3- Meshullam, p.239.
4- خالد يونس الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، ص296: هدى درويش، أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، ص41.
5- رحلة، ص137.

ويقيم في يافا يهودي واحد يعمل صباغاً (1)، كما يورد ذلك البلاذري بقوله: إنَّ عدد اليهود في قيسارية عند الفتح مئتا ألف يهودي، وثلاثون ألف سامري(2)، ومن الواضح أنَّ العدد كبير ومستبعد، وما يؤكد ذلك الرحالة اليهودي بنيامين بعد أكثر من خمسة قرون، فقد ذكر عدد سكانها بنحو مائتين من اليهود ومثلهم من السامريين(3)، بل إن ما ذكره بنيامين فيه زيادة بالعدد المذكور بدليل أن جميع كتابات الرحالة من اليهود وغيرهم ممن تسنى للباحث الإطلاع عليها لم يذكروا أعداد اليهود في قيسارية، كما فعلوا مع غيرها من المدن التي أشير إليها أو التي ستذكر لاحقاً، وعلى الرغم من استمرار عملية هجرة اليهود إلى بلاد الشام، ويؤكد ذلك ما أورده ابن بطوطة بأنه رأى في قيسارية يهودياً من الأندلس(4).

بل إن هناك مدناً ساحلية كحيفا خالية من اليهود تماماً على الرغم من إشارة بنيامين إلى وجود قبور كثيرة لليهود بها (5). أما في مدينة عكا فقد ذكر أن عدد اليهود فيها نحو مائتي يهودي (6)، بينما بتاحيا ذكر: ((وتعيش طائفة من اليهود في عكا)) (7)، دون أن يحدد عددهم. وصور فيها نحو أربعمائة يهودي بينهم جماعة من العلماء العارفين بالتلمود (8). ومدينة صيدا فيها نحو عشرين يهودياً، إلا أن إقامتهم في المدينة ليست دائمية، إنما يعودون إلى أهلهم وهم من أرباب الحرف (9). ولعل أمر إقامتهم المؤقتة يرتبط بالحرف التي يعملون بها.

وفي بيروت نحو خمسين يهودياً (10)، وجبيل فيها نحو مائة وخمسين يهودياً (11)، أما طرابلس فعندما ولي معاوية (ﷺ) الشام في خلافة عثمان (ﷺ) فتحها واسكنها جماعة

1- رحلة بنيامين، ص136.
2- فتوح البلدان، ص137.
3- رحلة بنيامين، ص121.
4- رحلة ابن بطوطة، 2 / 225.
5- رحلة بنيامين، ص120.
6- نفسه، ص120.
7- نفسه، ص145.
8- نفسه، ص117.
9- رحلة بنيامين، ص117.
10- نفسه، ص116.
11- نفسه، ص115.

كثيرة من يهود الأردن [1]، وعند خضوعها للاحتلال الصليبي هاجر إليها عدد كبير من يهود جنوب فرنسا، وانَّ عدد الأسر اليهودية في طرابلس ما يقرب من مائة وخمسين أسرة [2]، أما عبوديا فقد ذكر أنَّ بها حوالي مائة أسرة يهودية [3]. وذلك يؤكد تناقص أعداد اليهود فيها. ومدينة اللاذقية بها نحو مائتي يهودي [4].

أما عن تواجدهم في المدن الداخلية، ففي طبرية نحو مائة يهودي[5]، لكن الملاحظ أن بتاحيا لم يحدد عددهم بالمدينة وإنما اكتفى بقوله: ((وتعيش بها طائفة من اليهود))[6]. ومدينة نابلس التي لها منزلة عظيمة عند اليهود [7]، وفيها نحو الألف من السامرة [8]. وتدمر يقيم فيها نحو الألفين، ويبدو أن تدمر ذات مكانة مهمة لدى اليهود، ويتضح ذلك من خلال ما أورده بنيامين من ذكر أسماء رؤسائهم[9]، بل إن يهودا الحريزي، يتغنى بها في شعره[10].

وذكر بنيامين أن مدينة الرملة يقيم بها نحو ثلاثمائة يهودي، وبضاحيتها مقبرة كبرى لليهود امتدادها ميلان [11]. إن العدد المشار إليه ربما يكون مقبولاً وما يعزز ذلك ما أشار إليه الرحالة اليهودي إسحاق شيلو (735هـ / 1334م) إن فيها عدداً كبيراً من اليهود[12]. إلا أنه ذكر أن المقبرة بامتداد ميلين، أي ما يقرب من أربعة كيلومترات أمر نستبعد صحته لأن المصادر الإسلامية أو اليهودية لم تشر إليها، وهو أمر مبالغ فيه.

1- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 21 / 356.
2- السيد عبد العزيز سالم، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، ص229-230.
3- Obadiah, The Letters of Obadiah,p.250.
4- رحلة بنيامين، ص113.
5- نفسه، ص139.
6- رحلة، ص141.
7- الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص30.
8- رحلة بنيامين، ص123.
9- نفسه، ص147-148.
10- حول شعره ينظر، AL-Harizi, Di ersten Makamen dem Tachkemoni
11- رحلة، ص135-136.
12- The Roads, p.138.

وقلعة جعبر وتقع على الشاطئ الأيسر من الفرات وكانت تسمى قديماً دوسر[1]، ويقيم بها نحو ألفي يهودي[2]. وقلعة الحصن (هيبوس) التي تقع في الجانب الشرقي من بحرية طبرية[3]، أشار بنيامين أن فيها نحو ثلاثمائة يهودي[4]، ويعلق عزرا حداد حول القلعة بالقول: أنها من القلاع التي شيدها الصليبيون في فلسطين[5]، فكيف يعقل وجود هذا العدد من اليهود في قلعة الحصن، وقد سبق الحديث عما فعله الصليبيون باليهود في بيت المقدس.

أما باقي المدن فقد وجد فيها أعداد قليلة من اليهود مثل علمة بلدة تقع شمال بحيرة طبرية، فيها نحو خمسين يهودي، وبظاهرها مقبرة كبيرة لليهود[6]، وقد ذكرها الرحالة اليهودي الباريسي (636-642 هـ / 1238-1244م) الذي زار البلاد بعد بنيامين ولكنه لم يشر إلى عدد اليهود فيها [7]، وجلعد التي تقع بالقرب من فيها دمشق نحو ستين يهودياً[8]، وحمص فيها نحو عشرين يهودياً[9]، وبالس يقيم فيها عشرة يهود[10]، وبيت جبرين ثلاثة[11]، وفي زرعين بالقرب من غزة يهودي واحد يحترف الصباغة[12]، وفي اللد واحد يحترف الصباغة[13]، والقريتين من أعمال حمص[14]، يهودي واحد صباغ[15].

1- الحموي، معجم، 2 / 141-142؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، 1 / 325.
2- رحلة بنيامين، ص152.
3- فيليب حتي، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، 1 / 350.
4- رحلة، ص134.
5- رحلة بنيامين، ص134 هامش (2)
6- نفسه، ص141
7- The Messengerof R.Jechiel of Paris, p. 123-124.
8- رحلة بنيامين، ص146.
9- رحلة بنيامين، ص148.
10- نفسه، ص152.
11- نفسه، ص136.
12- نفسه، ص137.
13- نفسه، ص122.
14- الحموي، معجم، 4 / 336.
15- رحلة بنيامين، ص148.

وفي حماه ذكر أسماء علماء اليهود من دون ذكر أعدادهم فيها[1]، وتبنين اكتفى بقوله إن فيها عدداً من اليهود [2]، وذلك يبين مدى التناقض في رواياته في بعض المدن يهودي واحد يذكره ويحدد عمله، وأخرى دون ذكر العدد، ولا نعلم سبب ذلك ولعله لم يصل إلى تلك المدن لذا أوردها بهذا الشكل.

ويتضح من خلال الروايات التاريخية التي أوردها الرحالة اليهود أن تواجدهم في بلاد الشام تميز بأمرين هما: الأول أنهم كانوا مهاجرين غرباء وطارئين على بلاد الشام قدموا من بلدان أوربا المختلفة، والثاني قلة أعدادهم في بلاد الشام وتحديداً في بيت المقدس.

1- رحلة بنيامين، ص149.

2- نفسه، ص140.

المبحث الرابع
اليهود في إقليم مصر

تعد العلاقة بين اليهود ومصر علاقة إشكالية تعود لعصور سحيقة من الزمان، ومع أن البحث في الجذور التاريخية لوجود اليهود في مصر ليس من مهمتنا، سنشير باقتضاب إلى هذا الموضوع... وعلى الرغم من أن اللقاء بين مصر وبني إسرائيل بلغ ذروته في شخص موسى (عليه السلام)، إلا أن موسى (عليه السلام) نفسه هو الذي أصبح بعد ذلك نقطة الانفصال النهائي بين مصر وإسرائيل [1].

وعلاقة اليهود بمصر قديمة قد تعود إلى زمن نزول أولاد يعقوب فيها، ثم إلى بقاء بعضهم في منطقة الفيوم بعد خروج موسى (عليه السلام) من مصر. ولكن الثابت تاريخياً هو وجود طائفة يهودية في مصر في القرن السادس قبل الميلاد، إذ طلب بعضهم ملجأ في مدن الدلتا واستقر آخرون في جزيرة (الاليفانتين) في مصر العليا، ولكن أهم جماعة جاءت إلى مصر بعد فتح الاسكندر لفلسطين عام 322 ق.م [2].

وقد انتشر اليهود في أنحاء مصر طوال عهد البطالمة (322–30 ق. م)، كما تشير إلى ذلك النقوش والوثائق البردية، فقد وجدت هياكل لليهود في بنها ودمنهور والفيوم وغيرها. على أن أكثرهم كانوا يعيشون في الإسكندرية،[3] ويقدر بعض المؤرخين عدد اليهود في الإسكندرية على عهد الملك بطليموس الثاني بمائة وعشرين ألفاً [4].

وعندما فتح الرومان مصر عام (30 ق.م)، كان اليهود يشكلون عنصراً مهماً من عناصر سكانها بعد أن تزايد عددهم بفضل ما نعموا به من أمن وطمأنينة إبان العصر

1- مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، ص73. وحول عصر موسى (عليه السلام) واليهود وقصة الخروج من مصر، ينظر:سوسة، العرب واليهود، ص524 وما بعدها:عبد العليم وراشد، اليهود في العالم القديم، ص55.

2- علي إبراهيم عبده وخيرية قاسمية، يهود البلاد العربية، ص159.

3- رمضان، اليهود في مصر الإسلامية، ص33.

4- عبد العليم وراشد، اليهود، ص215.

البطلمي[1]. ولكن الإدارة الرومانية قررت إخضاع اليهود في مصر والإسكندرية لضريبة الرأس يؤدونها كاملة، مما جعل اليهود يلعنون الرومان سراً، ولكنهم في الجهر كانوا يسبحون بحمدهم ويظهرون الولاء لهم [2]. وفي عهد الإمبراطور جايوس حدث في صيف سنة 38 م فتنة مروعة بين الإغريق واليهود، كان من نتائجها أن طالب إغريق الإسكندرية من فلاكوس حاكم مصر في وقت حدوث الفتنة، أن يحدد الوضع القانوني ليهود المدينة، فاصدر قراره الذي أعلن فيه أن اليهود أجانب وغرباء عن المدينة، وفسر إغريق الإسكندرية هذا القرار بأنه ليس لليهود حق في تجاوز الحي الذي كان مخصصاً أصلاً لإقامتهم. كما قام الإغريق بتدمير أكثر من أربعمائة مسكن من مساكن اليهود، التي طردوا منها كما نهبوا متاجرهم، وحرموا عليهم الخروج إلى الأسواق، كما أنزل فلاكوس العقاب ببعض أعضاء مجلس الحاخامات اليهودي، فجلدهم علناً على مسرح المدينة، مما أدى إلى وفاة بعضهم وإصابة البعض الآخر بالأمراض [3].

وتمرد اليهود سنة 66 م مرة أخرى في الإسكندرية في عهد الإمبراطور نيرون... وفي أعقاب ذلك وقع صدام بين اليهود والإغريق في الإسكندرية، وتدخل تيبريوس يوليوس إسكندر حاكم مصر الذي استخدم القوة معهم، وأباح للجند الرومان نهب متاجرهم واستباحة مساكنهم [4]، وكان لهم جاليات أخرى في بعض مدن مصر السفلى، وكذلك في الفيوم، كما كان في البهنسا، لاسيما في العصر الروماني جالية يهودية كبيرة، وكانت تقيم في حي خاص بها، وتحول كثير من اليهود إلى الدين المسيحي، مع احتفاظهم بأسمائهم القديمة [5].

ونلاحظ أن المصادر التاريخية القديمة والحديثة قلما تشير إلى اليهود في مصر في ذلك العصر، ونرى أن ذلك راجع إلى ما ساد هذا العصر من الخلافات المذهبية الدينية والسياسية. وأن اليهود كانوا حريصين على أن يبتعدوا عن هذه الخلافات، ليمارسوا

1- عبد العليم وراشد، اليهود، ص233.
2- سناء عبد اللطيف حسين صبري، الجيتو اليهودي، ص58.
3- مصطفى كمال عبد العليم، اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، ص151.
4- صبري، الجيتو، ص59.
5- Jewish Ency.vol.5,p.60.

حياتهم الدينية ونشاطهم الاقتصادي في هدوء [1]. وهذه الحقبة ليست ضمن مجال البحث، وإنما تعريف موجز حول تواجدهم في مصر قبل الفتح الإسلامي.

يتبين من الكلام السابق أن اليهود في معظمهم كانوا يعيشون قبل الفتح الإسلامي في الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت، لذلك كان من الطبيعي أن لا تشير المصادر الإسلامية إليهم إلا بعد فتح عمرو بن العاص (ﷺ) (ت 43هـ / 663م) للإسكندرية، وإلا بعد عقد معاهدة الإسكندرية أو معاهدة بيليون الثانية [2]، وكان من شروط هذه المعاهدة أن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية [3]. مع العلم أن بنود المعاهدة انفرد بذكرها المؤرخ حنا النيقوسي دون غيره من المؤرخين القدمى [4].

وترى د. فاطمة عامر أن سماح عمرو بن العاص (ﷺ) لليهود، بالإقامة في الإسكندرية كان مكافأة لهم، لعدم تدخلهم في القتال ضد المسلمين، والتزامهم الحياد طوال أحداث الفتح [5]. إلا أن ذلك غير دقيق فلم يكن اليهود بتلك القوى التي تسمح لهم بالقتال وإلا لما رضوا أن يكونوا تحت حكم الرومان قبل الفتح الإسلامي.

وذكر ابن عبد الحكم لدى إيراده كتاب عمرو بن العاص (ﷺ) إلى الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) أن عدد اليهود بالإسكندرية أربعين ألف يهودي، وهم يؤدون الجزية [6]، وأشارت المصادر أنه قد رحل حوالي سبعين ألف يهودي من الإسكندرية عند دخول عمرو بن العاص إليها [7]. رغم أن الأرقام مبالغ فيها إلا أنها تنفي الرواية المشار إليها حول السماح لليهود بالإقامة في المدينة، كونهم جزء من سكانها لا يمكن التغافل عنه، فضلاً عن ذلك إن هذه السياسة التي انتهجها المسلمون نحو اليهود هي جزء من سياسة التسامح مع

1- فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، 1 / 35.

2- عن تفاصيل المعاهدة ينظر: الشريف حسين بن علي بن عون الحارثي، المعاهدات في عصر الخلفاء الراشدين، ص479–480؛ فاطمة مصطفى عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، ص94–95؛ دانيل دينيت، الجزية والإسلام، ص122؛عن مواضع المدن التي يتواجد فيها اليهود بمصر ينظر خارطة رقم (3)، ص 274.

3- سيدة إسماعيل كاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة، ص52.

4- عامر، تاريخ، ص95.

5- عامر، تاريخ، ص95.

6- فتوح مصر وأخبارها، ص82.

7- ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص82؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 1 / 95.

أهل الذمة في كل مكان، ولعل الفقرة التي أوردها حنا النيقوسي إنما بدافع العداء القديم لليهود حول مسألة صلب المسيح عيسى(ﷺ) كما يعتقدون، وكذلك المصادر الإسلامية لم تشر إلى هذا الشرط [1].

ولا توجد لدينا معلومات مؤكدة عن تاريخ اليهود في عصر الولاة أي طوال القرون الثلاثة الأولى للفتح الإسلامي، أما في العصر الفاطمي (358-567هـ / 968-1171م) فقد زودنا بها الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي، فضلاً عن وثائق الجنيزة [2].

ولا بد من الإشارة إلى أن العدد الذي ذكرته المصادر التاريخية العربية ليهود الإسكندرية يعطينا انطباعاً بأن الإسكندرية كانت المركز الرئيس لليهود قبل الفتح الإسلامي، ويبدو هذا منطقياً في ضوء ما نعرفه من أن الإسكندرية كانت هي العاصمة المصرية في ذلك الحين [3]. أما عند الفتح الإسلامي فقد أشير إليها سابقاً، أما عن أعدادهم من خلال كتابات الرحالة اليهود فقد ذكر بنيامين الذي زار مصر في أخر الحكام الفاطميين العاضد (555-567هـ / 1160-1171م)، وأيام وزارة صلاح الدين الأيوبي (ت 589هـ / 1193م) وذلك في عام (564هـ / 1168م) [4]، إنه يعيش في الإسكندرية نحو ثلاثة آلاف يهودي [5].

وقد عكست أقوال الرحالة اليهود الذين زاروا مصر في القرن الخامس عشر حقيقة أن أعداد اليهود المصريين قد انخفضت في تلك الفترة [6]. رغم وجود هجرة لليهود من بلاد جنوب أوربا إلى الإسكندرية [7]. فقد ذكر الرحالة اليهودي ميشولام **Meshullam** الذي زار مصر عام (886هـ / 1481م)، أن عددهم في الإسكندرية حوالي ستين أسرة يهودية، وذكر له بعض اليهود أن أعدادهم داخل المدينة سالفاً يقدر بأربعة آلاف يهودي [8]. أما الرحالة

1- عن نصوص المعاهدة في المصادر الإسلامية ينظر، الحارثي، المعاهدات، ص480-483.
2- رمضان، اليهود في مصر، ص46.
3- قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر، ص11.
4- رمضان، اليهود، ص47.
5- رحلة، ص213.
6- قاسم، اليهود، ص24.
7- AShtor, The Numbers of the Jews in Mediaeval Egypt, p.10.
8- Meshullam, p.161.

عبوديا الذي زار المدينة بعد ذلك بسبع سنوات (894هـ / 1488م) فذكر أن عدد يهود الإسكندرية كان خمساً وعشرين أسرة فقط [1].

وعليه فهناك تراجع ملموس قد حدث بين جماعة اليهود داخل هذا الثغر مقارنة بأعدادهم المذكورة في عصور سابقة، وهذا يكشف عن ظاهرة تناقص أعداد اليهود بالإسكندرية خلال القرون الثلاثة الفاصلة بين تسجيل الرحالة لكتاباتهم، والواضح أن تناقص أعدادهم على هذا النحو جاء ليحاكي انخفاض عدد السكان الذي شهدته المدينة بصفة عامة جراء الظروف السياسية [2]. وأشار قاسم عبده إلى ذلك بقوله: ((وبالنسبة ليهود الإسكندرية يمكننا تفسير هذا التدهور الحاد في عددهم على ضوء ما نعرفه عن ذبول المدينة وتناقص أهميتها الاقتصادية والسياسية خصوصاً بعد هجوم ملك قبرص بطرس الأول لوزنيان في عام (767هـ / 1365م) المباغت عليها وتخريبها)) [3].

وبخصوص أماكن سكنهم في الإسكندرية فقد سكن اليهود في الحي اليهودي أو حي الدلتا، وكان يقع خلف الميناء الشرقي الكبير في منطقة الجوف عند بداية الطريق الكانولي وإلى الجنوب الشرقي من الحي الملكي [4].

أما في القاهرة والفسطاط فذكر بنيامين أن عدد اليهود كان نحو ألفين [5]، كما يذكر ميشولام بن مناحم أنه كان بالقاهرة حوالي سبعمائة أسرة[6]، أما عبوديا فقال: ((إنه يوجد بالقاهرة حالياً ثمانمائة أسرة يهودية)) [7]، وتكشف الأرقام المذكورة عن أن عدد يهود القاهرة تناقص بشكل معقول عما حدث بالنسبة ليهود الإسكندرية [8].

واللافت للنظر أن المهاجرين اليهود لم يتوقفوا عن القدوم إلى مصر في أواخر عصر سلاطين المماليك، ومع ذلك ظلت أعدادهم في التناقص. إذ يتحدث عوبديا أنه وجد بالقاهرة

1- Obadiah, p.222.

2- علي احمد محمد السيد، اليهود في شرق البحر المتوسط، ص92.

3- قاسم، اليهود، ص25؛ وعن تأثير الحملة على مدينة الإسكندرية ينظر: محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص312-319.

4- صبري، الجيتو، ص175.

5- رحلة، ص205.

6- Meshullam، p.171.

7- Obadiah, p.225.

8- قاسم، اليهود، ص27.

حوالي خمسين أسرة من المارانوس (Marranos) فروا من أسبانيا وكانوا قد أجبروا على الارتداد عن يهوديتهم، وقدموا إلى القاهرة لكي يعودوا إلى الديانة اليهودية [1]. وذكر قاسم عبده أن عوبديا قال: ((حوالي ثلاثمائة أسرة يهودية فرت من فلسطين إلى مصر بسبب فداحة الضرائب التي فرضها شيوخ اليهود الفلسطينيين الذين أتهمهم عوبديا ببيع نسخ التوراة وممتلكات اليهود في بيت المقدس إلى غير اليهود)) [2]. لكن بعد مراجعة نص الرحلة وجدنا أن عوبديا قال: ((وقد بلغ عدد اليهود الذين كانوا في القدس حوالي ثلاثمائة أسرة، وما لبثوا أن اختفوا تدريجياً تحت وطأة تضخم الضرائب وتفاقم الأعباء على كاهلهم بفعل هؤلاء الشيوخ - شيوخ اليهود - ونتيجة لذلك لم يتبق بها سوى البؤساء والنساء...)) [3]. وبذلك يكون كلام قاسم عبده غير دقيق وأن الأسر اليهودية في فلسطين اختفت تدريجياً من بيت المقدس ولم يحدد الجهة التي هاجر إليها مصر أم غيرها.

ولا بد من الإشارة إلى أنه كانت هناك هجرات يهودية إلى مصر من مختلف أنحاء العالم، ومثال ذلك ما ذكره جواتين ففي حوالي عام (468هـ / 1075م) وردت أسماء عدد من اليهود القادمين إلى مصر من مختلف أنحاء العالم في عدد من وثائق الجنيزة [4]. ولم تقتصر هجرتهم إلى القاهرة وإنما إلى مدن أخرى وذلك ما سيتم الحديث عنه عند ذكر تلك المدن.

أما عن أحياء اليهود في الفسطاط، فيذكر ابن دقماق أن اليهود كانوا يسكنون في الفسطاط في زقاق عرف باسمهم وهو " زقاق اليهود "، وكان بداية طريق هذا الزقاق يمين السالك من باب قصر الشمع، بجوار الكنيسة المعلقة [5].

كما يتضح مما ذكره ابن دقماق أن اليهود سكنوا موضعاً آخر كذلك في الفسطاط، في المنطقة المعروفة باسم " المصاصة " وذلك بجوار خوخة خبيصة، فيذكر ابن دقماق أن رئيس اليهود بالمصاصة فتح باباً من داره - المقابل للمسجد الأرضي - يسلك منه من هذه

1- Obadiah, p.228.

2- اليهود، ص28.

3- Obadiah, p.229.

4- Goitain, Mediterranean Society, vol.1،p.54.

5- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، 1 / 15.

الخوخة [1]. وذكر المقريزي أن لهم بالمصاصة كنيسة المصاصة يجلها اليهود، وهي بخط المصاصة، وموضعها يعرف بدرب الكرمة [2].

أما في القاهرة فتذكر المصادر الإسلامية أن اليهود سكنوا الحارة المعروفة باسم حارة الجودرية، وإن لم تذكر الزمن الذي قرر اليهود فيه السكن في هذه الحارة، ومن ثم عدّت حارة خاصة باليهود فقط [3]، فيقول القلقشندي: " الجودرية تعرف بطائفة يقال لهم الجودرية من الدولة الفاطمية نسبة إلى جودر خادم عبيد الله المهدي، اختطوها وسكنوها حين بني جوهر القاهرة، ثم سكنها اليهود بعد ذلك " [4].

وظل اليهود مقيمين في حارة الجودرية إلى أن بلغ الحاكم أنهم يجتمعون بها في أوقات خلواتهم ويغنون:

وأمـــة قـــد ضـلـوا وديـنـهـم معـتـل
قـــال نـبـيـهـم: نـعـم الإدام الـخـل

ويسخرون من هذا القول ويتعرضون إلى ما لا ينبغي سماعه، فأتى إلى أبوابها وسدها عليهم ليلاً وأحرقها، فلا يبيت فيها يهودي ولا يسكنها أبداً [5].

وحارة زويلة سكنها اليهود بعد حرق الجودرية المشار إليها [6]، وأن فيها زقاقاً لا يسكنه إلا اليهود [7]. ولهم في الحارة خمس كنائس، وهي كنيسة القرائين، ودار الحدرة، والربانيين، وابن شميخ، والسمرة. وجميع كنائس المذكورة محدثة في الإسلام بلا خلاف [8]. وحارة الوزيرية نسبة إلى الوزير اليهودي يعقوب بن كلس (ت386هـ / 996م) [9].

1- نفسه، 1 / 30.
2- المقريزي، تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، ص85.
3- رمضان، اليهود، ص52.
4- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 3 / 402.
5- المقريزي، المواعظ والاعتبار، 3 / 9.
6- القلقشندي، صبح الأعشى، 3 / 402؛ ابن إياس، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، ص39
7- المقريزي، المواعظ، 4 / 208.
8- المقريزي، تاريخ اليهود، ص87-88.
9- المقريزي، المواعظ، 3 / 9؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 3 / 402.

أما مدينة بلبيس التي تقع على طريق الشام وتبعد عن مصر (القاهرة) عشر فراسخ (60كم)[1]. فذكر بنيامين أنها مدينة كبيرة فيها نحو ثلاثة آلاف يهودي [2]. بينما يذكر الرحالة ميشولام الذي زار بلبيس عام (886هـ / 1481م)، من دون الإشارة إلى أعداد اليهود فيها، وذكر وجود كنيس واحد لهم [3]. والأمر يثير التساؤل حول وجود هذا العدد الكبير من اليهود وفيها كنيس واحد. وذلك ما أشار إليه آشتور إذ يعتقد أن مجموع سكان المدينة من اليهود بالكاد يكونوا ثلاثمائة من دافعي الضرائب، ويستند إلى ذلك لوجود كنيس واحد فيها [4].

وأما المدينة الأخرى التي يتواجد فيها اليهود فهي الدميرة التي تقع قرب دمياط، وتنقسم إلى قسمين يقابل احدهما الآخر على شاطئ النيل [5]، وذكر بنيامين أن فيها نحو سبعمائة يهودي [6]، لكن هذا الرقم مبالغ فيه وإنما كان فيها جالية صغيرة من اليهود[7]. ومدينة المحلة التي تعرف اليوم بـ (المحلة الكبرى) وتقع بين القاهرة ودمياط، فيها نحو خمسمائة يهودي [8]. ولأن هذه المدينة المهمة كانت قاعدة إقليم الغربية منذ وقت طويل [9]، فإنها جذبت عدداً من المهاجرين من شمال إفريقيا منذ عصور التاريخ الإسلامي البعيد كما اتخذها عدد كبير من اليهود المهاجرين من تونس والمغرب مستقراً ومقاماً، وتكشف وثائق الجنيزة التي ترجع إلى (ق 6هـ / 12م)، والنصف الأول من (ق 7هـ / 13م)، أن المحلة كانت بؤرة مهمة لتجمع يهود الوجه البحري، وتكشف الوثائق عن أن يهود المحلة كانوا يتملكون المنازل والعقارات، وأن معابد يهودية متعددة وجدت فيها [10].

1- الهمداني، الأماكن، ص728: الحموي، معجم، 1 / 479: رحلة ابن بطوطة، 1 / 231.

2- رحلة، ص209.

3- Mesullam, p. 175.

4- Ashtor, The Number of The Jews, p.27.

5- الحموي، معجم، 472/2: البغدادي، مراصد الإطلاع، 2 / 536.

6- رحلة، ص210.

7- Ashtor, The Number, p.42.

8- رحلة بنيامين، ص210.

9- قاسم، اليهود، ص39.

10- Ashtor, The Number, p.38-41.

أما مدينة دمياط وميناؤها الذي كان من أهم موانئ مصر حتى عهد السلطان الظاهر بيبرس (658-676هـ / 1259-1277م) فقد عاشت فيه جماعة يهودية كبيرة العدد منذ زمن بعيد [1]. والوثائق التي تتعلق بيهود دمياط من أوراق الجنيزة التي تمتد من أواخر (ق4-6هـ / 10-12م)، وبعض اليهود فيها كانوا من المهاجرين الذين قدموا من الأقطار الأوربية [2]. وأورد بنيامين أن فيها نحو مائتي يهودي [3].

ومدينة الفيوم في الجهة الغربية من مصر بينها وبين الفسطاط أربعة أيام (160كم) [4]، وينتسب إليها العديد من الشخصيات اليهودية لعل من أبرزها سعديا الفيومي (269-331هـ/ 882-942م) [5]، ويقيم فيها مائتي يهودي بحسب رواية بنيامين [6]. وفي أبي تيج (بوتيج) بالصعيد الأدنى من غربي النيل [7]، نحو مائتي يهودي [8]. ومدينة سمناط (سمنود) تقع على ضفة النيل.[9]، ومن المهم أن نشير إلى أن مدينة قوص كانت أهم مدينة في الصعيد، وعاصمة مصر العليا [10]، ففي نهاية (ق6هـ / 12م) أن عدد اليهود فيها نحو ثلاثمائة يهودي [11]، ومن خلال وثائق الجنيزة التي ورد فيها مدينة قوص أو التي تشير إليها، نستنتج أن الجماعة اليهودية فيها كانت كبيرة العدد [12].

وأما جنوب العاصمة المصرية فتقع حلوان وقد ذكر بنيامين أن فيها نحو ثلاثمائة يهودي [13]، وفي بهنا نحو ستين يهودياً [14]، وتنيس نحو أربعين يهودياً [15].

1- قاسم، اليهود، ص40.

2- Ashtor, The Number, p.2-3.

3- رحلة، ص213.

4- البغدادي، مراصد الإطلاع، 3 / 1053؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص94-95.

5- Mann, The Jews in Egypt and Palestine under The Fatimid Caliphs, vol.1,p.15.

6- رحلة، ص204.

7- الحموي، معجم، 1 / 506؛ البغدادي، مراصد الإطلاع، 1 / 229.

8- رحلة، ص209.

9- الحموي، معجم، 3 / 254؛ رحلة ابن بطوطة، 1 / 200.

10- قاسم، اليهود، ص40.

11- رحلة بنيامين، ص204.

12- Ashtor, The Number of The Jews, p.14-15.

13- رحلة، ص203.

14- رحلة بنيامين، ص209.

15- نفسه، ص214.

وكان هناك جاليات يهودية بمدن أخرى حسبما أشارت وثائق الجنيزة، إلا أن البعض منها لم يحدد فيها اعداد اليهود ومنها مدينة منيات غمر Minyat Ghamr بالدقهلية كانت سكناً لجماعة يهودية كبيرة [1]. وميت زفتى (Minyat Zifta) والوثائق التي تتعلق بها تعود إلى الحقبة ما بين (498 – 630هـ / 1104–1232م)، وبحسب القراءة لتلك الوثائق يمكن الخروج بنتيجة أن عدد اليهود فيها ما بين ثلاثمائة إلى خمسمائة فرد، ومن بينهم عدد من اليهود المهاجرين من فلسطين وسوريا [2].

ومن المدن الأخرى المطرية شمال شرق القاهرة، ووثائق منذ بداية القرن 6هـ / 12م تشير إلى الضريبة الخاصة المفروضة على يهود المدينة[3]. وقليوب، وشطانوف، وسبك، ومليج، وشبرا، وبوصير، واشموم طناح، وابوان، ودمنهور وغيرها [4]. وهذه المدن تبين من خلال وثائق الجنيزة، أنه يتواجد فيها جاليات يهودية كما أشرنا إليها من قبل.

1- Ashtor, The Number, p.32.

2- Goitein, A Mediterranean Society, vol.2,p.45-46 ; Ashtor, The Number, p.32-34.

3- Ashtor, The Number, p.20.

4- Ashtor, The Number, p.42.

المبحث الخامس
اليهود في إقليم إيران وبلاد ما وراء النهر

كان تاريخ اليهود في إيران يشهد دائماً أوضاعاً متقلبة وكانت نظرة الحكام إليهم تتوقف على وضع الدولة الداخلي والاقتصادي وعلى علاقاتها مع الدول المجاورة لها. فمنذ أقدم العصور كانت - حسب ما يزعم الصهاينة - هناك جماعة يهودية في إيران، بدلالة وجود قبور لليهود في إيران [1].

ويعود وجود اليهود في إيران إلى ما قبل (2700 عام). وأشارت الكتب اليهودية المقدسة ومنها أسفار استر ودانيال وعزرا ونحميا إلى وجود اليهود في إيران منذ عهود سحيقة. كما جاء في الكتاب المقدس لليهود أسماء الملوك الإيرانيين القدماء ومنهم كوروش وداريوش وخشايار وأردشير. كما وردت مئات الكلمات الفارسية في التلمود [2].

ويرى ريتشارد فولتز أنَّه: يمكن أن يقال بحق، إن التشتت اليهودي، الذي يبلغ عمر سبعة وعشرين قرناً، قد بدأ في إيران. بل إن إيران تعد الدولة الثانية بعد إسرائيل من حيث أهميتها التاريخية بالنسبة لليهود [3]. ونعرف من المصادر اليهودية ومصادر بلاد الرافدين معاً أن مملكة إسرائيل الشمالية اجتاحتها الجيوش الأشورية في العام 720ق.م [4]. وكانت سياسة الأشوريين أن يشتتوا السبايا في عدة أماكن نائية منعزلة لكي لا يتيسر لهم التجمع في مكان واحد والتكتل فيه على أمل العودة إلى المناطق التي أجلوا عنها. وهكذا فقد أبعد الأشوريين سباياهم من اليهود من مملكتي إسرائيل ويهوذا إلى المناطق الجبلية المنعزلة في شمالي العراق وتركيا وإيران ضمن حدود الإمبراطورية الأشورية [5].

1- كيوان، اليهود في إيران، ص17.
2- شاكر كسرائي، اليهود في إيران، ص22.
3- الروحانية في أرض النبلاء، ص67.
4- نفسه، ص68.
5- سوسه، ملامح من التاريخ، ص31.

وبذلك بدأ تاريخ يهود إيران منذ أيام نفي السامرة إذ أن جزءاً منهم نفي إلى مدن مادي[1]، وذلك ما ذكر في الكتاب المقدس في سفر الملوك الثاني (18: 11) ((وسبى ملك آشور إسرائيل إلى آشور ووضعهم في حلح وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي)) ويرى البعض أن المدن المادية التي نقل اليهود إليها هي منطقة همدان وما جاورها من القرى بينما يرى البعض الآخر أنها منطقة نهاوند وما جاورها من القرى [2]. وذكر شاكر كسرائي ((أن تاريخ اليهود في إيران يبدأ في سنة 597 ق.م، عندما هاجم نبوخذ نصر الثاني أورشليم (القدس)، أسر حوالي عشرة آلاف يهودي من ضمنهم ملكهم يهوياكين ملك يهودا... وعينت حكومة بابل صدقيا عم يهوياكين زعيماً لليهود في أورشليم، لكن عندما ثار صدقيا، هاجم نبوخذ نصر أورشليم مرة أخرى وأسر عدداً كبيراً من المواطنين ودمر معابد اليهود ونفاهم إلى إيران حيث توزعوا في أنحائها)) [3]. إلا أن ما ذكره كسرائي غير دقيق، لأن تاريخ اليهود في إيران يبدأ ما قبل هذا التاريخ بأكثر من قرن، ربما إلى سنة (720ق.م) كما أشير سابقاً. والمهم من هذا التمهيد هو بيان الوجود اليهودي في إيران وتحديد بداياته.

وفي سنة (538 ق.م) هاجم كورش الكبير بابل ودخل المدينة، فسمح لمن أراد من اليهود بالرجوع إلى فلسطين [4]، وما يشير إلى قوة العلاقة بين الطرفين، أن اليهود لقبوا كورش بالمبعوث من عند الباري، ويعتبرون هذا العام (538 ق.م) عام عظمة إيران والإعلان عن حرية واستقلال اليهود [5].

وقد مرت على يهود إيران أوقات من الصعود والهبوط، كانت مرتبطة بأنظمة الحكم المختلفة التي حكمت أرض إيران [6]، ويواجه الباحثون قلة المصادر عند الحديث عن أوضاع اليهود في إيران في عصر صدر الإسلام. ولكن هؤلاء الباحثين يعتقدون بأن عدد اليهود في إيران في ذلك العصر كان كبيراً لاسيما عند دخول الإسلام إلى إيران في أواسط

1- عزرا سبايز هندلر، يهود إيران، ص5.
2- سوسه، ملامح، ص33.
3- اليهود في إيران، ص27.
4- سوسة، العرب واليهود، ص674.
5- حبيب لوي، تاريخ يهود ايران، 1 / 217.
6- هندلر، يهود ايران، ص5.

القرن السابع للميلاد. ولكن المصادر لم تذكر عدد اليهود آنذاك [1]. لكن ينبغي الإشارة إلى أنه لا توجد معلومات كافية عن انتشار التجمعات اليهودية في إيران بعد ظهور الإسلام.

أما عن أهم مراكز التواجد اليهودي في مدينة أصفهان التي تعد إحدى أقدم المدن التي عاش اليهود فيها. فقد تباينت آراء المؤرخين والجغرافيين حول بداية التواجد اليهودي فيها، واتفق أغلب الجغرافيين المسلمين على ((أن اليهود أخرجوا من بلاد الشام في أيام بخت نصر (نبوخذ نصر)، حملوا معهم من تراب بيت المقدس ومن مائه، فكانوا لا ينزلون منزلاً ولا يدخلون مدينة إلا وزنوا ماءها وترابها فما زالوا كذلك حتى دخلوا أصبهان - أصفهان - فنزلوا بموضع يقال له بنجار، وقارنوا مائه وترابه بما معهم فاطمأنوا وأخذوا في العمارات والأبنية، وزرعوا الأراضي البور، وسمي المكان بعد ذلك اليهودية))[2]. ويقصد بالمقارنة للماء والتربة من حيث عذوبة الماء وخصوبة التربة.

ويشير أحد الباحثين أن مجموعة أخرى من المصادر، لاسيما المصادر الزرادشتية، أن الملك الساساني يزدجرد الأول سمح لليهود بالعيش في مدينة أصفهان وذلك بتوصية من زوجته اليهودية شوشندخت، في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي [3]. وازداد عدد اليهود في هذه المدينة في أواخر العهد الساساني وكان لهم دور هام [4]. وكانت اليهودية تسمى في أيام مملكة الفرس (كو جهودان) يعني سكة اليهود [5].

أما عن أولى الإشارات ما أورده ابن سعد، إن سلمان الفارسي (ﷺ) كان رجلاً من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي، وأن قوماً من بني كلب ابتاعوه من رجل يهودي [6]. وهذه إشارة إلى استمرار تواجد اليهود في المدينة. وفي عام (21 هـ / 641م) وجه الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) عبد الله بن بديل (ت 37هـ / 657م) إلى أصبهان، ففتح عبد الله جي

1- كسرائي، اليهود، ص35: عن مواضع المدن التي يتواجد فيها اليهود في ايران وبلاد ما وراء النهر ينظر خارطة رقم (2)، ص 273.

2- ابن الفقيه، البلدان، ص530: ابن حوقل، صورة الأرض، 2 / 336: المقدسي، أحسن التقاسيم، ص388: الحموي، معجم، 5 / 453-454: القزويني، آثار البلاد، ص296.

3- نكار ذيلابي ذيلاني، تمركز جمعيتي يهوديان درشهرهاي إيران، ص32.

4- كسرائي، اليهود، ص33.

5- أبو نعيم الأصبهاني، تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)، 1 / 34.

6- ابن سعد، الطبقات، 7 / 318.

صلحاً بعد قتال على أن يؤدي أهلها الخراج والجزية، ووجه عبد الله، الأحنف بن قيس (ت 67هـ / 686م) وكان في جيشه إلى اليهودية (أصبهان) فصالحه أهلها على مثل ذلك الصلح [1]. ومع أن المصادر التي أوردت نصوص معاهدة صلح أهل أصبهان - جي [2]، لم تشر إلى اليهود إلا أنهم عوملوا معاملة أهل الذمة أسوة بأقرانهم من سكان أصبهان ونواحيها.

أما عن مناطق استقرار أو سكن اليهود فقد ذكر الأصبهاني مدينة جي ومن أبوابها باب سمي بباب اليهودية، وكذلك حدد قرى عديدة، قرية خشينان، ويوان، وخرجان، وسنبلان، وكماءان وأشكهان، وجرواءان، وأن سكنتها من اليهود [3].

أما عن أعداد اليهود في مدينة اليهودية فلا تذكر المصادر أية تفاصيل عنها سوى ما ذكر الرحالة بنيامين بقوله: ((إن فيها نحو خمسة عشر ألفاً من اليهود)) [4]. ولا يستبعد أن يكون الرقم صحيحاً لأسباب منها، أن أصفهان هي قصر الرئيس الموكل بيهود العجم من رأس الجالوت ببغداد [5]، وفيها مزار مقدس يقصده اليهود لزيارته خلال أشهر الصيف، وهذا الوقت يصادف عند اليهود أيام عبادتهم الصوم الكبير [6]، وكذلك وجود عدد كبير من المقابر اليهودية بها من أشهرها مقبرة " تلباحكون " شرق أصفهان، ومقبرة أخرى على مسافة (6 كم) تقع شمال شرق أصفهان، وأما المقبرة الثالثة فقد كانت مخصصة لأطفال اليهود [7].

ومن المدن المهمة الأخرى همذان والتي يعدها المقدسي من بين كور إقليم الجبال[8]، وأضاف قائلاً: ((واليهود به أكثر من النصارى)) [9]، وذكر بنيامين أن همذان هي مدينة مادي

1- البلاذري، فتوح، ص288.
2- حول نصوص الصلح وأحداثه ينظر، الحارثي، المعاهدات، ص189-196.
3- تاريخ أصبهان، 1 / 34-35.
4- الرحلة، ص191.
5- نفسه، ص191.
6- لؤي، تاريخ يهود ايران، 3 / 64-65.
7- نفسه، 3 / 129.
8- أحسن التقاسيم، ص385.
9- نفسه، ص394.

الكبرى الواردة في التوراة، وأن فيها نحو خمسين ألف يهودي [1]. لكن في نسخة أدلر (Adler) وهي نسخة ثانية لرحلة بنيامين، يشير إلى أن عدد اليهود في همذان هو ثلاثين ألف يهودي [2].

والراجح أن الرقم الثاني أقرب للقبول مع أنّه مبالغ فيه، وما يدعم ذلك قول المقدسي المذكور أعلاه، وكذلك إذا ما قورن بكل من العاصمة بغداد وفيها المركز الرئيسي لليهود وعددهم فيها نحو أربعين ألف يهودي [3]، وكذلك أصفهان على الرغم من أهميتها لليهود كما أشير سابقاً، والأمر الآخر كيف يعقل وجود هذا العدد الكبير من اليهود وليس فيها إلا كنيس واحد بحسب قول بنيامين [4].

لكن يمكن القول أن ذلك لا يمنع وجود عدد كبير من اليهود في همذان وربما يكون مقارباً لما هو موجود في أصفهان أو أكثر منه بقليل، نظراً لوجود قبر مردخاي وأستير [5]، وما يدور حولهما في التقاليد اليهودية. فيشير أحد الباحثين إلى اعتقاد اليهود أن أستر يهودية، وهي زوجة الملك خشايار الهخامنشي، ومردخاي عمها من أحفاد الرسول يعقوب، وزير أردشير وبواسطتها خلص اليهود من حكم القتل العام الذي أصدره أردشير وبواسطتها خلص اليهود من حكم القتل العام الذي أصدره أردشير بعد أن افترى عليه من قبل أحد حراس القصر واسمه " هامان "، ومع ذلك حول القصة ومسألة انتساب تلك المقابر إلى أستر ومردخاي اليهوديان بأنها مختلفة عن الكتاب المقدس ومشتتة كثيراً [6].

لكن بغض النظر عن صحة ما ذكر، فإن وجود تلك المقابر منذ القرن 6هـ / 12م، فقد حازت على أهمية كبيرة من حيث إقبال اليهود إليها، وسكن عدد من يهود همدان في أطراف تلك المقابر، وينسب يهود همدان قسم من المقابر الأخرى أيضاً إلى أنبياء بني إسرائيل [7].

1- الرحلة، ص190.

2- Benjamin، p.53.

3- رحلة بنيامين، ص160.

4- نفسه، ص190.

5- نفسه، ص190.

6- ذيلابي، تمركز جمعيتي، ص34.

7- نفسه، ص34.

ومدينة نهاوند كذلك من بين كور (مدن) إقليم الجبال [1]، وتسكنها طائفة لا تؤمن بدين الإسلام، يعتصم أتباعها بالجبال، ويقيم بين ظهرانيهم نحو أربعة آلاف يهودي، يسكنون الجبال مثلهم ويرافقونهم في غزواتهم وحروبهم، وبينهم من العلماء التابعين لنفوذ رأس الجالوت ببغداد [2]. وفي بلدة رودبار (روذبار) بالقرب من همذان من ناحية الجبال بين همذان ونهاوند [3]، ويذكر بنيامين أن بها نحو عشرين ألف يهودي [4].

وعلى الرغم من وجود أعداد كبيرة من اليهود في بلاد إيران إلا أن ما ذكره بنيامين حول عددهم في روذبار هو مبالغ فيه بلا أدنى شك إذا ما قورن بأعداد اليهود في باقي مدن إيران مثل أصفهان ومالها من أهمية لدى اليهود، عددهم فيها خمسة عشر ألف كما أشرنا إليه من قبل، أو غيرها من المدن التي ستذكر لاحقاً، وذلك يؤكد ما ذكر سابقاً أن الرحالة بنيامين يتلاعب بالأرقام بقصد أو بغير قصد، وإلا فكيف تمكن من إيراد أعداد اليهود في تلك المدن، مع ملاحظة أن بعض المدن يذكر أسماء لشخصيات يهودية وكذلك عدد الكنس اليهودية الخاصة بهم وذلك ما لم يفعله في أماكن أخرى، مما يعني أنه ربما لم يدخل تلك المدن، وأنه نقلها عن طريق غيره ممن قابلهم من اليهود.

أما مدينة فارس (شيراز) فذكر الإصطخري بحق يهودها قائلاً: ((وأما أهل الملل منهم فإن فيهم اليهود والنصارى والمجوس، وأكثر هذه الملل المجوس وهم الغالبون على سائر الملل في الكثرة ثم النصارى ثم اليهود))[5]. وبذلك يحتل اليهود من حيث عدد السكان المرتبة الثالثة. ويؤكد ابن حوقل ذلك بقوله: ((وبفارس اليهود أقل من النصارى))[6].

وذكر بنيامين أن فيها نحو عشرة آلاف يهودي [7]، من دون الإشارة إلى أية تفاصيل أخرى. بينما الرابي بتاحيا فكانت فارس المدينة الوحيدة التي تمكن من زيارتها من دون

1- ابن خرداذبة، المسالك، ص19؛ الإصطخري، المسالك، ص197.
2- رحلة بنيامين، ص185.
3- الحموي، معجم، 3 / 78.
4- الرحلة، ص184.
5- المسالك، ص139.
6- صورة الأرض، 2 / 292.
7- رحلة، ص191.

ذكر تفاصيل، واكتفى بكلام عـام بقولـه: ((كمـا يعيش الكثير منهم - أي اليهود - في بلاد فارس)) [1].

وفي المدينة عدة أحياء، فيذكر الناصري أنّه كانت في شيراز أحد عشر محلة (حي) يقيم اليهود في أشهر تلك الأحياء وهو يختلف عن غيره، وهو من أكثر الأحياء كثافة سكانية، ويوجد الآن فيه عدد من الكنائس في المدينة [2].

وطبرستان (مازندران) وتتميز بأنها منطقة سهلية بحرية ولها أيضاً جبال كثيرة[3]، وذكر العزيزي أنها في نهاية المنعة والحصانة بالجبال المحيطة بها من كل جانب[4]، وأشار بنيامين أن فيها نحو أربعة آلاف يهودي[5]. من دون الإشارة إلى تفاصيل أخرى.

ومن بين الأماكن الأخرى لتواجد اليهود الأحواز وموقعها بين البصرة وفارس، ويقال لها خوزستان[6]، وفيها نحو سبعة آلاف يهودي، وعندهم أربعة عشر كنيساً، يقال في أحدها قبر النبي دانيال (ﷺ)، ويقيم اليهود بالجانب المعمور من المدينة حيث الأسواق والمتاجر وبيوت الموسرين[7]. مع التحفظ على عدد اليهود فيها ولا يمكن الجزم بصحته ولم تذكره المصادر الأخرى.

وتستر (شوشتر) التي تعد من أعظم مدن الأحواز (خوزستان)[8]، وقد أوضح ابن مسكويه ضمن أحداث (ق 4 هـ / 10م) أن تستر كانت مركزاً اقتصادياً مهماً[9]، بل إن اليهود كانت لهم مشاركة كبيرة في ازدهار المدينة، وربما كان سبب هجرة بني سهل، له علاقة بأمر التنكيل بيهود تستر وأحوازها في أيام البويهيين[10]. ومما يؤكد ذلك الدور

1- رحلة، ص97.
2- فارسنامة، 2 / 908. نقلاً عن ذيلابي، تمركز جمعيتي، ص35.
3- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص354؛ القزويني، آثار البلاد، ص304.
4- المسالك، ص150.
5- رحلة، ص190.
6- القزويني، آثار، ص152.
7- رحلة بنيامين، ص183.
8- الحموي، معجم، 2 / 29.
9- تجارب الأمم، 5 / 228.
10- تجارب الأمم، 5 / 345-346.

الاقتصادي المهم لبني سهل ما أوردته المصادر الإسلامية [1]، وكذلك ورود أسمائهم في وثائق الجنيزة [2].

ويعد إقليم خراسان في شرقي إيران منطقة استيطان يهودية مهمة[3]، ويشير فيشيل إلى أن الأساطير اليهودية تجعل من خراسان المواطن الأصلي للقبائل العشر الإسرائيلية[4]. ولعل أقدم النصوص التي تؤكد وجود اليهود في مرو عاصمة خراسان، ما ذكره الطبري في الخطبة التي ألقاها والي خراسان نصر بن سيار (ت 131 هـ / 748م) إذ قال: ((ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس، يمنحهم ويدفع عنهم، ويحمل أثقالهم على المسلمين، ألا إن أشيداد بن جريجور كان مانح النصارى، ألا إن عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك، ألا إني مانح المسلمين أمنحهم وأدفع عنهم، وأحمل أثقالهم على المشركين...))[5]، وفي ذلك أشارة واضحة تبين وجود أقلية يهودية في مرو، وأن رئيسها أسمه عقيبة.

وذكر المقدسي بقوله: ((وبه يهود كثير ونصارى قليلة، وأصناف المجوس)) [6]. وبناءً على ذلك كانت نسبة اليهود أكثر من نسبة النصارى.

أما مدينة بلخ فلعلها أكثر ارتباطاً من غيرها من مدن خراسان بالتاريخ اليهودي. وتشير الأساطير اليهودية إلى أنها كانت في الأساس ملجأ للاجئين اليهود الذين هربوا بعد تدمير نبوخذ نصر لبيت المقدس[7]. وكان لها سبعة أبواب يطلق على أحدها باب اليهود[8]، ربما كان بقربه محلة لسكن اليهود، أو قد يكون الباب يقع باتجاه مدينة اليهودية، وهذه

1- للمزيد عن بنو سهل ينظر: ناصر خسرو، سفرنامه، ص109؛ المقريزي، المواعظ والإعتبار، 2 /317-318؛ ابن تغري بردي، النجوم، 5 /19.

2- Mann, The Jews in Egypt, vol.1, p.76; vol.2,p.75; Fischel, Jews in the economic and political life of Mediaeval islam,p.68-70.

3- فاروق عمر فوزي، لمحات تاريخية عن أحوال اليهود في العصر العباسي، ص298.

4- Fischel, The Jews of Central Asia, p.33.

نقلاً عن فاروق عمر، لمحات، ص298.

5- تاريخ، 7 / 173.

6- أحسن التقاسيم، ص323.

7- الحموي، معجم، 1 / 479؛ فاروق، لمحات، ص299.

8- الإصطخري، المسالك، ص278.

الأخيرة تعد من مدن الجوزجان، ويشير ابن حوقل أنها مدينة مقتدرة جامعة للصنائع والتجارة، وهي من أكبر مدن الجوزجان [1].

أما ميمنة فهي من قرى بلخ، وكان يقال لها في العصور الوسطى، جهوذان الكبرى ومعناها بالفارسية اليهودية [2]. وأما ما يخص تواجد اليهود في نيسابور فذكر احد الباحثين المحدثين إن أبا عبد الله الحاكم ذكر بناء قرية لليهود باسم " دوديه يهود "، وكذلك أسماء علماء نيسابور الكبار، ومنهم الإمام أبو يعقوب الكرامي، والذي أسلم على يده خمسة آلاف يهودي أو أكثر [3].

لكن بعد مراجعة كتاب أبي عبد الله الحاكم وبنسختيه العربية والفارسية، لم يشر إلى وجود منطقة لليهود في نيسابور، وكذلك ما يخص بإسلام خمسة آلاف يهودي على يد أبي يعقوب الكرامي، فالنص في كلا النسختين هو: ((إسحاق بن محمشاد الزاهد أبو يعقوب الكرامي شيخهم وإمامهم، . . . إنه أسلم على يد أبي يعقوب الكرامي من أهل الكتاب والمجوس ما يزيد على خمسة آلاف رجل وامرأة)) [4].

ويتبين من النص أن كلام الباحث غير دقيق لكن ذلك لا يعني عدم وجود يهود في المدينة، فقد أشار بنيامين إلى وجودهم بنيسابور على شواطئ نهر غوزان، ويزعمون أنهم من بقايا الأسباط الأربعة من بني إسرائيل التي أسرها شلمناصر ملك آشور، وأنهم مستقلون لا يدنون بالطاعة لغير رئيسهم يوسف أمركلة اللاوي ومن معه من كبار علماء الدين، وأنهم يسكنون في مناطق الجبال [5]. وقد اكتفى بذكر هذه المعلومات من دون الإشارة إلى أماكن تواجدهم أو معابدهم.

وجرجان التي تقع على شواطئ بحر قزوين، وذكر الحموي أنها مدينة مشهورة عظيمة، وليس بالمشرق بعد تجاوز العراق مدينة أجمع ولا أظهر حسناً منها [6]، وأشار

1- صورة الأرض، 2 / 442.
2- الحموي، معجم، 2 / 194.
3- ذيلابي، تمركز جمعيتي، ص37.
4- تاريخ نيسابور، ص84؛ والطبعة الفارسية، تاريخ نيشابور، ص141.
5- رحلة، ص192-194.
6- معجم، 2 / 119.

إلى باب اليهود بجرجان [1]. وذلك يشير إلى تواجد اليهود في المدينة وهي كغيرها من المدن وسمّي باب اليهود لسكن اليهود فيها.

ومن مدن بلاد ما وراء النهر سمرقند فذكر بنيامين أن فيها نحو خمسين ألف يهودي، بينهم عدد كبير من العلماء وعندهم عوبديه الموكل بهم من رأس الجالوت ببغداد [2]. ولعل الرقم المشار إليه مبالغ فيه. أما في مدينة خوارزم فقد أشار ابن فضل الله العمري أن فيها مائة بيت من اليهود، ومثلهم من النصارى، ولا يسمح لهم في الزيادة على ذلك [3].

وربما المقصود بعدم السماح لهم بالزيادة أكثر من مائة بيت هو الحد من هجرتهم إلى خوارزم.

ولا بد من الإشارة إلى أن ما أوردته المصادر لا يعطي صورة واضحة عن تواجد اليهود إلا في المدن الرئيسية مع أن البعض منها ذكر مؤلفوها اعداداً لليهود بعيدة عن الصحة، كما أشير إلى ذلك.

1- نفسه، 5 / 454.
2- رحلة، ص192.
3- مسالك الأبصار، 3 / 193.

الفصل الثاني

النشاط الزراعي لليهود

الفصل الثاني
النشاط الزراعي لليهود

إنَّ أولى الحرف التي مارسها الإسرائيليون كانت رعي الأغنام، بل إن حياة الرعاة كانت الحياة المثالية للمجتمع الإسرائيلي [1]، وكانت كل عشيرة تسير خلف قطعانها بزعامة رئيسها، وقد يدفعها القحط المفاجئ إلى الانقسام إلى جماعتين، كل واحدة تستقل بنفسها، وتذهب إلى سبيلها، مثلما فعل " أبرام " مع ابن أخيه " لوط " حينما زاد عدد الغنم عن كمية العشب. هذا وقد مارس الإسرائيليون حرفة الرعي منذ أول لحظة وصلوا فيها أرض الكنانة [2]، وذلك حين يطلب يوسف الصديق (عليه السلام) من أبيه وإخوته أن يقولوا لملك مصر: ((عبيدك أهل مواشٍ منذ صبانا إلى الآن نحن وآباؤنا جميعاً)) [3].

وقد أكد القرآن الكريم في سورة يوسف أنهم أهل بادية، في قوله تعالى: ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾ [4]. وذكر المفسرون أنهم كانوا في بادية بأرض كنعان أهل مواشٍ وخيام وبرية [5]. وفي سياق قصة يعقوب (عليه السلام) مع أبنائه من مناطق سكناهم في البادية أي بادية فلسطين إلى مصر [6]، وتشير التوراة بأنهم كانوا حينها سبعين شخصاً وقد أحضروا معهم جميع ما لديهم من ماشية، فأسكنهم يوسف (عليه السلام) في منطقة جاسان (بلبيس) [7]، التي تمتاز بمراعيها الخصبة، مما يعد بالتأكيد تحولاً

1- مهران، بنو إسرائيل، 4 / 663.
2- تكوين 13: 6-13، 12-17؛ مهران، بنو إسرائيل، 4 / 663-664.
3- تكوين 46: 33-34.
4- سورة يوسف، الآية 100.
5- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 16 / 275؛ الماوردي، النكت والعيون، 3 / 84؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 9 / 267.
6- سورة يوسف، الآية 99-100.
7- تكوين، 47، 5-6.

كبيراً في نمط معيشتهم وحياتهم بشكل عام، إذ عرفوا هناك حياة الاستقرار لأول مرة وتعلموا شتى أنواع الحرف [1].

وعلى الرغم من ندرة المعلومات الاقتصادية لبني إسرائيل [2]، نجد في القرآن الكريم ما يشير إليها، إذ أنهم قالوا لموسى (عليه السلام) أثناء فترة التيه [3]، ما ذكره تعالى: ﴿ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ [4]، وفي طلب بني إسرائيل لهذه الأطعمة دلالة على اشتغالهم بالزراعة[5]، وفي قصة البقرة التي أمر الله بني إسرائيل في ذبحها ما يدل على تربيتهم للأبقار وحرصهم على عدم التفريط بها [6].

واستمر الإسرائيليون على بداوتهم طوال سني التيه الأربعين، يرعون ماشيتهم ويزرعون الحبوب في بعض مراحل تنقلهم، وكانت واحة قادش ومنطقة عبر الأردن بصفة خاصة تتناسب مع الزراعة البسيطة وأسلوب الحياة الرعوية، ومن ثم فان الوافدون الجدد عندما وصلوا إلى كنعان لم تكن الحياة الزراعية صعبة عليهم [7]، وباستقرارهم في ربوع كنعان، استمرَّ بعضهم على حرفة الرعي لاسيما في الهضاب الجنوبية، في حين تحولت غالبيتهم إلى فلاحة الأرض وزراعة الحبوب [8].

وبديهي إن الإسرائيليين إنما أخذوا الزراعة عن الكنعانيين، وأصبحوا بالتدرج مجتمعاً زراعياً خالصاً، وكانت صادرات البلاد من قمح وخمر وزيت ودهن وما إلى ذلك. ترسل إلى فينيقية، التي لم يكن لديها غير أراضٍ ضيقة، لا تكفي لإعاشة مدنها الكبيرة، وتحصل بلاد اليهودية في مقابل ذلك على ما تصنعه في مصانعها، أو ما تأتي به من

1- فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، 1 / 191.
2- علي عبد الواحد وافي، اليهودية واليهود، 120.
3- عبد الغني غالي فارس، الحياة الاقتصادية للأمم والشعوب القديمة، ص117.
4- سورة البقرة، الآية 61.
5- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 1 / 145.
6- ينظر سورة البقرة، الآيات: 67-73؛ فارس، الحياة الاقتصادية، ص117.
7- نقلاً عن مهران، بنو إسرائيل، ص664.
Lods, Israel from its Beginning to the Middle of the Eight Century، p. 387.
8- نقلاً عن مهران، بنو إسرائيل، ص665.
Lods, Israel, P.449.

العالم، الذي كانت لها علاقة به، من الحلي والرياش، والسلاح والنسيج، والخشب والعاج [1].

وقد ورد في التلمود البابلي كثير من الشروح والتعاليم والإشارات المتعلقة بالزراعة التي تعتمد على الري وعلاقة المزارعين بعضهم مع بعض من حيث الواجبات والحقوق، وهذه موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود الذين كانوا يمارسون مهنة الزراعة في بلاد بابل[2]. فقد تناول التلمود (المشنا) في قسمه الأول الزروع (زراعيم)، القوانين الخاصة بالزراعة سواء ما يتعلق بالحقل أو المزروعات، وفي شرح الأحكام التوراتية المتصلة بحقوق الفقراء والكهنة في غلال الأرض وحصادها. كما يشرح القواعد والأنظمة المتعلقة بالفلاحة والحراثة وزراعة الحقول والبساتين وأحكام السنة السبتية[3]، ويتناول كذلك أحكام العشور فضلاً عن إلى المخاليط المحظورة في النبات والحيوان والكساء[4].

بل إن من أساسيات التعليم لدى اليهود أن يكتسب الأطفال معلومات ومعارف عن الزراعة وعلم النبات، والقوانين التطبيقية لزراعة البذور (الحبوب) وخلطها [5]. وكانت الزراعة مفضلة لدى اليهود على التجارة رغم فوائدها الكبيرة، ولذلك لم يترددوا في شراء الأرض [6]. ويشير بارون (Baron) إلى أن تحول اليهود من الزراعة إلى الحرف والتجارة وإقراض النقود بدأت منذ العصر التلمودي [7].

وبقيت الزراعة الوظيفة الرئيسية لليهود الذين يعيشون في أقطار متعددة ففي فلسطين أصبحت للزراعة أهمية بوصفها المصدر الأساس للدخل بعد سنة (200 م) [8]. وذلك أمر طبيعي إذا علمنا أن اليهود كانوا قد طردوا من بيت المقدس في سنة (70م) من

1- لوبون، اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ص67.
2- سوسة، ملامح، ص129.
3- السنة السبتية، تعني ترك الأرض (بور) بدون زراعة لإعادة خصوبتها. ويحرم في هذه السنة جني ثمار الأشجار أيضاً. اللاويين، 25: 1-9.
4- التلمود (المشنا)، مقدمة الترجمة، 1 / 23.
5- Drazin, History of Jewish Education, P.92.
6- Haney, History of Economic thought, p.31.
7- A Social and Religious history of the Jews, vol.2, P.244.
8- Botticiini, From Farmer to Merchants: A Human capital interpretation of Jewish Economic History, p.6.

الرومان وحرمت عليهم كما أشرنا في الفصل الأول، وما ترتب عليه أن أعدادهم كانت قليلة في فلسطين.

ولا بد من الإشارة إلى أن ما تم الحديث عنه سابقاً أنما كانت الغاية منه بيان الأساس الاقتصادي لليهود، وتبين من حلاله أن اليهود اتخذوا الرعي عملاً لهم وحرفة ثم أخذوا يشتغلون بالزراعة بعد ذلك، وفضلوها على أي حرفة أو مهنة أخرى، حتى أنهم فضلوها على التجارة، وظهر ذلك التفضيل في أن التوراة وهي كتابهم المقدس لم تتكلم عن التجارة بينما حوت الكثير عن الزراعة [1].

1- ظاظا وعاشور، اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة، ص39.

المبحث الأول
في الحجاز واليمن

إن الحديث عن النشاط الزراعي لليهود في الحجاز لا يمكن فصله بأي حال من الأحوال عن الحديث عن يثرب (المدينة المنورة)، لأن المواطن التي سكن فيها في المدينة هي بالأصل عبارة عن واحات تتوافر فيها الشروط اللازمة لممارسة العمل الزراعي. ذلك لأن المدينة تقع في منطقة خصبة تسيل فيها الوديان وتغذيها الينابيع الغزيرة. وقد قام السكان بحفر الكثير من الآبار لري مزروعاتهم [1].

وترد إشارات كثيرة لهذه الآبار، ويتضح من هذه الإشارات أن ملكيتها كانت أصلاً لليهود [2]، ومنها بئر أريس نسبة إلى رجل يهودي يقال له أريس، ومعناه بلغة أهل الشام الفلاح [3]. وبئر الأعواف التي كانت لخنافة اليهودي [4]، وهناك أيضاً بئر رومة وكانت ليهودي أمر رسول الله (ﷺ) بشرائها فاشتراها عثمان بن عفان (ﷺ) [5]، وبئر ذروان في بستان لأحد اليهود، وهي البئر التي ذكر أن لبيداً بن الأعصم اليهودي سحر رسول (ﷺ) لها [6]، وغيرها من الآبار الأخرى.

وقد استأثرت قبائل اليهود الرئيسية، بنو النضير، وبنو قينقاع، وبنو قريظة، بالأراضي الخصبة في المدينة [7]، وقد أشار الوكيل إلى سيطرة اليهود الزراعية على المدينة بقوله: ((كان اليهود في يثرب أغنى سكانها، وكانوا يملكون مساحات واسعة من الأراضي تغل عليهم ما يكفيهم ويزيد عن حاجاتهم، ونتيجة لذلك دخل على العرب من غلة

1- درادكة، العلاقات، ص169.
2- شاهين، النشاط الاقتصادي لليهود في الحجاز، ص29.
3- السمهودي، وفاء الوفا، 3 / 119.
4- نفسه، 3 / 124.
5- ابن شبه، تاريخ المدينة، 1 / 152-154؛ ابن قتيبة، المعارف، ص192.
6- صحيح البخاري، 5 / 2174 رقم (5430)؛ ابن سعد / الطبقات، 2 / 196.
7- الشريف، مكة، ص246.

أراضيهم ما يكفيهم لسد حاجاتهم الضرورية، وقد اكتسب هذه الميزة بسبب وضع أيديهم على المناطق الغنية بخصوبة التربة ووفرة المياه..)) [1].

ومن أشهر المزروعات الني تشتهر بها المدينة المنورة، والواحات الأخرى التي استوطنها اليهود في الحجاز أشجار النخيل يزرعونها في مغارس كبيرة، وقد يحوطونها فتكون حدائق، وكانت أرض المدينة المنورة صالحة لزراعة النخيل حتى ليقال: إن ودّية النخل تثمر بعد عام من زرعها، وعلى إنتاج النخيل يعتمد السكان، فكان التمر جل طعامهم[2]. وكانت بساتين اليهود وحدائقهم تعرف بالحوائط [3].

وتشير العديد من الدلائل على توسع اليهود في زراعة أشجار النخيل، واعتزازهم بهذه الثروة [4]، وذلك يبدو واضحاً عندما حاصرهم النبي (ﷺ) وأمر بقطع وحرق نخل بني النضير [5]، فشق ذلك عليهم كثيراً لضياع هذه الثروة الكبيرة، وراحوا يناشدونه (ﷺ) ويرجونه التوقف عن ذلك، وانتهى الأمر بانهيار مقاومتهم واستسلامهم [6]. ومن هذه الإشارات أيضا أن اليهود كانوا عند مكاتبة عبيدهم يكاتبونهم على أعداد كبيرة من النخل، مثلما حدث مع سلمان الفارسي(ﷺ) الذي كان عبداً ليهودي عند الهجرة، إذ كاتبه سيده على ثلاثمائة نخلة، وأمر الرسول (ﷺ) لأصحابه: " أعينوا أخاكم "، فأعانوه بالنخل [7]، مما يشير بلا شك أن مثل هذا العدد من النخيل كان يشكل ثروة، بحيث لم يتمكن سلمان (ﷺ) من أدائها لولا مساعدة الصحابة له.

ولم تكن زراعة النخيل حكراً على المدينة لوحدها من دون واحات الحجاز التي عاش بها اليهود سواء فدك أو خيبر أو تيماء التي كانت غنية بأشجار النخيل [8]، كخيبر التي قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن تمرها: ((لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من

1- يثرب قبل الإسلام، ص152
2- الشريف، مكة، ص292-293.
3- صحيح البخاري، 4 / 1547 رقم (3993)؛ ابن منظور، لسان العرب، 7 / 280.
4- ابو زهري، يهود المدينة، ص195.
5- ابن سعد، الطبقات، 2 / 57-58؛ السمهودي، وفاء الوفاء، 4 / 35.
6- ابن هشام، سيرة، 2 / 191.
7- ابن هشام، سيرة، 1 / 230؛ الطبراني، المعجم الكبير، 6 / 226.
8- شاهين، النشاط الاقتصادي، ص30.

التمر)) [1]. وقول يهود خيبر الذين قالوا عن أنفسهم: ((نحن أرباب النخل وأهل المعرفة بها)) [2]، وما يؤكد ذلك قول الحباب بن المنذر (ت نحو 20 هـ / 640م) عند حصار منطقة الحصون لرسول الله (ﷺ): ((إن اليهود ترى النخل أحب إليهم من أبكار أولادهم)) [3].

ومما يشير إلى كثرة محصول التمر أن وادي الكتيبة (خيبر) كان ينتج ثمانية آلاف وسق (1120 طن) من التمر [4]. وذكر عبد الرزاق الصنعاني أن رسول الله (ﷺ) بعث عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) (ت 8 هـ / 629م) ليخرص [5] على يهود خيبر النخل، فخرصها أربعين ألف وسق (5600 طن)، ولما خيرهم عبد الله بن رواحة (رضي الله عنه) أخذوا التمر وعليهم عشرون ألف وسق [6].

وللنخل أنواع متعددة الأصناف ومتفاوتة في الجودة والطعم، وكان ليهود بني النضير نوع فاخر من التمر يقال له " اللوز " أصفر شديد الصفرة ترى النواة فيه من اللحمة [7]. ومن أنواع تمرهم العجوة والبرني [8]. ويذكر ولفنسون رواية تشير إلى أن اليهود أدخلوا أنواعاً جديدة من الأشجار وطرقاً جديدة للحراثة والزراعة بالآلات حتى عدوا من أجل هذا أساتذة الحجاز [9]. ويبدو أن قول ولفنسون غير دقيق، وذلك ما يؤكده شاهين، من أن الأمر يعود للبيئة الحجازية نفسها التي وجد اليهود أنفسهم بها، هذه البيئة التي أسهمت في إنجاح عملية تطوير العمل الزراعي التي فرضت عليهم هذا النمط الزراعي في المدينة، وفرضت بالمقابل العمل في التجارة على مكة، وهذا ينفي قول ولفنسون بأن اليهود كانوا أساتذة الحجاز في ممارسة العمل الزراعي، لأنه بهذا ينكر دور

1- صحيح البخاري، 4 / 1550 رقم (3999).
2- الواقدي، مغازي، 2 / 690.
3- نفسه، 2 / 644.
4- الواقدي، مغازي، 2 / 693. والوسق يساوي (60) صاعاً وصاع التمر حوالي (2،346 كغم)، فيكون الوسق حوالي (140 كغم)، الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص29؛ محمود الجليلي، المكاييل والأوزان، ص104.
5- الخرص، الحرز في العد والكيل ما على النخل من الرطب تمراً، والحرز للتمر إنما هو تقدير بظن لا إحاطة. الفراهيدي، العين، 4 / 183؛ ابن منظور، لسان العرب، 7 / 21.
6- المصنف، 4 / 124 رقم (7205).
7- الشريف، مكة، ص293؛ درادكة، العلاقات، ص172.
8- السهيلي، الروض، 6 / 159؛ ابن حبان، الثقات، 1 / 242.
9- تاريخ اليهود، ص17

القبائل اليمانية، ذات التراث العريق والخبرة الزراعية الواسعة التي جلبتها معها من اليمن موطنها الأصلي، وطبقتها في المدينة [1].

ويعد الشعير من أبرز المحاصيل التي أهتم بها اليهود والعرب على حد سواء، وكان يزرع تحت أشجار النخيل وفي الحقول[2]، فذكر الإمام أحمد، أنه كان عامة خبزهم شعيراً[3]، وكذلك يستعملونه علفاً لماشيتهم[4]. وأما القمح فلم يكن منتشراً مثل الشعير، إذ كانت كمياته محدودة[5]، وكان أهل المدينة يستوردونه من البلقاء بأرض الشام[6].

ومن بين المزروعات التي عرفت في المدينة، بعض أصناف الفواكه كالعنب والموز والليمون والبطيخ، وبعض أصناف الخضراوات والبقول كالقرع واللوبياء والبصل والثوم والقثاء والسلق [7]. وعلى الرغم من اشتغال معظم السكان بالزراعة فإن حاصلات المدينة الزراعية لم تكن كافية لتمويل سكانها، فكانوا يستوردون ما يسد حاجتهم من بلاد الشام[8].

إن عملاً يقوم على الزراعة من الطبيعي يلازمه الاهتمام بتربية الحيوانات والطيور، وهكذا كان حال اليهود في المدينة [9]. ومن بين تلك الحيوانات الإبل، وترد إشارات عنها خلال مفاوضات بني النضير مع النبي (ﷺ) إذ أتفق الطرفان على جلاء اليهود وأن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحلقة (السلاح) [10]، وتظهر عملية الجلاء أعداد الإبل التي يملكونها، إذ استعملوها في الرحيل ستمائة بعير [11]، فضلاً عن استعمالهم للإبل في السفر

1- النشاط الاقتصادي، ص32.
2- المقريزي، إمتاع الأسماع، 1 / 191، 323.
3- المسند، 4 / 150 (2303)؛ ابن القيم، زاد المعاد، 4 / 200.
4- محمد السيد الوكيل، يثرب، ص149.
5- ابن حجر، فتح الباري، 3 / 374؛ أبو زهري، يهود المدينة، 197.
6- الكتاني، التراتيب الإدارية، 2 / 38.
7- ابن حجر، فتح الباري، 4 / 384، 8 / 623، 9 / 545، 564، 575؛ الشريف، مكة، ص294.
8- صحيح البخاري، 2 / 782 رقم (2128)؛ الشريف، مكة، ص294.
9- أبو زهري، يهود المدينة، ص198.
10- ابن هشام، السيرة، 2 / 191؛ ابن سعد، الطبقات، 2 / 58؛ الحاكم، المستدرك، 2 / 525، رقم (3797).
11- ابن سعد الطبقات، 2 / 75.

ونقل الأمتعة، كان اليهود يستعملونها في نقل مياه الآبار والوديان إلى المناطق الزراعية النائية، وتلك الإبل تعرف بالنواضح [1].

وقد عرف اليهود تربية الماشية، فقد عثر المسلمون فيما عثروا عليه في بني قريظة بعد القضاء عليهم على مواشي كثيرة [2]، وكانوا في مقنا يشتغلون بصيد الأسماك. وكانت نسائهم تشتغل بغزل النسيج [3].

أما عن أثر اليهود على النشاط الزراعي في المدينة خاصة والحجاز عامة، فقد ذهب ولفنسون أن المدينة شهدت تدهوراً في أحوالها الاقتصادية بعد زوال اليهود منها[4]. إن هذا الكلام ينافي الحقيقة إذ لم تتدهور أحوال المنطقة الاقتصادية، فكان لدى المسلمين الكثير من الخدم الذين يقومون على العمل بالأراضي التي صولح عليها اليهود[5]. وقد كان النبي(ﷺ) قد اشترط عليهم لما صالحهم أن يخرجهم متى شاء[6].

ولا بد من الإشارة إلى أن المسلمين كانوا مضطرين لحمل السلاح في العهد النبوي وما بعده للدفاع عن أنفسهم وحماية دينهم، فلم يكن لهم من الوقت ما يصرفونه على شؤون الزراعة والصناعة [7]. وأمر آخر إن خروج المسلمين إلى خارج الجزيرة إنما أملته عوامل الفتوح، وقد استطاع المسلمون أن يحصلوا على بلاد جديدة أكثر خصباً من منطقة الحجاز، ولذلك أصبحت غلات هذه البلاد بين أيديهم [8].

ولكن ولفنسون يناقض نفسه عندما ينقل رأي طه حسين الذي يرى أن انحطاط المدينة والحجاز عامة من الوجهة المادية لم يكن ناشئاً عن أضعاف اليهود وإجلائهم، وإنما كان نتيجة لازمة لانتقال النشاط العربي إلى جهة أخرى خارج البلاد العربية، وهو يرى أن اليهود لو أنهم ظلوا مسالمين للنبي (ﷺ) والمسلمين حتى تمت الفتوح لبخلوا

1- نفسه، 2 / 75.
2- نفسه، 2 / 75.
3- البلاذري، فتوح، ص61-62.
4- تاريخ اليهود، ص152.
5- محمد بن إبراهيم أبا الخيل، تاريخ الخلفاء الراشدين، ص203.
6- ابن حجر، فتح الباري، 5 / 328.
7- درادكة، العلاقات، ص351.
8- نفسه، ص351-352.

بنشاطهم الطبيعي على هذه الأرض الحجازية التي لم يستعمروها إلا مضطرين ولالتمسوا لأنفسهم مستعمرات أخرى أخصب وأجلب للنفع في العراق والشام أو مصر أو غيرها من البلاد التي فتحت على يد المسلمين [1].

أما عن النشاط الزراعي لمناطق الحجاز الأخرى فتكاد تكون معدومة سوى إشارات محدودة، ومنها الطائف إذ يشير البلاذري إلى: ((أن قصي قد مر بيهودية بوادي القرى عندما قتل المصدق ملك اليمن، فأعطته قضبان كرم فغرسها بالطائف فأطعمت وأثمرت ونفعته))[2]. ويعلق شاهين على ذلك النص قائلاً: ((ان مصادرنا تذهب بعيداً حيث ترى أن بدايات الزراعة في الطائف كانت على أيدي هؤلاء اليهود)) [3]. ويرى الباحث أن النص أعلاه لا يثبت أن بدايات الزراعة في الطائف على يد اليهود. ومع عدم استبعاد عملهم بالزراعة في الطائف، فمن بعضهم أشترى معاوية أمواله بالطائف [4].

أما في اليمن فقد حظيت الزراعة باهتمام خاص بين أهل اليمن منذ القدم، وخير دليل على ذلك ما ورد في القرآن الكريم عن مملكة سبأ في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ سبأ: آية 15 [5]. والجنتان هما بساتين تحتوي شتى أصناف الأشجار الغنية بالفواكه، وكانت منتشرة بين ناحيتي الجبلين عن يمين السد – مأرب – وعن شماله، نظراً لخصوبة تربة بلادهم، واعتدال مناخها وعذوبة مياهها [6]، ويشير الهمداني، أنها سميت اليمن الخضراء لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها [7].

علماً أن ما يتوفر من روايات عن نشاطهم الزراعي لا تعدو كونها أشارات غير مباشرة، ومنها أنها على الرغم مما أوردته كتب التاريخ سنة (20 هـ / 640 م) وأمر الخليفة

1- تاريخ اليهود، ص154.
2- انساب الأشراف، 1 / 27، 12 / 268.
3- النشاط الاقتصادي، ص45.
4- البلاذري، فتوح، ص57.
5- للمزيد ينظر، الطبري، جامع البيان، 20 / 376: الزمخشري، الكشاف، 3 / 575: الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، 25 / 200.
6- فارس، الحياة الاقتصادية، ص128.
7- صفة جزيرة العرب، ص51.

عمر بن الخطاب (ﷺ) بإجلاء يهود نجران إلى النجرانية بناحية الكوفة[1]، ومن تلك الإشارات أن أهل الذمة من النصارى واليهود ظلوا يقيمون في نجران حتى القرن الرابع للهجرة [2]، إذ تذكر أملاكهم في نجران، " وأما أصحاب الضياع [3] من اليهود والنصارى، فمن كان في يده ديماً بالوراثة من أجداده فليس لنا عليه سبيل " [4]. وهي إشارة واضحة عن أراض زراعية، ويعتقد أن البعض منهم كان يزاول العمل الزراعي، ولعل البعض من تلك الضياع كانت تشكل مزارع صغيرة لهم.

كما يؤكد الرازي وجودهم في صنعاء منتصف القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر الميلادي، إذ يقول: ((فاتخذ النصارى الكنيسة بصنعاء في الجانب العدني، محاذية لبيعة اليهود التي هي اليوم باقية بصنعاء)) [5]، وكان أهل الذمة يملكون أراضٍ واسعة، وان نصارى نجران ويهودها كانوا يشترون الكثير من الأراضي الزراعية للمسلمين في نجران[6]. وذلك يشير إلى تسامح الإمام أحمد بن سليمان (532-566هـ / 1137-1170م) في عهد الدولة الصليحية بحيث يتمكنوا من شراء الأراضي الزراعية، وأمر طبيعي أن من يملك أرضاً زراعية واسعة لا بد من أنه يمتلك الخبرة الزراعية، حتى وإن لم يزاولها بيده.

وما يؤكد الكلام أعلاه ما ذكره بنيامين عن يهود اليمن أن لديهم أراضاً واسعة، ويعمل البعض منهم بالزراعة، والبعض الآخر يرعى الماشية [7]. وكذلك قارن انتشار سكنهم في القرى التي بلغ عددها (359) قرية [8]، يدل بشكل قاطع أن عملهم الأساسي هو مزاولة الزراعة أو ما يتعلق بها كونهم من سكان الأرياف، وذلك يختلف عمن سكن في المدن التي اتخذت من التجارة وحرف أخرى كعمل لهم.

1- البلاذري، فتوح، ص68؛ الطبري، تاريخ، 4 / 112؛ ابن الأثير، الكامل، 2 / 387.
2- إيمان أحمد شمسان، اليمن في العصر العباسي الأول، ص83.
3- الضياع: مال الرجل من النخل والكرم والأرض. الهروي، تهذيب اللغة، 3 / 47.
4- العلوي، سيرة الهادي العلوي يحيى بن الحسين، ص47.
5- تاريخ مدينة صنعاء، ص90.
6- سليمان بن يحيى الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، ص43-44؛ محمد عبده محمد السروري، الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن، ص727.
7- رحلة، ص179.
8- فخري، اليمن، ص35.

وأما في البحرين فتشير المصادر إلى ابن يامن اليهودي الذي ذكر في الفصل السابق، أنه يمتلك ضياعاً وبساتين ووصف امرؤ القيس بساتين نخيله وكثافتها:

أو المكرعات من نخيل ابن يامن

دوين اللائي يلين المشقرا [1]

مع قلة المعلومات عن يهود البحرين وعملهم بالزراعة، لكن يبدو أنهم كباقي يهود شبه الجزيرة العربية قد كونوا مستوطنات زراعية، أو أنهم عملوا في الزراعة أسوة بإقرانهم في فدك وتيماء ووادي القرى والمدينة النورة [2].

1- ديوان امرؤ القيس، ص 93.

2- حمد محمد بن صراي، اليهود والخليج العربي، ص38.

المبحث الثاني
في العراق

أما في إقليم العراق فقد كان قبل كل شيء قطراً زراعياً، تعتمد اقتصادياته على الزراعة في الدرجة الأولى، وكانت الأرض أهم حقل للإنتاج[1]، وبما أن نبوخذ نصر وهب لليهود أخصب الأراضي في بابل وأسكنهم فيها، مثل منطقة " نفر " التي تعد من أغنى مقاطعات بابل[2]، وتشير المصادر اليهودية بأن اليهود في بابل أصبحوا في غضون مدة وجيزة أغنى أهل بابل، فبعضهم امتلك الأراضي الزراعية والبعض الآخر كان يزرع بالفعل الأراضي التي أقطعت لهم، وقد حفروا شبكة من جداول الري والقنوات لإيصال المياه السيحية إلى مزارعهم، وأنشأوا الحقول والبساتين، ووجهوا عنايتهم لوقايتها من الغرق فأقاموا السدود ونظموا أعمال الري على أحسن وجه، واعتنوا عناية خاصة بتطهير الجداول والمبازل من الترسبات الغرينية، بحيث تحولت هذه المنطقة إلى حقول مثمرة[3].

وقد وردت شروح وتعاليم وإشارات كثيرة متعلقة بالزراعة التي تعتمد على الري وعلاقة المزارعين بعضهم مع بعض من حيث الواجبات والحقوق، وهذه موجهة بالدرجة الأولى إلى اليهود الذين كانوا يمارسون مهنة الزراعة في بلاد بابل [4]. وفي ذلك دلالة واضحة على ممارسة يهود العراق الأعمال الزراعية وما يتعلق بها من الأنشطة الأخرى.

بل إن التوراة تعد الزراعة أساس كل النشاطات الاقتصادية وفيها إشارات واضحة ومستمرة عن الزراعة، وما يزرع من محاصيل الحبوب والخضر والفاكهة، وما يؤثر عليها من العوامل الطبيعية، كالعواصف والأعشاب الضارة والجراد وغيرها، وذكر العديد من

1- عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ص43.
2- سوسة، ملامح، ص128.
3- نفسه، ص129.
4- نفسه، ص129.

السياقات التي تحدد مواعيد الزراعة بدءاً من حراثة الأرض، وانتهاءً بعملية الحصاد وجني الثمار [1].

وقد استفاد اليهود في أثناء وجودهم في بابل من حضارة البابليين وثقافتهم فاقتبسوا الكثير منها لاسيما ما يتعلق بفنون الزراعة والري، فأخذ أكثرهم يمارسون الزراعة التي تعتمد على الإرواء الدائم بما في ذلك أساليب شق الجداول وتطهيرها وطرق الإرواء [2]. بل إن الدلائل تشير إلى أنهم فضلوا البقاء في بابل بعد سيطرة كورش الأخميني الفارسي عليها(539-538ق.م) وعلى سورية وفلسطين ومن ضمنها أورشليم، على الرغم من سماحه لهم بالعودة إلى فلسطين[3].

وذلك ما يؤكده صموئيل دايجز (Samuel Daiches) بقوله: ((إن الوثائق التي عثر عليها إلى أن عائلة موراشو Murashuيدويهيلا اشتهرت كأحد البيوتات المالية الكبيرة في عهد الملك ارتحشثنا الأول (465-425 ق.م) فكانت هذه المؤسسة تمتلك جداول للري وأراضي زراعية واسعة وقطعاناً كثيرة من الأغنام، وكانت أكثر الأراضي في جوار نفر (نيبور) مرهونة عندها)) [4].

وبذلك يتبين أن النشاط الزراعي لليهود في العراق من ابرز الجوانب الاقتصادية لهم، وعلى الرغم من قلة المعلومات التاريخية، فالراجح من خلال ما أوردناه من مرويات أن الزراعة بقيت عملهم الرئيسي حالهم حال سكان البلاد حتى بعد مجيء الإسلام وما جرى من تغييرات بالنسبة لمختلف الجوانب الاقتصادية وذلك ما سيتم الحديث عنه لاحقاً.

ومن بين الإشارات التي تؤيد مزاولتهم للنشاط الزراعي إقامتهم في المدن والقرى التي سبق الحديث عنها وتقع أما على الأنهار أو المناطق الجبلية في شمال العراق وتشتهر بالزراعة، وعلى سبيل المثال لا الحصر الدجيل والحلة وسورا وعكبرا احدى مدن سامراء،

1- Marcus Arkin, Aspects of the Jewish economic history، p.3 -11.

2- إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص 18.

3- سوسة، ملامح، ص137-138.

4- The Jews in Babylonia in the time of Ezra and Nhemiah according to Babylonian Inscriptions, p.11-12.

والمدائن، وفي المناطق الغربية مدينة الانبار، وفي الشمال الموصل والمناطق التابعة لها كبلد (بلط) واربل وشهرزور وغيرها.

أما عن أولى الإشارات التي أوردتها المصادر التاريخية فقد تبين مزاولتهم للعمل الزراعي في العراق فكانت ضمن أحداث عام (372 هـ / 982 م) عندما قام عضد الدولة (367-372 هـ / 977-982م) بسد بثق [1]السهيلة، وبثق اليهودي، وأمر الأغنياء بعمارة مسناتهم [2] وأن يغرسوا في كل أرض خراب لا صاحب لها، وكانت هذه الإصلاحات جارية على أهل الذمة والمسلمين [3]. وضمن أحداث عام (403 هـ / 1011 م) قام فخر الملك (403-412هـ / 1012-1021م) بإعادة بناء بثق اليهودي بالنهروان بعد أن تعرض للخراب، وأحضر إليه العمال للقيام بأعمال الترميم، وزرع فيه قصب السكر؛ وأولى عنايته بترتيب العمال المشرفين على الزراعة، فارتفع في تلك السنة وارد إنتاج القصب بقيمة مائة وخمسين ألف دينار [4].

وتشير الروايتان إلى مزاولة اليهود الزراعة حتى وإن كان عن طري امتلاكهم الأراضي الزراعية، وإلا فكيف يسمى سد باسم (بثق اليهود) لو لم يكن له دور بارز بالزراعة. وكذلك يمكن القول أن الدولة لم تفرق أثناء دعمها لهذا الجانب بين الملل والنحل، بل كانت تسهم في دعم جميع الأطراف خدمة للاقتصاد بشكل عام [5].

وكانت ميسان من بين المدن التي مارسوا فيها النشاط الزراعي مما أدى إلى وجود حركة تجارية في المنطقة، فأسهم في دعم اقتصادها [6]. ويشير بنيامين إلى عدم وجود الزراعة في جزيرة قيس بخليج البصرة [7]، وبذلك فإنه يخالف ما ذكرته عدد من المصادر

1- بثق: شق النهر يبثقه بثقاً كسرة لينبعث ماؤه، والبثق كسرك شط النهر لينشق (يسيل) الماء. ابن سيده، المخصص، 2 / 456؛ ابن منظور، لسان العرب، 10 / 13.
2- المسناة: ما رفع حول المزرعة كالجدار، وكذلك السد الذي يرد ماء النهر ويحجزه. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، 1 / 246؛ أبي الفضل البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، ص494.
3- ابن الجوزي، المنتظم، 14 / 291.
4- ابن الجوزي، المنتظم، 15 / 89.
5- إيمان سليمان أحمد العزاوي، أهل الذمة في العصر البويهي، ص99.
6- المرجع نفسه، ص116.
7- رحلة، ص196.

الإسلامية، فابن خرداذبه يقول: ((وفيها نخل وزرع وماشية ولها غوص اللؤلؤ الجيد)) [1]، وقال الحموي: ((إن فيها بساتين)) [2]، ويشير ابن المجاور: أن بها بساتين النخيل [3]. ونظراً لتواجد اليهود فيها فربما كانت لهم صلة بالأنشطة الزراعية للجزيرة، وما يؤكد ذلك أن السلع التجارية فيها، كالقطن والماش والحنطة والشعير والدخن والرز وسائر أنواع الحبوب والبقول [4]. والمتاجرة بهذه السلع لا بد من امتلاكه الخبرة الزراعية لكي يستطيع تمييز الجيد من الرديء منها.

أما في مناطق العراق الشمالية بالقرب من الموصل فقد سكن القسم الأكبر منهم في بهدينان، وكانوا منتشرين في العمادية ودهوك وغيرها، ولهم قريتان مختصتان بهم وهما: صندور في دهوك، وبيت النور في برواري العليا، والكثير منهم في قرية براش، ويمتهنون الفلاحة وغرس الأشجار[5]. ومن المحاصيل الرئيسة لليهود في تلك المناطق، الحنطة والشعير والرز والسمسم والعدس، كما يمتلك اليهود بساتين الفاكهة والكروم وقطعان الماشية[6].

وعن سياسة الدولة تجاه الأراضي المفتوحة ومنها أرض السواد، اتفق رأي المسلمين أو على الأقل رأي غالبيتهم على ألا تقسم الأرض المفتوحة بين المحاربين [7]، فكتب الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) إلى سعد بن أبي وقاص(ﷺ) عندما فتح العراق، ونصه: ((اترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين، فإنك إن قسمتها بين من حضر لم يكن لمن بعدهم شيء)) [8]. وبذلك فقد ألغى الخليفة عمر (ﷺ) كل الأوضاع الإقطاعية الظالمة التي احتكرت كل الأرض لصالحها واستعبدت الفلاحين لزراعتها مجاناً، فقد ترك أرض السواد في أيدي فلاحيها يزرعونها مقابل خراج عادل يطيقونه يدفعونه كل عام [9]. والراجح أن الخليفة عمر ارتأى من خلال قراره مراعاة حال الفلاحين ومنهم أهل الذمة،

1- المسالك، ص62.
2- معجم، 3 / 295.
3- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص287.
4- رحلة بنيامين، ص196.
5- محفوظ العباسي، إمارة بهدينان العباسية، ص208.
6- أريك براور، يهود كردستان، ص247.
7- محمد بلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، ص116.
8- أبو يوسف، الخراج، ص34؛ ابن سلام، الأموال، ص74.
9- علي محمد محمد الصلابي، عمر بن الخطاب، ص255.

فالمعلوم أن الطابع العام للاقتصاد في العراق هو زراعي، ولو وزعت الأرض لأصبح الكثير ممن يعمل في تلك الأراضي بلا عمل، وقد يؤدي إلى إهمال الزراعة وما يترتب عليها سوء للحالة الاقتصادية.

وكانت إجراءات الأمويين في السواد استمراراً لما جرى عليه الأمر في عهد الخليفة عمر(ﷺ)، ولكن بقدر تعلق الأمر بأهل الذمة ومنهم اليهود لا بد وأن يتأثر بالأحداث التي واجهتها الدولة ففي زمن الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86 هـ/684 - 705م)، فقد حدثت أزمة مالية حادة، وتناقصت مواردها تناقصاً ملحوظاً، ولعل الحركات ومنها حركة عبد الله بن الزبير (ﷺ) (ت 73 هـ/ 69م) في الحجاز والعراق[1]، وحركة المختار بن أبي عبيد الثقفي (ت 67هـ / 686م) في الكوفة [2]، وكذلك اشتداد حركة الخوارج وتهديدهم للكوفة والبصرة [3]، فضلاً عن إلى انتشار الأوبئة كالطاعون الذي وقع في البصرة سنة (65هـ / 684 م) فهلك به خلق كثير من أهلها[4]. وهذه كلها أسباب أدت إلى ذلك النقص في موارد الدولة.

وما أشير إليه من الأحداث كان له الأثر الواضح لهجرة الفلاحين من القرى إلى الأمصار، وترتب عليه نقص في الأيدي العاملة، وتدهور الخراج. وتذكر الروايات التاريخية أن عمال الحجاج بن يوسف الثقفي كتبوا إليه: ((إن الخراج قد انكسر، وإن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأمصار، فكتب إلى أهل البصرة وغيرها، أن من كان له أصل في قرية فليخرج إليها))[5]. ومن إجراءات الحجاج أنه وسم العلوج، وأخرجهم من البصرة، وألحقهم ببلادهم [6]، ويظهر أن سياسته هذه كانت تهدف إلى عدم تدهور الخراج، وارتباط ذلك بحالة الزرع وأثر الهجرة فيها [7].

1- تاريخ خليفة بن خياط، ص270: الطبري، تاريخ، 3 / 378.
2- تاريخ خليفة، ص263-264.
3- الطبري، تاريخ، 3 / 465-471: 544. للمزيد عن الخوارج في العصر الأموي ينظر: غالب علي العواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية، ص109-129.
4- الطبري، تاريخ، 3 / 465.
5- البلاذري، أنساب، 7 / 320: الطبري، تاريخ، 3 / 708: ابن الأثير، الكامل، 3/ 491.
6- البلاذري، انساب، 13 / 426.
7- غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي وحتى أواسط القرن الثالث الهجري، ص141.

إلا أن الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله لم يقيد حركة الفلاحين والزراع من أهل الذمة، بل أكد حق من يسلم في الهجرة إلى الأمصار الأخرى، ومسؤوليته إلى أرض الخراج، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم في كتاب وجهه الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عماله ونصه: ((فمن أسلم من نصراني أو يهودي أو مجوسي من أهل الذمة اليوم فخالط المسلمين في دارهم، وفارق داره التي كان بها فإن له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. وعليهم أن يخالطوه ويواسوه، غير أن أرضه وداره إنما هي من فيء الله على المسلمين عامة، ولو كانوا أسلموا عليها قبل أن يفتح الله للمسلمين كانت لهم، ولكنها فيء الله على المسلمين عامة)) [1]. وبقدر تعلق الأمر بالأرض الزراعية التي بأيدي أهل الذمة فهو واضح لا لبس فيه بأنها تبقى خراجية لكونها ملك عام للمسلمين، لكن النص يشير إلى عدم إغفال حق العاملين عليها من الانتقال من منطقة إلى أخرى على وفق ما أقرته الشريعة السمحاء لكل الناس.

وبمجيء العباسيين بدأت مرحلة جديدة من التنظيم تميزت بالتوسع في الاعتماد على آراء الفقهاء، واقتراحات الوزراء والكتاب، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ما جاء في كتاب رسالة الصحابة لابن المقفع عن الخراج وأوضاعه في السواد في زمن الخليفة العباسي المنصور [2]. فيتحدث عن تذبذب الأسعار، ومدى تأثير ذلك على الخراج سواء أكان الأمر بالارتفاع أو الانخفاض في قيمة الخراج [3]، وأشار بموضع آخر أن من يتولى وظائف تتعلق بالأرض والتدوين، أن يكون عارفاً بها، ولا يجتهد في عمارة إلا كان له فضل في عمارة الأرض وصلاحها [4].

وبدأت أولى إجراءات الخليفة أبو جعفر بأن قلد حماد التركي تعديل السواد، وأمره أن ينزل الأنبار ولا يدع أحداً من أهل الذمة يكتب لأحد من العمال على المسلمين [5]. إلا أنه لم يذكر أية تفاصيل أخرى حول عملية جرد الأراضي وما يتعلق بها. وأتبعه بإجراء آخر

1- سير عمر بن عبد العزيز، ص84.
2- كاتبي، الخراج، ص183.
3- رسائل البلغاء، ص124.
4- رسائل البلغاء، ص132.
5- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص 86.

من أجل التجاوز على انخفاض أو ارتفاع أسعار الغلات، فقال الماوردي: ((ولم يزل السواد على المساحة والخراج إلى أن عدل بهم المنصور في الدولة العباسية عن الخراج إلى المقاسمة، لأن السعر نقص فلم تف الغلات بخراجها، وخرب السواد فجعله مقاسمة)) [1]. ولا بد من الإشارة إلى أن ما ذكر أعلاه كان على سبيل المثال لا الحصر وبقدر تعلق الأمر باليهود تأثرهم بتلك الإجراءات فإن المصادر التي تسنى للباحث الاطلاع عليها لا تذكر أية معلومات عن النشاط الزراعي لليهود سوى الإشارات التي أشير إليها سابقاً ولا يمكن التوصل من خلالها إلى صورة واضحة المعالم عن دورهم الزراعي بأرض السواد.

والراجح أن نشاطهم بالزراعة قليل إذا ما قورن بمقدار النشاط الذي قدمه النصارى نظراً لاتجاههم نحو أعمال الصيرفة والتجارة [2]، وكذلك تطور الأوضاع الاقتصادية لأهل الذمة لاسيما اليهود، بعد أن كان اليهود في القرن الأول الهجري يعملون في الزراعة وتربية الماشية [3]. وذلك ما سنتحدث عنه لا حقاً.

1- الأحكام السلطانية، ص262.
2- العزاوي، أهل الذمة، ص116.
3- الدوري، اليهودي في المجتمع الإسلامي، 3 / 102.

المبحث الثالث
في بلاد الشام

مارس أهل الذمة في بلاد الشام المجالات الاقتصادية كافة ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يمنعهم من ممارسة أي عمل يريدونه سوى أنهم منعوا من بيع الخمور والخنازير في أسواق المسلمين وقراهم [1].

ولا بد من الإشارة إلى إن جميع مدن إقليم الشام كان قد فتحها المسلمون صلحاً، أما ما بين ذلك من الأرض والمشتملة على القرى المحيطة بالمدن وبقية الأراضي الزراعية فإن المسلمين أخذوا ذلك كله عن طريق العنوة [2]. وذلك ما يؤكده ابن سلام، بعد أن ذكر فتح بيت المقدس، ومدينة دمشق صلحاً، بقوله: ((وعلى هذا مدن بلاد الشام كانت كلها صلحاً، دون أرضها)) [3].

وتشير المصادر إلى أن المسلمين كانوا قد عاملوا أهل العنوة في بلاد الشام بنفس الطريقة التي عاملوا بها أهل العنوة في إقليم العراق، إذ ابقوا الأرض الزراعية في أيدي أهلها ولم يسبوا أحداً منهم وجعلوا الجزية على رؤوسهم والخراج على أرضهم [4].

وكان الملاكون العرب يقيمون عادة في المدن، وقليل منهم حاول استغلال الأرض مباشرة أو بواسطة الوكلاء. إلا أن أكثر أساليب استغلال الأرض شيوعاً كانت الاعتماد على الذميين لفلاحتها مزارعة [5]، أو بالمساقاة [6]، أو المغارسة [7]، أو الكراء (الإيجار) [8].

1- أبو يوسف، الخراج، ص140.
2- الحارثي، المعاهدات، ص286.
3- الأموال، ص132-133.
4- أبو يوسف، الخراج، ص150؛ ابن سلام، الأموال، ص49-51؛ ابن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، ص225-226؛ ابن رجب، الاستخراج لأحكام الخراج، ص 138.
5- المزارعة، هي المعاملة على الأرض ببعض ما يخرج منها من الزرع كالثلث والربع وغير ذلك من الأجزاء المعلومة، وهذه النسب تعتمد على مدى مساهمة الطرفين. السبكي، فتاوى، 1 / 389؛ محمد أشرف بن أمير الصديقي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، 9 / 177.
6- المساقات، تكون في البساتين والأشجار المثمرة، ويتفق المالك مع المزارع على العناية بالأشجار والقيام بكل الإعمال اللازمة لقاء حصة من الثمر حسب نوعية الأشجار ومدة العقد. الطبري، اختلاف الفقهاء، ص 142-143، ص153.
7- المغارسة، اتفاق تخصص بموجبة أرض، ويتولى المزارع غرسها بالأشجار حسب الاتفاق. ويقسم الحاصل بنسب معينة. ابن حزم الظاهري، المحلى بالآثار، 7 / 64-65؛ محمد إبراهيم بن عبد الله التويجري، موسوعة الفقه الإسلامي، 3 / 592.
8- الشريف، أهل الذمة في بلاد الشام، ص113-114.

وعلى الرغم من أن الحياة في الريف في بلاد الشام في مجال الزراعة اتسمت بالطابع النصراني وقدرت المواسم والفصول بأعياد النصارى[1]. إلا أن ذلك لا ينفي تواجد اليهود في تلك المناطق، وكذلك فإن المصادر قلما تذكر اليهود لكونهم أقلية بالنسبة للنصارى، وان الالتزامات المالية من الجزية والخراج كانت بنفس المقدار، وذلك ما جعلهم يشيرون إلى أهل الذمة دون تحديد طوائفهم. وتمدنا بعض المصادر بإشارات عن ممارسة اليهود النشاط الزراعي وكذلك امتلاكهم للأراضي.

ففي ظاهر دمشق (أطرافها) بالقرب من طاحون الإحدى عشرية، كانت تقع فيها مزرعة لليهود، وتعرف ببستان صدقة اليهودي[2]، الذي كان معلم دار الضرب بدمشق في أواخر المماليك بدمشق[3]. وبموضع آخر من دمشق بستان يقع في محلة السامرة، بظاهر المدينة بأراضي بيت الآلهة[4] (بيت لهيا) إلى الغرب من قرية جوبر، وهي المنطقة المحيطة بساحة العباسيين اليوم، وتواجد اليهود في جوبر منذ أزمنة قديمة[5]. وبما أن منطقة جوبر مشهورة بالزراعة لا بد وأن يكون اليهود قد مارسوا النشاط الزراعي فيها حالهم كباقي سكان المنطقة.

وفي حلب بستان كافي اليهودي بحارة الهزازة[6]، كما ذكرت محلة باسم بستان اليهود[7]، وذكر بستان آخر ضمن البساتين الكثيرة خارج أسوار المدينة[8]، وعرف ببستان اليهود بخط الحريري[9]. وكذلك تواجد على نهري دجلة والفرات في جميع المدن والقرى التي تقع على النهرين، وذلك ما أشير إليه في الفصل الأول، لا بد وأن يكونوا على تماس مباشر بالأنشطة الزراعية بحكم إقامتهم على مقربة من الأنهار.

وقد أنتجت أراضيهم الغلات والمحاصيل الزراعية التي اشتهرت بها بلاد الشام

1- فايزة عبد الرحمن حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي، ص177.
2- أكرم حسن العلبي، يهود الشام، ص20.
3- ابن طولون، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، ص318، 327.
4- العلبي، يهود الشام، ص21.
5- عبد المعين محمد ظاهر الشواف، دمشق بين سقوط الفاطميين وظهور الأيوبيين، ص204.
6- الغزي، نهر الذهب، 1 / 255.
7- نفسه، 2 / 139.
8- حريتاني، تاريخ اليهود في حلب، ص88.
9- الغزي، نهر الذهب، 2 / 141.

كافة، ومن المزروعات التي اهتم بزراعتها أهل الذمة الكروم [1]، وانتشرت في أنحاء مختلفة من بلاد الشام، فذكر الإدريسي إن مدينة بعلبك غزيرة الكروم [2]، ويؤكد المقدسي ذلك بقوله، فيها مزارع وعجائب وهي معدن الأعناب [3]، وأشار إلى أن قرية الفراذية في فلسطين هي منبر معدن الأعناب والكروم [4]، وإلى كروم جبل بصرى الشام أنه لا ينسى [5]. ومعرة النعمان مدينة فيها شجر وفير من التين والزيتون والفستق والكروم والزبيب [6]، وبمنبج الكروم الاعذاء، ويحمل الزبيب منها إلى حلب وغيرها [7].

وذكر مجير الدين إن الكروم بظاهر مدينة القدس ويحيط بها من كل جانب، وفيها أنواع الفواكه أعظمها العنب [8]، وسمي جبل بيت المقدس وهو طور زيتا جبل الخمر لكثرة ما يزرع فيها الكروم [9]. بل إن المقدسي كان معجباً بأعناب القدس وما يعتق منه فيها فقال: ((عنبها خطير، وليس لمعتقها نظير)) [10]. وذكر أنواعاً متعددة من أعنابها كزبيب العيوني والدوري والعاصمي [11]. وكذلك المنطقة الممتدة بين بيروت ودمشق على سفوح الجبال وعلى جانبي السهل كانت مليئة بمزارع الكروم، وتشمل هذه المنطقة مساحات كبيرة من الأراضي يمتلكها أهل الذمة من النصارى واليهود [12].

ذكر الرحالة جوسيه (Gucci) الذي زار المنطقة بلاد الشام مع مجموعة من الرحالة الآخرين عام (749هـ / 1348م) أن منطقة غزة فيها كثير من الكرمة، وكان اليهود يضعون فيها الخمرة الجيدة ويضعونها في جرار من الزجاج [13].

1- ليونهارت، رحلة المشرق إلى العراق وسوريا وفلسطين، ص83.
2- نزهة المشتاق، 1 / 369.
3- أحسن التقاسيم، ص160.
4- نفسه، ص162.
5- نفسه، ص151-152.
6- ابن حوقل، صورة الأرض، ص178؛ ناصر خسرو، سفرنامة، ص45؛ الإدريسي، نزهة، المشتاق، 2 / 652.
7- الاصطخري، المسالك، ص62؛ المقدسي، صورة الأرض، ص178.
8- الأنس الجليل، 2 / 59، 61.
9- نفسه، 2 / 61.
10- أحسن التقاسيم، ص166.
11- نفسه، ص180-181.
12- حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص99.
13- Gucci, Visit the Holy to places of Egypt, Sinai, Palestine and Syria, p.122.
نقلاً عن حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص99.

ومن المزروعات الأخرى التي أهتم أهل الذمة بزراعتها كبقية المزارعين الآخرين شجرة الزيتون، فأقبلوا على زراعتها والاعتناء بها لما فيها من الفائدة والخير الكثير، وهذا يؤكده التلمود إذ يقدم تفاصيل مهمة حول زراعة شجرة الزيتون، بل ويحدد أنواع متعددة من أشجاره ومثال ذلك شجرة زيتون نطوفة [1]، وشفخوني وبيشاني الذي ينتج منه الزيت الكثير [2]، وكذلك ما يتعلق به من أحكام شرعية [3].

أما عن مناطق زراعته فعلى سبيل المثال كانت مدينة نابلس كثيرة الزيتون وكانوا يسمونها دمشق الصغرى [4]، وقال ابن بطوطة عنها بأنها أكثر بلاد الشام زيتوناً، ومنها يحمل الزيت إلى مصر ودمشق [5]، ومدينة بيت لحم التي تقع بين جبال كثيفة الأشجار ومنها أشجار الزيتون والتين والجميز وفواكه كثيرة [6]. ومدينة طرابلس وبها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفواكه وضروب الغلاة الشيء الكثير [7]، ولها من الضياع المشهورة المعروفة بالشفيقية والزيتونية والراعبية والحدث وأميون وبها من شجر الزيتون وأنواع الفواكه أكثر مما في غيرها [8]. كما كثرت زراعة الزيتون في وادي موسى الذي يقع قبلي بيت المقدس [9]، وما يؤكد انتشار زراعة الزيتون في بلاد الشام، ما ذكره ابن الفقيه، أنها بلاد الزيت والزيتون [10]، وأشار الثعالبي، أنها أكثر بلاد الشام زيتوناً [11].

وكثرت زراعة القصب في المناطق التي يكثر فيها أهل الذمة من النصارى واليهود، ويشير الجغرافيين والرحالة إلى مدينة طرابلس ونواحيها كانت تشتهر بوفرة غلالها

1- نطوفة اسم مدينة في الخليل وكانت مشهورة بالزيتون، وقد ورد ذكرها في العهد القديم. غزرا، 2: 22؛ نحميا، 7: 26.
2- المشنا، 1 / 93.
3- نفسه، 1 / 179، 255.
4- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص174.
5- رحلة، 1 / 254.
6- الإدريسي، نزهة المشتاق، 1 / 363.
7- نفسه، 1 / 372.
8- نفسه، 1 / 373.
9- القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد، ص279.
10- البلدان، ص166.
11- الثعالبي، لطائف المعارف، ص160.

وكثرة بساتينها التي تحف بالمنطقة كالسياج، وكان قصب السكر من أشهر مزروعات هذه البساتين فضلاً عن الأشجار الأخرى كشجر الجوز واللوز والرمان وأشجار البرتقال والليمون والتفاح ومختلف الأزهار والكروم، وبعض أشجار النخيل [1]. وقد كثرت زراعته بوجه خاص في غور الصافي قرب الكرك [2]، وفي منطقة القصير من أعمال غور الأردن يكثر فيه قصب السكر [3]، ويؤكد الحموي أن أكثر ما يزرع في غور الأردن قصب السكر [4]. ومع أنه من الراجح أن زراعته وصناعته كانت رائجة على يد النصارى لكونهم أغلبية آنذاك إلا أن ذلك لا ينفي مشاركة اليهود فيها سواء ما يتعلق بزراعته أو التجارة فيه.

ومن الطبيعي أن يكتسب المزارعون في بيئة زراعية خصبة خبرات تصبح قواعد ثابتة أو متطورة فكان المزارعون يلقحون كرومهم كما تلقح النخل بالطلع الذكر مما يدل على تجربة عملية في تلقيح أشجار العنب [5]وقد كان أهل زغر بالشام يلقحون كرومهم وكروم فلسطين كما تلقح النخل بالطلع، وكما يلقح أهل المغرب تينهم [6].. وكان المزارعون يستخرجون من جانب البحر الميت مادة الحمر الذي يسمى قفر اليهود تطلى به المناجل ويكسح (يقلم) به الكروم ليؤمن من الدود عليها [7]. وتستعمل تلك المادة بعد تحليلها في الزيت ويدهن بها أصل الكروم ضد دود يخرج منه لمنعه من الرقي إلى عيون الكرم [8]، وتسمى هذه العملية بالتحمير وظلت جارية إلى الآن وهي تسمى بالتشييد [9].

لقد اعتنى المسلمون بأراضيهم الزراعية واستخراج خيراتها وقسمة نتاجها بصورة عادلة بين الدولة والملاكين [10]. ويظهر أن تنظيم الضرائب سبقه إجراء مسح عام للرجال

1- ناصر خسرو، سفرنامة، ص47؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، 1 / 362؛ ابو الفدا، تقويم البلدان، ص2253؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 3 / 539؛ ليونهارت، رحلة المشرق، ص23.
2- ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص152.
3- الحموي، معجم، 4 / 367.
4- نفسه، 4 / 217.
5- حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي، ص182.
6- ابن حوقل، صورة الأرض، ص184.
7- الاصطخري، المسالك، ص64؛ المسعودي، التنبيه والإشراف، ص65.
8- حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي، ص180؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، 5 / 350. وللمزيد عن مادة القفر اليهودي ينظر، العمري، مسالك الممالك، 22 / 294-297.
9- محمد سعيد القاسمي، قاموس الصناعات الشامية، 2 / 470.
10- حسين الحاج حسين، النظم الإسلامية، ص287.

والأرض، حددت بموجبه ضريبتا الجزية والخراج[1]. وذلك ما يؤكده ثيوفانس Theophanes في تاريخه ضمن حوادث العام الثلاثين من حكم هرقل (18-19هـ / 639-640م) فقال: ((إن عمر أمر بتسجيل كامل للبلاد، فكان هناك تعداد للرجال، والقطعان، والإنتاج الزراعي)) [2]. وذلك له دلالة مهمة لبيان إمكانيات البلاد البشرية والاقتصادية، ومعرفة ما يملكه الأفراد من الأراضي الزراعية، والبهائم. وتقدير ما يترتب على الفرد من الجزية أو الخراج، بما يتناسب مع إمكانياتهم والعمل على عدم إرهاقهم بقيمة الخراج كما كان يفعل الرومان فيما سبق.

والملاحظ أن المعلومات عن الخراج فيما يخص اليهود محدودة بل إن المصادر لم تورد سوى إشارة واحدة ذكرها البلاذري بان السامرة يدفعون الجزية فقط بموجب شروط الصلح مع أبي عبيدة عامر بن الجراح (ﷺ) (ت 17هـ / 638م)، وترك لليهود الأرض باعتبارهم عيوناً وإدلاء للمسلمين، ووفقاً للرواية فقد أعيد النظر بها في عهد يزيد بن معاوية (60-64هـ / 679-683م) ووضع الخراج على أرضهم [3]. ومسألة وضع الخراج عنهم فلعل الأمر يعود إلى قلة عددهم في بلاد الشام وقد سبق الحديث عنه، وذلك ما يؤكده قلة مساحات الأراضي التي تزرع من قبلهم، والقول بأنهم عيون وأدلاء للمسلمين نستبعده، لكون المسلمين لهم دراية ببلاد الشام بدليل ممارستهم التجارة وتنقلهم بين بلاد الشام والجزيرة العربية، وكذلك عماد الجيش الإسلامي أفراده من العرب وهم اعلم ببلادهم، ومسألة عيون (جواسيس) فلا نعتقد أن المسلمين يثقون باليهود لاسيما وان مسألة نكثهم للعهود والمواثيق في عصر النبوة لم يمض عليه سوى سنوات قليلة، فكيف يتم الاعتماد عليهم؟

وكان الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) يوصي عماله بالرفق في جباية الضرائب، وذلك ما يؤكده ابن سلام بروايته الخاصة بقدوم سعيد بن عامر بن جذيم (ت 19هـ / 640م) فتولى أمر حمص [4] على الخليفة عمر (ﷺ)، فعاتبه الأخير لتأخره في إرسال الخراج، فقال له

1- كاتبي، الخراج، ص123.

2- Theophanes, the chronicle of the Theophanes; An English translation of anni- mundi (A.D. 602-813) p.40.

3- فتوح، ص153.

4- ابن سعد، الطبقات، 4 / 269؛ ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، 2 / 483؛ ابن حجر، تهذيب التهذيب، 4 / 51.

سعيد: ((أمرتنا أن لا نزيد الفلاحين على أربعة دنانير، فلسنا نزيدهم على ذلك، ولكنا نؤخرهم إلى غلاتهم. فقال عمر: لا عزلتك ما حييت))[1]. والراجح أن سياسة مراعاة أهل الذمة وجباية الخراج قد استمرت طيلة حقبة الخلافة الراشدة، وشطراً من عصر الخلافة الأموية، لاسيما بما يتعلق بالأراضي الخراجية، والملاحظ إن المسلمين صاروا يتنافسون على امتلاك الأراضي، ولم يكتفوا بالحصول على الإقطاعات من أرض الصوافي والموات. بل أنهم سألوا الخلفاء عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من أراضِ القرى التي بأيدي أهل الذمة فأبوا ذلك، إلا أنهم سمحوا لهم بشراء الأرض من أهل الذمة، وتأدية العشر عن الحاصل [2].

وهكذا تقلصت مساحة ارض الخراج بتحويلها إلى أراضٍ عشرية وأضيف لها انتشار الإسلام بين أهل الذمة من الزراع، كان يصحبه إعفاؤهم من الخراج ونقصان الوارد بالنتيجة [3]، في الوقت الذي زادت فيه حاجة الدولة للمال للسيطرة على الوضع الداخلي، وتغطية الإنفاق على الجيوش [4].

واستمر هذا الوضع حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز فأبدى مرونة وبعد نظر فائقين [5]، فقد ذهب إلى جواز بيع أرض الخراج، ولا بد أن يلتزم المشتري ولو كان مسلماً بخراج هذه الأرض، وفي هذه الحالة لن يتأثر بيت المال بذلك [6]، وهذا الرأي يبدو واضحاً من خلال روايتين:

الأولى: ((أن عمر بن عبد العزيز دفع إلى رجل أرضاً يؤدي عنها الجزية))[7] أي الخراج. والثانية أوردها ابن سعد فقال: ((كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله: أما بعد، فخل بين أهل الأرض وبين بيع ما في أيديهم من أرض الخراج، فإنهم إنما يبيعون فيء المسلمين والجزية الراتبة)) [8]. وبذلك فقد وضع حلاً يحفظ حقوق بيت المال ويراعي

1- الأموال، ص54-55.
2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 2 / 206-207.
3- عبد العزيز الدوري، النظم الإسلامية، ص107.
4- الشريف، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر الأموي، ص105.
5- الدوري، النظم، ص108.
6- محمد بن سعد بن شقير، فقه عمر بن عبد العزيز، 2 / 250.
7- مصنف ابن أبي شيبة، 6 / 210.
8- الطبقات، 5 / 376.

المبادئ الإسلامية، فقد ميز لأول مرة في تأريخ المسلمين بين الجزية والخراج، وعد الجزية ضريبة يدفعها غير المسلم وتسقط عنه بإسلامه. أما الخراج فعده إيجاراً للأرض[1]. وذلك ما يؤكده يحيى بن آدم بروايته عن عمر بن عبد العزيز أنّه كره أن يشتري المسلم الأراضي الخراجية، وقال: ((إن فعل، فعليه أن يؤدي عن الأرض ما كان يؤدي عنها))[2]. ولعل السبب في ذلك لمنع تحول الأراضي الخراجية إلى أراضٍ عشرية [3] في حالة الإسلام وبذلك تمكن الخليفة عمر بن عبد العزيز من خلق موازنة بين الحاجة والمبادئ الإسلامية التي تحفظ حقوق أهل الذمة في تلك الأراضي.

ولكن سياسة عمر بن عبد العزيز توقفت بوفاته ورجع الأمويون إلى الأوضاع السابقة. ويظهر أن الأمويين في هذه المدة المضطربة أرهقوا أهل الذمة والموالي حتى اضطر كثيرون إلى ترك مزارعهم فراراً من الضرائب [4]، وما يؤكد ذلك رواية الطبري ضمن أحداث سنة (126هـ / 744م)، ويتضح من خلالها محاولة يزيد الثالث بن الوليد، حين خطب الناس شارحاً نهجه في الحكم ووعدهم بإصلاح حال أهل الذمة بقوله: ((ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يجليهم عن بلادهم ويقطع نسلهم)) [5]. وفي ذلك دلالة واضحة على مدى تأثير سياسة الدولة على الفلاحين من المسلمين وأهل الذمة على حدٍ سواء.

أما في العصر العباسي فقد كانت ضريبة الخراج أثقل الضرائب على الفلاحين من المسلمين وأهل الذمة على حدٍ سواء، وما يؤكد ذلك توجهات الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ / 753-774م) الواضحة إلى منع التجاوزات على حقوق بيت المال وتثبيت الأراضي الخراجية، على وفق سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز، والتمييز بين أرض الخراج وأرض العشر. فقد أرسل المعدلين إلى كور الشام في سنة (140-141هـ / 757-758م) لتعديل صنف الأراضي التي تم شراؤها في عهد الخلفاء الأمويين، والتي أصبحت تؤدي العشر ولا خراج عليها، فأرسل عبد الله بن زيد لتعديل أرض حمص،

1- الدوري، النظم، ص108.
2- الخراج، ص24.
3- نفسه، ص58.
4- الدوري، النظم، ص109.
5- تاريخ، 7 / 269.

وإسماعيل بن عياش (ت 181هـ / 797م) لتعديل أرض بعلبك فعدلا صنف الأرض التي وصلت إلى أيدي أصحابها بالشراء أو الميراث أو المهور، ولم تعدل الغوطة في تلك السنة بل استمر أهلها يؤدون العشر على ما كان في أيديهم من الأرض [1].

وفي وقت لاحق طلب الخليفة المنصور إجراء تعديل في أراضي الغوطة على أساس كل ثلاثين مداً [2] بدينار وكان أداء الناس على ذلك، ثم قال بعض الولاة نجعل على الدينار نصف دينار للكتب والرسل ثم جعل على الدينار دانقاً[3]، فكان ذلك إلى أن تعدى من تعدى[4]. وبقي من كان بيده شيء من الأرض التي اشتراها المسلمون من أهل الغوطة يؤدي العشر، حتى بعث المنصور عبد الله بن هضاب بن طوق ومحرز بن زريق، فعدلوا الأشرية وأمرهم أن لا يضعوا على شيء من القطائع القديمة ولا الأشرية خراجاً، وأن يمضوها لأهلها عشرية ويضعوا الخراج على ما بقي منها بأيدي الأنباط[5]. والسبب في ذكر أمر التعديل في الغوطة للتواجد اليهودي المهم فيها وقد سبقت الإشارة إليه.

والملاحظ في تعديل الغوطة هو تقدير الخراج بمبالغ نقدية دينار لكل ثلاثين مد، ويدل ذلك على أن الدولة كانت تفضل أن تتقاضى الخراج والعشر نقداً لا عيناً، وهذا كان يسبب عنتاً للمزارعين لقلة النقد في أيدي الناس[6]. وما يؤكد قلة النقد قول الجاحظ: ((فالشامات وأشباهها الدينار والدرهم بها عزيزان، والأشياء بها رخيصة لبعد المنقل، وقلة عدد من يبتاع، ففي ما يخرج من أرضهم أبداً فضل عن حاجاتهم)) [7].

ويشير النص الذي ذكره الجاحظ إلى جانب مهم عن الأوضاع الاقتصادية في بلاد الشام، منها اتساع النشاط الزراعي في بلاد الشام، وذلك انعكس على رخص المنتجات الزراعية نظراً

1- ابن عساكر، تاريخ، 2 / 207-208.
2- المد: من المكاييل التي كانت تستعمل في قياس الأوزان والمد الشرعي في فجر الإسلام وخاصة المدينة ويقدر وزنه ما بين (812-934غم) ويختلف قياسه من بلد إلى آخر. للمزيد ينظر، الجليلي، المكاييل والأوزان، ص99-100؛ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص74-77.
3- الدانق، كلمة فارسية الأصل واختلف مقداره في الوزن، ومقداره من خلال أوزان الدرهم (362غم) ويعادل 8 دوانق وبذلك وزنه (0،4525 غرام). ابن منظور، لسان، 10 / 105؛ الجليلي، المكاييل، ص163.
4- ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق، 2 / 299-300.
5- ابن عساكر، تاريخ، 2 / 208.
6- حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي، ص57.
7- رسائل الجاحظ، 4 / 108.

لكثرتها، وكذلك قلة عدد المشترين لتلك البضائع يشير إلى أن النشاط العام (الغالب) لسكان البلاد الزراعة، ولعل ما ذكره الجاحظ يصور بدقة ما كانت عليه الحال في أيامه.

ولدى ابن المقفع في رسالة الصحابة نصاً يخاطب فيه الخليفة أبا جعفر المنصور يقترح فيها ترك جزء من واردات بلاد الشام بما يفي لمتطلبات أهلها وإرسال الباقي إلى بيت المال. وذكر فيها: ((ولكنه أخذ في أمر أهل الشام على القصاص، حرموا كما كانوا يحرمون الناس، وجعل فيئهم إلى غيرهم كما كان فيء غيرهم إليهم... فإن رغب أمير المؤمنين لنفسه عن هذه السيرة وما أشبهها فلم يعارض ما عاب ولم يمثل ما سخط كان العدل أن يقتصر بهم على فيئهم، فيجعل ما خرج من كور الشام فضلاً عن النفقات وما خرج من مصر فضلاً عن حقوق أهل المدينة ومكة، بأن يجعل أمير المؤمنين ديوان مقاتلتهم ديوانهم أو يزيد أو ينقص... ويأمر لكل جند من أجناد الشام بعدة من العيالة يقترعون - يعيشون - عليها، ويسوي بينهم فيما لم يكونوا أسوة فيه فيمن مات من عيالاتهم، ولا يدع احد من المسلمين)) [1].

يبدو من النص أن هناك خللاً في مسألة تحديد احتياجات بلاد الشام، ويحاول إيضاح بعض المساوئ التي كانت قائمة فيما يخص المساواة بين سكان البلاد، وكذلك معالجة من مات منهم.

ويشير ديونيسيوس التلمحري إلى إجراءات التعديل في كل بلاد الجزيرة، وما رافقها من تعسف العمال، إلا أنه يشكك في تلك الإجراءات من قبل الخليفة المنصور بقوله: ((لما رأى الملك (الخليفة) أن الأرض خصبة ومأهولة بالسكان أراد أن يجري بعض الإصلاحات في أمور إدارتها، ليس من محبته لشعبها ورفاهيته، ولكن لزيادة الخراج وزيادة المشاكل فيها. فأرسل أناساً منبوذين محتالين واقامهم عمالاً، وأرسلهم إلى أطراف البلاد ليكتتبوا جميع الناس بنظام الجزية)) [2].

وفي نص آخر قال: ((وكان الملك (الخليفة) قد أقام أناساً قساة القلوب على جباية الأعشار (ضريبة العشور)، فكان القائم على جبايتها مجوسياً ليس في قلبه لا دين

1- رسائل البلغاء، ص127.
2- تاريخ الزوقنيني، ص161.

ولا رحمة، فتجول في جميع مدن الجزيرة، ... وسجل كل الأماكن التي لم تكن ضمن سجل الخراج وبحسب التعديلات، كالحدائق والمزارع ودور الرحى)) [1].

والملاحظ على النصوص التي ذكرها ديونيسيوس أن فيها تحاملاً على الدولة الإسلامية باتهامه شخص الخليفة، وإنّ عمليات تسجيل الأرض أو مسحها الغاية منها زيادة نسبة الخراج متناسياً إن تلك الأراضي هي تابعة أو تقع تحت سيطرة الدولة الإسلامية منذ أكثر من قرن من الزمان، وأن العاملين عليها عوملوا بطريقة لا تقبل الشك أفضل مما كان عليه حالهم في عهد البيزنطيين (الرومان). بل إنه يناقض نفسه حين يذكر سبباً يمكن اعتباره مبرراً لعمليات مراجعة الأراضي الخراجية وهو تسجيل الأماكن التي لم تكن ضمن سجل الخراج [2].

بل إنه في رواية أخرى يؤكد على حدود عمليات تلاعب في الخراج بقوله: ((وهكذا انتهت عملية قطع الدابر والتلاعب في جمع الخراج، ولم يبق سوى الخطف والسرقة والنهب والسلب، والذي يقبض عليه مرتكباً إحدى العمليات ينال عقابه بمصادرة أملاكه وكل ما لديه من أموال)) [3].

ومما تجب الإشارة إليه أنّه لا يمكن الجزم بعدم وجود تجاوزات من قبل الولاة وعمال الخراج، بدليل إن سياسة الخليفة المنصور القائمة على مراقبة الولاة والعمال، وإن كانوا من أهل بيته كما حدث مع عبد الوهاب بن إبراهيم واليه بفلسطين، عندما تبين للخليفة ظلمه لأهل فلسطين، أظهر إنكاراً شديداً وعزله [4]. وما ذكرناه إنما كان على سبيل المثال لا الحصر لبيان موقف الدولة الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي من أهل الذمة بما فيهم اليهود.

وقد تأثر أهل الذمة ومن بينهم اليهود بسياسة الدولة الزراعية في العصر الأيوبي فكان التوقيع الخاص بالإقطاع يأمر المقطع بضرورة الأمر بالمعروف وإتباع العدل وعدم

1- تاريخ الزوقنيني، ص162.
2- نفسه، ص162.
3- نفسه، ص162.
4- الجهشياري، الوزراء والكتاب، ص88.

أخذ الرشوة وحسن الجوار[1]. وكذا كان الحال فيما يخص التوقيع الصادر عن الدولة لرئاسة اليهود يوصيهم بإتباع العدل وعدم الجور على ما تحت أيديهم من رعايا، ((فليجعل أسبابها بالتقوى، وغروسهم بالتدبير لا تذوى، ومقاصدهم لا يمازجها شك ولا شكوك...))[2].

كما أن الملاك والفلاحين من أهل الذمة استفادوا كغيرهم من أهل البلاد من الإعفاءات المالية في عهد السلاطين الأيوبيين [3]، ففي سنة (570هـ / 1174م) خرج السلطان صلاح الدين إلى دمشق فدخلها، ونشر علم العدل والإحسان، وعفى آثار الظلم والعدوان، وأبطل ما كان الولاة استجدوه بعد وفاة السلطان نور الدين زنكي (ت 569هـ / 1173م) من القبائح والنكرات، والمؤن والضرائب والمرحمات[4]. وبعد أن فتح السلطان حلب سنة (579هـ / 1183م) قام بكف المظالم ورفع الضرائب واسقط المكوس[5]. بل إن السلطان عمل على إلغاء المكوس (الضرائب غير الشرعية) في كل البلاد التي خضعت لسلطته المباشرة أو غير المباشرة [6]، وذلك ما يؤكده أبو شامة ضمن أحداث سنة (582هـ / 1186م) فبعد أن تم له فتح حمص، كتب منشوراً نصه: ((أمر بإسقاط المكوس بالرحبة [7]، وفيه: وهذا دأب السلطان في جميع البلاد، اقتصرنا منها على الرسوم التي يبيحها الشرع، وهي الخراج والأجور والزرع)) [8]. ولا بد من الإشارة إلى أن الرحالة بنيامين أشار إلى تواجد اليهود في الرحبة، وأنه يقيم فيها نحو ألفي يهودي، وأنها واسعة الأرجاء، وحولها الرياض والبساتين [9]. وأمر السلطان بإسقاط المكوس لا بد وأن يكون له تأثير على اليهود كباقي الفئات، بل إن

1- القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، 11 / 31-32.
2- نفسه، 11 / 380-381.
3- حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص92.
4- أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، 2 / 225.
5- العماد الاصبهاني، البرق الشامي، 5 / 132؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 2 / 147.
6- الصلابي، صلاح الدين الأيوبي، ص490.
7- الرحبة، والمقصود بها رحبة مالك بن طوق وتعرف برحبة الشام، على الفرات بين الرقة وعانة، أحدثها مالك بن طوق في خلافة المأمون (198-218هـ / 813-833م). رحل ابن جبير، ص311؛ الحموي، معجم، 3 / 34-35؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، 2 / 608.
8- أبو شامة، الروضتين، 3 / 163.
9- رحلة، ص157.

المنشور يبين أن الأمر لم يقتصر على الرحبة بل شمل جميع البلاد، وعمل على تحديد أمر الخراج والزروع.

ومع ازدياد حاجة الدولة إلى الأموال في ظل الظروف العسكرية السائدة، نظر الزنكيون ومن ثم الأيوبيون إلى هذه المستحدثات (الضرائب غير الشرعية) على أنها خارجة عن مألوف واردات الدولة الإسلامية في نظر الشرع والدين [1]. وكذلك لضيق حال المزارعين بهذه الضرائب مما يؤدي إلى هروبهم من أرضهم ومن ثمَّ خرابها فأنكرها الفقهاء [2].

ومن بين الأمثلة الأخرى على هذه السياسة في زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي أنه أسقط كثيراً من الضرائب، ومنها ضريبة الأتبان [3] المسقطة على أعمال دمشق، وضياع الغوطة، والمرج [4]، وجبل سنير، وقصر حجاج [5]، والشاغور، والعقبة ومزارعها [6]. كما طهر الملك العادل الأول (596-615هـ / 1199-1218م) ولايته من المكوس والمظالم [7].

وكذلك حرص سلاطين المماليك على إزالة مثل هذه المكوس والمظالم، فضمن أحداث سنة (677 هـ / 1278م) أسقط السلطان السعيد ابن الظاهر بيبرس (676-678هـ / 1277-1279م) عن أهل الشام ما كان قد قرره الملك الظاهر (658-676هـ / 1259-1277م) على البساتين في كل سنة[8]. وعندما تولى السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون (689-693هـ

1- خالد سليمان حمد عبد الرحمن، إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، ص137-138.
2- سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، 8 / 770؛ الكتبي، عيون التواريخ، 20/ 21.
3- الاتبان، وتعني العصفان وهو ما يجز من ورق الزرع وهو رطب، ويجز ورق النبات ليكون أخف للزرع، وتطلق الكلمة الآن على ما يتخلف من حصاد الحنطة والشعير. الهروي، تهذيب اللغة، 2 / 27؛ ابن منظور، لسان العرب، 9 / 247.
4- المقصود به مرج راهط بالغوطة إلى الشرق من دمشق. البكري، معجم ما استعجم، 2 / 630؛ الحموي، معجم، 5 / 100.
5- حجاج، محلة كبيرة في ظاهر باب الجابية بدمشق نسبة إلى الحجاج بن الوليد بن عبد الملك بن مروان. الحموي، معجم، 4 /357.
6- سبط بن الجوزي، مرآة، 8 / 595.
7- نفسه، 8 / 599.
8- المقريزي، السلوك في معرفة الملوك، 2 / 114.

/ 1290-1293م)، عمد إلى إبطال عدة حوادث [1]، ومننها ما كان قد تجدد على الغلة ببلاد الشام، وسامح بما تأخر من البواقي[2] بأرض مصر والشام[3]. وفي سنة (693هـ / 1293م) أبطل مكساً كان يؤخذ في باب الجابية على كل حمل قمح خمسة دراهم، وكتب ذلك الأمر بخط يده ما نصه: ((ولنكشف عن رعايانا هذه الظلامة ونستجلب الدعاء لنا من الخاصة والعامة)) [4].

وفي عهد السلطان الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون الثالثة (709-741هـ / 1310-1340م) وتحديداً سنة (714هـ / 1314م) وصل بريد من دمشق وفيه بانه قد اجتمع على الناس بواق كثيرة من ضمانات ومقررات على أهل البلاد، وقد تضرروا منها. فكتب مرسوماً بمساعدة أهل الشام بالبواقي لاستقبال سنة ثمان وتسعين وستمائة وإلى آخر سنة ثلاثة عشر وسبعمائة، وتلاه مرسوم آخر بإعفاء الفلاحين من السخر، وإبطال مقرر [5] الأقصاب، فأبطل ذلك كله من جميع ممالك البلاد الشامية بأسرها [6]. وفي سنة (724هـ / 1323م) كتب السلطان محمد بإبطال مكس الغلة بالشام وهو على كل غرارة [7] ثلاثة دراهم، وكانت تبلغ في كل سنة مليوناً ومائتي ألف درهم [8]. وبذلك فقد رفع عن كاهل الفلاحين مبلغاً كبيراً كان يسبب لهم صعوبة في تلبيته، وبالذات في السنوات التي تتذبذب فيها الأسعار.

وفي سنة (738هـ / 1337م) كتب مرسوم بمساحة ضمان جهات دمشق بما عليهم من البواقي للديوان ومبلغه مائتي ألف درهم فأهملت من الحساب [9]. وفي بعض الأحيان كان

1- الحوادث، جمع حدث وهي الضرائب والمكوس التي لا تستند إلى سند شرعي أو ابتداع تجديدات في الحكومة والإدارة. دوزي، تكملة المعاجم العربية، 3 / 94.

2- البواقي، لفظ اصطلاحي كان يطلق على كل ما يتأخر كل سنة عند الضمان من الخراج. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص39.

3- المقريزي، السلوك، 2 / 220.

4- المقريزي، السلوك، 2 / 247.

5- المقرر، هو المكس أو الضريبة المعلومة المقدار. محمد عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص554.

6- المقريزي، السلوك، 2 / 496.

7- الغرارة، مكيال دمشقي للحنطة، وتعني حرفيا ((العدل من صوف أو شعر)). وتتألف من 12 كيلاً أو 72 مداً دمشقياً، وتبلغ حوالي (204) كغم. القلقشندي، صبح الأعشى، 4 / 188؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص64.

8- المقريزي، السلوك، 3 / 72.

9- نفسه، 3 / 234.

النواب يعمدون إلى جمع الأموال من الفلاحين بالقوة [1]، وهذا ما يرويه المقريزي ضمن أحداث سنة (824هـ / 1421 م) في عهد السلطان سيف الدين ططر أنَّه ((مر في طريقه بمدينة القدس، فرفع إليه إن من عادة نائبها أن يجبي كل سنة من فلاحي الضياع نحو أربعة آلاف دينار، وبسبب ذلك خربت معاملة القدس، فعوض النائب عن ذلك ونادى بإبطال هذه المغارم)) [2].

وكان الفلاحون يعانون من الظلم الذي أوجده النظام الإقطاعي العسكري، فلم يكن للفلاح الحق في مغادرة الأرض التي يعمل فيها إلا بعد مرور ثلاث سنوات وإن حدث وغادرها يعاد إليها بالقوة [3]، وذلك ما يؤكده السبكي بقوله: ((ومن قبائح ديوان الجيش إلزامهم الفلاحين في الإقطاعات بالفلاحة... وقد جرت عادة الشام بأن من نزح من دون ثلاث سنين يلزم ويعاد إلى القرية قهراً، ويلزم بشد الفلاحة)) [4]. إن تلك الروايات التي ذكرت كانت تؤكد وجود تجاوزات على الفلاحين في بلاد الشام، وقد بلغت أوج قوتها في أواخر العصر المملوكي، وتقابلها محاولات من قبل السلاطين لإزالة تلك المظالم، التي كانت سبباً في تراجع الحياة الزراعية وتأثرها بل وخراب الأرياف في بلاد الشام بصورة عامة. ولعل القارئ يسأل ما علاقة ما ذكر باليهود فالإجابة عليه أنهم جزء من أهل الذمة وما ذكرته المصادر يشمل الجميع دون الفصل بينهم.

1- يوسف درويش غوانمة، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، ص132.
2- السلوك، 7 / 41.
3- علي، القدس في العصر المملوكي، ص198؛ غوانمة، تاريخ، ص131.
4- معيد النعم ومبيد النقم، ص34.

المبحث الرابع
في مصر

إن النشاط الزراعي لليهود في مصر موغل في القدم، ففي عصر البطالمة كان الكثير من اليهود يعملون في شؤون الزراعة، ويأتي في مقدمتهم أرباب الإقطاعات من الجند اليهود الذين استوطنوا ريف مصر... وقد تحولت إقطاعاتهم بمضي الزمن إلى ملكية خاصة يتوارثها أبناؤهم، وإلى جانب أرباب الإقطاعات نجد الكثير من الفلاحين اليهود العاديين ممن يقومون على زراعة الأرض في إقليم الفيوم ومصر العليا، وفي الفيوم كان بعضهم يستأجرون أرضاً فيزرعونها لحسابهم، وبعضهم يعملون لحساب غيرهم بوصفهم أجراء[1].

وكذلك لديهم نشاط واضح في تربية الماشية وذلك ما تثبته الوثائق البردية التي تتناول هذا الموضوع بردية من قرية السامرة بالفيوم سنة (155 أو 144 ق.م) وتضم قائمة بأسماء بعض الجنود اليهود مع ذكر ما يمتلكه كل منهم من الماشية [2].

أما في العصر الروماني فمن المعروف أنه قد أبطل منح الإقطاعات للجند، إلا أنه كانت لا تزال توجد بقية من هذه الإقطاعات في يد اليهود، وقد كان لبعض أثرياء اليهود ملكيات خاصة، وأنها كانت من بقايا الإقطاعات التي منحت لليهود في العصر البطلمي. وصودرت تلك الأراضي في عام (117م) إثر ثورة اليهود، وكان فلاحون من اليهود يعملون أجراء في الأراضي التي يمتلكها الرومان [3].

وعلى الرغم من سعة النشاط اليهودي في الزراعة منذ حقبة مبكرة، فإنهم مع قيام المدن الإسلامية وازدهار نشاطها فضلوا العيش في المدن الإسلامية والعواصم بل

1- عبد العليم، اليهود في مصر عصري البطالمة والرومان، ص64.
2- نفسه، ص65-66.
3- عبد العليم، اليهود في مصر، ص210-211.

كانت الحياة في قرية أو مدينة صغيرة يعدها بعض اليهود الذين اعتادوا على حياة المدن عقاباً لهم[1]. ويشير إسرائيل شاحاك إلى أن اليهود كانوا يكرهون ويحتقرون الزراعة كمهنة وللفلاحين كطبقة[2]. وكلامه فيه تناقض كون الزراعة وتربية الماشية كانت المهنة الأساسية لليهود، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في الصفحات السابقة، بل إن الشريعة اليهودية تحث اليهود على مزاولة النشاط الزراعي، ووضعت له تفاصيل دقيقة بدءاً من حراثة الأرض وانتهاءً بعملية الحصاد [3]. بل إنه يشير إلى بعض تلك التفاصيل في موضع آخر [4]. ويتناسى سياسة التسامح التي منحت لليهود من قبل الدولة الإسلامية مكنتهم من تأدية دور مهم في الحياة الاقتصادية، بحيث فضلوا العمل في التجارة وما يتعلق بها لما تحققه من أرباح كبيرة إذا قورنت بالنشاط الزراعي، ولذلك كانت المعلومات محدودة عن مزاولتهم الزراعة، ومع ذلك فقد أوردت المصادر التاريخية بعض الإشارات تتحدث عن علاقة اليهود بالنشاط الزراعي في مصر.

ومن تلك الإشارات ما ذكره ابن الراهب من أن الأمير أحمد بن طولون (254-270هـ/ 868-883م) صادر البطريق ميخائيل الراهب وباع رباع الكنائس بمدينة الإسكندرية والحبش[5] لليهود، وبعض كنيسة المعلقة لليهود، وقام بالنصف من المقرر عليه وهو عشرة آلاف دينار[6]. لكن المقريزي يبدي استغرابه حول تلك الواقعة بقوله: ((ولا أعلم كيف ملكوا أرض الحبش)) [7]، لكن ما يهم هو أن اليهود كانوا يمتلكون أراضٍ زراعية في الفسطاط والإسكندرية.

1- عطا، اليهود في العالم العربي، ص175.

2- التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية وطأة ثلاثة آلاف سنة، ص85.

3- للمزيد عن التشريع اليهود فيما يخص الزراعة ينظر، المشنا / قسم (زراعيم).

4- شاحاك، التاريخ اليهودي، ص67، 69.

5- الحبش، والمقصود بها بركة الحبش وتعرف ببركة المغافر، وحمير، وأيضا باصطبل قرة، وهي أشهر برك مصر وتقع في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها وعرفت بالحبش لأنها كانت لطائفة من الرهبان الحبش. المقريزي، المواعظ والاعتبار، 3 / 269-275؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 6 / 381-383.

6- تاريخ أبي شاكر المعروف بابن الراهب، ص132.

7- المواعظ والاعتبار، 3 / 271.

وأشار المقريزي إلى وجود بستان اليهودي ويقع إلى جهة القبلة من جبل المقطم[1]. وتشير سيمينوفا إلى أن اليهود السوريين الذين هاجروا إلى الفيوم خمسمائة يهودي قد قاموا بزراعة أشجار التوت وتربية دود القز، وذلك في (ق 6هـ / 12م) [2].

وفي أيام الوزير الفضل (ت 515 هـ / 1121 م) وتحديداً سنة (506هـ / 1112م) تم فتح خليج من النيل إلى الشرقية، فقد كان الماء لا يصل إليها إلا من السردوسي[3]، ومن الصماصم[4]، ومن المواضع البعيدة، فكانت اغلب أراضي هذه المنطقة يشرق في أكثر السنوات[5]. وكان المشرف على هذه المنطقة رجلاً يعرف بأبي المنجا شلومو بن شعيا[6]، فتضرع إليه المزارعون وطالبوه بفتح ترعة يصل الماء منها إليهم[7]، وبدا حفر الخليج المعروف بـ ((خليج أبي المنجا)) يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة (506هـ / 1113 م) واستمر الحفر فيه سنتين، وغرم فيه مال كثير، وكان في كل سنة تظهر فائدته[8]. والراجح أن الاعتماد على شخص مثل أبي المنجا اليهودي في الإشراف على مشروع لإيصال الماء إلى الأراضي الزراعية، إنما جاء من خبرته في الجوانب الزراعية وما يتعلق بها.

ويشير يعقوب لاندو حين يتكلم عن امتلاك الأراضي الزراعية بالنسبة لليهود في نهاية العصر المملوكي، إن اليهود لم يعملوا بالزراعة، كما أنه لم يكن من الشائع في أوساطهم شراء الحقول والمزارع، ويورد إحدى الفتاوى للحاخام ديفيد بن زمارة: ((ليس من الشائع قيام اليهود بشراء الحقول والمزارع، ومع هذا فقد انتشر هذا الأمر في أوساط غير اليهود، بل ويذكر بعض الحمقى أنَّه لو أشترى اليهود الأراضي فإنها لن تنبت))، ويؤكد أن بعض اليهود امتلكوا بعض مزارع الزيتون، وأنَّ بعض يهود الإسكندرية كانوا

1- نفسه، 4 / 78.

2- تاريخ مصر الفاطمية، ص119

3- السردوسي، أحدى المناطق في مدينة قليوب تكثر فيها البساتين وذكر القلقشندي أنه تحد الخلجان في مصر. صبح الأعشى، 3 / 333؛ ابن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص90.

4- لم يعثر لها على تعريف.

5- المقريزي، المواعظ، 2 / 432.

6- Mann, The Jews in Egypt, vol.1, p.215.

7- القلقشندي، صبح الأعشى، 3 / 336؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3 / 50.

8- القلقشندي، صبح الأعشى، 3 / 336.

يمتلكون بعض المزارع، وأنهم كانوا يفرون إليها في الأوقات التي تتفشى فيها الأوبئة، ومع هذا فقد اشتغل غير اليهود في هذه المزارع [1].

ولا بد من الإشارة إلى ندرة المعلومات عن دور اليهود في الحياة الزراعية في مصر، ولعل السبب في ذلك قلة أعدادهم إذا ما قورن بغيرهم سواء من المسلمين، أو الأقباط وكذلك إن امتلاكهم للأراضي الزراعية كان محدوداً لاسيما أن الرومان صادروا أراضيهم الزراعية، والسبب الآخر التحول في البنية الاقتصادية في الدولة الإسلامية وخاصة في العصر العباسي وما قدمته من تسهيلات أسهمت في تحول الاقتصاد من زراعي إلى زراعي – تجاري، وذلك ما سيتم الحديث عنه لاحقاً.

أما عن موقف الدولة فلا يكاد يختلف عن غيرها من أقاليم الدولة الإسلامية، فبعد فتح مصر (21هـ / 641م) تركت الأراضي لأهل البلاد ولم تقسم بين الفاتحين [2]، وكذلك جاء في نص الصلح الذي أعطاه عمرو بن العاص (ﷺ) (ت 43هـ / 663م) لأهل مصر: ((هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص)) [3]. ويؤكد ابن عبد الحكم ذلك بنص آخر بقوله: ((وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم في شيء منها)) [4]. ومع أن عهود الصلح كانت مع القبط إلا إنها شملت اليهود ضمنياً كونهم ذمة أهل الذمة أولا وأقلية ثانياً.

وتؤكد أوراق البردي التي ترجع إلى عهد الولاة على أنَّه كان يحق لأهالي مصر التصرف في الأراضي التي يملكونها بالبيع والتوريث والهبة [5]. وكانوا يدفعون عنها الخراج، وتشير أوراق البردي بأن الخراج في مصر كان يجبى عيناً ونقداً، وعلى سبيل المثال لا الحصر، كتاب صادر من قبل قره بن شريك يرجع تاريخه إلى سنة (90–91هـ / 708–709م) يطلب فيها من أهل شبرا، دفع المتأخر من الجزية عليهم بالدنانير، ودفع

1- تاريخ يهود مصر، ص158.
2- كاشف، مصر في فجر الإسلام، ص53.
3- الطبري، تاريخ، 2 / 598.
4- فتوح مصر، ص81.
5- حول تلك الأوراق ينظر، جروهمان، الأوراق البردية العربية، 1 / 129–134، 145–149.

ضريبة الطعام قمحاً [1]. وما يقصد هنا بضريبة الطعام الخراج أو جزء منه، وشملت أوراق البردي وصولات دفع بموجبها. ويذكر البلاذري أن أهل الجزية بمصر صولحوا في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ) بعد الصلح الأول مكان الحنطة والزيت والعسل والخل على أربعة دنانير، فرضوا بذلك وأحبوه [2]. ويبدو أن قبول أهل الذمة بالأمر جاء نتيجة إدراكهم مدى تقدير الدولة الإسلامية لإمكانياتهم الاقتصادية، وأن ما يفرض عليهم لا يقارن بمن كان من قبلهم.

ولم يأت لليهود ذكر في المصادر التاريخية أو غيرها في مختلف الجوانب ومنها الاقتصادية حتى زوال الدولة الطولونية (254-292هـ/ 868-904م) وقيام الدولة الإخشيدية (333-358هـ / 944-968م)، ونجد فقط أشارة واحدة تفيد بأن كافور الإخشيدي (355-357هـ / 965-967م) قد استعمل منهم يعقوب بن كلس (ت 380هـ / 990م) الذي اعتنق الإسلام فيما بعد، وخدم الدولة الفاطمية، ويبدو أن اليهود طوال هذه العصور التاريخية كانوا يمارسون أعمالهم، وحرفهم المختلفة من دون التدخل في السياسة، مما لم يجذب انتباه المؤرخين، ومما أدى إلى إهمال المصادر التاريخية لهم [3]. والملاحظ أنه في العصور التاريخية اللاحقة أصبح لهم دور مهم في الجوانب الاقتصادية المختلفة باستثناء الزراعة التي تكاد تكون معدومة. ولعل من الأسباب المهمة أن الأرباح الناتجة عن العمل الزراعي محدودة إذا ما قورنت بالتجارة مثلاً، وكذلك يوحي إلى كونهم أقلية وذلك ما سبق الحديث عنه.

1- جروهمان، أوراق البردي العربية، 3 / 11-13: للمزيد من التفاصيل ينظر، المصدر نفسه، 3 / 125-132، 139-164.

2- فتوح، ص202.

3- عامر، تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، ص384.

المبحث الخامس
في إيران وبلاد ما وراء النهر

شكلت الزراعة في إيران وبلاد ما وراء النهر إحدى الركائز الأساسية لاقتصاديات ذلك الإقليم، الذي كان إقليماً زراعياً من الدرجة الأولى، وكانت الأراضي متوفرة بشكل كبير في مختلف مناطقه الجبلية والسهلية والساحلية، وقد انتشرت هذه الأراضي حول المدن الكبيرة والصغيرة في الأرياف حول القرى المنتشرة في سهولها وجبالها [1]. وتواجد اليهود فيها إلا أن ما أوردته المصادر عن دورهم في الحياة الزراعية محدوداً بل لا يتجاوز إشارات قليلة. ولعل السبب في ذلك كونهم أقلية أولاً والتحول لدى اليهود في ممارستهم للحرف ثانياً، فبعد أن كانوا في القرن الأول يشتغلون بالزراعة وتربية الماشية [2]، تحولوا إلى مهن أخرى وخاصة التجارة وما يتعلق بها من الأنشطة. ولعل أهم المناطق التي كان لليهود فيها دور في الحياة الزراعية فهي مدينة أصفهان وعرفت كذلك باليهودية وأنهم ومنذ زمن ترحيلهم في أيام نبوخذ نصر من الشام، نزلوا بها وكانت أرضها بوراً غامرة لا ساكن بها، فأحدثوا المنازل وتصرفوا في وجوه العمارة والفلاحة وأسباب الغروس والزراعة، واقتنوا الماشية [3]. وأشار بنيامين التطيلي إلى أن اليهود في نيسابور يشتغلون بالزراعة [4]. وأضاف الجاحظ ان في أرض فارس حشيشة القرمز لا يعرف مكانها إلا فرقة من اليهود يتولون قلعها في ماه اسفندارمز، ويصبغ بها الابريسم والصوف وغير ذلك [5].

ولا تشير المصادر إلى أية معلومات أخرى عن أنواع المحاصيل التي أهتم بها اليهود، لكن من الطبيعي أن يكون حالهم كحال سكان البلاد وما يزرعونه من المحاصيل.

1- حسن منيمنة، تاريخ الدولة البويهية، ص340.
2- الدوري، اليهود في المجتمع الإسلامي عبر التاريخ، 3 / 102.
3- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص366-367.
4- رحلة، ص192-193.
5- التبصرة بالتجارة، ص24.

أما عن سياسة الدولة فلا يختلف عما سبق ذكره عن الأقاليم الأخرى، وبقدر تعلق الأمر بالزراعة فكانت ضريبة الأرض الخراج، وتختلف أساليب جبايتها وطبيعتها من بلد لآخر في صدر الإسلام، حسب طبيعة الأرض وطريقة السقي ونوع المحاصيل إضافة للعرف المحلي[1]، وكان اليهود يدفعون ضريبة الرأس الجزية، وضريبة الأرض مع رسوم أخرى غيرها للبيزنطيين وللساسانيين قبل الإسلام. إلا أن المسلمين أعادوا تنظيم الضرائب وبسطوا الإدارة، واشرفوا على الجباية مما خفف عن أهل الذمة وأزال الكثير من المساوئ؛ وفي الوقت الذي تؤكد (الشريعة الإسلامية) على عدم جواز تسلط غير المسلمين على المسلمين [2].

إلا أن الطبري يورد نصاً مهماً يبين محاباة الجباة من أهل الذمة لأبناء ذمتهم من يهود أو غيرهم على حساب المسلمين، كما حصل في مرو عند كان نصر بن سيار (ت 131 هـ / 748م) والياً عليها في نهاية العصر الأموي، فخطب نصر بالناس، وقال: ((ألا إن بهرامسيس كان مانح المجوس، يمنحهم ويدفع عنهم. ويحمل أثقالهم على المسلمين، ألا إن أشبداد بن جويجور كان مانح النصارى، ألا إن عقيبة اليهودي كان مانح اليهود يفعل ذلك. ألا إني مانح المسلمين أمنحهم وأدفع عنهم، وأحمل أثقالهم على المشركين، ألا إنه لا يقبل مني إلا توفي الخراج على ما كتب ورفع)) [3].

يؤكد النص على أن اليهود في خراسان وما حولها كان لهم أراض زراعية يدفعون عنها الخراج، وإلا لما أقدم نصر بن سيار على ذكرهم مع باقي فئات أهل الذمة، بل وإنَّه حدد الشخص المكلف بجباية الخراج منهم.

بل إن حبيب لوي، يذكر أنَّ العصر العباسي ومنذ بدايته وإلى عصر الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ / 786-808م) كانت أحوال اليهود في إيران هادئة، وكانوا مشغولين بالربح والتجارة والزراعة وتزايدت ثرواتهم [4]. وفي العصر البويهي وبشكل عام كان المجتمع الإسلامي يكن لليهود وزعمائهم الاحترام، ولم تكن معاملتهم سيئة، لاسيما في

1- الدوري، اليهود، ص98-99.

2- Andrew Sharf, Byzantine Jewry from Justinian to the Forth crusade, p.189-193.

3- تاريخ، 7 / 173.

4- تاريخ يهود إيران، 2 / 354.

إيران. وعلى هذا الأساس فقد توسع نشاطهم التجاري بين يهود كردستان ونيسابور، وانشغلوا بالزراعة، وكانوا في أقصى حالات الرفاهية [1].

والراجح أن حال اليهود في إيران وبلاد ما وراء النهر كان جيداً في مختلف العصور الإسلامية مع أن المصادر لا تشير إليهم، بل إنهم بعد اجتياح المغول للعالم الإسلامي كان لهم دور مهم في مختلف المجلات، ومنها الاقتصادية بحكم العلاقة الودية بين الطرفين[2].

1- نفسه، 2 / 389.

2- حول تلك العلاقة، ينظر، القصيبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الايلخانيين.

الفصل الثالث

مكانة التجارة
والطرق التجارية لليهود

المبحث الأول: مكانة التجارة عند اليهود.

المبحث الثاني: الطرق (المسالك) التجارية لليهود.

المبحث الثالث: الجاليات اليهودية التجارية.

المبحث الأول
مكانة التجارة عند اليهود

مارس اليهود النشاط الاقتصادي بجوانبه المختلفة كغيرهم، فعند ذكر هم يتبادر إلى الأذهان علاقتهم بالمال والتجارة، ويعتقد البعض أن التجارة كانت مهنتهم منذ العصور الغابرة، إلا أن ذلك ليس دقيقاً، وما يؤكد ذلك الدكتور حسن ظاظا والسيد محمد عاشور، في كتابهما ((اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة))، الذي يؤكد أن اليهود لم يكونوا تجاراً في بداية تواجدهم على مسرح التاريخ، والكاتبان يذكران أن اليهود من بين الأمم القديمة التي لم يعرف عنهم شيء من النشاط التجاري عبر التاريخ القديم بقدر ما اشتهروا في العصور الوسطى بممارسة الاتجار في النقود أو الإقراض بالربا، وأنهم تحولوا في العصور الحديثة إلى جمع رؤوس الأموال وتكديسها تحت سيطرتهم، لاستعمالها ليس في إقراض الأفراد فحسب بل والحكومات إذ توجد عدة أسر يهودية قديمة ومشهورة بامتلاكها الملايين وذات صلة بالحكام والمتنفذين لأنها تعمل على فرض سيطرة رأس المال اليهودي[1].

وترى باحثة أخرى أن اليهود لم يكونوا تجاراً بالنشأة، بل أصبحوا تجاراً بالضرورة في عصر متأخر جداً لأن التجارة نشاط حضاري واطلاعهم على مظاهر الحضارة الأخرى يكاد يكون معدوماً فلم يعرف عنهم طرازاً في العمارة، أو أسلوباً في الزخرفة، أو طريقة في الصناعة، أو نمطاً في الإنتاج يميزهم، وعاشوا على هامش الإمبراطوريات الضخمة المتحضرة ويعملون رعاة، ويقيمون في الخيام، واستمر ذلك أجيالاً عديدة من تأريخهم[2]، ولو رجعنا إلى اللغة العبرية لوجدنا فقراً مدقعاً في المصطلحات التجارية، وهذا يثبت انغلاق هذا المجتمع البدوي القديم دون التجارة، فالتاجر عندهم مجرد بائع – موخير بالعبرية – والزبون هو المقتني أو الشاري، وأكثر السلع والبضائع الشائعة في تلك

1- اليهود ليسوا تجاراً، المقدمة.

2- عطا، اليهود وتجارتهم، ص41.

الحضارات الشرقية ليس لها اسم في اللغة العبرية، وإلى أن تصدق عليهم الآراميون والفينيقيون والآشوريون والعرب بالكثير من هذه الألفاظ التي تكاد تندر في التوراة، ثم تربو وتزيد في التلمود والمدراش، لتثبت أن اليهودي القديم لم يكن تاجراً بالمعنى العلمي الاقتصادي للكلمة [1].

وفي المأثور الديني اليهودي يكثر التشنيع بالتجارة، ومن ذلك أن المفسرين للتوراة عندما تناولوا كلام موسى عن شريعته إذ يقول: ((إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك، ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها، ولا هي في عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها)) [2]. وعلق أولئك المفسرون بأن قطع الآفاق والبحار شأن التجار، والشريعة غير ذلك. حتى أن الربي يوحنان يقول ذلك نصاً في المدراش عند نصوص التوراة أعلاه، ويروون عن الربي يشوع بن حنينا في التلمود قوله: ماذا ينبغي على الإنسان أن يفعل حتى ينال الحكمة؟ أن يكثر من غشيان حلقات العلماء وألا يهتم بالتجارة، وتكرر مثل ذلك في المشنا، ما نصه: ((إن من يكثر من الاهتمام بالتجارة لا يحظى بالحكمة)) [3].

ويشير إلى ذلك أحد الباحثين بقوله: ((من لطيف الملاحظة أن سفر اللاويين – وسائر أسفار موسى– قد خلا من الإشارة إلى التجارة باعتبارها نشاطاً اقتصادياً هاماً، بينما أكثر من الإشارة إلى الزراعة، وهذا يدل على طبيعة اليهود الرعوية)) [4]. ومن خلال النصوص الآنفة الذكر يتبين التردد الواضح من مفكري اليهود القدامى بين الإقدام والإحجام على التجارة، إنما يرجع إلى أنها كانت فناً لا يعرفه هؤلاء الأقوام، لدرجة أن كلامهم عن الربا مثلاً أوضح وأنصع، لأنهم عرفوه منذ البداية، وظلوا حتى النهاية يعتبرونه صورة من صور التجارة [5].

1- اليهود ليسوا تجاراً، المقدمة، ل، م.
2- تثنية، (30: 12-14).
3- عطا، اليهود وتجارتهم، ص42.
4- حسين، الإسلام واليهودية، ص504.
5- اليهود ليسوا تجاراً، المقدمة، س.

أما عن بداية النشاط التجاري لدى اليهود، فيشير عبد الوهاب المسيري أنه مع نهاية الأسر البابلي كان اليهود قد ذابوا في المجتمع الذي أسروا إليه وتعلموا أسرار التجارة، حتى جاء القرن الخامس الميلادي وكانوا قد أصبحوا تجاراً دوليين، فاحتكروا معظم التجارات الدولية ولاسيما سلع الترفية والذهب والفضة والمنسوجات والرقيق، ولهذا أصبح اليهودي المتجول معروفاً في كل بلد وسوق يذهب إليه، وكانت بعض الدول تريد إنعاش حركة التجارة فيها ترسل في طلب بعض اليهود وتوطنهم لكي يقوموا بدور الوسيط، وينشطوا حركة التجارة التي يعجز المجتمع الزراعي بتنظيمه عن القيام بها [1].

ولكن ما ذكر أعلاه لا يمكن التسليم بكليته، ففي أمر تعلمهم أسرار التجارة من البابليين أمر مقبول، أما مسألة احتكارهم أو سيطرتهم على عظم التجارة الدولية، فذلك أمر مبالغ فيه، ولعل المسيري يقصد به اليهود في الغرب الأوربي أما في الرقعة الجغرافية التي هي قيد الدراسة ((الشرق الإسلامي))، فلا يمكن إسقاط الأحوال الاقتصادية ليهود أوربا عليهم، لعدة أسباب لعل من أبرزها أن اليهود كانوا وعلى مر الحقب التاريخية يمثلون أقلية في تلك المناطق مقارنة مع باقي السكان، وأن المصادر لا تشير إلى معلومات واضحة عن دور لليهود في المجال التجاري، يقابله إشارات واضحة عن دور باقي سكان تلك المناطق ومنها على سبيل المثال الجزيرة العربية (الحجاز) فذكرت الآيات القرآنية بصورة واضحة دور قريش التجاري بين مختلف المناطق داخل أو خارج الجزيرة العربية، مع عدم إغفال دور اليهود لكنه لا يقارن بدور قريش في الجانب التجاري، ولعل ابرز ما يؤكد ذلك ما ورد في سورة قريش ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)﴾ [2].

ويعلل ظاظا معوقات العمل بالتجارة عند اليهود فيذكر العديد من الأسباب لعل من أبرزها:

إن الديانة اليهودية لم تحبذ التبادل التجاري، لأن التوراة تدعي بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنه يجب عليهم ألا يتعاملوا مع الشعوب الأخرى لأن اليهود يظنون أنهم أعلى درجة من غيرهم، وأصبحت تلك الفكرة أساساً لفكرة التعصب العرقي عندهم،

1- موسوعة اليهود واليهودية، 3 / 254.

2- سورة قريش، الآية 1-4.

ونشأ عن ذلك مبدأ عدم الاختلاط بغيرهم من الشعوب، ومن ثم عدم الاتجار معهم ونتيجة لذلك تكون التجارة في أضيق الحدود. وأمر آخر أن الشريعة اليهودية تمنع التبشير بديانتها لاعتقادهم أن الدين اليهودي نزل فقط لهم خاصة وليس لأحد غيرهم أن يعتنق الدين اليهودي، فكان ذلك مما أدى إلى ضعف العلاقة بينهم وبين العالم الخارجي [1].

ليس ذلك فحسب بل إن لسوء معاملة الدول غير الإسلامية أثر سيء عليهم وبالتالي على اشتغالهم بالتجارة بعكس ما لاقوه من المعاملة الحسنة من المسلمين، التي كان لها الأثر الحسن عند اليهود وتشجيعهم للقيام بالأعمال التجارية [2].

ومن الأمثلة على المعاملة السيئة لليهود في الدولة الساسانية، فبعد أن اشتغلوا جواسيس للفرس عندما احتلوا بابل في القرن الخامس ق.م، انقلب الحال عليهم في عهد الملك اردشير، فضيق عليهم الخناق وأمر باضطهادهم وسمح للمجوس بتعذيبهم والتنكيل بهم، لأنهم كانوا قد ساعدوا الفرثيين في حروبهم ضد اردشير[3]. وكذلك ما تعرض له اليهود على يد الرومان في بلاد الشام، إذ دمروا معبدهم سنة (70م)[4].

وأشار الخربوطلي، أن هذه هي أحوال اليهود في الدولتين الفارسية والرومانية، يعانون الظلم والاضطهاد، وأصبحوا يتطلعون إلى من ينقذهم، وكانت الفتوحات الإسلامية لأرض الفرس والرومان، هي المنقذ المنشود واليهود قبل كل شيء يؤثرون مصالحهم المادية الخاصة، ولذا رأوا أن يقفوا موقف الحياد التام من قتال الجيوش العربية الإسلامية للجيوش الرومانية في بلاد الشام ومصر. وقد قدر العرب الفاتحون لليهود موقفهم الحيادي. فسمحوا لهم باستمرار إقامتهم في المدن التي كانوا يقيمون فيها، وأطلقوا لهم الحرية الدينية، وحرية وممارسة نشاطهم الاقتصادي [5].

1- اليهود ليسوا تجاراً، ص63-64.
2- نفسه، ص158.
3- يوسف غنيمة، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، ص93.
4- الخربوطلي، العلاقات السياسية والحضارية بين العرب واليهود، ص91: وللمزيد حول علاقة اليهود بالرومان ينظر:

James J. Bloom, The Jewish revolts against Rome, A.D.66-135; Louis H.Feld man and Meyer Reinnhold, Jewish Life and thought among Greeks and Roman، 265-301.

5- العلاقات السياسية والحضارية، ص92.

والكلام المذكور فيه نوعاً من الصحة إلا في نقطة واحدة وهي أن المسلمين قدروا لليهود موقفهم الحيادي، إذ يفهم من خلالها أن موقفهم هو الذي جعل المسلمين يمنحونهم حرية الإقامة بالمدن التي كانوا يقيمون فيها، وأطلقوا لهم الحرية الدينية والاقتصادية. وذلك لا يمكن قبوله لما فيه من تقليل من شأن التسامح الذي أقرته الشريعة الإسلامية السمحاء تجاه أهل الذمة بصورة عامة بما فيهم اليهود، رغم عدائهم الواضح للدين الإسلامي. وإنما موقف اليهود الحيادي كان لأسباب ذكرها عبد الله الشريف، ولعل من أهمها أن موقف يهود الشام من الفتح الإسلامي تميز بايجابية نسبية، غير أن تلك الايجابية كانت رضوخاً للأمر الواقع وتحقيقاً للمصالح، لا ولاءً حقيقياً أو رضاً نفسياً، وهذا الموقف تشكل بفعل عدة أسباب أهمها: سعيهم إلى الخلاص من الاضطهاد البيزنطي، والعداء المستحكم آنذاك بين اليهود والنصارى، وعلمهم بحقيقة دعوة الإسلام وظهورها الأكيد، والإفادة من فشل التجربة العدائية لقومهم يهود الحجاز زمن المصطفى (ﷺ) وأن يهود الشام كانوا عند الفتح أقلية متفرقة مختلفة ممقوتة مستذلة تابعة للنصارى، لاسيما الحكم البيزنطي [1]. ويمكن تعميم ذلك على باقي أقاليم الدولة الإسلامية.

ويحاول بعض المستشرقين وعلى سبيل المثال لا الحصر ترتون التشكيك بالتسامح الإسلامي تجاه اليهود بقوله: ((كان المسلمون ينظرون إلى اليهود نظرتهم إلى فئة دونهم مكانة، لا يحق لهم أن يتطاولوا لأكثر من تناول الفئات من موائد سادتهم)) [2]. إلا أنه يناقض نفسه عند إيراده كلام بنيامين التطيلي، واصفاً الحال التي كان عليها رأس الجالوت في بغداد بقوله: ((كما أن بنيامين التطيلي يعطينا صورة واضحة زاهية المعالم عن نفوذ متوليها وخطورته...)) [3].

فكيف يعقل أن يكونوا من الفئة الدنيا ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال [4]. فمنهم الصيرفي والتاجر والمعالج الطبيب

1- موقف يهود الشام من الفتح الإسلامي، ص526.
2- أهل الذمة في الإسلام، ص101.
3- نفسه، ص101-102.
4- متز، الحضارة الإسلامية، 1 / 65.

والخياط وغيرها [1]. ويمكن أن تعد سياسة التسامح الإسلامي من أولى العوامل التي أدت إلى تغيير مهم في حياة اليهود الاقتصادية، بل تغيير رؤيتهم للأعمال التجارية رغم موقف الدين اليهودي منها، والتي تم الحديث عنها في الصفحات السابقة.

بل إن هنالك عوامل أخرى ساعدت على إتمام ذلك التغيير لدى اليهود، ومنها انشغال المسلمين في إدارة البلاد المفتوحة، وشغلتهم تلك الإدارة عن العمل بالتجارة، إبّان الفتوحات الإسلامية فتركوا بابها مفتوحاً لليهود وغيرهم من الأجانب [2]. فهداية الناس إلى طريق الحق له الأفضلية على غيره من أمور الاقتصاد وما يتعلق به ولكن ذلك لا يعني إهماله.

وأمر آخر أنه كان لليهود حرية اختيار المهنة التي يرغبونها، ولم يكن هناك ما يمنعهم من ذلك وكان المسلمون متسامحين معهم. وهذا بخلاف معاملة الكنيسة لليهود إذ كانت تحرم عليهم الاشتغال بالزراعة أو الالتحاق بالوظائف[3]. وعلى سبيل المثال لا الحصر ما حصل لليهود في فرنسا عندما تولى الملك فيليب اغسطس (576هـ/1180-1221م) الحكم كان في حاجة إلى مال كثير لكي يحارب البارونات الإقطاعيين ويتغلب على العقبات التي واجهته، لذلك لجأ إلى حيلة يجلب بها المال إليه، فقام بسجن جميع اليهود الذين كانوا في فرنسا ثم أخرج عنهم يعد دفعهم فدية كبيرة له، وفي عام (577هـ / 1181م) ألغى الملك كل الديون التي لليهود على المسيحيين بعد أن حصل من الأخيرين على عمولة إلغاء الديون، تقدر بحوالي 20% من قيمة الدين، وفي عام (578هـ / 1182م) صادر أملاك اليهود من أراضٍ وعقارات، وطردهم من فرنسا. وفي سنة (595هـ / 1198 م) سمح لليهود بالعودة إلى مراكزهم مقابل ضرائب تدفع للملك، وكانت هذه الضرائب مصدر دخل كبير له، فاستأنف اليهود أعمالهم التجارية [4].

وفي عهد الملك لويس التاسع (القديس لويس)، (6627-669هـ / 1229-1270م) خضع اليهود للكثير من القيود المدنية والمالية، فمع أن الملك الذي لقب بالقديس، كان

1- أبو يوسف، الخراج، ص137.

2- ظاظا وعاشور، اليهود، ص156.

3- نفسه، ص156.

4- R.Morcus Jacob، The Jews in the Medieval world، p.27.

مفرطاً في التقوى والدين إلا أنه وقف موقف العداء الصارخ من اليهود، وتصرف تصرفاً متطرفاً ضدهم، فعارض أنشطتهم المالية، وعامل رجال المال والأعمال والتجارة منهم معاملة الهراطقة، وطبق على بعضهم الطرد والتشريد [1].

ومن بين العوامل الإسلامية الأخرى، إنه قد ارتكز نشوء الصناعة والتجارة وتطورها خلال العقود الثلاثة التي حكم فيها الخلفاء الراشدين، على هذه الأنظمة الاقتصادية الراسخة منذ زمن بعيد، وجاء التحول الديني العميق الذي ولدّه الإسلام، باعتباره جزءاً مكملاً في الامتداد الإنتاجي والتجاري وليس كنقطة تحول اقتصادية بنائية، ولم يعق الفاتحون المسلمون استمرارية التجارة، وأمنوا ساحات السوق الآمنة والمستقرة [2]. وكذلك انتقال التجارة الإسلامية نحو الشمال خلال الحقبة الأموية، باتخاذهم من دمشق عاصمة للدولة الإسلامية، . . . ورافق التوسع التجاري الهائل تحت حكمهم درجة استثنائية من الوحدة التجارية والأمن الداخلي اللذين أرساهما الفاتحون، وفي الوقت عينه زالت إقطاعيات روما وبلاد فارس التي استمرت طويلاً، والتي كبحت عادة المبادلات التجارية بين الشرق والغرب [3]. وجاءت النقطة المهمة في تطور التجارة ووصولها إلى الذروة، لدى انتقال الخلافة الإسلامية من الأمويين إلى العباسيين عام (132هـ / 750م) وانتقال مركز الحكم من بلاد الشام إلى العراق، وأصبحت بغداد نقطة التقاء التجارة العالمية، نظراً للموقع الجغرافي للعراق الذي جعله جسراً بين إيران والهند ووسط آسيا والصين من جانب، والجزيرة العربية والشام ومصر والغرب من جانب آخر وهكذا قدر لسكان العراق، نظراً لتوفر الظروف، أن يصبحوا وسطاء فاعلين في تجارة العالم المتمدن [4].

وقد رافق ما ذكر أعلاه التحول في البنية الاقتصادية لأقاليم الدولة الإسلامية من مجتمع اقتصادي أحادي الجانب رعوي زراعي، إلى مجتمع ثنائي عندما أصبحت التجارة تأخذ منحى واسعاً بين سكان الدولة الإسلامية، لما توفره من حياة رغيدة للأرباح التي يحصلون عليها، خاصة إذا ما قورنت وارداتها فيما تحققه الزراعة من أرباح. وهذا التغير

1- J.Morcus Jacob، The Jews in the Medieval world، p.40

2- جين هيك، الجذور العربية للرأسمالية الأوربية، ص78-79.

3- نفسه، ص86-87.

4- نفسه، ص93-94.

في البنية الاقتصادية للدولة الإسلامية، لم يكن حكراً على المسلمين بل شمل أهل الذمة ومنهم اليهود، وذلك ما سيتضح في الصفحات اللاحقة.

أما عن تطور الأوضاع الاقتصادية لأهل الذمة وخاصة اليهود في الدولة الإسلامية، فيشير الدوري إلى أن اليهود في القرن الأول للهجرة كانوا يعملون في الزراعة وتربية الماشية، وبدأت أوضاعهم تتغير منذ أواخر القرن الثالث الهجري، إذ ظهر منهم التجار والجهابذة الذين لعبوا دوراً كبيراً في الحياة الاقتصادية، وما إن جاء القرن الخامس للهجري حتى ظهرت تجارة واسعة لليهود، وكانت شركاتهم تتاجر عبر الأقطار [1].

ويقدم أحد الباحثين روابط ثلاث تخص اليهود سواء من كان منهم بالشرق أو الغرب أو بأي مكان آخر بالعالم وهي: الدين والدم والمال، فهم رجال المال والاقتصاد والتعصب في كل مكان وكل عصر، ولهذه الفئة من الخلق المشتتة التوزيع، قدرة عجيبة على استعادة كيانها المفقود بصبر لا ينفذ وعزيمة صادقة لا تلين، فلا تكاد تمر حقبة من الزمان إلا ويخضع اليهود لما يعدونه اضطهاداً لهم أو انتقاماً منهم، وفيه يفقدون كل شيء، ولكنهم سرعان ما يظهرون مرة أخرى بشكل أكثر بهاء وثراءً، مما يغري الحكام على التنكيل بهم مرة أخرى، ولما كانت هذه الفئة من الناس لا صديق لها، فقد اتخذت من المال صديقها الصدوق، ووسيلة اليهود في الحصول عليه هي التجارة، لذلك تجدهم وقد انتشروا في أرجاء العالم المعروف وبدءوا حياتهم التجارية بسيطة ومحلية، وثالوث اليد والدم والمال، دستورهم في الحياة [2].

1- اليهود في المجتمع الإسلامي، ص102 103-.

2- نعيم زكي فهمي، دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، ص8.

المبحث الثاني
الطرق (المسالك) التجارية لليهود

أمر الإسلام بمعاملة أهل الذمة من اليهود والنصارى بالعدل والحرية، وعدم إجبارهم على ترك عقائدهم مع اشتراط دفع الجزية تعبيراً عن خضوعهم لنظام الدولة وليس لعقيدتها، وقد نفذ الحكام المسلمون تعاليم الدين الحنيف بدقة، فتركوا اليهود والنصارى يمارسون عقائدهم وحياتهم وأعمالهم في حرية وأمان. وإذا كان اليهود قد اعتادوا التعايش مع المسلمين في ظل التسامح الإسلامي تجاه أهل الذمة، فإن المسيحيين تحت بعض الظروف، لم يعتادوها بل كان ينظر إليهم أحياناً نظرة شك وريبة في ذهابهم وإيابهم عبر الولايات العربية والإسلامية لاسيما في أوقات الصراع الإسلامي الصليبي بالشرق، كما أن مسيحيي الشرق من النساطرة واليعاقبة والأرثوذكس كانوا في نظر الغرب الأوربي هراطقة، وإذا كان من النادر أن نجد مسلماً يعيش في الأقطار المسيحية في غرب أوربا، إذا استثنينا من ذلك أقطار البحر المتوسط، فإننا نجد اليهودي الشخصية الوحيدة التي عملت بسلام في ظل تسامح الشرق الإسلامي وقيود الغرب المسيحي [1].

وبعد الفتح الإسلامي لمدن البحر المتوسط في القرن الأول للهجري / السابع الميلادي، لم تنقطع أواصر العلاقة التجارية بين الشرق والغرب، وفي ذلك الوقت قام اليهود بدور الوسيط بين الغرب الكاثوليكي، والدولة الإسلامية والإمبراطورية البيزنطية الأكثر تقدماً، إذ لم يكن فيها في ذلك الوقت تجار محترفون سوى اليهود حتى أن كلمة يهودي وكلمة تاجر، صارتا مترادفتين، وذلك من شدة عناية اليهود بالتجارة [2]. ولتحديد الطرق التي يسلكها اليهود لا بد من الإشارة إلى أن تلك الجماعات كانت تتمركز على حافات طرق التجارة، يتبادلون المعلومات عن أفضل فرص الكسب التجاري في مختلف جهات

1- فهمي، دور اليهود، ص10-11.

2- محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر، ص38؛ المسيري، موسوعة اليهود، 2 / 238.

العالم، ومع ذلك لم يكونوا ينتمون إلى الشرق فقط أو الغرب فقط، بل لمدن الشرق والغرب على السواء، وكانوا يفضلون المدن الساحلية [1]، وإن رابطة اليهود الأوربيين بأمثالهم من الشرقيين كانت أكثر ما تكون مما هي عليه رابطة المسيحيين الأوربيين بالمسيحيين من رعايا – الدولة الإسلامية –، وهذه ظاهرة مهمة لتلك الوضعية التي كانت قائمة آنذاك [2]. وترتب على ذلك أن النشاط التجاري لليهود في الشرق أو الغرب مع أهل ملتهم، وما يعزز ذلك الأحكام الشرعية في التوراة، فلا يحق لليهودي التعامل مع غير أهل ملته لا بالبيع ولا بالشراء ولا بالزواج، بل وأخذ الربا من الأممي المؤمن – المسيحي – الساكن مع اليهودي في أرضه، وحصر أخذ الربا من الوثني [3]، وذلك ما يثبته نص التوراة: ((وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك فاعضده غريباً أو مستوطناً فيعيش معك. لا تأخذ منه رباً ولا مرابحة بل أخش إلهك فيعيش أخوك معك. فضتك لا تعطه بالربا وطعامك لا تعطه بالمرابحة)) [4].

إلا أنه على النقيض من هذا، فإن علماء الشريعة اليهود في العصور الوسطى ممن عاشوا في بلاد مسيحية كانوا يميلون إلى إيجاد أساس شرعي لمعاملة المسيحية بوصفها ديناً مختلفاً عن الوثنية. وما دامت هناك أسباب اقتصادية تشكل ضغوطاً على اليهود، فقد كان لا بد من ذلك ليتمكنوا من الدخول في علاقات عمل معهم (أي مع المسيحيين) [5]. والملاحظ أن تفسير الشريعة وسماحها لليهود إقامة علاقات تجارية مع المسيحيين، جعل عدداً قليلاً من الرابيين قد يذهب إلى حد استبعاد المسيحيين تماماً من بين الوثنيين الذين ذكر التلمود عنهم أموراً سلبية [6]. ومع أن التحريف في الأحكام الشرعية لدى اليهود معروف عنهم منذ زمن بعيد، أضيف إليه عمليات التلاعب بها على وفق ما تمليه عليهم مصالحهم الاقتصادية وسواها غير مكترثين لغيرهم من الأمم الأخرى.

1- هبة رمضان محمود العويدي، يهود الغرب وعلاقاتهم ببلاد الشام من كليرمونت 1095م إلى سقوط عكا 1291م، ص4.

2- بارتولد، شارلمان وهارون الرشيد، ص65.

3- نادي فرج درويش العطار، شرح الأحكام الشرعية في التوراة، ص64-65.

4- اللاويين، (25: 35-37).

5- آلان أنترمان، اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم، ص372.

6- نفسه، ص373.

وامتاز هؤلاء اليهود بقطعهم مسافات بعيدة المدى لمزاولة النشاط التجاري [1]، ويشير أحد الباحثين المحدثين، أنهم عرفوا عند المسلمين في القرن الثالث للهجرة / التاسع الميلادي، باسم " تجار البحر " [2]. إلا أن ذلك ليس دقيقاً لإنَّ معظم التجار يسلكون الطرق البحرية سواء في رحلاتهم من الغرب إلى الشرق أو العكس. وما يؤكد عدم صحة ذلك الرأي أن المصادر الإسلامية ذكرتهم باسم " اليهود الراذانية " [3]. أما عن أصلهم فقد أختلف الباحثون فيه فبارتولد ذكر، أن الراذانية أو الراهدانية مشتقة من الكلمتين الفارسيتين: راه – الطريق، دانستان – عرف، (راهدان – عارف الطريق) [4]. وإرجاع الاسم إلى أصل فارسي لا يمكن التسليم به، وممن يؤكد ذلك ابن خرداذبه وابن الفقيه، فكلاهما أشار إلى أنهم من الفرنجة، والتسمية التي أطلقاها هي " الراذانية " واضحة ومحاولة تجزئتها إلى " راه ودانستان "، لا يتطابق مع أصل الكلمة.

أما دوزي فعلى الرغم من إقراره بأنه لا يعلم أصل الكلمة، لكنه يميل إلى الأصل الفارسي من خلال إيراده بعض الكلمات الفارسية القريبة من أصل الكلمة " بزادرة وخبادرة ورهادرة ورهادنة"[5]. وأورد موشي جيل (Moshe Gil)، آراء عديدة معظمها يرجع فيها أصلهم إلى الغرب، من دون إيراد أدلة على ذلك، ومعظمهم يعتمد على النصوص التاريخية، لأبن خرداذبه وابن الفقيه[6]. وفي الموسوعة اليهودية، أشار إلى أن أصل التسمية فارسية، وأن من بين الآراء الأخرى أن التسمية لها علاقة بنهر الرون في فرنسا من دون ذكر تفاصيل[7]. أما الموسوعة الحرة بالعبرية، فيها آراء متعددة منها أن التسمية تعود إلى بلاد الرادهان (الراذان)[8]، وفقاً لنصوص عبرية وعربية من تلك الحقبة، وتشير إلى الآراء الأخرى التي سبقت الإشارة إليها [9].

1- العويدي، يهود غرب أوربا، ص5.
2- الأشقر، تجار التوابل، ص37.
3- المسالك، ص154؛ البلدان، ص540.
4- شارلمان، ص63.
5- تكملة المعاجم العربية، 5/ 227.
6- The Redhanit Makhantt and land of Redhan, p.301-305.
7- Encyclopedia Judaica, vol.17/52.
8- راذان، كورتان بسواد بغداد، تبعد (24كم) عن سامراء، وكانت قائمة حتى أواخر العصر العباسي، الحموي، 3 / 12؛ إبراهيم، ريف بغداد، ص69-70.
9- الموسوعة العبرية باللغة العبرية (ويكيبيديا).

إلا أن اللافت للنظر أنه ذكر مصادر عبرية وعربية، ولكن البحث الذي يشير إليه يعتمد على مصادر عبرية فيما يخص أصل هؤلاء التجار من بلاد الراهان (الراذان) في بلاد ما بين النهرين، وبعد مراجعة النصوص الموظفة في البحث لم يعثر على أي مصدر عبري، بل إن الكتاب واليهود منهم قد اعتمدوا على ما أوردته المصادر الإسلامية التي سبقت الإشارة إليها. ومع العلم أن الباحث موشي جيل لم يرجح أي رأي من تلك الآراء.

وبعد عرض مجمل الآراء بصورة مقتضبة، يرى الباحث أنّ أصل هؤلاء اليهود من فرنسا وتحديداً المناطق الواقعة على نهر الرون. وذلك لأسباب عديدة، هي: أن اللغة الرسمية في مملكة الفرنجة كانت اللاتينية وكلمة الرون روذانوس أو رودانوس (Rhodanus) وهي تطابق المصطلح الذي أطلقه خرداذبه وابن الفقيه وكلاهما يشيران إلى قدوم هؤلاء التجار من الفرنجة (فرنسا) [1]، وما يعزز ذلك أن مصطلح الرهادنة كان يطلق في بلاد المغرب الإسلامي خلال تلك الحقبة على التجار، ممن يبيعون الأقمشة [2]، والتجار القادمين من الغرب من بين بضائعهم الأقمشة، وبحكم القرب بين بلاد الفرنجة وبلاد المغرب الإسلامي لا بد أن يكون هناك تأثير متبادل سواء في اللغة وغيرها لذا أطلقت الكلمة نفسها على تجار المغرب كما هو الحال في الفرنجة. وبذلك يمكن ترجيح أن أصل هؤلاء اليهود من الفرنجة وتحديداً المناطق الواقعة على ضفاف نهر الرون الذي يصب في البحر المتوسط مما يوفر وسيلة نقل البضائع داخل فرنسا وخارجها ولذلك يتواجد اليهود بالقرب منه.

ولابد من الذكر إلى أن الطرق التي ستذكر لم تكن حكراً على اليهود وحدهم بل هي نفسها الطرق التي كان يسلكها التجار المسلمون وغيرهم. وان تحديد أصل هؤلاء التجار الراذانية يبنى عليه تحديد مسار الطرق التجارية التي يسلكها اليهود، ويبدأ الطريق من بلاد الفرنجة عن طريق البحر المتوسط وصولاً إلى مصر حتى مدينة الفرما [3]، ومنها

1- المسالك، ص154؛ البلدان، ص540.

2- المالكي، رياض النفوس، 2 / 365.

3- الفرما، مدينة فيها أول ميناء مصري على ساحل البحر المتوسط من ناحية الشرق، وبقيت قائمة إلى سنة (511هـ / 1117م) حين تم تدمير المدينة على يد الصليبيين بقيادة بلدوين ملك الفرنجة، وتقع بقاياها الآن ضمن محافظة بورسعيد. الحموي، معجم، 4 / 255؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3 / 56؛ عن الطرق التي يسلكها التجار الراذانية ينظر خارطة رقم (5) ص 276.

يسلكون طريقاً برياً يمتد مسافة خمسة وعشرين فرسخاً (140 كم) بين الفرما والبحر الأحمر، وأولى المحطات التي يتوقف فيها اليهود الراذانية ميناء الجار[1]، الذي يقع على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهو مرسى المراكب التجارية، والمراكب التي تحمل الطعام من مصر [2]، وبلغ من الشهرة التاريخية بحيث كان البحر الأحمر يعرف ببحر الجار[3]. ومن الجار إلى ميناء جدة [4]، الذي صفه المقدسي بأنه خزانة مكة ومطرح اليمن ومصر[5]، ولكثرة ما يرد إلى جدة وما يخرج منها من سلع وتجارات[6]، وأشار بوضع آخر أنها هي والجار كانتا: ((فرضتي الدنيا، وخزانتي مصر، ووادي القرى، مطرح الشام والعراق))[7]، وما يؤكد أهمية ميناء جدة بوصفه محطة تجارية لما يوفره من منشآت تقدم الخدمات من فنادق فيها غرف لإقامة التجار والقادمين إليها[8].

والملاحظ أن ابن خرداذبه اقتصر في وصفه للطريق الذي يسلكه اليهود الراذانية في البحر الأحمر على ذكر الجار وجدة، ولم يشر إلى ميناء ينبع، لكون الميناء لم تنشط الحركة التجارية فيه إلا في بداية القرن السابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي، وتحديداً سنة (628هـ/ 1230م)، إذ حل ميناء ينبع محل ميناء الجار، وعدّ الميناء الثاني من حيث الأهمية على الساحل الشرقي للبحر الأحمر [9]. وكذلك لم يذكر ميناء غلافقة، الذي يعد مرسى مدينة زبيد [10]، وعدت غلافقة من الموانئ التي أسهمت أيضاً في تجارة البحر الأحمر والذي أختص بتجارة العبور ((المناولات أو الترانزيت))، فيجتمع فيه تجار

1- ابن خرداذبه، المسالك، ص154.

2- اليعقوبي، البلدان، ص152.

3- الحموي، معجم، 3 / 276؛ ابن الفقيه، البلدان، ص130. وللمزيد عن ميناء الجار ينظر: حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص47-49؛ علي حسين السليمان الناصر، النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص81.

4- ابن خرداذبه، المسالك، ص154.

5- أحسن التقاسيم، ص79.

6- خالد محمد سالم العمايرة، موانئ البحر الحمر، ص47.

7- أحسن التقاسيم، ص97.

8- رحلة ابن جبير، ص83.

9- المقريزي، السلوك، 7 / 111.

10- الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص52.

من الحبشة والحجاز والعراق ومصر، للمتاجرة والمبادلة[1]. وبقيت غلافقة ميناءً مزدهراً خلال العصرين الأيوبي والمملوكي[2]، وما يؤكد ذلك وصف القلقشندي في القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر الميلادي، بأنها فرضة مدينة زبيد[3].

إلا أن أهم المحطات التجارية التي لم يشر إليها، هي عدن التي تقع في أقصى جنوب اليمن على ساحل بحر العرب [4]، وقد ازدادت أهمية مينائها في تجارة البحر الأحمر، وارتباطها الوثيق بموانئ هذا البحر، إذ رأى بعضهم أنها الميناء الذي يتحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر [5]. وما يرجح أن تجار اليهود يتخذون منها محطة قبل أن يقصدوا الهند أو السند، لوجود جالية يهودية نشطة توارثت مراكزها منذ أقدم العصور وعاصرت ظهور الإسلام ووصوله إلى هذه المناطق. ونتيجة لتسامح الإسلام معهم بقي اليهود في أماكنهم ومارسوا نشاطهم التجاري والمصرفي، وكانوا يتعاملون مع الهند والصين [6]. فضلاً عن ذلك أن ميناء عدن مركز رئيسي لانطلاق طرق الملاحة البحرية منها إلى المحيط الهندي، والخليج العربي، وشرق أفريقيا، والبحر الأحمر [7]. ومن ثم فهي تمثل بمينائها محطة توقف للتجارة الشرقية والغربية، وتعد الوسيط التجاري فيما بين الكثير من البلدان [8] والأقاليم.

وبذلك يكتمل مسار الطريق الذي يسلكه تجار اليهود الراذانية باتجاه السند والهند والصين، ويتبين أن ابن خرداذبه، لم يكن دقيقاً في وصفه للطريق عندما ذكر المسار:

1- نعيم زكي فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص141.
2- العمايرة، موانيء، ص40.
3- صبح الأعشى، 3 / 251.
4- رحلة السيرافي، ص65؛ المنجم، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ص47.
5- العمايرة، موانئ، ص33.
6- أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، 1 / 56 67-؛ فهمي، دور اليهود، ص37. وللمزيد عن أهمية عدن لليهود ينظر، رحلة بنيامين، ص202؛
Goitein, From Aden to India: Letters of Medieval Jewish Traders, p.44, 62,177,181-187,192-204,223-227; Goitein and Friedman، India traders of the Middle ages documents from the Cairo Geniza.
7- الحموي، معجم، 4 / 89؛ القزويني، آثار البلاد، ص101.
8- منال الجويسري، النشاط التجاري للمدن والموانئ اليمنية، ص95-96.

((... الجار وجدة ثم يمضون إلى السند...)) [1]، والصحيح وجود حلقة وصل ما بين ميناء جده ثم عدن، ثم إلى سقطرى [2]، ومنها إلى الهند [3] والصين.

ويشير ابن خرداذبه أن هؤلاء التجار بعد وصولهم للمناطق المشار إليها، فإنهم يحملون من الصين المسك والعود والكافور وغير ذلك مما يحمل من تلك النواحي حتى يرجعوا إلى البحر الأحمر، ثم الغرفا على ساحل البحر المتوسط، وربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فيبيعوا بضاعتهم إلى الروم، وربما ساروا بها إلى بلاد الفرنجة فيبيعونها هناك [4]. وفي ذلك دلالة إلى أنهم يقصدون بيزنطة بتجارتهم بعد مرورهم بالبلاد الإسلامية من دون أية عوائق تذكر من قبل الدولة الإسلامية ورعاياها، وذلك يؤكد التسامح الإسلامي أولاً، وقدرة المسلمين على إدارة حركة التنقلات التجارية ثانياً، وذلك ما أنعكس على المسلمين وأهل الذمة ومنهم اليهود الذين استثمروا ذلك ببراعة.

أما الطريق الآخر فهو الذي ذكره ابن خرداذبه من بلاد الفرنجة عبر البحر المتوسط إلى أنطاكية على الساحل الشامي، ومنه برا إلى الجابية [5]، بمسافة ثلاثة مراحل (123 كم)، ثم إلى نهر الفرات وصولاً إلى بغداد، ثم يركبون في دجلة إلى الأبله ومنها إلى عمان والسند والهند والصين كل ذلك يتصل بعضه مع بعض [6]. وثمة ملاحظات لا بد من الإشارة إليها، ومنها وصول هؤلاء التجار إلى نهر الفرات بعد مرورهم بمدن لعل من أبرزها مدينة حلب ومنها إلى مدينة بالس، وصولاً إلى نهر الفرات [7]. وقال ابن العديم: ((ومنها تحمل التجارات من مصر وسائر أرض الشام في السفن إلى بغداد)) [8]. وفي نص ابن خرداذبه أعلاه يشير إلى وصولهم بغداد، أما عن كيفية وصولهم فإن نهر الفرات كان ذا مستوى أعلى

1- ابن خرداذبة، المسالك، ص153.
2- سقطرى، جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى توازي عدن، وهي إلى بر العرب أقرب من بر الهند، والسالك إلى بلاد الزنج (الهند) يمر عليها. الحموي، معجم، 3 / 227؛ القزويني، ؟آثار البلاد، ص82؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، 2 / 720.
3- الحموي، معجم، 3 / 227.
4- المسالك، ص154.
5- الجابية، قرية من أعمال دمشق، وباب الجابية بدمشق منسوب إليها. الحموي، معجم، 2 / 91.
6- المسالك، ص154.
7- ابن حوقل، صورة الأرض، ص166.
8- بغية الطلب، 1 / 123.

قليلاً من مستوى نهر دجلة، وهذا يجعل سير السفن في الأنهار المتفرعة منه إلى الشرق سهلاً ولا يصعب عليها أن تعود إلى الغرب[1]، وقد عمد العباسيون إلى ربط نهر دجلة بالفرات عن طريق حفر قناة كبيرة عرفت بـ(نهر عيسى)[2]، الذي يأخذ مياهه من الفرات عند قنطرة دمما، ثم يصب في دجلة في الجانب الغربي، جنوب بغداد على بعد (12كم)، وتجري فيه السفن من الفرات إلى بغداد [3].

أما عن المرحلة الأخرى بعد وصولهم إلى بغداد فيشير النص المذكور سابقاً، حول مسير السفن في نهر دجلة وصولاً إلى الإبلة التي تبعد عن البصرة أربعة فراسخ (22كم)[4]، ثم عمان ومنها إلى السند والهند والصين[5]. هذا ما يخص الطريق البحري والمحطات التي يمر بها.

أما الطرق الأخرى فذكر ابن خرداذبه تفاصيلها بدقة، وان الخارج منهم يخرج من الأندلس أو من فرنجة (فرنسا) فيعبر إلى السوس الأقصى فيصير إلى طنجة ثم إلى افريقية، فمصر ومنها إلى بلاد الشام وتحديداً الرملة ثم دمشق، ومنها إلى العراق فيبدأ بذكر الكوفة، وصولاً إلى بغداد، ويستمر الطريق إلى البصرة فالأحواز ومنها إلى فارس ثم يليها كرمان، فالسند ومنها إلى الهند، ثم إلى الصين، وربما خلف رومية في بلاد الصقالبة ثم إلى خليج (عاصمة) الخزر، ثم في بحر جرجان (قزوين)، ثم إلى بلخ وما وراء النهر، ثم إلى الصين [6]. والملاحظ أن هذه الطرق كلها تنتهي في الصين، وتبين تلك الطرق شبكة المواصلات التي كان يسلكها اليهود، وذكر الموانئ والمدن الرئيسية التي يمر بها أولئك التجار.

1- متز، الحضارة الإسلامية، 2 / 333.

2- سعد رمضان محمد الجبوري، النشاط التجاري في العراق في عصر الخليفة هارون الرشيد، ص48-49. ونهر عيسى نسبة إلى عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس، واليه ينسب قصر عيسى وقطيعة عيسى ببغداد، ولد سنة (83هـ)، وتوفي سنة (163 هـ). الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 12 / 467.

3- الاصطخري، المسالك، ص84-85؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص242؛ أحمد سوسة ومصطفى جواد، دليل خارطة بغداد، ص3-4؛ ص65-66.

4- ابن حوقل، صورة الأرض، ص236.

5- ابن خرداذبه، المسالك، ص154.

6- ابن خرداذبه، المسالك، ص154-155.

إلا أن ابن الفقيه تحدث عن تلك الطرق بصورة مختصرة بقوله: ((تجار البحر يسافرون من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق فيحملون الديباج... من الفرنجة إلى الفرما، ثم يركبون إلى القلزم فيحملون ذلك الديباج إلى الصين... وربما حملوا أمتعتهم إلى قسطنطينية، وربما حملوا الرقيق الأندلسي من إفرنجة إلى أنطاكية، ثم يصرون إلى بغداد ثم إلى الإبلة)) [1]. والأمر الآخر أنه بدء حديثه عن مدينة الري، وأنها سكة الدنيا، وواسطة خراسان وجرجان والعراق وطبرستان [2]. وبذلك أبرز مكانة الري كمركز تجاري في بلاد فارس وما يؤكد ذلك قوله: ((وإليها تقع تجارات أرمينية وأذربيجان والخزر وبلاد برجان))[3]. وبذلك فإن رواية ابن خرداذبه تميزت بدقة أكثر مما هي عليه عند ابن الفقيه.

أما عن أمكانية تحديد الطرق من خلال الرحلات اليهودية، فيمكن تحديدها من خلال سير أولئك الرحالة، ولعل من أشهرها التي قام بها بنيامين التطيلي، ولكن سنركز على تحديد سير رحلته ومدى علاقتها بالطرق التجارية التي يرجح أن التجار يسرون فيها سواء أكانوا من اليهود أو غيرهم.

وأمرٌ آخر يدعو للتركيز على الطرق ذات العلاقة بالعالم الإسلامي وكذلك لعدم دقة الرحالة في حديثه عن بعض الأماكن التي قصدها وسبق الحديث عنها في الفصل الخاص بالتوزيع الجغرافي.

أما عن سير الرحالة فقد خرج بنيامين من مدينة سرقسطة [4]، فوصل إلى مدينة برشلونة على شواطيء الأندلس الشمالية الشرقية على البحر المتوسط، وأشار بنيامين أن المدينة يؤمها التجار من مختلف الأقطار ومنهم تجار الإسكندرية وفلسطين [5]. وعرج من

1- البلدان، ص540.

2- نفسه، ص540.

3- نفسه، ص540. وبرجان، بلاد لها مدينة تدعى برقية، ذات نعم وفيرة وتجارة قليلة، والطريق إليها من سواحل بحر قزوين مما يلي الشمال. البكري، المسالك والممالك، 1 / 186؛ مجهول، حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ص185.

4- رحلة بنيامين، ص71. وسرقسطة مدينة مشهورة بالأندلس، تقع في شمال شرق أسبانيا الآن على نهر إيبره، فتحها المسلمون سنة (95هـ / 714م)، وسقطت بيد الأسبان سنة (512هـ / 1118م). الإدريسي، نزهة المشتاق، 2 / 554؛ الحموي، معجم، 3 / 212-213؛ المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 1 / 273، 4 / 472.

5- رحلة، ص73.

برشلونة باتجاه سواحل فرنسا الجنوبية ومر بجميع مدنها [1]، ويشير عزرا حداد أن هذه البلدان كانت تتمتع يومئذ بهدوء نسبي بالنظر لاضطراب الحال في فرنسا الشمالية وأوربا الوسطى من جراء الحروب الصليبية التي كانت الاستعدادات لحملتها الثالثة (587-588هـ / 1191-1192م) قائمة آنذاك على قدم وساق [2]. وأمر طبيعي أن يسلك بنيامين الطرق الآمنة لكونه تاجر[3]، والتاجر بطبعه يميل إلى ذلك.

ومن ثم اتجه شرقاً إلى جنوة وبيزا من الجمهوريات البحرية الايطالية [4]، ويتابع سيره بطريق الشواطئ الغربية وصولاً إلى روما [5]. ثم واصل طريقه نحو الجنوب ماراً بالمدن في شبه الجزيرة الايطالية، ومنها كابوة [6] على ساحل المتوسط، ومنها إلى نابل (نابلي)، ثم واصل رحلته نحو الجنوب فمر بسلرن [7]، وأمالفي [8]، ومدن أخرى متجهاً شطر شاطئ بحر الأدرياتيكي، وبلغ برنديزي [9]، ومنها إلى مضيق أوترنتو إلى جزيرة قرفو [10]، وصولاً إلى بر اليونان ماراً بمدن عدة، ومر بسلانيك حتى وصل إلى القسطنطسنية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، ثم ركب البحر ماراً بجزر عديدة لعل من أهمها رودس وقبرص، وصولاً إلى بلاد الشام [11] وتحديداً انطاكية، وراح يتنقل بين مدن بلاد الشام ومن أهمها بيت المقدس التي كانت مقصداً للحج وكان واقعاً بيد الصليبيين. وتنقل في

1- رحلة، ص73-80.

2- مقدمة الرحلة، ص41.

3- مقدمة الرحلة، ص40.

4- رحلة، ص81-82.

5- رحلة، ص82.

6- كابوة مدينة مهمة من إقليم كمبانية في ايطاليا الوسطى، في ق (9) للميلاد كانت أحدى دوقيات اللنكبردية Longbardia، أستولى عليها العرب سنة (226 هـ / 841م) وحكموها مدة وجيزة. رحلة بنيامين، ص89.

7- سلرن (Salerno) فيها ميناء مهم يقع على شاطئ ايطاليا الغربي جنوب نابولي، اشتهرت بمدرستها الطبية الكبرى حيث كان يدرس فيها الطب العربي ويقيم فيها نحو (600) يهودي. رحلة بنيامين، ص91.

8- أمالفي (Amalfi) أحدى الجمهوريات البحرية الايطالية. وكانت سفنها تحمل إلى ايطاليا سلع الشرق، وكان لها شأن أيام سيطرة المسلمين على البحر المتوسط. رحلة بنيامين، ص92.

9- برنديزي (Brindisi) بلدة تجارية مشهورة على شاطئ البحر الأدرياتيكي سيطر عليها المسلمون حكام صقلية (223 هـ / 838م). رحلة بنيامين، ص95.

10- قرفو (قرفس)، جزيرة كبيرة وبها مدينة عامرة تابعة للبندقية. الإدريسي، نزهة المشتاق، 633/2؛رحلة بنيامين، ص

11- حول خط سير رحلة بنيامين ينظر خارطة (4)، ص 275.

نواحي فلسطين، ومن بلاد الشام أخذ يتنقل بين دجلة والفرات حتى بلغ مدينة الموصل، ثم حط رحاله في بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية [1].

والمتتبع لسير رحلة بنيامين يرى أنه كان يتنقل بين المناطق الرئيسية وما حولها، ولعله لم يصل إلى البعض منها، لكن الراجح أن ما ذكره من المحطات التي زارها إنما كانت تمثل نفس الطرق التجارية التي كانت سالكة آنذاك. وما يؤكد ذلك أنه بعد بغداد توجه نحو مدن الفرات الأوسط، مع تركيزه على قبور الصالحين والأتقياء، وبشكل آخر كل ما يتعلق بالتواجد اليهودي في تلك المناطق ويواصل رحلته بين تلك المدن التي سبقت الإشارة إليها، وينتقل من واسط إلى البصرة، ومنها إلى بلاد العجم متنقلاً بين مدنها الرئيسية إلا أن الطرق التي سلكها لم تكن بصورة مستقيمة فنراه ينتقل من خوزستان ونهاوند، ثم يعود إلى مناطق شمال العراق وتحديداً العمادية، ويعود مباشرة إلى همذان وطبرستان والمدن الأخرى من بلاد ما وراء النهر [2]. ويعود أدراجه ذاكراً مدن زبيد وعدن، ومنها وصولاً إلى إقليم مصر وتحديداً أسوان وحلوان ومدينة قوص وصولاً إلى الإسكندرية ودمياط [3]، ومن مصر يعود بحراً إلى صقلية، ومنها إلى أوربا الغربية [4].

وبعد الإشارة إلى خط سير رحلة بنيامين يمكن التوصل إلى صورة تكاد تكون متطابقة نوعاً ما مع الطرق التي ذكرتها المصادر الإسلامية وتحديداً طرق التجار من اليهود الراذانية مع وجود ملاحظة مهمة أن بنيامين التطيلي لم يكن تاجراً فحسب بل سائحاً كما هو من خلال حديثه عن الأماكن التي قصدها، ولكن هناك محطات أساسية مر بها قد سبقت الإشارة إليها كانت تعد مراكز تجارية يقصدها تجار الشرق والغرب ومنهم اليهود.

أما عن النموذج الآخر لتحديد طرق التجارة لليهود من خلال الرحلات اليهودية فهي رحلة عوبديا (Obadiah)، ويمكن أن يستشف منها بعض الطرق البرية والبحرية، وخطوط سير السفن التجارية والركاب ما بين الشرق والغرب، فكانت بداية رحلته من روما ثم

1- رحلة بنيامين، ص112-169.
2- رحلة، ص182-196.
3- رحلة، ص202-214.
4- رحلة، ص215-218.

نابولي التي خرج منها بحراً وصولاً إلى باليرمو قاعدة جزيرة صقلية [1]، وغادر من باليرمو إلى مدينة ميسينا التي وصلها وأشار إلى أنها بلدة التجارة، إذ تجتمع فيها كل الأجناس، وتردها السفن من الغرب والشرق [2]. وغادر ميسينا إلى رودس بمركب لأحد التجار اليهود من سكرى، وشرعوا في الإبحار عبر خليج البندقية، وبعد إبحار استمر لمدة اثنين وعشرين يوماً وصل إلى رودس [3]، ومنها إلى الإسكندرية [4]، ثم اتخذ الطريق البري في رحلته على الجمال إلى رشيد الواقعة على نهر النيل، مستقلاً سفينة فوصل إلى القاهرة[5]، التي غادرها براً على الجمال وصولاً إلى الصالحية [6]، ثم إلى العريش [7] فغزة، واستمر في طريقه إلى أن وصل مدينة حبرون (الخليل)، ومنها إلى مدينة القدس [8]. وهي نهاية رحلته ويتبين أن مسار رحلته منذ خروجه من روما وصولاً إلى مدينة القدس، هو نفس المسار أو الطريق الذي يسلكه التجار ما بين الشرق والغرب أو العكس سواء البحرية أو البرية أو النهرية.

وأشار إلى طريق آخر مع أنه لم يسلكه بقوله: ((وهاهم اليهود يأتون كل عام في سفن البندقية، بل وكذلك السفن الخاصة بالحجيج، إذ لا يوجد طريق آمن ولا أقصر من الطريق الذي تسلكه تلك السفن، وكم كنت أتمنى لو أحطت علماً بذلك حينما كنت في هذه البلاد إذ كان ذلك لم يكن ليجعلني أقضي مدة طويلة في هذه الرحلة)) [9]، ويقصد بهذا الطريق البحري ما بين البندقية وبيت المقدس.

1- Opadiah, p.212.

2- Ibid, p.215

3- Ibid, p.216-217.

4- Ibid, P.221.

5- Ibid, P.225.

6- الصالحية، بلدة اختطها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل (ت 647هـ/ 1249 م)، أول الرمل في شبه جزيرة سيناء، وانشا بها قصوراً وجامعاً وسوقاً لتكون منزلة للعساكر إذا خرجوا من سيناء وذلك سنة (644هـ / 1246م) رحلة ابن بطوطة، 1 / 231؛ المقريزي، المواعظ، 1 / 341.

7- العريش، مدينة كانت أول أعمال مصر من ناحية الشام، وبها سوق جامع كبير ووكلاء للتجار. الحموي، معجم، 4 / 113-114؛ المقريزي، المواعظ، 1 / 389-390.

8- Opadiah, p.232-235.

9- Ibid, p.243.

وبالنتيجة فإن تلك الطرق شكلت شبكة واسعة من الطرق يسلكها اليهود تؤكد مدى إسهام اليهود في تلك العلاقات التجارية، ولما تدره عليهم من أرباح كبيرة، وكذلك أنهم لم يكونوا جماعة واحدة وإنما جماعات متعددة بدليل كانوا يتكلمون اللغة العربية والفارسية والرومية والأندلسية والصقلية[1]. وجميعهم كان يقصد المراكز التجارية الواقعة على الطرق التي ذكرت من قبل وتنتهي بالصين.

وكذلك توضح أن رحلات اليهود التجارية المستمرة بعضها اتخذ طريق البحر، والآخر طريق القوافل البرية وكان طريق البحر هو المفضل، وذلك لأسباب دينية [2]. فقد ورد في أسفار الأنبياء أن من بين الأعمال المحرمة يوم السبت، رفع الأحمال أو نقلها من مكان إلى آخر[3]، فعلى لسان أرميا ((... لا تحملوا حملاً يوم السبت ولا تدخلوه في أبواب أورشليم ولا تخرجوا حملاً من بيوتكم يوم السبت ولا تعملوا شغلاً ما بل قدسوا يوم السبت))[4]. وكذلك التجارة وما تشمله من بيع وشراء ومساومة[5]، فقد ورد في سفر نحميا: ((وشعوب الأرض الذين يأتون بالبضائع وكل طعام يوم السبت للبيع لا تأخذ منهم في سبت ولا في يوم ولا في يوم مقدس...))[6]. وتفضيلهم للبحرية إن البحارة والتجار من اليهود لا يمكنهم تجنب المسائل التي يحرم التعامل بها يوم السبت في البحر[7]. وكذلك لتعرض الطرق البرية للاضطراب[8]، لاسيما عندما يكون هنالك ضعف في الجوانب الأمنية لأسباب لعل من أبرزها الصراعات التي تقع على السلطة في تلك المناطق، الأمر الذي يدفعهم للجوء إلى الموانئ وبالذات التي تقع ضمن رقعة الدولة الإسلامية.

أما عن مدى عناية اليهود بالسفن فما يتوفر بين أيدينا من مصادر لا يكاد يعدو إشارات متعددة من خلال وثائق الجنيزة، التي سيتم عرضها وقبل ذلك لا بد من الإشارة إلى

1- ابن خرداذبه، المسالك، ص153: للمزيد عن الطرق التجارية في العالم الإسلامي ينظر خارطة رقم (6)، ص277.

2- زبيدة محمد عطا، اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، ص80.

3- محمد الهواري، السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، ص75.

4- 7: 22-23.

5- الهواري، السبت، ص75.

6- 10: 21.

7- Goitein, A Meditrenean Society the Jewish, vol.1p.312.

8- عطا، اليهود وتجارتهم، ص80.

محاولة جواتين (Goitein) لإثبات إسهام اليهود بعملية بناء السفن في الجزيرة العربية، فقال: ((والمتأمل لبدايات مستعمرات اليهود في شبه الجزيرة العربية، ويتمعن بعمق في المقابر العائدة إلى المجتمع اليهودي في عدن، وأحجار الأضرحة التي تعود لحقبة زمنية تمتد ما بين سبعمائة وثمانمائة سنة التي وضعت في المتاحف، والنظر باتجاه الميناء - يقصد به ميناء عدن - ويرى المدن المصممة محلياً ولا زال يتم بنائها، وأنها لا تختلف عن سفن الملك سليمان. وربما هم ممن وضع الأسس الأولى للمجتمع اليهودي على التراب العربي)) [1]. إلا أن ذلك لا يمكن جعله الأساس الأول لصناعة السفن في الجزيرة العربية ولعل البعض منهم أسهم في تلك الصناعة حالهم حال سكان تلك المنطقة، بل لا بد أن تكون للتاجر خبرة بالسفن وما يتعلق بها لما يترتب على ذلك من الاطمئنان على تجارته واليهود كتجار حالهم كغيرهم. وإن بعضهم كان يمتلك السفن أو أنه شريك مع غيره من التجار المسلمين.

وما يؤكد ذلك أن وثائق الجنيزة أشارت إلى امتلاك ثلاثة من يهود عدن لثلاث سفن كانت تعمل في المحيط الهندي تحمل تجارات الهند، وإحدى الوثائق هي عبارة عن خطاب أرسله مضمون بن حسان وكيل التجار في عدن إلى نظيره في العاصمة المصرية أبي زكريا جودة بن كوهين بن جوزيف يقول فيه: ((بعد سؤال الله وحمده وتوجيهه بنيت مركباً في عدن، وأرسلت بضائع إلى سيلان مع الشهير الشيخ بلال)) [2].

ويرى Goitein أنَّ من السهل على الأقليات أن تحقق زيادة في النشاط البحري في ظل دول متعددة القوميات مجاورة للمحيط الهندي، مقارنة بمنطقة البحر المتوسط، إذ كان المسلمون والنصارى يواجهون بعضهم البعض كمعسكرين قويين، مشيراً إلى حيازة عدد من اليهود لسفن تعمل فيما بين عدن وموانئ الهند [3]. والواضح من هذا الكلام أنه يحاول إعطاء دور كبير للتجار اليهود، وذلك كلام غير مقبول فكيف يعقل لمن يمتلك ثلاثة سفن بين عدن والهند أن تكون له ريادة بحرية، لكن يبدو أن اليهود شاركوا بقدر واف في المبادلات التجارية دون الاستثمار في مجال النقل البحري [4].

1- Goitein, Jews and Arabs Aconcise history of treir social and cultural relations, p.46-47.

2- Goitein, Letters of Medieval, p.177,183.

3- Letters of Medieval، p.177.

4- عبد الرحمن بشير، من تاريخ اليمن صراع السلطة - الوجود اليهودي، ص119.

بل إن أحد الباحثين ذكر أن اليهود لا يملكون سفناً في المحيط الهندي، إلا سفينتين فقط واحدة لمضمون والأخرى لحلفون بن ناثان، وأن لديهم سفناً في البحر المتوسط وبحارتها من المسلمين في الغالب [1]. وتوضح وثائق الجنيزة أن نظام الشراكة في السفن التجارية لا يختلف عما كان عليه الحال في العصور الوسطى، فالسفينة الواحدة يشترك فيها اثنان أو أكثر، واعتمد هذا النظام لكونه يقلل من الخسائر التي تقع جراء تعرض السفن لأخطار البحار. وهناك القليل من وثائق الجنيزة يمكن أن يستشف من خلالها نظام الشراكة في السفن خلال القرنين (6-7هـ/ 12-13م) ويشبه إلى حدٍ كبير ما كان سائداً بين سكان جنوة [2].

أما عن حصة اليهود في هذا النشاط الاقتصادي، فيحدده ملاك السفن والبحارة منهم، وقد وجدت خلال القرون من (5-7هـ / 11-13م)، أن نشاطهم في البحر الأبيض المتوسط كان أقل مما هو عليه في المحيط الهندي، فضلا عن ذلك فإن عدداً من التونسيين والفلسطينيين من مالكي السفن ومن خلال أسمائهم يتبين أنهم يهود، مثل ابن علان، ابن يونس، ابن شيبلون، وابن المفضل من حيفا، وكل هذه الأسماء ظهرت في السير الذاتية لعلماء المسلمين، وأن هؤلاء الناس ينتمون إلى الطبقة نفسها وكما هو مشار إليه في الجنيزة [3].

والملاحظ أن جواتين قدم تفاصيل مهمة حول مسألة تحديد انحصار النشاط اليهودي وأسبابه بقوله: ((وعلى أية حال فإن أسهام حصة اليهود في سفن البحر المتوسط خلال القرن (5 هـ / 11م) وما تلاه من القرون كانت أقل مما هي عليه، مقارنة بتلك الموجودة في بداية العصر الإسلامي، وهذا التغيير ربما بسبب منافسة المسلمين والايطاليين في تلك الحقبة، أو مفاهيم الدين اليهودي، ومنها ما يخص يوم السبت فإن البحارة منهم لا يمكنهم تجنبه، وأكثر من ذلك كان لهم عمال خدمة يقومون على خدمتهم، ليتجنبوا التجاوزات الدينية، ويجب عليهم أن تكون تصرفاتهم دقيقة وأقل جاذبية في السفن)) [4]. ويتبين أن

1- Hirschberg, A History of the Jews in North Africa.

نقلاً عن عطا، اليهود وتجارتهم، ص77.

2- Goitein, A Mediterranean, vol.1 p. 311; Walter Ashburner, The Rhodian Sea-Law,p.CIXlii-Clxvi.

3- Goitein, A Mediterranean, vol.1, p.311.

4- Ibid, vol.1،p. 311-312.

النشاط اليهودي التجاري في بداية العصر الإسلامي كان اكبر مما هو عليه الحال في القرن الخامس للهجرة والقرون اللاحقة، ويحدد الأسباب التي أدت إلى ضعف نشاطهم التجاري معللاً ذلك لأمرين أحدهما: يتعلق بالمسلمين والإيطاليين، والآخر لسبب ديني يتعلق بتعاليم الشريعة اليهودية. وسيتم الحديث عن أسباب ضعف النشاط التجاري لليهود عند التطرق لدورهم في التجارة الخارجية.

وهذه الطرق التي ذكرت لم تكن حكراً على اليهود أو النصارى، فقد أسهم العرب المسلون فيها إسهاماً كبيراً وكان للخلفاء دور كبير في تسهيل عمليات التجارة من خلال تأمين طرق المواصلات وغيرها.

المبحث الثالث
الجاليات التجارية لليهود

قبل الحديث عن الأماكن التي تقيم أو تتواجد فيها جاليات تجارية يهودية لا بد من الإشارة إلى أن اليهود كانت لهم جاليات في أماكن تقع على طرق المواصلات التجارية البرية والبحرية على السواء، والملاحظ أن هناك مدن ومراكز حضرية مهمة لم تورد المصادر أية معلومات عن تواجد جاليات يهودية تجارية فيها، ومثال ذلك على سبيل المثال لا الحصر بغداد التي كانت عاصمة الخلافة العباسية، وعلى الرغم من استقرار اليهود فيها وتميزها بموقع مهم على طرق المواصلات التجارية [1]، ولعل السبب في ذلك أن حب المال لدى اليهود وخشيتهم من المصادرات التي تقع عليهم من قبل السلطة المركزية فآثروا الابتعاد عن المراكز أو المدن التي يتواجد فيها الحكام، وكذلك فإن مدينة مثل بغداد لا بد ان تكون مركزاً لاستقطاب كبار التجار من المسلمين من ذوي الإمكانيات المادية الضخمة، ولا يمكن لتجار سواء من اليهود أو غيرهم منافستهم، فرأى هؤلاء أنه من الأجدر لهم الابتعاد إلى أماكن يكون التنافس فيها أقل وطأة.

وما يؤكد ذلك أن اليهود برزوا في تلك الأماكن أو مراكز السلطة في جوانب اقتصادية مالية ذات مردودات عالية، ولا تجلب الأنظار كالبضائع التجارية التي تحتاج إلى عرضها في الأسواق، وأبرز تلك النشاطات الاقتصادية أعمال الصيرفة وما يتعلق بها، وبالذات ابتعاد المسلمين عنها لمحاذير شرعية خشية الوقوع في الربا الذي يسعى اليهود للعمل به بشتى الطرق والوسائل والألاعيب من دون وجود وازع ديني أو أخلاقي يردعهم، وسيتم الحديث عنه في موضع لا حق. وذلك الأمر يسري على أماكن مهمة كانت تنتشر في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية.

1- عن الطرق التجارية وأهميتها ينظر، خليفة عايد عبد الله الحديدي، الطرق البرية في ظل الخلافة العباسية؛ فهمي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها.

وقد عاش اليهود في مدن وقرى أقاليم الدولة الإسلامية، وقد تمركزوا بصورة أساسية في المدن التي تقع على طرق المواصلات المهمة البرية والبحرية على حدٍ سواء، وكونوا فيها جاليات تجارية أدت دوراً مهما في الحركة الاقتصادية على الرغم من قلة أعدادهم التي تقيم في تلك المناطق، وثمة سمات مشتركة بين الأقليات اليهودية المتناثرة، هي اشتغال أعضائها بالتجارة والربا والحرف والصناعات الاستهلاكية [1]، ولعل هذا يفسر تكدسهم في المدن الكبيرة، والمدن التي كانت ولا زالت هي مركز النشاط المالي والتجاري [2].

وقد مارس اليهود أعمالهم التجارية في كافة مراكز الدولة الإسلامية وموانئها نظراً لأهميتها الاقتصادية ولعل من أبرزها عدن التي تمتعت بقدر كبير من الحرية السياسية والاقتصادية خلال حقبة الدراسة، وهذا النظام يستهوي اليهود ولاسيما التجار منهم، ورأس المال دائماً ما يبحث عن الأمان [3]، فضلاً عن أن اليهود يمكن لهم أن يحققوا ريادة في النشاط التجاري والبحري في منطقة تبعد عن حوض البحر المتوسط الذي كان منطقة صدام بين القوى الإسلامية والنصرانية (الصليبية) [4]، فقد ساهمت الحروب الصليبية في القضاء على كثير من مراكز التجمع اليهودي في أوربا، ناهيك عن سيطرة المدن الايطالية على التجارة في حوض البحر المتوسط منذ القرن 4هـ / 10م مما عقد الأمر بالنسبة لليهود، إذ حاولت هذه المدن وقف التجارة اليهودية قدر استطاعتها [5]. فاتجه التجار اليهود إلى أماكن أكثر أماناً مثل الموانئ التجارية في العالم الإسلامي ومنها عدن خاصة التي كانت تابعة في ذلك الوقت لنفوذ الدولة الفاطمية التي وصل أهل الذمة فيها إلى أعلى المناصب الحكومية [6].

ويشير أحد الباحثين أن معظم اليهود الذين سكنوا مدينة عدن في العصور الوسطى قادمين من داخل اليمن أي من اليهود العرب، وأن هناك نسبة غير قليلة وفدت إلى عدن

1- يتناول في الفصل الخاص بالبضائع والمواد التجارية.
2- المسيري، الأقليات اليهودية، ص104.
3- بشير، من تاريخ اليمن، ص92.
4- Goitein, Jews and Arabs, p.177.
5- المسيري، موسوعة اليهود، 2 / 255.
6- Goitein, Jews and Arabs، p. 82.

لاعتبارات تجارية أو شخصية شاركت إخوانها الإقامة [1]، وله رأي آخر أن استقرار اليهود العابرين في مدينة عدن يرجع إلى القرن الخامس الميلادي [2]، وهؤلاء قدموا إليها عدن من خلال الهجرات اليهودية من فارس ومن العراق ومن شمال أفريقيا وعكست وثائق الجنيزة وجودهم في المدينة، فقد عثر على حوالي مائة وخمسين وثيقة تشير إلى وجود مهاجرين من أصول غير يمنية في عدن [3]، وأن هناك نسبة معينة منهم ترجع في أصولها إلى أسلاف التجار اليهود القادمين من موانئ البحر الأبيض المتوسط للتجارة مع الهند، ثم استقروا في عدن وأصبحوا جزءاً من ذلك المجتمع [4]. وعلى الرغم من وجود روابط بين يهود عدن واليهود من داخل اليمن، إلا أنه كانت هناك فروق واضحة بينهم، بدليل أنه كان يشار إلى يهود عدن بالعدني، ويهود داخل اليمن باليمني، ومع ذلك فقد كان اتصال اليهود في اليمن مع المجتمعات اليهودية الأخرى يتم عن طريق يهود عدن [5].

ويشير Goitein إن هؤلاء التجار لم يكونوا يصطحبون معهم زوجاتهم عند سفرهم إلى أقطار المحيط الهندي. وبسبب عادة التجار المكوث فصولاً عدة أثناء رحلتهم في الشرق، وما يتبع ذلك من فراق لسنين طويلة، نتج عن ذلك أحياناً بعض التوترات التي انعكست أصداؤها في خطابات الجنيزة، لذا فقد تزوج التجار اليهود الوافدون من يهوديات عدن، إذ اشتهرت بالجمال والجاذبية وأمتدحهن الأدبان العربي والعبري، إذ نجد في إحدى الحالات مسافراً اسبانياً يتزوج من فتاة يمنية [6]، وأمر زواجهم له علاقة بأحكام الشريعة اليهودية، فالزوج لا يستطيع أن يجبر زوجته على الانتقال معه من منطقة إلى أخرى رغماً عنها [7]. ومن ثمَّ وجد التجار اليهود المترددون على عدن أنه من المناسب الزواج بزوجة أخرى في المدينة يقيم معها مدة تواجده لإنهاء أعماله التجارية، لاسيما أن تعدد الزوجات

1- Joseph B.Schechtman, The Jew of Aden, p.133.

2- Ibid, p.133.

3- Encyclopedia Judaica, vol.1، p.387.

4- Schechtman, The Jews of Aden, p.133.

5- Encyclopedia, vol.1, p.387.

6- Goitein، Studies in Islamic history, p. 335.

7- ليلى أبو المجد، عقود الزواج، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشرح التلمود، ص290-291.

كان منتشراً بين يهود اليمن [1]. ولـذلك الأمر انعكاس على العلاقات التجارية بين اليهود أنفسهم، حيث يضاف إلى الجانب الاقتصـادي، علاقة مصاهرة وبذلك تكون صفة العلاقة أقوى وأدعى للمحافظة على مصالح كلا الطرفين.

وفضلاً عن ذلك انعقاد المصاهرات الدبلوماسية بين التجار وزعماء اليهود في كلٍّ من القاهرة وعدن لتسهيل المعاملات التجارية، إذ تزوج ناجد اليمن مضمون من أخت أبي زكريا بن جوده بن يوسف كوهن وهو من أحبار اليهود في القاهرة، فضلاً عن كونه تاجراً بارزاً في تجارة الهند، وتزوج أبو زكريا نفسه من أخت يهودي عدني يعمل بتجارة الهند يدعى محروس من أصدقاء الناجد مضمون، ويمتلك مركباً يعمل في نفس التجارة [2].

وهناك معطيات أخرى تؤكد وجود جاليات يهودية في عدن فتزعم المجتمع اليهودي فيها عائلة بوندار وهي عائلة فارسية تعود بجذورها إلى نهاوند، ساعدهم في ذلك عملهم بالتجارة، وإلمامهم باللغة العربية، وهم ما زالوا في موطنهم الفارسي [3]، وكان ترشيح أبي علي حسان بن بوندار ككبير للمجتمعات اليهودية في عدن واليمن في المدة (491-527هـ / 1097-1132م)، مع بداية عهد جديد إذ توحدت عدن واستقلت عن الدولة الصليحية (439-569هـ / 1045-1174م)، وأصبحت تحت النفوذ المباشر للدولة الفاطمية، بعد استيلاء الداعي لهم سبأ بن أبي السعود بن زريع الهمداني (489-533هـ / 1096-1138م) عليها [4]، وكان حسان يعمل وكيلاً للتجار فيها [5]، والراجح أن عمله بالتجارة وثرائه هو الذي رشحه لهذا المنصب، ومع أن منصب الناجد [6] كان قد ظهر قبل

1- بشير، من تاريخ اليمن، ص96.

2- Goitein، A Mediterranean Society, vol.3, p.58.

3- Goitein, Letters of Medieval, p.175.

4- أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، 2 / 86-88.

5- Goitein, Letters of Medieval, p.179-181.

6- الناجد لقب يطلق على رئيس الجماعة اليهودية في الدويلات الإسلامية التي استقلت عن الخلافة العباسية، ومن أهم وظائفه أدارة الشؤون الداخلية للجماعة اليهودية داخل الدولة، وعلاقة الجماعة بالدولة وجمع الضرائب وحفظ الأمن للجماعة، وكان يتم ترشيح وجهاء اليهود لشخصية من بينهم للمنصب ثم تصادق الدولة على تعيينه. للمزيد عن المنصب ومهامه ينظر:

Goitein، A Mediterranean Society, vol.2, p.24-40; Man, The Jews in Egypt and Palestine، vol.1، p. 255; Encyclopedia Judaica, vol.14.p.729-733.

ذلك التاريخ إلا أن هذا اللقب لم ينسب لحسان بن بوندار وإنما نسب ذلك لولده مضمون (527-546هـ / 1132-1151م)، ويبدو أنه كان يضطلع بنفس المهام التي يقم بها الناجد من دون أن يلقب به، ومن بعده تولى المنصب أبنه مضمون (1)، وكان كذلك وكيلاً للتجار في عدن (2).

ومن المعطيات الأخرى التي تؤكد وجود جالية يهودية تجارية في عدن، من يهود الفسطاط والإسكندرية والأندلس (3). وجود وكلاء تجاريين لليهود في المدينة وسيتم الحديث عنهم في موضع لاحق.

ويشير فيشل أن إحدى وثائق الجنيزة تحدثت عن وجود يهود في القاهرة كانت لهم علاقات مع الجنوب العربي والهند، وقد علّق على هذه الوثيقة قائلاً: ((ويبدو أن مجموعة من اليهود كانت تستقر في عدن، وأنها كانت تتولى الأعمال التجارية مع الهند وسيلان))(4). وتبين وثائق الجنيزة وجود تجار يهود من شمال إفريقيا، فمن تونس أقام أبراهام بن برحيا بن ياجو، في عدن سنتين وكان يعمل في الكتابة (5)، ويبدو أن بعض التجار ذوي الثقافة المحدودة يستعينون بكتاب ذوي خبرة جيدة من أمثال أبراهام بن برحيا. والملاحظ أن نمو تجارة الهند دفعت التجار إلى العمل في عدن والإقامة فيها، ومنهم هلفون بن ناتانئيل وهو من تجار الأندلس (6).

وأما ميناء الإبلة شمال الخليج العربي فيقع على شاطئ (شط العرب) دجلة البصرة العظمى، في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة (7)، وفيها وجدت جالية يهودية كبيرة كان لها دور فعال في تجارة الهند إلى العراق والشام عن طريق الخليج العربي، وقد أثروا ثراءً كبيراً جعلهم ينصرفون بعد ذلك إلى الأعمال المصرفية تاركين التجارة للتجار النشيطين من العرب، كما هو شأنهم في كل مكان تواجدوا فيه في الدولة العربية

1- Yosef Tobi, The Jews of Yemen studies in their history and culture، p.40-41.

2- Goitein and Friedman، India traders، p. 38-39.

3- Goitein، Letters of Medieval, p.177, 181, 199-196, 216, 259.

4- Jews in the Economic and political life of Medieval Islam, p.76.

5- Goitein, From Aden to India, p. 45.

6- أوليفيا ريمي كونستيل، التجارة والتجار في الأندلس، ص155.

7- الحموي، معجم، 1 / 77.

الإسلامية، وقد ازدهرت هذه المدينة ازدهاراً عظيماً حتى إنها عدت في وقت من الأوقات ميناء العراق الرئيسي على الخليج العربي [1]. وأشارت المصادر الإسلامية، أن الإبلة كانت من المحطات التجارية التي يتوقف فيها اليهود الراذانية، ومنها يقصدون عمان والسند والهند والصين [2].

ولا بد من الإشارة إلى أن الحديث عن الجالية التجارية اليهودية لم يقتصر على الإبلة نفسها، وإنما تعد البصرة الامتداد الطبيعي لها، وأشار بنيامين إلى وجود عشرة آلاف يهودي فيها [3]، مع التحفظ على الأرقام التي يوردها إلا أنها تشير إلى وجود أعداد من اليهود لا يستهان بها، وكذلك ما تمثله البصرة من الأهمية التجارية ممثلة بموقعها بين طرق المواصلات، فمنها تنقل السفن بضائعها وبضائع بغداد إلى الهند والصين شرقاً، وأفريقيا غرباً لتعود محملة ببضائع هذه الأقطار إلى أسواق البصرة ثم بغداد [4]. وهكذا كانت البصرة مبدأ الطرق البحرية، أولها الطريق إلى الهند والصين وثانيها يدور حول سواحل الجزيرة العربية إلى البحر الأحمر ثم إلى شرق أفريقيا [5].

وما يؤكد وجود جالية يهودية تمركز قسم منهم في جزيرة ابن قيس في خليج البصرة يبلغ عددهم خمسمائة يهودي. وهي تمثل مركزاً تجارياً مهماً يقصدها التجار للبيع والشراء ومقايضة مختلف السلع، ويأتيها تجار الهند، وأغلب سكانها دلالون ووسطاء بين تلك الحشود الغفيرة من التجار [6]. وكل ما ذكر أعلاه يعضّد بعضه بعضاً ويؤكد وجود جالية تجارية في البصرة وميناء الإبلة الذي يعد المدخل لها ولجزيرة ابن قيس، وذلك يرجح دورهم المهم في الأنشطة الاقتصادية، بحيث أنهم تحولوا من مزاولة مهنة التجارة إلى الأعمال المالية المصرفية لما تحققه من أرباح أعلى مما هو عليه الحال في العمل

1- فهمي، دور اليهود، ص39-40: وينظر:
Arnold T. Wilson، The Persian Gulf, p.62-68.

2- ابن خرداذبه، المسالك، ص154: ابن الفقيه، البلدان، ص540.

3- رحلة، ص181.

4- رحلة السيرافي، ص24: ابن الفقيه، البلدان، ص66.

5- رمزية عبد الوهاب الخيرو، تجارة الخليج العربي، ص141.

6- رحلة بنيامين، ص196.

التجاري، ويؤكد ذلك ما أورده ابن الأثير، حول ابن علان اليهودي ضامن البصرة [1]. وسيتم الحديث عنه بالتفصيل بموضع لاحق بل وإن تلك الجالية كانت لديها من الإمكانيات المالية بحيث تسهم في إرسال الدعم المالي لمدرسة سورا مقداره ثلاثمائة دينار من الذهب[2]، وذلك يؤكد بوضوح مدى التسامح الذي أقره الإسلام بشريعته السمحاء في جميع أقاليم الدولة الإسلامية، بحيث تمكنوا من تحقيق ثراء مالي لا يستهان به، وقدموا دعماً مالياً لمؤسساتهم التعليمية.

أما الأحواز (خوزستان) فلم يكن من قبيل الصدف أن تزدهر مالياً وتجارياً في القرن (3هـ / 9م)، فقد كانت لها أهمية تجارية كبيرة، إذ كانت تقع على عدد من الطرق التجارية البرية والنهرية والبحرية التي تربط المنطقة بالخليج العربي والهضبة الإيرانية والعراق وآسيا الصغرى وحوض نهر السند[3]، وتدل وفرة العملات والمسكوكات فيها على قيامها بدور كبير في التجارة العالمية في حقب تاريخية تعود إلى ما قبل الإسلام [4]، وهناك الكثير من الروايات التاريخية التي تبين أنها كانت من أهم مراكز الجاليات اليهودية التجارية، ففي القرنين (3-4هـ/ 9-10م) كانت إحدى المحطات التجارية لليهود الراذانية[5]، ويؤكد الرحالة بنيامين التطيلي، أن فيها نحو سبعة آلاف يهودي، يقيمون بالجانب الذي يضم الأسواق والمتاجر وبيوت الموسرين من المدينة [6].

وإقامة اليهود بالقرب من الأسواق والمتاجر يوحي بأن عمل معظم ساكنيها بالأنشطة التجارية وما يتعلق بها.

ومن أهم مدن الأحواز تستر التي كان الجزء الأكبر من تجارها من اليهود [7]، وكان لهم دور كبير في ازدهار المدينة، وقد ارتبط بذلك اسم أبي سعد إبراهيم، وأبي نصر هارون

1- الكامل، 8 / 179، 274.

2- Sassoon, The history of thee Jews in Basra, p.408.

3- صراي، اليهود والخليج العربي، ص14.

4- Aharon Oppenheimer, Babylonia Judaica in the Talmudic period, p.76-77.

5- ابن خرداذبه، المسالك، ص153-155؛ ابن الفقيه، البلدان، ص540.

6- رحلة، ص183.

7- ابن مسكويه، تجارب الأمم، 5 / 226-237، 346؛

Fischel, Jews in the Economic‹p.31-32.

ابني يهودي كان يدعى " سهل بن تستر " احترف احدهما التجارة وأشتغل الآخر بالصيرفة، وأصبح يطلق عليهم بنو سهل التستريون[1]. وفي الأحواز برز يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران في مجال العمل المصرفي[2]، اللذان كان لهما دور كبير في المعاملات المالية الرسمية منها وغير الرسمية، وسيكون هناك تفصيل دقيق عنهم في الموضع الخاص بالمؤسسات المالية اليهودية. وتشير المصادر إلى شخصيات يهودية أخرى لها دور مهم بالحياة الاقتصادية في الأحواز، وكان من أشهرهم إسرائيل بن صالح وسهل بن نظير ويعقوب الصيرفي[3]. ومن خلال ما ذكر من الروايات نؤيد ما ذهب إليه فيشل، بأن المصادر العربية الإسلامية بينت أن مدينة الأحواز كانت مركزاً اقتصادياً ومالياً متميزاً [4]، حتى أن أسم " يهودي " كان يقترن دائماً بلقب " مستبدل الأموال "[5]. وفي ذلك إشارة إلى وجود جالية يهودية دائمة بالمدينة[6]. وما يؤكد ذلك ما ورد في وثائق الجنيزة وفيها رسائل مبعوثة من إيران إلى مصر مكتوبة باللغة العربية والعبرية والفارسية، والمؤرخة في القرن (5هـ / 11م) ومرسلة إلى يعقوب بن عوكل وابنه جوزيف في الفسطاط، وكذلك من بينها رسائل أرسلت من الأحواز ومعنونة إلى أكبر الأخوة من بني سهل التستري، ويعود تاريخها إلى سنة (412هـ / 1021م) [7].

وفي إقليم مصر كانت الفسطاط المركز الرئيسي لنشاط اليهود، وبعد انتقال الأهمية الاقتصادية والعمرانية إلى القاهرة أهملت الفسطاط وانتقلوا إلى القاهرة [8]، ومن الطبيعي أن تتواجد الجاليات اليهودية التجارية في الأماكن التي هي ذات مركز اقتصادي يتواجد فيه اليهود من أهل البلاد.

1- ناصر خسرو، سفرنامه، ص109؛ المقريزي، المواعظ، 2 / 317-318. وللمزيد ينظر إيناس محمد جمال الزيني، يهود العراق في العصر الإسلامي، ص240.

2- التنوخي، نشوار المحاضرة، 8 / 38؛ الصابي، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ص90-93.

3- التنوخي، نشوار المحاضرة، 3 / 31؛ مسكويه، تجارب الأمم، 5 / 441-473.

4- Fischel, Jews in the Economic، p.32.

5- Fischel, Jews in the Economic، p.32

6- فهمي، دور اليهود، ص38.

7- Goitein, letters of medieval، p.34-35.; Margoliouth، A Jewish-Persian law Report, p.671-675

8- عطا، اليهود في العالم العربي، ص119.

ومن أشهر التجار اليهود الذين أقاموا بمصر يعقوب بن كلس (ت 380هـ / 990م)، الذي سافر من بغداد إلى بلاد الشام، ونزل بمدينة الرملة في فلسطين، فأقام بها وعمل وكيلاً للتجارة بها، وعندما تراكمت عليه الديون وعجز عن سدادها هرب إلى مصر سنة (331هـ / 942م) زمن كافور الإخشيد (323-334هـ / 934-945م)، وقد واصل عمله بتجارة الشرق، وأصبح يعرف باسم " تاجر كافور " [1]، وولاه ديوانه الخاص ويستوفي الأعمال والحسابات، وأصدر كافور أوامره إلى كافة الدواوين أن لا يصرف دينار ولا درهم إلا بتوقيعه، وكان له دور كبير بتنظيم الجوانب المالية للدولة الفاطمية [2]، وقلده العزيز أبو منصور (365-386هـ / 975-996م) الوزارة سنة (368هـ / 978م) ولقبه " بالوزير الأجلّ " [3].

ومن الشخصيات اليهودية الأخرى التاجران اليهوديان وهما: أبو سعيد إبراهيم التستري وأبو نصر هارون التستري، وأشير إليهما من قبل، والأسرة من أصل إيراني وبالتحديد من جنوب إيران، واستوطنوا مصر وتحديداً الفسطاط [4]، وقد ذاع صيتهما في أيام الحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م)، واشتهر أمرهما في البيع والشراء، ولما تولى الحكم الظاهر الفاطمي (411-428هـ / 1020-1036م) علا شأن أبي سعيد إبراهيم، وكان بمثابة التاجر الخاص بالظاهر يبتاع ما يحتاج إليه من صنوف الأمتعة، وقد حظي بمكانة عظيمة لديه، لاسيما بعدما ابتاع منه جارية سوداء أنجبت له ابنه المستنصر أبو تميم (427-487هـ / 1035-1101م) الذي ولّي الحكم من بعده [5].

1- ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص47-48؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص32.

2- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7 / 27-28.

3- ابن الصيرفي، الإشارة، ص49؛ للمزيد عن ابن كلس، ينظر: فاروق عمر فوزي، يعقوب بن كلس اليهودي، ص311-325؛ فهمي، دور اليهود، ص42-53؛

Goitein، A Mediterranean Society، vol.1, p.17-19; Yaacov Lev, The Fatimid Vizier Ya'Qub Ibn Killis and Beginning of the Fatimid A dministration in Egypt, p.238-249; Fischel, Jews in the Economic،p.45-68.

4- Goitein, letters of medieval، p.35.

5- المقريزي، المواعظ، 2 / 317-318.

وذكر ناصر خسرو في رحلته أنه حكي له أثناء زيارته مصر، أن رجلاً يهودياً أسمه أبو سعيد وأفر الثراء يتاجر بالجواهر، وكان مقرباً من السلطان الذي كان يعتمد عليه في شراء ما يريد من الجواهر الكريمة، وقيل إنه لا يعرف مدى غناه إلا الله سبحانه وتعالى فقد كان على سقف داره ثلاثمائة جرة من الفضة، وأن أخاه تملكه الفزع عندما مات أبو سعيد فكتب رسالة يقول فيها: ((إني أقدم للخزانة مائتي ألف دينار مغربي حالاً)) [1]. وتلك صورة واضحة لمدى الثراء الذي حققه اليهود في الدولة الفاطمية.

وتشير وثائق الجنيزة إلى وجود مراسلات لهذه الأسرة مع إحدى العوائل الدمشقية البارزة وهي عائلة ابن الحربش (Ibn Hirbish)، ومنها رسالة مؤرخة في سنة (444هـ / 1052م)، تتضمن شهادة بمقتل أبي سعيد، وهو أخو أبي نصر التستري وأن حصته في الشراكة ثلثها يعود إلى أخيه أبي منصور التستري [2].

ومن بين الجاليات التجارية لليهود عائلة يوسف بن عوكل، وقد سبقت الإشارة إليه، ويبدو أن أسرة ابن عوكل ترجع إلى أصول فارسية، هاجرت إلى تونس في القرن (4هـ / 10م) وبقيت لبعض الوقت، ثم إلى مصر مع الفاطميين بعد عام (359هـ / 969م) [3]، وكان ابن عوكل يسكن في القاهرة بينما الكثير من مشروعاته التجارية تباشر من الفسطاط [4]. ويعد بيت ابن عوكل أحد البيوت التجارية الكبرى للتصدير والاستيراد بمفهوم عصرنا الحاضر وتجارته بين مصر والمغرب فضلاً عن أسبانيا [5]، وذلك ما تؤكده وثائق الجنيزة الخاصة به وتعد أقدم أرشيف تجاري ويحتوي على (61) وثيقة ويتناول الحقبة

1- سفرنامه، ص108-109.

2- Goitein، A Mediterranean Society، vol.1, p.183.

وللمزيد عن أسرة بني سهل ينظر:

Goitein، A Mediterranean Society، vol.2, p.351-352,374, vol.3,p.56,135-137,vol.4,p.187; Man, the Jews in Egypt, vol.1, p.81,108.112, vol.2,p.72-73, 145; Gil, A History of Palestine, p.393-394, 404,530,555-561;

رمضان، اليهود في مصر الإسلامية، ص342-343

3- Norman A.Stillman, The Eleventh Century Merchant House of Ibn 'AwKal'، p.17.

4- Ibid, p.20.

5- Goitein, Letters of Medieval، p.26-27;

عطا، اليهود وتجارتهم، ص59.

الزمنية (370-469هـ / 980-1076م)، وأطلق عليه ستيلمان (Stillman) شهبندر التجار في مصر[1] ولعل ذلك فيه مبالغة.

وكان ليوسف بن عوكل أربعة أبناء هم: أبو الفضل هلال (هليل)، وأبو الطيب بنيامين، وأبو سهل منشه، وأبو سعيد خلف. وقد ذكروا أكثر من سبع مرات في المراسلات، وذكر أسم شخص اسمه أبو نصر لعله كان زوجاً لإحدى بناته، لعله كان أبو نصر سعيد حفيد التستري الذي تذكره المصادر الإسلامية [2]. ورغم استقرارهم في مصر إلا أن ذلك يشير إلى أنهم كانوا من بين الجاليات اليهودية التجارية التي تتنقل بين أقاليم الدولة الإسلامية سعياً وراء الثراء المالي.

وممن استقر في الفسطاط نهراي بن نسيم الذي ولد بمدينة القيروان حوالي سنة (411هـ/ 1020م)، ومن تجارها تنقل في شبابه بين تونس وشرقي البحر المتوسط واستقر أخيراً في الفسطاط سنة (437هـ / 1045م)، وذلك ما تؤكده أحدى وثائق حساب الصفقات التجارية في مصر [3]، ومع أنه عاش في الفسطاط إلا أنه كان يمتلك بيتاً في الإسكندرية [4]. والسبب في ذلك ما تمثله الإسكندرية من موقع مهم على ساحل البحر المتوسط.

وحفظت وثائق الجنيزة المئات من خطاباته للحقبة (437-490هـ/1045-1096م) [5]، وتبدأ في العام الذي وصل فيه إلى مصر وتنتهي في العام الذي توفي فيه. وتبين تلك الخطابات زيارته لبيت المقدس مرات متعددة، فضلاً عن طرابلس والرملة، والمغرب وتحديداً موطنه القيروان والأندلس، ولديه فيها صداقات مع اليهود والمسلمين، ومن

1- Stillman, The Eleventh Century merchant، p.16

وعن فهرسة الرسائل الخاصة بابن عوكل ينظر:

Stillman, The Eleventh Century Merchant، p.31-37,46,48,59-81.

2- Stillman, The Eleventh Century Merchant, p.17-18.

للمزيد عن ابن عوكل ينظر:

Goitein, A Mediterranean، vol.1، 144, 158, 168, 215, 226-227; vol.2, p.61-62, 191,276;vol.4,p .26,156,355;vol.5, p.127,203,209-211,235-236.

3- Goitein, Letters of Medieval، p.45,278.

4- Goitein, A Mediterranean، vol.3, p.116.

5- Ibid, vol.5، p.273.

بينهم شركاء أو وكلاء له [1]. ويؤكد في أحد الخطابات علاقته القوية بالتاجر المسلم أبي القاسم عبد الرحمن، ومودته له ولأبي بكر رشيد وأحمد بن قاسم[2]، وقد اتضح من وثائق الجنيزة أن نهراي بن نسيم، كان يتولى خزانة بيت المال [3]. وبذلك يتضح أن هؤلاء التجار اليهود تمتعوا بحرية الاتصال داخل الدولة الفاطمية وخارجها [4].

ومن سجلماسة التي تقع جنوب المغرب على طريق بلاد السودان وأهلها أغنى الناس وأكثرهم مالاً، لأنها على طريق من يريد غانة التي منها يستخرج معدن الذهب [5]، قدم إلى القاهرة التاجر أبو زكري كوهن السجلماسي، ويتضح من خلال وثائق الجنيزة الخاصة به أنه كان كبيراً للتجار اليهود في القاهرة القديمة (الفسطاط)، وكان معروفاً بنشاطه التجاري الواسع بين مدينة سجلماسة مسقط رأسه، والهند، للحقبة التاريخية (527-543هـ / 1132-1148م) [6]، وكان أبو زكري متزوجاً من أخت محروس بن يعقوب، ابن عم مضمون الذي سبق ذكره أثناء الحديث عن عدن [7]. وهذه الحالة تبين مدى الترابط بين الجاليات اليهودية في مدن الدولة الإسلامية، فأبو زكري من يهود سجلماسة أما زوجته فتنحدر من أصل يهودي فارسي، تقيم في عدن وتتزعم المجتمع اليهودي فيها، ولها أعمال تجارية [8]. ولعل ذلك يرتبط بمبدأ الاطمئنان لدى اليهود سواء ما يتعلق بالجانب الديني لديهم أو الاقتصادي، ونرجح الأخير لما عرف عنهم من حب للمال، بل إن تلك العلاقات الاجتماعية كانت سبباً في تلك الشهرة التي حازها [9].

1- Gil, A History‹ p.273-274.

2- Goitein, Letters of Medieval‹ p.15.

3- Goitein, Bankers A counts from the eleventh century A.D.P.36-56.

4- عن ابن نسيم ينظر، عطا، اليهود وتجارتهم، ص61-62:
Goitein, Letters of Medieval‹ p.46,76,91,111,126-129,145-174; Mark R.Cohen, poverty and charity in the Jewish community of Medieval Egypt, p.74, 119,192.

5- الحموي، معجم، 3 / 192.

6- Goitein, Letters and Documents on the India, p.337.

7- Goitein and Fridman‹ India traders‹ p.40, 46.

8- Tobi, The Jews of Yemen, p.40-41.

9- أحمد السيد محمد زيادة، التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي، ص25.

وتشير وثائق الجنيزة الخاصة به سواء المرسلة منه أو إليه إلى تمتعه بعلاقات تجارية قاعدتها الفسطاط ومنها إلى عدن والهند والمغرب [1]، ومن بين تلك العلاقات البارزة التي كانت قائمة مع تجار الكارم [2]، أرسله ابو زكري في شهر ديسمبر (432هـ / 1140م)، وذكر فيه وصول التجار اليهود المسافرين في الكارم إلى عيذاب، ما نصه: ((وجميع من خرج من أصحابنا في الكارم يأتم السلام)) [3]. وتلك تبين العلاقة القوية بين الطرفين.

وإلى جانب هؤلاء التجار، كان هناك تجار يهود آخرون أوردتهم وثائق الجنيزة، كانوا مقيمين بالإسكندرية، وسبب الإقامة فيها هي الموانئ التجارية المهمة في المدينة، ومن الطبيعي أنها ساعدتهم على العمل كوكلاء لتجار آخرين.

ولعل من أبرز أولئك التجار إسحاق النيسابوري، وهو من أصل فارسي، كان يقيم بالإسكندرية، وله علاقات اقتصادية مع بلاد الشام، وأوربا وشمال إفريقيا وتونس [4]. وتبين احدى وثائق الجنيزة أن اسحاق كان يعمل وكيل شحن لتجار آخرين[5]. كما أورد جوايتن اسماً آخر لتاجر يهودي يعيش في الإسكندرية هو أبو الفرج مردوخ (مردوخاي) بن موسى [6]، وذكر عنه أنه من أصل ليبي، وبالتحديد من طرابلس، وأنه استقر بالإسكندرية وأصبح تاجراً عالمياً، وكان معاصراً للتاجر نسيم بن نهراي [7].

وفي موضع آخر من كتابه، أورد اسماً لتاجر يهودي يدعى يوشع بن صموئيل (إسماعيل)، من أصل تونسي استقر بالإسكندرية [8].

وفي مدينة قليوب كان يقيم تاجر يهودي هندي الأصل كانت له مكانة مهمة في المدينة، يدعى أبا علي حزقيال، وكان أخاً لحلفون بن نثانئيل التاجر الهندي الشهير [9].

1- Goitein and Fridman، India traders, p. 14,162-163, 379,491,682.

2- سيتم الحديث عن تجار الكارم بالتفصيل لاحقاً.

3- The Beginnings of the Karim merchants،p.356-357.

4- Goitein، A Mediterranean، vol.1, p.153.

5- Goitein, Letters of Medieval، p.249.

6- Ibid, p.48.

7- Goitein, A Mediterranean، vol.4, p.251.

8- Ibid, vol.1,p.465; vol.4، p.384.

9- Ibid, vol.4, p.251.

وبذلك نلاحظ أن اليهود انتقلوا من مدنهم التي ولدوا فيها، قاصدين أهم المراكز الاقتصادية الإسلامية كعدن والإبلة والبصرة والفسطاط والإسكندرية، على وفق ما تقتضيه مصالحهم التجارية منها أو المالية، إلا أن ذلك لم يكن ليحدث لولا التسامح الذي أقره الدين الإسلامي من دون التمييز بين فئات المجتمع التي تعيش على أرض الإسلام من دون النظر إلى ديانتها، إذ عليها من الحقوق الشيء اليسير من دون أن تكلف أكثر من قدرتها، ولها حرية التنقل من دون أية عوائق تذكر.

الفصل الرابع

النشاط التجاري لليهود

المبحث الأول: فئات التجار.

المبحث الثاني: أنواع التجارة.

أولاً: التجارة الداخلية.

ثانيا: التجارة الخارجية.

الفصل الرابع
النشاط التجاري لليهود

تمتع اليهود بالأمن والحرية في ظل الدولة الإسلامية على وفق ما أقرته الشريعة الإسلامية، وكفلت لهم حرية التنقل بين أقاليم الدولة الإسلامية، وتشير المصادر التاريخية إلى أن اليهود لم يعيشوا في أماكن مغلقة (جيتو) مثلما كان حال أقرانهم في أوربا طوال العصور الوسطى [1]، أما في المجتمع الإسلامي فلم يعزلهم أو يجعلهم أقلية منبوذة كما هو الحال في البلدان غير الإسلامية [2]، بل مارسوا أنماطاً متعددة في مجالات النشاط التجاري والإداري وفي المال والمهن الحرفية، وبصورة مختصرة مارس اليهود في ظل الدولة الإسلامية نشاطهم بدءاً من الوزارة حتى اصغر المهن التي عرفها المجتمع الإسلامي.

وقد أولى اليهود في العالم الإسلامي كغيرهم من يهود العالم التجارة اهتماماً كبيراً، وعدوها الطريق الأفضل لتحقيق الربح الكبير وقد حضهم على ذلك أحبارهم، إذ وضع العالم التلمودي البابلي راب (RAB)، شعاراً لأبناء ملته يقول: ((تاجر بمائة فلورين[3]. تحصل على لحم وخمر، أما إذا استغللت هذا القدر نفسه في الزراعة، فأكبر ما تحصل عليه هو الخبز والملح)) [4].

وشارك اليهود في الحركة التجارية أو الثورة التجارية كما يسميها البعض والتي بدأت في القرن (3هـ / 9م)، وقامت طبقة برجوازية يهودية ساهمت في حركة النشاط التجاري وارتبطت مصالحها بالأقطار التي عاشت فيها وربطت مصيرها وحياتها بها، فمنهم من هاجر من المغرب إلى مصر، ومنهم من ظل يزاول تجارته في المغرب، ومنهم من

1- عن اليهود في أوربا، ينظر، صبري، الجيتو اليهودي، ص39 وما بعدها.
2- عن سكن اليهود في المشرق الإسلامي ينظر الفصل الأول.
3- فلورين، عملة فلورنسية أو هولندية أو انكليزية. منير البعلبكي، المورد، ص356.
4- ول ديورانت، قصة الحضارة، 14 / 61.

باشر أعماله في اسبانيا فأصبحت مصالحهم وحياتهم مرتبطة بتلك الأقطار التي تعد موطن لهم، ولم يربطه بيهودي في قطر آخر إلا الدين ورسائلهم تتضمن الحنين على الوطن الذي يعيشون فيه، وفيه مصالحهم، وهو المجتمع الذي بدأ باكتساب عاداته وتقاليده وأسلوبه في الحياة، ولم يكن هناك محاذير تمنعهم على الرغم من محاولات بعض رجال الدين اليهود لحثهم على عدم الارتباط بالأغيار [1].

أما عن سيطرة اليهود على حركة التجارة في العالم الإسلامي ومدى هذه السيطرة نستطيع القول أن اليهود لم يسيطروا على التجارة في العالم الإسلامي، والدليل أن المصادر الإسلامية لم تغفل دورهم الكبير إذ كان هذا الدور دوراً رئيسياً، لكن من المؤكد أن اليهود شاركوا في حركة التجارة الزاهرة، ومنهم من كونوا ثروات كبرى كنهراي بن نسيم وابن عوكل [2]، وغيرهم.

ويؤكد ذلك احد الباحثين المحدثين من اليهود بقوله: ((وينتمي العدد الأكبر من التجار الصغار الذين يسمون بالسوقة أو الباعة إلى الطبقات الدنيا من المجتمع. إنهم يتميزون بوضوح في المصادر العربية عن التجار الذين ينتمون إلى البرجوازية الكبيرة معظمهم صناع يبيعون منتجاتهم والآخرون عطارون أو تجار صغار يبيعون الملابس والأواني للفقراء وغالبيتها صناعات منزلية سيئة الصنع، رأس مال مثل هؤلاء التجار محدودة جداً يبلغ (100-200 دينار). والآخرون باعة متجولون يبيعون بضائعهم في القرى والضياع)) [3]. وتعد تلك التقديرات مقبولة لكونهم أقلية إذا ما قورنوا بباقي فئات مجتمع الدولة الإسلامية من المسلمين وغيرهم من أهل الذمة، ومهما كان مقدار مشاركتهم بالنشاط التجاري يبقى ضئيلاً مقارنة بالتجار المسلمين.

1- عطا، اليهود وتجارتهم، ص52-53.

2- عطا، اليهود وتجارتهم، ص53.

3- الياهو آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الوسط في العصور الوسطى، ص185.

المبحث الأول
فئـات التـجـار

اهتمت المصادر الإسلامية بالتجارة، وهناك العديد من المؤلفات تتناول النشاط التجاري ومنها كتاب الجاحظ (ت 255هـ / 868م) التبصر بالتجارة، والدمشقي (ت850هـ / 1446م) وكتابه الإشارة إلى محاسن التجارة، وتحدث الأخير عن ثلاثة أصناف من التجار، وأول تلك الأصناف التاجر الخزان وهو صنف من أصناف التجار يقوم بشراء البضائع في وقت رخصها وكثرتها أي عند قلة الطلب عليها وكثرة عرضها، إذ يعمد هذا التاجر إلى خزن البضائع ويقوم بعرضها عند قلتها وازدياد الطلب وتعذر وصولها إلى الأسواق[1]، والثاني الركاض الذي يتعامل مع بلدان مختلفة، وعليه أن ينظر أولاً فيما يبتاعه فيحتاط فيه ولا يكون في نفسه بمنزلة من يعده أمله فيه عند وصوله إلى البلد الذي يقصده فربما تأخر مسيره أو بطل لأحدى العوائق كخوف الطريق أو تعذر الرياح إن كان سفره في البحر أو لحادث يطرأ في الموضع الذي يقصده، فكثيراً ما يتفق ذلك للناس فيقاسي بيعه في البلد الذي اشترى فيه، وإن لم يكن قدم الاحتياط أتضع فيـه شيئاً ولذلك يقول التجار والمسافرون " التبصرة نصف العطية " [2].

وثالثها التاجر المجهز الذي لا يتطلب عمله السفر من مكان إلى آخر بل يقيم في مدينة ثم يتخذ له وكلاء يتوزعون في المدن التجارية الأخرى، ويجب أن يمتاز هؤلاء بالخبرة الكبيرة التي يتطلبها العمل التجاري، ويقوم هذا التاجر بشراء السلع ويرسلها إلى الوكلاء الذين يقومون بدورهم ببيعها، وهذا التاجر يستقر في بلد معين ويرسل البضائع إلى وكلائه الذين منحهم حرية التصرف في بيع البضائع وتخزينها حسب ما تقتضيه الظروف، ولا بد للوكلاء أن يتصفوا بالثقة [3]. وتلك التقسيمات تنطبق على كافة التجار من اليهود وغيرهم.

1- الإشارة إلى محاسن التجارة، ص70-73.

2- نفسه، ص73-74.

3- الإشارة، ص75؛ وللمزيد حول أصناف التجار ينظر، الجبوري، النشاط التجاري في العراق، ص 77-80؛ الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص144-146.

أما بقدر تعلق الأمر بالتجار اليهود فهذا التقسيم يسري عليهم مثل التجار المسلمين، وهذا التقسيم الثلاثي هو تبسيط للواقع في تلك الحقبة. وقد طبقه جواتين وستيلمان على التجار اليهود[1]. فيشير جواتين إلى أن التاجر اليهودي نهراي بن نسيم الذي يتنقل بين المغرب ومصر في سنة (437هـ / 1045م) وفي السنة اللاحقة كان يزور بيت المقدس ومدن سوريا ولبنان، وهو يمثل الصنف الثاني من التجار وهو الركاض[2]. ويدخل إلى هذا النوع صغار التجار الذين يتنقلون من مدينة صغيرة إلى أخرى في الريف المصري لبيع النسيج. فقد ورد في إحدى وثائق الجنيزة: ((لقد اشتريت 40 رطلاً من الحرير من الركاض في منية زفتا))[3]. وكتب هذه الوثيقة تاجر حوالي سنة (535هـ / 1140م)، وفي خطاب آخر ذكر فيه تاجر من تنيس[4]، إحدى مراكز صناعة النسيج، وأنه بقي في الريف لمدة عشرين يوماً يشتري الحرير، وهناك العديد من الوثائق تشير إلى أعمال متشابهة[5].

وتبين وثائق الجنيزة أن أولئك التجار الصغار كان عملهم محدود نسبياً، ويمكن تمييزهم عن العمل بالتجارة الدولية، وإن الأخير يزوده بما يحتاج إليه، وأن التجار اليهود انقسموا إلى قسمين أو مجموعتين، الأولى التجار المسافرون (الركاض)، ونجدهم يتنقلون بين تونس وصقلية ومصر، أو بين مصر وأقصى المغرب والأندلس أو مصر وفلسطين وسوريا (بلاد الشام)، والإشارات إلى سفراتهم وفيرة، فضلاً عن الملاحظات الواردة في تلك الوثائق مثل: ((هذه السنة أنا سأبقى ولن أسافر))، أو ((انه منتصف الصيف وأنت لن تأت)). وأما المجموعة الثانية، هم التجار المهاجرون الذين تركوا بلادهم وهاجروا إلى البلدان الأخرى، وأقاموا فيها لبضع سنوات، ويتاجر هؤلاء مع عائلاتهم وأصدقائهم في موطنهم الأصلي، مع تجار أصغر من نفس العائلة، أو مع غيرهم من التجار[6]. ويمكن أن يطلق على المجموعة الثانية (الجاليات التجارية اليهودية) وقد سبق الحديث عنها.

1- Goitein, A Mediterranean، vol.1,p.156; Stillman، The Eleventh Century Merchant House، p. 19.

2- Goitein, A Mediterranean، vol.1, p.158.

3- زفتا، بلد بقرب الفسطاط من مصر ويقال له منية زفتا. الحموي، معجم، 3 / 144.

4- تنيس، بلدة من بلاد مصر في وسط الماء تقع بين الفرما ودمياط، اشتهرت بثيابها المصنوعة من الكتان. المقريزي، المواعظ، 1 / 326؛ الحميري، الروض المعطار، ص137-138.

5- Goitein, A Mediterranean، vol.,p.156.

6- Goitein, A Mediterranean، vol.,p.156-157.

أما ستيلمان فقد عد يوسف ابن عوكل من الصنف الثالث الذي تحدث عنه الدمشقي وهو المجهز، وكان يتخذ من مدينة الفسطاط العاصمة الاقتصادية للدولة الفاطمية مركزاً لإدارة أعماله الواسعة الانتشار والممتدة إلى المغرب الإسلامي، وأماكن أخرى [1].

وبذلك يتبين أن هناك فريقان من التجار: الفريق الأول هم التجار المستقرون، أما بالنسبة للفريق الثاني وهم التجار المتجولون، فقد كان هؤلاء أما تجاراً صغاراً يتجولون في نطاق محدود داخل جهات البلد نفسه، أو تجاراً كبارَ يتنقلون من بلد إلى آخر، يتاجرون في أصناف عديدة من السلع، وسيتم الحديث عن تفاصيل تلك السلع بصورة مفصلة في الصفحات الآتية.

وفيما يتعلق بالأسواق التي يتواجدوا فيها أو يمارسوا النشاط التجاري، فإن الإشارات التي أوردتها المصادر التاريخية والبلدانية سواء الإسلامية منها أو غيرها كالرحلات اليهودية، وتلك لا تكاد تعدو إشارات محدودة، ويعود سبب ذلك أن اليهود كانوا يمثلون أقلية في أقاليم الشرق الإسلامي، ومن الطبيعي أن ما يرد من روايات بحقهم يتناسب مع أعدادهم من حيث تواجدهم في تلك الأسواق التي لا تكاد مدينة تخلو منها، وكذلك تلك المصادر كانت تركز على الملوك وكبار رجالات الدولة.

ومن بين تلك الإشارات ما ذكره ابن الجوزي ضمن أحداث سنة (573هـ / 1177م) حول فتنة وقعت بين اليهود والعامة ببغداد، بسبب اعتداء اليهود على مؤذن من المسلمين في المدائن الذين قصدوا بغداد يشكون من يهود المدائن، فتفاقم الأمر، فنتج عنه أن العامة خرجوا فنهبوا دكاكين المخلصين[2]، لأن أكثرهم يهود[3]. ويضيف ابن كثير إيضاحا أن عملية النهب كانت لسوق العطرين الذي فيه اليهود[4]. وتشير الرواية إلى وجود دكاكين (محلات) لليهود يعملون في الصيرفة وإن عملية النهب شملت جميع محلات المخلصين ومنهم اليهود.

1- The Eleventh Century merchant, p. 19.

2- المخلص، هو الذي ينقي الذهب من الشوائب التي دست فيها غشاً وذلك بالتعليق في النار. محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص136.

3- المنتظم، 18 / 242.

4- البداية والنهاية، 12 / 366.

وفي سنة (658هـ / 1259م) وأثناء اجتياح التتار لدمشق يشير ابن واصل إلى موقف أهل الذمة واستطالتهم على المسلمين، ونهبت دور النصارى وحوانيت اليهود، إلا أن عساكر المسلمين منعوا ذلك، وقتل أيضا جماعة من المسلمين كانوا يخدمون التتار [1]. وتلك إشارة إلى أنه كانت هناك محلات لليهود في دمشق من دون إشارة إلى الصفة التي كانت عليها محلاتهم.

وفي مدينة طبرية أشار الرحالة بتاحيا إلى وجود الربي نهاريا، وله ابن اسمه يهودا، ويمتلك متجراً في السوق يبيع فيه الأعشاب والبهارات والتوابل، ويعمل أولاده معه في المتجر [2]، وذكر بنيامين أن اليهود في الأحواز كانوا يقيمون بالجانب الذي تقع فيه الأسواق والمتاجر وبيوت الموسرين [3]. وبموضع آخر ذكر أن رأس الجالوت في بغداد الربي دانيال بن حسداي كانت له إيرادات سنوية عظيمة من الفنادق والأسواق والمتاجر[4]. وضمن حوادث سنة (753هـ / 1352م) أورد المقريزي حادثة وقعت في القاهرة فحواها سرقة متاع من حانون اليهودي، وساهمت الجماعة المخصصة لحفظ المتاجر بإرجاع متاع اليهودي له [5].

وأشار ابن دقماق (ت 790هـ / 1388م) إلى وجود سوق اليهود بمصر وعرف بسويقة اليهود في المصاصة، وكانت في زمنه خراب [6]، وما يؤكد وجود سوق لليهود في المصاصة أن موسى بن ميمون (ت 603هـ / 1206م)، بعد خروجه من الأندلس ووصوله إلى مصر سكن في محلة بالمصاصة، وعمل فيها بتجارة الجواهر [7].

بعد إيراد الإشارات الخاصة بالأسواق يتبين أن محلات اليهود لم تكن منفصلة عن أسواق المسلمين وإنما هي جزء منها، وكان لهم الحرية باختيار النشاط التجاري من بيع

1- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، 6 / 290.
2- رحلة، ص142-143.
3- رحلة، ص183.
4- رحلة، ص170.
5- السلوك، 4 / 166.
6- الانتصار لواسطة عقد الأمصار، 1 / 14.
7- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص239.

وشراء من دون فرض أي قيود عليهم، إلا ما اقره الشرع بحقهم للعامل منهم بالتجارة فيؤخذ من أهل الذمة نصف العشر إذا بلغت قيمة تجارته مائتي درهم، وإن كان قيمة ذلك أقل من مائتين لم يؤخذ منها شيء [1]. أو بيع وشراء المواد المحرمة في أسواق المسلمين كالخنازير والخمور [2].

1- أبو يوسف، الخراج، ص146. وللمزيد عن عشور التجارة ينظر، عصمة أحمد فهمي أبو سنة، رأي أبو يوسف في الحياة الاقتصادية للدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد، ص94 وما بعدها.

2- أبو يوسف، الخراج، ص135.

المبحث الثاني
أنواع التجارة

لقد مارس اليهود أعمالهم التجارية في الكثير من مدن وموانئ أقاليم الشرق الإسلامي ذات الأهمية الاقتصادية، ولم يقتصر على ذلك فحسب بل إن هناك إشارات تشير إلى نشاط تجاري ملحوظ في المناطق الريفية المحيطة بمدن تلك الأقاليم وانقسمت التجارة التي زاولها اليهود إلى نوعين:

أولاً: التجارة الداخلية:

قبل الحديث عن دور اليهود في التجارة الداخلية لا بد من الإشارة إلى أنه سيتم الحديث انطلاقاً من إقليم العراق لأنه يعد المركز الذي بدأ فيه النشاط التجاري لليهود، فيشير ابن مسكويه إلى أن معظم اليهود في بعض نواحي العراق كانوا تجاراً، وذلك في القرن (4 هـ / 10م) [1]، ويؤكد ابن الجوزي وجود محلات تجارية لليهود في بغداد [2]، وتلك إشارات واضحة حول نشاط اليهود بالتجارة الداخلية. ويبدو أن أكثر دكاكين البزازين كانت لليهود ويستدل على ذلك من خلال ما قام به الوزير أبو شجاع محمد بن حسين أبو جعفر الخرقي (ت488هـ / 1095م) إذ كان يؤدب كل من فتح دكانه يوم الجمعة ويغلقه يوم السبت من البزازين وغيرهم، وقال: ((هذه مشاركة لليهود في حفظ سبتهم)) [3]. ويستشف من الرواية أمران، الأول أن اليهود كانوا يشكلون الأكثرية في هذا المجال أي مهنة البزازين، الأمر الذي تطلب تدخل الدولة لاستفحال هذه الظاهرة، وإلا لما استدعى الأمر تدخل الدولة لمنعها، وأما الثاني فإن النص لم يقتصر على البزازين بل أضاف وغيرهم وفي ذلك دلالة إلى أن عمل اليهود لم يقتصر على العمل المشار إليه، لكنه لم يحدد نوع تلك الأعمال.

1- تجارب الأمم، 5 / 346.
2- المنتظم، 16 / 30، 18 / 242.
3- نفسه، 17 / 23-24.

وقد أختص أهل الذمة ومنهم اليهود بتجارة الخمور والأنبذة وبيعها من خلال إشرافهم على الحانات والخمارات التي كانت منتشرة في مختلف مناطق الدولة (الإسلامية)، وإن اقتصرت في بداية الأمر على محلاتهم ومناطقهم تجمعهم ولا سيما في الأديرة [1]، فيشير الشابشتي أن الأديرة قد تحولت إلى دور واسعة لشرب الخور واللهو على غرار دير سمالو ودير الثعالب ببغداد، تقدم لروادها حتى من المسلمين على مختلف طبقاتهم الخمر المعتقة[2]، كما كانت بساتين ضواحي بغداد من كركين وقطر بل وعكبر وشط الصراة تمتلئ بالحانات ويلجأ إليها الشعراء والفتيان للشرب [3].

ولم تلبث هذه الحانات لتنتشر في محلات بغداد المأهولة وأسواقها فقامت في الكرخ وباب طاق وسوق العطش والرصافة [4]، وكان أغلب أصحاب هذه الحانات يهوداً، وكانت تضم السقاة، وكانوا عادة من النصارى واليهود والمجوس، وكانوا يزينون رؤوسهم بأكاليل الزهر والزيتون وقاعة الشرب بالرياحين [5]، وفي هذا الصدد ذكر جاك ريسلر: ((أن الناس يتزودون بالخمر من الأديرة المسيحية وكانوا يمضون لاحتسائها في مطاعم صغيرة يديرها يهود)) [6].

وعليه فقد صارت تجارة الخمور وبيعها وطريقة تقديمها تقليداً ملازماً لأهل الذمة، حتى رسخ في ذهن شاربها أن الخمر لا يبيعها إلا ذمي، ولعل من الشواهد الدالة على اختصاص أهل الذمة بتجارة الخمور والاشتغال بها [7]، ما ورد في خمريات أبي نواس في وصف الحانات والخمارات وسقاتها وطريقة تقديمهم للشراب، إذ يقول في خمار يهودي ذهب ليشتري منه هو وبعض أصحابه خمراً فدار بينه وبينهم حوار طريف تعرف من خلاله على شخصه.

وفتيان صدق قد صرفت مطيهم
إلى بيت خمار نزلنا به ظهراً

1- طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، ص123.
2- الديارات، ص 14، 24.
3- نفسه، ص 46، 360.
4- التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص340، ص 503؛ التنوخي، نشوار المحاضرة، 1 / 349.
5- الثعالبي، يتيمة الدهر، 2 / 199-200.
6- الحضارة العربية، ص149.
7- سمير، دور أهل الذمة، ص124.

فلما حكى الزنار أنا ليس مسلماً
ظننا خيراً فظن بنا شرا

فقلنا على دين المسيح ابن مريم
فاعرض مزورا وقال لنا هجرا

لكن يهودي يحبك ظاهراً
ويضمر في المكنون منه لك الخترا[1]

فقلنا له ما الاسم؟ قال": سموأل
على أنني أكنى بعمرو ولا عمرا

وما شرفتني كنية عربية
ولا أكسبتني لا سناء ولا فخرا[2]

ويقول في حانة بها ساقية يهودية:

الشرب في ظلة خمار
عندي من اللذات يا جاري

لا سيما عند اليهودية
حوراء مثل القمر الساري [3].

وذكر الثعالبي إشارة تدل على تعامل اليهود بالخمر في قصة غير صحيحة [4].

ومن بين إسهامات اليهود الأخرى في التجارة الداخلية في إقليم العراق عملهم بمحلات البقالة [5]. وكان من الطبيعي أن تزدهر تجارة يهود العراق الداخلية ولحقب مختلفة بحسب الظروف السياسية من حيث الاستقرار أو عدمه، لاسيما بعد القرن (2هـ/8م)

1- الختر، شبيه بالغدر والخديعة وقيل هو الخديعة بعينها، ابن منظور، لسان العرب، 4 / 29.
2- ديوان أبي نواس، ص 244.
3- ديوان أبي نواس، ص 248.
4- خاص الخاص، ص61.
5- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص292.

في ظل الخلافة العباسية، وما تميز به العراق من موقع جغرافي مهم، ولعل من أسباب ذلك تطور أوضاعهم الاقتصادية في العراق، ووجود جاليات يهودية عراقية منتشرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي ولاسيما في مصر وبلاد الشام، إذ كان لتلك الجاليات دورها الاقتصادي في المناطق التي أقامت فيها [1]. هذا إلى جانب كون يهود العراق كانوا مرجعاً دينياً لبقية اليهود الذين انتشروا في العالم الإسلامي، مما أسهم في تفعيل تلك العلاقة [2].

والملاحظ قلة المعلومات في وثائق الجنيزة حول مساهمة يهود إقليم العراق في النشاط التجاري، ولعل السبب في ذلك أن يهود العراق لم ينشروا ما تقع عليه أيديهم من أخبار، أي لم يجمعوها في خزانة خاصة بهم فليس لديهم " جنيزة " [3]. والراجح أن مسألة وثائق الجنيزة كانت محلية خاصة باليهود في مصر دون غيرهم من يهود العالم الإسلامي آنذاك، وما يدل على ذلك وجود البرديات في مصر منذ عصر الفراعنة، ومن الطبيعي أن يتأثر اليهود بذلك، وما يعزز ذلك أن اليهود الذين هاجروا إلى مصر من مختلف أقاليم الدولة الإسلامية قد وردت أسماؤهم في تلك الوثائق.

وما يؤكد ذلك أن جواتين عند حديثه عن يوسف (جوزيف) بن عوكل قال: ((فضلاً عن نشاطاته التجارية الكثيفة، ومراسلاته التي تعد بالمئات مع رئاسة الجالوت في بغداد وحفظتها وثائق الجنيزة إلا أنه لم يتم العثور على أية رسالة تخص العلاقات التجارية مع العراق)) [4]. وتلك تؤكد قلة المعلومات التي تتعلق بالنشاطات التجارية الخاصة بيهود العراق، إلا ما يتعلق بالمؤسسات المالية التي سيتم الحديث عنها في فصل آخر.

وبعد البحث والتقصي لما توفر للباحث من مصادر تم العثور عل ثلاثة نصوص، اثنان منها تخص التاجر سعدان بن ثابت البغدادي ووالده، وكان نشاطهم بالتجارة يمتد من الأندلس وشمال أفريقيا ومصر، وأقام أولا في طرابلس (الغرب) ثم في الإسكندرية،

1- أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص184.

2- حول تلك العلاقات ينظر:

Sassoon, A History of the Jews in Baghdad، p.59-81، Danie Frank and Goldish, Rabbinic culture and its Critics, p.12-13.

3- غادة حمدي عبد السلام، اليهود في العراق، ص 33.

4- Goitein, Letters of Medieval, p.26-27.

ومنها كان يرسل رسائله، وفيما يخص والده ثابت بن سعدان، فلم يتضح إن كان زائراً للغرب أم مقيماً فيها، وتلك الرسائل كتبت حوالي سنة (525هـ / 1130م) [1].

فالرسالة الأولى مرسلة إلى شخص يدعى جوزيف يقيم في الفسطاط، ويطلب من إبداء النصح للأجير الذي أرسله ليشتري البهار (التوابل)، وطلب منه شراء مواد خاصة لعائلته، منها القرنفل وجوز الطيب ومواد عطرية (عود البخور) على أن يكون من نوعية متوسطة الجودة [2].

أما الرسالة الثانية حول شراء مادة الكراوية [3]، مرسلة من الإسكندرية إلى أبي إسحاق إبراهيم، وان سعدان اشترى حزمة من الكراوية وحسب طلبه، وأرسل الحمولة مع قوارب الحجاج المتوجهة إلى مكة والعائدة إلى أبي دنيا. وضمت تفاصيل دقيقة حول أجرة المركب (34،5) و (16 درهم) للقناة. وفي نهاية الرسالة يطلب منه ان يسأل حمزون بن رجاء كم دفع أجرة في القناة عن الحمولة (البالة)، التي لم يحدد محتواها وكذلك ضمت تسوية حسابات بيع وشراء بين الطرفين [4].

والنص الثالث يخص احد تجار الصوف في القرن (4 هـ / 10م) في مدينة الموصل، يدعى أبو الخير طابا بن صلحون، وكان يلقي الدروس في المعبد المحلي، واستخدام صلاته التجارية الخارجية لتوسيع معلوماته عن العالم والتجربة الإنسانية [5]. ويشير النص إلى أنه كان يعمل تاجراً بالصوف من دون تقديم تفاصيل أخرى.

وأما في بلاد الشام فقد كانت العلاقات التجارية ناشطة بين جميع المدن الشامية من جانب وأقاليم الدولة الإسلامية من جانب آخر، ومع بداية الخلافة العباسية أصبح التماسك الاقتصادي للأقطار الإسلامية أقوى من ذي قبل [6]، وقد استفاد من ذلك التجار المسلمين وغيرهم من أهل الذمة.

1- Ibid، p.255.

2- Ibid، p.256-257.

3- الكراوية (كرويا) نبات عشبي يتخذ منه شراب منبه. أحمد مختار عبد الحميد، معجم الصواب اللغوي، 618/1؛ معجم اللغة العربية المعاصرة، 3 / 1916.

4- Goitein, Letters of Medieval, p.257-258.

5- David E.Sklare, Samuel ben Hofni Gaon and his Cultural world، p. 119؛ Haggai ben Shammai, A Jewish wool Merchant in Tenth- Century Mosul، p.11.

6- أشتور، التاريخ الاقتصادي، ص91.

وكانت بلاد الشام ملاذاً للتجار من يهود بغداد، فذكر الصولي قائلاً: ((ووقع على التجار ببغداد ظلم عظيم وخبط شديد، وتهارب الناس وخرج جماعة من مياسير اليهود والمجوس إلى الشام)) [1]. وممن هاجر من يهود بغداد إلى بلاد الشام يعقوب بن يوسف بن كلس (ت 380هـ / 990م)، وكان وكيلاً للتجار بالرملة فكسر أموالهم أي اختلسها بطريقة أو بأخرى وهرب إلى مصر [2]. وتظهر أحدى الوثائق والمؤرخة في سنة (310هـ / 922م) انتقال إبراهيم بن فنحاس بن يوسف اليهودي غوطة دمشق [3].

وتبين وثائق الجنيزة دور اليهود في بلاد الشام بالتجارة الداخلية، وتشير أحدى الوثائق إلى وجود شراكة بين حائك يهودي يدعى هبة الله نثانال بن يوشع المقدسي يقيم في بيت المقدس مع صدقة هي-هافير بن موفهار من الفسطاط، وكان هبة الله يساهم بـ(15 دينار) بالشراكة وصدقة بـ(50) دينار وتولى هبة الله ببيع ما ينتج إلى تجار المنسوجات في القيسارية (الأسواق)، والربح أو الخسارة تكون مناصفة بين الطرفين، ويحق لصدقة إنهاء الشراكة في أي وقت يشاء [4].

وفي وثيقة أخرى كتبت سنة (442هـ / 1050م) مرسلة من جوزيف ها – كوهن بن شلومون بالقدس، إلى إبراهيم بن شيماريا في الفسطاط يسأله عن نوع الصابون في مخازن الرملة[5]، وفي سنة (458هـ / 1065م) كتب آفون بن صدقة في القدس إلى نهراي بن نسيم في الفسطاط، يتحدث فيها عن انخفاض أسعار الصابون الفلسطيني فكان يباع في سنة (432هـ /1040م) بأربعة دنانير لكل قنطار[6]، بينما في سنة (452هـ / 1060م) بدينارين وثلث، وهذا هو سعر الصابون الفلسطيني (الشامي)، بينما الصابون المغربي ليس عليه طلب مطلقاً [7].

1- أخبار الراضي، 2 / 251.

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 74 / 179؛ صادق أحمد داود جودة، مدينة الرملة، ص244-245.

3- Janine Sourdel-Thomine Et Dominique Sourdel, Trois Actes de Vente Damas- cains du but Du IVe/ Xe Siecle، p. 167-173.

4- Gil, A history of Palestine, p.230.

5- Ibid, p.231.

6- القنطار، من وحدات القياس وتتفاوت مقاديره من بلد لأخر، ففي مصر كان على خمسة أنواع وزنه ما بين (45-120كغم)، وفي بلاد الشام ما بين (185-228كغم). للمزيد ينظر، محمد عمارة، معجم المصطلحات، ص468؛ هنتس، المكاييل والأوزان، ص40-44.

7- Gil, A history, p.232.

ويستشف من النص المذكور بعض الأمور منها، متابعة اليهود لأسعار الصابون في الفسطاط، وكذلك تحديد نوع الصابون في الفسطاط وعلى مدار عشرين سنة، وكذلك تحديد نوع الصابون الذي عليه الطلب من عدمه.

وشمل نشاطهم التجاري المواد الغذائية، فقد ورد في إحدى وثائق الجنيزة والمؤرخة في سنة (420هـ / 1029م) يستفسر من خلالها عن إمكانية شراء الحنطة من الأردن، وفي وثيقة أخرى يعود تاريخها إلى سنة (457هـ / 1065م)، موجهة من آفون بن صدقة إلى نهراي بن نسيم، يخبره عن شراء الحنطة من منطقة الخليل والقدس نفسها، وقام جاكوب بن سليمان الحريري بنقلها بواسطة السفن من بلاد الشام إلى الفسطاط، كما نقلوا أيضا التين إلى الإسكندرية [1]. ومن الرسائل الأخرى تظهر سفر جاكوب بن سليمان إلى فلسطين لشراء الثمار وتصديرها إلى مصر. وتبين وثائق الجنيزة كيف أرسلت شحنة من مربيات الفاكهة من موسى بن يعقوب ما بين سنة (449-450هـ / 1057-1058م)، وأرسلت عن طريق صور إلى الفسطاط [2].

كما أسهم اليهود في التجارة بالسكر، ففي سنة (452هـ / 1060م) اشترى يعقوب بن جوزيف بن إسماعيل، كمية من السكر لكن تبين أنه كان من نوعية رديئة، مما اضطره إلى بيعه بسعر أقل من قيمته وفي السنة نفسها تشير إحدى الوثائق التي كتبت في طرابلس إلى اشتراك جوزيف بن سهل البراداني، بشراء السكر وبسعر (5، 19 دينار) للقنطار بينما يشير تاجر آخر هو جاكوب بن إسماعيل، إنه اشترى السكر في مدينة صور وباعه بالمدينة ذاتها [3]. ومن المحتمل أن السكر كان يتم جلبه من مصر، وما يؤكد ذلك أن ابن العبري ضمن أحداث سنة (588هـ/1192م) أكد أن السلطان صلاح الدين الأيوبي، قد رد مظلمة لتاجر يهودي دمشقي، أبحر من الإسكندرية وكانت بضاعته عشرين حملاً من السكر، وعندما بلغ ميناء عكا صادرها أتباع السلطان، ولما علم صلاح الدين بالأمر أمرهم بأن يؤدوا ثمن السكر لليهودي [4]. ويمكن التوصل من خلال النصوص المذكورة أن اليهود كانوا يسهمون

1- Ibid, p.226.

2- Ibid, p.227.

3- Ibid, p.227

4- تاريخ الزمان، ص226.

بالتجارة بمادة السكر ما بين بلاد الشام ومصر أو بالعكس، وأن حادثة التاجر اليهودي الدمشقي تؤكد الحرية التي كان يتمتع بها اليهود في أعمالهم التجارية وتنقلهم من مدينة إسلامية إلى أخرى ليس في عصر الدولة الفاطمية وإنما استمرت في عصر الدولة الأيوبية.

وذكرت التجارة بالفواكه المجففة ومادة السماق التي أرسلت من جاكوب بن إسماعيل المقيم في مدينة صور، إلى نهراي وعلى الأخير بيعها في مصر، ويشتري بدلاً منها بصناعة أخرى[1]، ومن البضائع الأخرى التي تاجر بها اليهود مادة التيلة [2]، كانت ترسل من فلسطين إلى المهدية، وتشير إلى زيادة في أسعارها بمدينة صور لكثرة الطلب عليها، وكما تاجر اليهود أيضاً بالملح والمنسوجات كالشاش الشامي والحرير والصوف والقرفة التي احضروها من الشرق لبيعها في مصر [3].

والملاحظ إن ذلك النشاط التجاري لليهود في بلاد الشام كان ينحصر في القدس والمدن القريبة منها ولاسيما الساحلية وكذلك إن معظم وثائق الجنيزة قد ورد فيها اسم نهراي بن نسيم، وأنه كان يمثل محور تلك التجارة ما بين بلاد الشام ومصر وغيرها من أقاليم الدولة الإسلامية، والأمر الأخر أن ذلك النشاط كان أثناء الحكم الفاطمي لمصر، وأجزاء من فلسطين ومنها بيت المقدس[4]، أما عن أوضاعهم في مدة الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، فقد تنوعت أوضاعهم بحسب المنطقة أو الإمارة التي أقاموا فيها[5]، فقد عامل الصليبيون سكان فلسطين عامة وبيت المقدس خاصة مسلمين ومسيحيين ويهود بقسوة بالغة، فعندما استولوا على بيت المقدس في أعقاب الحملة الصليبية الأولى (490هـ / 1096م) أقام الصليبيون حمام دم لأهل الملل الثلاث [6]، وقد عامل الصليبيون اليهود معاملتهم لكل ما هو غير فرنجي، أي اعتبروهم مواطنين من الدرجة الثانية، إلا أنهم منعوا من السكن في بيت المقدس، ومع ذلك فإنهم استوطنوها وعملوا كصباغين في ظل الحكم

1- Gil, A history, p.237.

2- التيل، نبات من فصيلة الخبازية، يستخرج من سيقانه ألياف تصنع منها الحبال والأكياس، عمارة، معجم المصطلحات، ص133.

3- Gil, A history, p.238-341.

4- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص98-99.

5- رياض مصطفى احمد شاهين، أوضاع اليهود وموقفهم في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، ص15.

6- عطية القوصي، صلاح الدين واليهود، ص40. للمزيد حول الأمر ينظر شاهين، أوضاع اليهود، ص15-21.

الصليبي [1]. وأمر طبيعي أن ينعكس ذلك على النشاط الاقتصادي لليهود ولاسيما التجاري، وتخلو المصادر التاريخية مِن الإشارات عن هذا النشاط وبالذات في بيت المقدس.

وكان فتح السلطان صلاح الدين لبيت المقدس سنة (583هـ / 1187م) نقطة تحول في تاريخ اليهود [2]. فقد اصدر السلطان نداء غداة فتحه للقدس يحث فيه اليهود صغاراً وكباراً ولاسيما الهاربين من حكم الصليبيين أن يعودوا إلى بيت المقدس. وبناءً على هذه العودة سمح السلطان لليهود في مصر والشام بحرية العمل كما سمح لهم بحرية العبادة، وبذلك عاود التجار اليهود نشاطهم التجاري القديم وأسهموا بنصيب وافر في التجارة الداخلية وفي تجارة المرور بين الشرق والغرب [3]. كونها كانت من الطرق لسير القوافل القادمة من الجزيرة العربية إلى سواحل الشام محملة بأطايب الهند والصين واليمن والحبشة التي كانت تجد سوقاً نافقة في الغرب الأوربي [4]. ومن الطبيعي أن يكون لذلك اثر في النشاط التجارة الداخلية لكل فئات المجتمع في بلاد الشام وبما فيهم اليهود.

وكانت مدينة دمشق من مدن بلاد الشام المهمة، فكانت المستودع الكبير الذي ترد إليه منتجات الشرق كله بكميات هائلة [5]، وكان فيها أكبر تجمع لليهود حين زارها الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي ما بين (561-569هـ / 1165-1173م) إذ وجد فيها ثلاثة آلاف يهودي [6]، وأن التجار اليهود فيها كانوا أغنياء [7].

وقد وردت بعض الإشارات في وثائق الجنيزة حول دور دمشق في النشاط التجاري بين المدن الشامية وباقي أقاليم الدولة الإسلامية، ومنها وثيقة مؤرخة في سنة (473هـ / 1080م) تبين وجود علاقات تجارية ما بين مدينة صور ودمشق، وتتحدث عن حمل من الورق كان قد أرسل مع سلامة بن جايش، وأنه وصل إلى مدينة صور وأفرغ حمولة الورق عند أبي علاء ابن أبي حافظ، وأن الشيخ أبي الحسين، سلم خمسة عشر دينار إلى سلامة

1- يوشع براور، عالم الصليبيين، ص88.
2- نفسه، ص88.
3- Ashtor, Saladin and the Jews, p. 325-326.
4- نقولا زيادة، الجغرافية والرحلات عند العرب، ص265-271.
5- هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ص88.
6- الرحلة، ص145.
7- Obadiah, p.245.

بن جايش، ويشمل الجزء الثاني من الرسالة تسوية حسابات ما بين أبي علاء بن أبي حافظ وموسى بن يعقوب أحد التجار المقيمين في الفسطاط [1].

ووثيقة أخرى كتبت في سنة (453هـ / 1061م) تبين وصول مجموعة من تجار دمشق إلى سوسة [2]، إلا أن الوثيقة لم تقدم أية تفاصيل تتعلق بالنشاط التجاري، إلا أنها إشارة واضحة حول وجود علاقات تجارية بين يهود دمشق والمغرب العربي الإسلامي. وبموضع آخر يشير جواتين أن إحدى وثائق الجنيزة كتبت ما بين سنة (510هـ - 511هـ / 1116-1117م) حول شريك لأحد التجار سافر إلى دمشق، وضمت الوثيقة معاهدة تم بموجبها تحديد عمليات البيع والشراء في حلب وأنطاكيا والأماكن الأخرى في شمال بلاد الشام، وأن عملية البيع تتم بالنقد فقط[3]. وذكر في نص آخر أن تاجراً من دمشق أرسل رسالة ذكر فيها إرسال واحد وعشرين حمل وأن ثمنها (250 دينار) مدفوعة مقدماً، وأن كلفة النقل من دمشق إلى القاهرة مبالغ فيها، لكونها تصل إلى (50 %) من قيمة الحمولة[4]. إلا أن النص لا يقدم أية تفاصيل حول تلك الحمولة وماهيتها.

أما عن باقي مناطق بلاد الشام فما يتوفر لدينا لا يعدو إشارات محدودة تتعلق بالنشاط في التجارة الداخلية، والراجح أن سبب ذلك يعود إلى قلة أعدادهم في تلك الأماكن، وان أولئك اليهود اختاروا العمل بمهن أخرى غير التجارة. ومن بين تلك الإشارات، حول عمل احد اليهود في مدينة طبرية ببيع الإعشاب والبهارات والتوابل، وأنه وأولاده كانوا في عزلة عن الناس حتى لا يفشوا أسرار المهنة التي يعملون فيها [5]. وذكر ابن حجة الحموي (ت 837هـ / 1433م) انه بمدينة حماة كان هناك يهودي يطوف بالحناء والصابون على رأسه [6]. أي أنه كان تاجراً متجولاً يتنقل بين مناطق حماة، ولعله كان يتنقل بين ريف حماه والمناطق المجاورة.

1- Goitein, Letters of Medieval, p.92-95.

2- Ibid, p.165.

3- A Mediterranean Society, vol.1, p.178.

4- Ibid, vol.1p.199.

5- رحلة بتاحيا، ص142-143.

6- خزانة الأدب، 1 / 131.

أما في أواخر العصر المملوكي فقد تركز اليهود في مدينة صفد وأصبحت المركز الجديد للنشاط التجاري، إذ يروي لنا طالب ايطالي سنة (901هـ / 1495م)، أن صغار تجار اليهود في صفد كانوا يكسبون خمسة وعشرين دوكات [1] في السنة، أي أنهم كانوا في بحبوحة من العيش [2]. وما يؤكد نمو النشاط التجاري داخل المدينة ما كتبه موشي موسى بقوله: ((تجد هناك محلات كثيرة للملابس الصوفية والحريرية ومحلات البهارات بجميع فروعها تعود ملكيتها إلى اليهود، يحضرون الحرير والبهارات من دمشق ويبيعونه في المدينة ويذهبون بالسفن الشراعية إلى بيروت لشراء الملابس وأشياء أخرى، وهناك أيضاً باعة يهود يتجولون في القرى لبيع الحرير وبضائع أخرى، ويشترون القطن والخيوط والشمع عندما تكون الأسعار رخيصة ويبيعونها في الوقت المناسب، وهناك أيضاً يهود في الأسواق يبيعون الفواكه والخضار والزيت والجبن وأشياء أخرى تجارية وبشكل عام فالمنطقة تجارية أكثر من ايطاليا...)) [3].

وكان تجار بيت المقدس ينشطون بما فيهم اليهود في المواسم والأعياد تبعاً لنشاط التجارة في البلاد، فذكر فيلكس فابري عند زيارته لفلسطين سنة (888هـ / 1483م) أنه عند وصولهم إلى مدينة يافا جاءهم تجار من الرملة والقدس ومعهم بضائع معطرة، ويقيموا هناك سوقاً، ويحملون ماء الورد في قوارير ثمينة جاؤوا بها من دمشق، وبعضهم يحمل البلسم والمسك والصابون والحجارة به من دمشق، والبعض الآخر يحمل البلسم والمسك والصابون والحجارة الكريمة وقماش الموسلين الأبيض، وفي القدس جاءهم الباعة من المسلمين والمسيحيين واليهود يحملون الخبز والطعام والماء [4].

وبالنسبة إلى أنواع التجارات التي اشتغل بها أهل الذمة ومنهم اليهود، فإنهم عملوا في جميع أنواع التجارات المختلفة، إلا أننا نلاحظ وجود تجارات معينة تركزت في أيديهم، فقد سيطروا على بيع السلع الثمينة كالمجوهرات والمصوغات والرياش

1- الدوكات، (الدوك) الدينار المضروب في البندقية نسبة إلى أميرها الدوق (Duke). عمارة، معجم المصطلحات، ص222.

2- حجازي، أهل الذمة، ص122.

3- Moshe Ma'oz, Studies on Palestine during Ottoman period, p.108.

نقلاً حجازي، أهل الذمة، ص122.

4- علي أحمد محمد السيد، اليهود في شرق البحر المتوسط، ص140.

الثمينـة والثيـاب الفاخـرة [1]، وقد مهر اليهود فـي تـجارة الرقيق فوجدوا دائماً في أسواق الرقيق ببلاد الشام [2].

وللحديث عن إسهام يهود مصر في التجارة الداخلية لا بد من الإشارة، إلى أن تاريخ يهود مصر قبل دخول جوهر الصقلي (ت381هـ / 992م) إلى الفسطاط سنة (358هـ / 968م) تقريباً يكتنفه الغموض، وأقدم وثيقة من وثائق الجنيزة التي تشير إلى يهود الفسطاط يرجع تاريخها إلى سنة (133هـ / 750م)، ولكن ما نعرفه عن حياة اليهود المصريين خلال القرون الثلاث التي أعقبت دخول الإسلام نادرة [3]. ومن الطبيعي أن تشمل ندرة المعلومات في الجوانب الاقتصادية بما فيها النشاط التجاري.

وانتشرت الأسواق في جميع أنحاء مصر على مر العصور في المدن والقرى على حدٍ سواء، وكان هذا أمراً طبيعياً لما تميزت به مصر... وقد خلق تنوع الإنتاج ووفرته في أنحاء مصر نشاطاً ملحوظاً في عملية تبادل السلع على المستوى المحلي وإقامة الأسواق العامرة بالنشاط التجاري في جميع أنحاء البلاد [4]، ليس ذلك فحسب بل هناك موقع مصر الجغرافي الممتاز، الذي جعلها وسيطاً بين الشرق والغرب [5].

وقد شارك اليهود المصريين مشاركة فعالة في الأحداث التي جرت على مجتمعهم طوال الحقبة التاريخية قيد الدراسة، وكان لهم نصيب وافر في النشاط الاقتصادي [6]، بصورة عامة والنشاط التجاري بصورة خاصة ويمثل العصر الفاطمي في مصر العصر الذهبي لأهل الذمة عامة ولليهود خاصة، لتولي شخصيات من اليهود مناصب إدارية مهمة مثل الوزارة وغيرها.

ومن أولى الإشارات عن نشاط اليهود في التجارة الداخلية كانت في عصر الدولة الإخشيدية (333-358هـ / 944-968م)، وتخص التاجر يعقوب بن كلس اليهودي، الذي

1- احمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص106.

2- نعيسة، يهود دمشق، ص26.

3- Mann, The Jews in Egypt, vol.1, p.13.

4- عبد المنعم عبد الحميد سلطان، الحركة التجارية ونظام الأسواق في مصر الفاطمية، ص15.

5- رمضان، اليهود في مصر، ص339.

6- قاسم، اليهود في مصر، ص87.

سبقت الإشارة إليه، وكان يعرف " بتاجر كافور " أو " تاجر البلاط " [1]، ولم يقتصر عمله على مصر وإنما كان لديه نائب (وكيل) عنه في عمله وضياعه يدعى ابن أبي العود. [2] والراجح أن التجارة كانت من بين أعماله نظراً لما اشتهر به.

وخلال القرن (5هـ / 11م) كان متوسطي الحال من اليهود يسكنون الفسطاط إذ تركزت فيها معابدهم وحياتهم، وفي النصف الأول من القرن (6هـ / 12م) أصبح لليهود الموسرين سكناً في القاهرة إلى جانب سكنهم في الفسطاط، ولم يكد يمضي القرن الثاني عشر حتى انتقل معظم التجار اليهود الأثرياء من الفسطاط إلى القاهرة [3]. وتلك إشارة واضحة للتحول في المستوى الاقتصادي لليهود بحيث يتمكنوا من السكن في القاهرة، على الرغم من أن السلطات الفاطمية لم تكن تسمح لرعاياها بسكنى القاهرة التي كانت مقراً للحاكم وبلاطه وجهازه الإداري وحاميته العسكرية [4]. وبذلك كانت مصر (الفسطاط والقاهرة) مركزاً لنشاط اليهود التجاري، وقد أيدت ذلك الكثير من وثائق الجنيزة التي سبق وذكرت أو التي ستذكر لاحقاً.

ولعل من أبرز الأمثلة على ذلك عائلة ابن عوكل التي تعد من بين أحد البيوت التجارية الكبرى، وقد وصل إلى مصر مهاجراً من إفريقيا في منتصف القرن (4 هـ / 10م)، في أعقاب سيطرة الفاطميين عليها سنة (358هـ / 968م)، وكان يوسف ابن عوكل يمثل مركزاً لشبكة اتصالات مع التجار، وعلى مدار عقود بقيت للعائلة روابط مع الشرق والغرب الإسلامي[5]. حتى أن ستيلمان أطلق عليه لقب " شاهبندر التجار " [6]، وكان ابن عوكل يتخذ من منزله مقراً لإدارة أعماله التجارية، إلى جانب مكتبين آخرين في القاهرة القديمة، يقع احدها في دار الجواهر وكانت الخطابات ترسل إلى مجلسه في الفسطاط، وعلى ما يبدو أنها كانت المركز الرئيسي له [7].

1- ابن خلكان، وفيات الأعيان، 7 / 33؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 4 / 158.

2- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص29.

3- Goitein, A Mediterranean، vol.1,p.148.

4- قاسم، اليهود في مصر، ص111.

5- Marina Rustow، Heresy and the politics of community ; the Jews of the Fatimid Caliphate, p.138.

6- The Eleventh Century merchant house, p.16.

7- Ibid, p.21.

وكان لا بن عوكل علاقات تجارية مهمة على صعيد التجارة الداخلية، ويتبين ذلك من خلال معاملاته التجارية التي كانت تتم مع تجارهم أقل في المكانة ولكن ليسوا من صغار التجار، فالتجار يقدمون خدمات لبيت ابن عوكل ولا يأخذون أية عمولة، ولكن يقابل تلك الخدمات حصولهم على خدمات مماثلة من بيت له علاقاته المتميزة [1].

ففي خطاب طويل من سمحون بن داوود الصقلي وهو تاجر من القيروان يشكو فيه بعد أن تلقى لوماً من ابن عوكل، يذكر أنه لم يحقق أي ربح شخصي من شحنة الخشب البرازيلي[2] المرسلة إليه من ابن عوكل، ولكن بالمقابل تعرض للخسارة فذكر سمحون في خطابه (أنني قمت بذلك طمعاً في رعايتك، فقد سبق أن ساعدتني بجاهك، واستناداً إلى ذلك فإنني أرسلت اطلب مساعدتك المالية). وفي خطاب آخر يسأل ابن عوكل أن يكتب له ضمن الرسالة احتياجاته وطلباته[3]. وتبين تلك الخطابات منزلة ابن عوكل ودوره في العمليات التجارية، بحيث تقدم له الخدمات التي تتعلق ببيع السلع التجارية من دون أن تكون لهم نسبة من الأرباح وإنما يدخل تحت رعايته.

وكان لأبن عوكل إسهام واضح في التجارة الداخلية في إقليم مصر، فتشير أحدى وثائق الجنيزة المرسلة إليه من شريكه إبراهيم بن جوزيف المقيم في الإسكندرية، إلى عدد من السلع التي تشمل النحاس والقصدير والصابون ومواد أخرى [4].

وفي أحدى الوثائق المؤرخة في سنة (411هـ / 1020م) ومرسلة من الإسكندرية إلى الغرب الإسلامي، توضح نسبياً الكثير من الجوانب التجارية في البحر المتوسط، وعمليات الاتصال بين أكثر من إثني عشر تاجراً بينهم بعض المسلمين، ومدى التعاون التجاري بينهم، وضمت تلك الوثائق الشحنات المرسلة من الغرب (الإسلامي) إلى الفسطاط، منتجات زراعية ومعادن ومرجان وألياف التيلة [5]. والصادرات شملت الذهب والحرير [6]. ومن بين

1- Ibid, p.23.

2- الخشب البرازيلي، ليس المقصود بالتسمية البرازيل الحالية وسيتم الحديث عن المادة لاحقا.

3- Goitein, A Mediterranean، vol.1,p.165-166.

4- Stillman, The Eleventh Century merchant house, p.24-25.

5- Goitein, Letters of Medieval, p.85.

6- التيلة، نبات يستخرج من سيقانه ألياف تصنع منها الحبال الغليظة والأكياس، ويزرع عادة حول القطن. عمارة، قاموس المصطلحات الاقتصادية، ص133؛ احمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1 / 307.

تفاصيل بعض تلك المواد التي ذكرتها الوثائق، تسعة قطع من مادة الكحل (Kohl)، خمسة منها في السلال، وأربعة قطع كاملة، على متن قارب ابن جبير، وكذلك حمل من الموز، وأرسلت الشحنة من موسى بن المجاني، وأرسلت أربع أواني فخارية من الزيت، مع عمار بن يوجو Yiju))، والسفينة العائدة إلى أبي زايد وحزمة من النحاس المطروق خاصة بتاجر مسلم يدعى أبا بكر بن رزق الله [1].

والملاحظ من خلال تلك الوثائق تفاصيل دقيقة عن الصادرات والواردات بين مصر والغرب الإسلامي، واشترك في ذلك النشاط التجار اليهود والمسلمون، وان عملية نقل البضائع كانت تتم على قوارب تعود لمسلمين.

وضمن وثيقة مؤرخة سنة (416هـ / 1025 م) مرسلة من الإسكندرية من يهودي يدعى إبراهيم بن إسماعيل، إلى أبي الفرج يوسف بن يعقوب ابن عوكل في الفسطاط، وأشار فيها إلى شحنة من (180) بالة تعود ملكيتها إلى ابن عوكل [2]. إلا أنه لم يحدد محتوى تلك البالات أو أية تفاصيل أخرى حول تلك البضائع.

وتتحدث رسالة مرسلة من الإسكندرية ذكر فيها ابن أخي يوسف بن عوكل، مشاركته مع عمه بمبلغ (520) دينار [3]. وفي خطاب طويل من سمحون بن داود يبدي فيه الأخير غضبه من ابن عوكل تتعلق ببضاعة من الحرير مرسلة على سبيل الأمانة وتزن (4) قناطير (180كغم)، وكان كل من ابن عوكل وسمحون وأخيه شركاء لكل منهم الثلث، وهذه البضاعة كانت عامل توتر في العلاقة بين ابن عوكل وسمحون، وازدادت العلاقة سوى بين الطرفين بسبب ما أثير من ادعاءات على سمحون من انتهاكه لامتيازات وحقوق وكيل ابن عوكل في عاصمة تونس، أبي عمران موسى بن المجاني [4].

ومن أبرز التجار اليهود الذين كان لهم دور بارز في النشاط التجاري نهراي بن نسيم، الذي سبقت الإشارة إليه، وقد كان تاجراً للجملة وتبين وثائق الجنيزة أن تجارته شملت بلدان مختلفة مصر والغرب الإسلامي وبلاد الشام وصقلية وأوربا، وبضائع متنوعة

1- Goitein, Letters of Medieval, p.85-88.

2- Ibid, p.311-315.

3- Stillman, The Eleventh Century Merchant, p.25.

4- Stillman, The Eleventh Century Merchant, p.25.

من أهمها الكتان المصري الذي يصدره من مصر إلى تونس وصقلية، وزيت الزيتون والصابون والشمع من تونس وفلسطين وسوريا ، والتوابل الشرقية مثل: الفلفل والقرفة إلى مصر ومنها إلى المغرب، ومواد صباغة ودباغة ومعادن مثل: النحاس والحديد والرصاص والفضة من الغرب الإسلامي إلى الشرق، وبخور وعطور ولبان ومسك ومرجان ولؤلؤ وأحجار كريمة، وكتب مثل التوراة والتلمود إلى جانب الكتب العربية، ومواد غذائية كالسكر والفواكه المجففة من بلاد الشام [1].

ويعلمنا أرشيف نهراي بن نسيم أنّه كان لديه مشاريع مشتركة (شركاء) من المسلمين وأنها دامت لسنوات ولم تكن مجرد علاقات عابرة، وأغلبها كانت تتركز في العاصمة الفسطاط، وشملت التعامل بالسلع وغيرها من الأعمال [2]. ويذكر Goitien: ((أنه حسب بعض التعاليم الإسلامية فيما يخص الأعمال أو الارتباط كلاهما مكروه أو ممنوع)) [3]. إلا أن ذلك غير دقيق فلم يرد أي نص في الشريعة الإسلامية يمنع التعامل مع اليهود، سوى ما كان محرماً كالربا والخمر وما سواهما. بل إنه يناقض نفسه بقوله: ((لكن تزودنا الجنيزة خلال القرون (5-8هـ / 11-14م) بأمثلة عن التعاون بين أتباع مختلف الأديان، ففي وثيقة كتبت حوالي سنة (536هـ / 1141م) حول شراكة بين تاجر يهودي من الفسطاط وتاجر مسلم من الإسكندرية، وبوثيقة أخرى تشير إلى شراكة بين اثنين من اليهود ومسلم، تم دفع المال مقدماً إلى تجار يهود لاستيراد الكتان من الشرقية إلى الإسكندرية. وفي حالات كثيرة كان هناك وكلاء لتصريف الأعمال لليهود أو بالعكس، فنهراي بن نسيم كان لديه وكيل في تونس يدعى أبا طاهر رجاء، وابن عوكل التاجر اليهودي البارز كان لديه وكيل مسلم اسمه محمد يقيم في الإسكندرية)) [4].

وممن أسهم في النشاط التجاري بمصر من اليهود الأخوان أبي سعد (وفي بعض المصادر أبو سعيد) إبراهيم بن سهل التستري، وأخوه أبي نصر يعملان بالتجارة [5]، ومن

1- Goitein, Letters of Medieval, p.145-174; Jessica L.Goldberg, Trade and Institutions in the Medieval Mediterranean، p.33-37.

ورمضان، اليهود في مصر، ص345.

2- Goitein, A Mediterranean Society, vol.2, p.294

3- Ibid, vol,2, p.294.

4- Goitein, A Mediterranean Society, vol.2, p.294-295.

5- Mann, the Jews in Egypt, vol.1, p.76.

ابرز السلع التي تعاملوا بها المجوهرات، وأصبح أبو سعد من خلال التجارة بالمجوهرات على اتصال ببلاط السلطان بمصر وضمن لنفسه مركز سمسار، أو وكيل البلاط، أو جوهري البلاط [1]، فيقول ناصر خسرو عن أبي سعد:((يحكى إنَّه كان بمصر يهودي وأخر الثراء يتجر بالجواهر، وكان مقرباً من السلطان الذي كان يعتمد عليه في شراء ما يريد من الجواهر الكريمة)) [2]. وقدم المقريزي إشارة حول علاقات ابني سهل مع تجار العراق، وشكلت الطائفة اليهودية العراقية في القاهرة القاعدة الطبيعية لهذه العلاقات الاقتصادية المزدهرة بين العراق ومصر، وأسهموا بنصيب وافر بالتبادل التجاري للسلع بين البلدين، وكان الدور القيادي الذي شغله أبو سعد وأخوه، وكما نعلم أن ذلك الوسط كان اقتصادياً في جوهره، والواضح أنهم كانوا وسطاء لجميع التجارة التي قدمت إلى القاهرة من العراق، ومؤكد أنهما كانا وكلاء لمؤسسات بغدادية كبيرة، وأودعت لديهم كميات كبيرة من البضائع وربما المال أيضاً [3].

وتشير إحدى الوثائق أن لديهم علاقات تجارية مع سوسة إذ أرسل أبو نصر خطاب إلى تاجر مسلم هو أبو القاسم عبد الرحمن الذي اطلع على الرسائل الخاصة بأخيه أبو سعيد إبراهيم بعد مقتله، وأن المباع من الكتان في سوسة (445) حزمة وكل حزمة بربع دينار، ويطلب منه شراء مائة قطعة من الملابس ذات النوعية الجيدة [4]. وفي خطاب مرسل من الإسكندرية إلى الفسطاط، يشير إلى تجهيز العديد من السلع لإرسالها إلى القيروان (850) بالة تحتوي على الكتان حوالي (30،000 باوند / 16200 كغم)، ومن الفلفل (140باوند/ 63 كغم)، وبالة واحدة من المنسوجات، وحمل من الأهليلج [5] (Myrobalam)، ويؤكد أن هذه الشحنات كبيرة، لذا يجب عليه مراعاة الوقت الذي ترسل فيه الشحنات، لاعتبارات تتعلق بالحرب أو الأخطار التي قد تتعرض لها [6].

1- وولتر، ج. فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية، ص92.
2- سفرنامه، ص108-109.
3- المقريزي، المواعظ، 2 / 317-318؛
Fischel, Jews in the Economic، p.76.
4- Goitein, Letters of Medieval, p.148-149.
5- الإهليلج، جنس أشجار تنبت في الهند والصين وغيرهما وأنواعها كثيرة، ثمرها على هيئة حب الصنوبر، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، 1 / 136.
6- Goitein, Letters of Medieval, p.306-307.

وقد تمتع الأخوان بمكانة عظيمة لدى اليهود، بحيث يخاطبان بالمراسلات بالشيخ أبي نصر وأبي سعيد [1]. وبذلك يتضح مدى الدور الذي أسهمت به هذه الأسرة في النشاط التجاري في ظل الدولة الإسلامية.

وتضمنت وثائق الجنيزة إشارات عن وجود علاقات تجارية بين يهود مصر ويهود اليمن، ففي خطاب مضمون بن ديفيد رئيس المجتمع اليهودي في عدن، وفي رسالة أبراهام بن ميمون رأس اليهود في مصر، والمؤرخة في سنة (599هـ / 1202م) تضمن اسما لشماريا بن داود، واسماً آخر هو الموفق أو أمين الدولة، وهو من الألقاب التي تمنح لممثل التجار اليهود [2].

وكان ليهود مصر تجارة واسعة مع الغرب الإسلامي، وهناك رسائل متبادلة بين تجار يهود في الإسكندرية ومصر، وتبين إحدى الرسائل أن الصوف المصبوغ باللون الأرجواني كان أحد السلع التي ترسل من التجار اليهود في الفسطاط إلى الأندلس [3] وتبين رسائل أخرى سلع يصدرها يهود مصر للأندلس منها الخشب البرازيلي، والبهارات والأصباغ والنبيذ [4].

وتشير بعض الرسائل المتبادلة بين التجار اليهود في مصر مع أقرانهم في الأندلس الذين يعملون في مجال التجارة عن حاجتهم إلى وكلاء ثقات للعمل معهم، وقد أرسل يهودي من الإسكندرية إلى يهودي آخر في الأندلس يطلب منه أن يكون وكيلاً له هناك، فاشترط الأخير لقبول هذه الوكالة أن لا يتحمل مسؤولية الخسارة الناجمة عن مخاطر الرحلات التجارية، وأن لا يطالب بحلف اليمين، وقد أرخ هذا الطلب في سنة (493هـ / 1099م) [5]. ويستشف من هذا انعدام الثقة بينهم، ولعل السبب في ذلك هو تلاعب الوكلاء في بعض الأحيان. وكثيرا ما كان التجار اليهود يضعون ثقتهم في التجار المسلمين،

1- Ibid, p.104.

2- Ibid, p. 212,219;

عطا، اليهود في العالم العربي، ص167.

3- Goitein, Letters of Medieval, p.233.

4- Ibid, p.29, 237.

5- Ibid, p.232-233.

ويأمنونهم على بضائعهم [1]، وقد جاء في إحدى رسائل الجنيزة: ((إذا كان هناك قافلة أو سفينة ويسافر فيها تجار مسلمون مؤتمنون، فأرسل المال والسلع معهم)) [2].

ويرى آشتور إن حقبة دولة المماليك كانت بمثابة فترة اضمحلال بالنسبة للنشاط التجاري لليهود في مجال التجارة الداخلية للدولة، ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها: ازدياد الاحتكار في التجارة الذي تأسس على فرض القيود على الدلالين، وبطبيعة الحال لم تكن هذه المشكلة تخص اليهود وحدهم بل تأثر بها التجار عامة، وحقيقة إن التجار من غير اليهود استطاعوا أن يجدوا لأنفسهم مخرجاً عن طريق مشاركة رجال الدولة، وهو ما لم يكن باستطاعة اليهود أن يفعلوه لذا تعرضوا لصعوبات كبيرة. وأشار أيضاً إلى أن سبب تقلّص تجارة اليهود يرجع إلى قيام رجال لدولة بالعمل في التجارة من خلال وكلائهم، الأمر الذي ضيق التنافس الحر بين كافة المواطنين الذين احترفوا ومارسوا مهنة التجارة[3].

ويستشف من وثائق الجنيزة للحقبة المشار إليها إن معظم اليهود كانوا من صغار التجار ومن متوسطي الحال، كما يتبين من الأعمال التي كانوا يقومون بها، ومن السلع التجارية التي كانوا يتعاملون فيها، أن تجار اليهود قد تضرروا بشدة من جراء السياسة الاقتصادية لدولة المماليك[4]. وما يؤكد ذلك أنه لا يوجد تقريباً في وثائق الجنيزة رسائل لتجار الحقبة المملوكية بينما هذه الرسائل كانت كثيرة جداً في العصرين الفاطمي والأيوبي[5]. وتلك دلالة واضحة على اضمحلال النشاط التجاري لليهود في العصر المملوكي.

والملاحظ أن التجارة بالسلع المرتفعة الثمن كالجواهر وغيرها، وعلى العكس من ذلك فقد أسهم اليهود بتجارة العطور والأدوية ومواد العطارة، ووجد من بينهم من تخصص ببيع منتج واحد مثل النشادر[6] والعنبر، ومنهم من يتجول بين المدن والقرى، وكان يعمد

1- خالد يونس الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، 407.

2- Goitein, Studies in Islamic history, p.319.

3- Ashtor, History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mukluks, vol.1, p.186; محاسن محمد الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص188.

4- Ashtor, the Jews in the Mediterranean trade in the later middle age، p.176.

5- Ashtor, History of the Jews in Egypt, vol.3, p.. المقدمة

6- نشادر (نوشادر)، مادة قلوية ذات طعم حاد، عمر، معجم اللغة العربية، 3 / 2305.

أحياناً إلى طرق الأبواب ليقنع النساء بقيمة ما يقدمه لهن من مركبات علاجية بسبب عدم امتلاكه لحانوت يمارس فيه مهنته[1]. وتشير إحدى وثائق الجنيزة إلى إلغاء شراء كميات من الخمر كان قد اتفق عليها بين تاجري خمر أحدهم في القدس والآخر في الفسطاط[2]، وبذلك كانت الخمور من بين السلع التي تاجر بها اليهود إبان العصر المملوكي[3].

وذكر الرحالة اليهودي عوبديا الذي وصل إلى القاهرة في نهاية العصر المملوكي، أنه من يهود القاهرة وجد التجار[4]. إلا أنه لم يحدد نوع العمل التجاري الذي يمارسونه، ولعل السبب في ذلك قلة عدد اليهود الذين يعملون في التجارة.

ولإيضاح النشاط التجاري الداخلي للمدن والموانئ اليمنية لا بد من تسليط الضوء على حركة الأسواق ونشاطها... فقد شهدت تنوعاً كبيراً في موقع أسواقها وحجمها، فكان الغالب على بعضها موقعه في وسط المدينة[5]، كسوق العراقيين في صنعاء بموضع قريب من نصف البلد [6]، وكان في صنعاء سوق خاص لليهود [7]، وهناك نوعاً آخر من الأسواق التي انتشرت في أطراف المدن مثل أسواق زبيد إذ الجامع ناءٍ عن الأسواق يقع على ساحل البحر[8]، ولم تنحصر أسواق اليمن بالمناطق الداخلية، فبعضها تقع على المناطق الساحلية وهو ما اشتهرت به مدن اليمن وموانئها إذ كانت محطة لركاب السفن القادمة إليها مثل عدن والشحر[9]. وتلك الأسواق كانت ثابتة في المدن المشار إليها أو غيرها التي لم تذكر.

وأيضاً أسواق موسمية وأسبوعية، وكانت الأسبوعية مهمة لليهود، وتحتل مركزاً هاماً في الحياة التجارية لأهل اليمن عامة ولليهود خاصة. إذ كان اليهودي وهو في غالب الأحوال حرفي لا يستطيع تصريف إلا جزء يسير من بضاعته في موقع إقامته، لذلك كان

1- Ashtor, History of the Jews‹vol.1, p.186-187.

2- Ashtor, History of the Jews‹ vol.1, p.188.

3- الوقاد، اليهود في مصر، ص190.

4- Obadiah, p.228.

5- منال الجويسري، النشاط التجاري للمدن والموانئ اليمنية، ص80.

6- الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص154.

7- طارق أبو الوفا محمد، تاريخ صنعاء، ص265.

8- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص85-86.

9- الحكمي، تاريخ اليمن، ص183؛ الجويسري، النشاط التجاري، ص81.

يضطر للنزول إلى الأسواق لبيع ما أنتجه خلال الأسبوع، وهذه الأسواق كان يؤمها التجار الكبار والصغار ويتنقلون في المناطق المحيطة بها [1].

والملاحظ أن مدينة عدن تميزن عن غيرها من مناطق اليمن فقد انتعشت تجارياً في عهد الفاطميين بمصر، وذلك لاختلال الأوضاع السياسية واضطراب الأمن في العراق ولاسيما المناطق المطلة على الخليج العربي، أديا إلى نزوح كثير من رؤوس الأموال والفعاليات الاقتصادية نحو الجنوب، وبقي مركز عدن على الأول متيناً لا يتزعزع، وأدى تحول الطرق التجارية إلى الجنوب الشرقي من البحر المتوسط عبر مصر إلى ازدهارها واجتذاب رجال الأعمال إليها من مختلف أرجاء العالم [2]. ويبدو أنه في الحقبة ما بين القرن (4هـ / 10م) وحتى (6هـ / 12م)، قام التجار اليهود بإقامة صلات مع يهود فلسطين ومصر بهدف تعزيز موقعهم التجاري وترويج بضائعهم في كل من فلسطين ومصر [3].

وعمل التجار اليهود في ميناء عدن بتجارة الترانزيت (المرور)، إذ خزنوا بضائع الهند داخل عدن، كما تاجروا في منتجات اليمن المحلية [4]. وقدمت وثائق الجنيزة قوائم واضحة لسلع تجارية ضمت ما يقرب من أربعمائة سلعة متداولة بين الهند وعالم البحر المتوسط، فكانت ترد إلى عدن المنتجات الهندية المختلفة ثم تخزن عند التجار لبيعها لهؤلاء الذين يغامرون بالذهاب إلى الهند، وفي المقابل تأتيها سلع أوربا ومصر وشمال افريقيا في طريقها إلى الهند [5]. وقد أورد جواتين قائمة بالسلع الشرقية التي ارسلت من موانئ البحر الأحمر أو من عدن ذكرت في أوراق الجنيزة بلغ مجموعها (103) وثيقة وهي عبارة عن: أقمشة حريرية وملبوسات وأواني وتحف فضية، ونحاس وزجاج، وسلع منزلية، مثل السجاد والحصير والمناضد وقدور الطهو، وكيمياويات وأدوية وصابون وورق وكتب، ومعادن ومستلزمات أخرى لصناعة النحاس، والمرجان، وأطعمة محفوظة مثل، الجبن والسكر والزبيب وزيت الزيتون، وزيت بذور الكتان للمصابيح [6].

1- أبو جبل، يهود اليمن، ص100.
2- محمد كريم إبراهيم، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية، ص348.
3- أبو جبل، يهود اليمن، ص19.
4- بشير، من تاريخ اليمن، ص122.
5- Goitein, From Aden to India, P.44.
6- Goitein، Studies in Islamic history, p.341.

وكذلك صدر تجار يهود الجلود، فقد احتكر يهود العالم الإسلامي مهنة الدباغة [1]، وتشتهر اليمن منذ القدم بدباغة الجلود وتصديرها إلى البصرة [2]، وذكر في أوراق الجنيزة الجلد من بين السلع التي صدرت من عدن [3].

ونظراً للتغيرات السياسية والاقتصادية في مصر - الفاطمية انعكست على يهود اليمن، الأمر الذي دفع أحد الباحثين اليهود إلى قوله: ((والراجح أنه لم يكن هناك مرحلة أخرى في تاريخ يهود اليمن كانت العلاقات مع التجمعات اليهودية في العالم أقوى من تلك المدة، فالإدارة اليهودية في اليمن نقلت من صنعاء إلى عدن في صحوة التغييرات الداخلية والاقتصادية ووضعهم الاقتصادي القوي في قلب التجارة الهندية من خلال عدن، وحريتهم في التصرف ساعدا على تحقيق مكانة مهمة بين المراكز الدينية اليهودية في العراق ومصر، التي كانت تبحث عن تبرعات وهبات، ومن ثم كانوا خلال تلك الحقبة مانحين لا ممنوحين))[4]. يبين الكلام المذكور مدى الثراء الذي تمتع به يهود اليمن بصورة عامة ويهود عدن بصورة خاصة.

ونظراً لتلك المكانة أصبحت عدن مركزاً للتجار اليهود كوكلاء لتجار يهود مصر والغرب الإسلامي ولعل من أبرزهم، حساب بن بواندار فقد ورد اسمه في وثائق الجنيزة ضمن خطاب أرسل له من يوسف اللبدي [5]، والمؤرخ في سنة (491 هـ / 1097م) تشير إلى طلبات من السلع كالنحاس والتوابل وغيرها، وحول حسابات بين الطرفين [6]. ومن بين الوكلاء الأخيرين مضمون بن حسان بن بوندار (527-546هـ / 1132-1151م) وكان أشهر من تولى المنصب في اليمن، إذ كان معترفاً به من الحكومات الإسلامية ومن زعماء اليهود في العراق ومصر وفلسطين [7]. فضلاً عن كونه وكيلاً للتجار في عدن، كانت له شراكة

1- Charles Pellat, The Life and works of Jahiz, P.87.

2- الأصفهاني، بلاد العرب، ص308.

3- Goitein, A Mediterranean، vol.4, P.129.

4- Tobi، The Jews of Yemen, p.44-45.

5- اللبدي، نسبة إلى لبدة، مدينة قديمة بناحية طرابلس الغرب، وهي كالحصن على ساحل البحر. اليعقوبي، البلدان، ص184؛ الحميري، الروض المعطار، ص508.

6- Goitein, Letters of Medieval, p.177-181.

7- Tobi, The Jews of Yemen, p.41.

تجارية مع أحد التجار المسلمين البارزين اسمه بلال بن حرير المحمدي الذي كان الحاكم الفعلي لعدن [1]. وكان بلال وزيراً للداعي محمد بن سبأ بن أبي السعود (ت 548هـ / 1153م)، وزوج بلال ابنته لمحمد، وأصبح مهيمناً على عدن [2].

وعمل مضمون على عقد اتفاقيات مهادنة مع الكثير من الحكام (القراصنة) الذين كانوا يسيطرون على طرق الجزيرة العربية وبحار الهند، وكذلك قطاع الطريق البري بين عدن ومصر[3]. ومن ثم رسم سياسة أكثر أمناً لرحلاته التجارية ولتسويق تجارته بسهولة ويسر من دون أي معوقات داخلية أو خارجية[4]. وينبغي الإشارة إلى أن دور اليهود في التجارة الخارجية قد فاق الداخلية منها وذلك ما سيتضح من خلال الحديث عن التجارة الخارجية. ولا بد من الإشارة إلى أن الكلام الآنف الذكر عن النشاط التجاري في عدن ارتأى الباحث أن يقتصر الحديث عن اليهود حصراً من دون إيراد تفاصيل عن التجار المسلمين الذين كان لهم الباع الطويل في النشاط التجاري يفوق بكثير نشاط اليهود، وإنَّ الاعتماد على كتابات الكتاب من اليهود التي نجد فيها محاولة لتعميم الخاص بحيث تصل القارئ نتائج مضللة، وعلى سبيل المثال يحاول جواتين من خلال كتابته الكثيرة عن تجارة الهند إرجاع الفضل في قيادة العمل التجاري في عدن والمحيط الهندي إلى اليهود، في حين أن أعدادهم كانت قليلة جداً بالنسبة للتجار المسلمين وغيرهم، والمرجح أن استعانة الحكام بهم في عدن لتسيير عجلة التجارة في الميناء راجع إلى حذقهم في الأمور المالية، فضلاً عن أنهم أقلية لا يمكنهم الانقلاب على الحكام[5].

يضاف إلى ذلك كيف يعقل للعالم الإسلامي الذي امتدت حدوده من الأندلس في الغرب إلى الصين شرقاً، لا يكون قادراً على امتلاك زمام القيادة للحركة التجارية الداخلية والخارجية [6].

1- Goitein, Letters of Medieval, p.181.

2- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص142؛ أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، 2 / 32، 217-218.

3- Goitein, Studies in Islamic. p.347

4- بشير، من تاريخ اليمن، ص113.

5- بشير، من تاريخ اليمن، ص130.

6- للاطلاع على دور المسلمين في النشاط التجاري في عدن ينظر، سامية محمد عبد الله الفسيل، عدن نشاطها التجاري والحياة الاجتماعية لتجارها؛ محمد حسن علي الدهشا، النشاط التجاري لعدن في العصور الوسطى؛ محمد كريم إبراهيم، عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية.

وتوفر لنا وثائق الجنيزة عن وجود شراكات وعلاقات تجارية ما بين عدن ومصر، ومنها رسالة مؤرخة في سنة (525هـ / 1130م) أرسلت من حسان بن مضمون، ممثل التجار في عدن إلى نظيره ممثل التجار في الفسطاط، وأنه أرسل مع الشيخ نهراي بن علان، والشيخ أبراهام بن أبي الحسان، وكلاهما في شراكة مع الشيخ بلال بن جرير، بضائع منها ستون بالة من الأصباغ، وبهارات، وثمان بالات من الفلفل، وأثواب (عباءات) [1]. ويستشف من الوثيقة وجود ممثل للتجار في الفسطاط وعدن، وأن عمليات التبادل التجاري تتم بالتنسيق بينهما، وكذلك وجود نشاط تجاري مشترك بين المسلمين واليهود.

وبوثيقة أخرى تحمل التاريخ السابق نفسه أرسلها جوزيف بن أبراهام من عدن، إلى التاجر أبي نصر بن موسى الحلبي، الذي كان يسافر إلى الفسطاط، وأنه أرسل معه الفلفل (المستورد من الهند)، وبهاراً بلغ أربعين باونداً (18 كغم) لبيعها وشراء ملابس (عباءات) من مقاسات مختلفة على أن تكون مطرزة بالحرير أو الذهب، وكذلك شراء أواني منزلية [2].

وضمن خطابين أرسلا من عدن أحدهما سنة (530هـ / 1135م) والآخر سنة (533هـ / 1138م)، وكلاهما أرسلا من جوزيف بن أبراهام إلى أبراهام بن برحيا، ويشير كلا الخطابين إلى بضائع شملت الفلفل والزنجبيل وطاسات (أواني)، والهيل وأشار إلى بضاعة سابقة من الفواكه المحفوظة إلا أنها رميت لفسادها، وطلب منه شراء نحاس، وبعض البندق، وبفقرة أخرى بضائع مختلفة شملت، الصوف وشراشف كبيرة، وأصباغ وسكر ابيض، وصندوق زبيب ومثله من الصابون، وكحل [3]. ونظراً لقلة بعض الكميات المرسلة من الطرفين، يمكن أن تكون هدايا أو طلبات خاصة لـ جوزيف وأبراهام.

وتشير وثيقة أخرى حول علاقة ما بين خلف بن إسحاق بن بوندار وابراهام بن يجو من عدن إلى الفسطاط، وكانت البضائع المرسلة مكونة بشكل رئيسي من التوابل ومواد عطرية، وأصباغ، وفلفل هندي، وزعفران وقرفة صينية وكحل كهدية، وتشير رسائل أخرى من عدن إلى القاهرة عن طلبات لمنسوجات مصرية الصنع [4].

1- Goitein and Friedman, India traders, P.371-374.

2- Ibid, P.409-410.

3- Goitein and Friedman, India traders, P.568-572.

4- Goitein, A Mediterranean، vol.5, P.68-69.

عمل عدد كبير من يهود إيران وبلاد ما وراء النهر في مجال التجارة، وكان لهم دور فاعل في الأسواق، مما دفعهم إلى الاستقرار في المدن التجارية[1]، مثل تستر وشيراز والأحواز ونيسابور وبلخ [2]. وما اكسب هذا الإقليم أهمية تجارية أنها تعد من أبرز الطرق الموصلة إلى بلاد الشرق وقد سبق الحديث عنها في الطرق التجارية التي يسلكها اليهود[3].

ويشير احد الباحثين أن وضع اليهود في إيران في العصر العباسي أفضل من وضعهم في العهد الأموي إذ كانوا يشتغلون بالتجارة [4]، إلا أن الحديث عن وضعهم في العهد الأموي غير دقيق فلا تورد المصادر أو غيرها عن تعرضهم لأية مضايقات وذلك ما يؤكد عدم صحة الكلام المشار إليه.

وذكر باحث آخر أن أحوال اليهود في إيران في العصر العباسي وإلى عهد الخليفة هارون الرشيد، كانت هادئة وكانوا مشغولين بالربح والتجارة والزراعة وازدادت ثرواتهم باستمرار... وأن الخليفة هارون اتخذ موقفاً سلبياً من اليهود خلافاً لأسلافه[5]. إلا أنه يناقض نفسه بموضع آخر حينما يقول: ((وكان الخليفة هارون بخلاف الملوك العظماء عادلاً في تعامله مع اليهود " يعاملهم بإنصاف "، حالهم حال المسلمين في العصر الذهبي))[6]. وعلى العموم فإنهم تمتعوا بالتسامح الإسلامي كغيرهم من أهل الذمة في أقاليم الدولة الإسلامية.

أما عن إسهام اليهود في هذا الإقليم فيمكن أن يتخذ من مدينة الأحواز بداية للحديث عنه فذكر بنيامين، أن اليهود فيها لديهم أسواق ومتاجر[7]، وكانت المدينة من المحطات التجارية لليهود الراذانية[8]، وكانت لها أهمية تجارية كبيرة، إذ كانت تمر به عدد من الطرق التجارية البرية والنهرية التي تربط ما بين الخليج العربي والهضبة الإيرانية

1- ذيلابي، تمركز جمعيتي يهوديان، ص24.
2- فهمي، دور اليهود، ص37-38؛ القصيبي، نفوذ اليهود، ص4؛ حسن منيمنة، تاريخ الدولة البويهية، ص369.
3- حول الطرق التجارية ينظر الفقرة الخاصة بها، ص.
4- كسرائي، اليهود في إيران، ص37.
5- لوي، تاريخ يهود إيران، 2 / 354-355.
6- لوي، تاريخ يهود إيران، 2 / 356.
7- رحلة، ص183.
8- ابن خرداذبه، المسالك، ص154.

والعراق وحوض نهر السند[1]. ومن الطبيعي أن يكون ليهودها إسهام في النشاط التجاري الذين يبلغ عددهم نحو سبعة آلاف بحسب قول الرحالة بنيامين[2]. وكذا الحال فيما يخص تستر التي كان معظم تجارها من اليهود[3]. وإلى هذه المدينة ينتسب بنو صالح من اليهود الذين أدّوا دوراً مهماً في تطور اقتصاديات مصر خلال حكم الفاطميين [4].

ومع بداية العصر البويهي توسع النشاط التجاري بين يهود نيسابور مع أقرانهم من يهود شمال العراق، وقد كانوا في أقصى حالات الرفاه[5]. وأما يهود خراسان فقد اشتغلوا بالتجارة والرحلات التجارية[6]، وتلك إشارة إلى عمل اليهود بالتجارة من دون إيراد أية تفاصيل عنها.

ويلاحظ قلة المعلومات عن النشاط التجاري لليهود في بلاد إيران في المصادر التاريخية، إلا أن البعض من وثائق الجنيزة (المراسلات) بين التجار اليهود يمكن من خلالها تسليط الضوء على ذلك النشاط، وقد سبقت الإشارة إلى البعض منها أثناء الحديث عن الجاليات التجارية بصورة مختصرة. والملاحظ أن النشاطات التجارية التي كانت قائمة بين إيران ومصر، كانت في الواقع قائمة بين اليهود المهاجرين من إيران الذين حافظوا على علاقاتهم مع بلدهم الأصلي، الذي يقطن فيه أقاربهم وكذلك بقيت لهم ممتلكات فيه [7]. ومثال ذلك عائلة ابن عوكل وبنو سهل التستري.

علاوة على ذلك إنَّ السلع المتداولة سواء التي ترسل من إيران أو من مصر، كانت من منسوجات غالية الثمن، ويمكن نقلها بسهولة، والمثير للاهتمام أن جميع الشراكات التجارية المعنية، كانت عائلية تتألف من الأخوة أو الأب والابن [8]. وذلك يشير إلى أمر

1- صراي، اليهود والخليج العربي، ص14.
2- رحلة، ص183.
3- ابن مسكويه، تجارب الأمم، 5 / 346.
4- فهمي، دور اليهود، ص53-55؛

Fischel, Jews in the Economic‹P.68-70.

5- لؤي، تاريخ يهود إيران، 2 / 389.
6- نفسه، 2 / 350.

7- Goitein, Letters of Medieval, p.35.
8- Goitein, Letters of Medieval, p.35.

مهم أن المعاملات التجارية لم تكن بين اليهود فحسب بل انحصرت بين أفراد الأسرة الواحدة وربما السبب بذلك يعود إلى انعدام الثقة بينهم، أو أنها سياسة اتبعها اليهود للحصول على أرباح أعلى لكون جميع الشركاء من أسرة واحدة، وكذلك للحفاظ على أسرار تلك التجارة، ويرى الباحث إن تلك الأسباب مجتمعة كانت سبباً في إتباع اليهود لتلك السياسة.

ومن بين تلك الوثائق خطاب مرسل من إيران إلى مصر مؤرخ في سنة (417هـ / 1026م) أرسله إبراهيم بن سعد، وصالح بن إبراهيم، إلى أبي الفضل وأبي صالح التستري، ووردت فيه تفاصيل عن ملابس متنوعة منها، جلابيب وعباءات مذهبة، وملابس من الحرير، مع حقيبة من الجلد تحتوي على ملابس من حرير القز المذهب، وأنه تم دفع ثمنها من السلع الواردة إليه [1].

وتشير وثيقة أخرى تعود إلى سنة (513هـ / 1119م) حول بضاعة من الحرير، أرسلها إسحاق هاليفي النيسابوري، إلى أبي العلاء سعد [2]. وضمن أخرى تبين دور عروس بن يوسف بخصوص حمولة من الأواني (الصحون) الإيرانية، وأن مستلم البضاعة هلفون ها – كوهن بن جودة [3]. من دون الإشارة إلى أية تفاصيل أخرى وكانت تستر في جنوب غرب إيران من أهم مراكز النسيج ومنتجات كثيرة أظهرت الوثائق عمليات لتصدير تلك المواد إلى مصر[4]، ولم يقتصر الأمر على تستر، بل إن هناك مدن أخرى مثل طبرستان وخراسان تصدر منسوجات حريرية مرتفعة الثمن إلى بلدان البحر المتوسط [5]. وتشير إحدى وثائق الجنيزة المؤرخة في سنة (458هـ / 1065م) كتبت من قبل إسماعيل بن إسحاق الأندلسي، إشارة إلى الإبريسم الخراساني وهو من الحرير المجلوب من خراسان [6].

والملاحظ أن دور يهود إيران في التجارة الداخلية كان أوسع مما هو عليه في التجارة الخارجية التي تنعدم المعلومات لدينا عنها، ولعل السبب في ذلك أنها لا

1- Ibid, p. P. 37.

2- Ibid, P.245-248.

3- Ibid, P.238.

4- Goitein, A Mediterranean, VOL.1, P.50, 164-165.

5- Ibid, vol.1, P.103.

6- Gil, A history، P.247.

تتمتع بموقع متميز كما هو الحال في عدن ومصر، واكتفت بدور الممر الموصل إلى المناطق المجاورة لها.

ثانياً: التجارة الخارجية

تميز يهود العالم الإسلامي عامة ويهود الشرق الإسلامي بشكل خاص بالنشاط التجاري بحراً وبراً، إذ كانت كل الظروف الجيو - سياسية تؤهلهم للقيام بهذا النشاط، إذ كانت تتوفر لديهم رؤوس الأموال، فضلاً عن معرفتهم للغات عديدة، كما أنهم حافظوا وبقوا على اتصال بيهود أوربا، إلى جانب هذا كانت تقطع بلاد الشرق الإسلامي طرق تجارية برية وبحرية طويلة، تمتد من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال، ومن الأمور التي ساعدتهم على توظيف مواهبهم وعلاقاتهم التجارية، هو أن خلفاء بني العباس أخذوا بمبدأ حرية التجارة وعدم التدخل في الشؤون التجارية إلا في الظروف الطارئة فازدهرت التجارة في دولتهم وزاد التبادل التجاري [1].

وأفاد اليهود من ازدهار الحياة الاقتصادية التي عرفتها الدولة الإسلامية بمختلف أقاليمها، ولعل من أبرزهم تجار اليهود الراذانية الذين سبقت الإشارة إليهم، ويذكر ابن خرداذبه: ((أنهم كانوا يسافرون من المشرق إلى المغرب، ومن المغرب إلى المشرق براً وبحراً يجلبون من الغرب الخدم والجواري والغلمان (الرقيق) والديباج والجلود والفراء والسيوف، عبر البحر المتوسط إلى مصر ثم إلى البحر الأحمر، ومنه إلى شبه الجزيرة العربية، ثم يمضون إلى السند والهند والصين فيحملون من هذه الأخيرة المسك والعود والكافور والدارصيني (دارسين) وغير ذلك، ثم يتوجهون بتجارتهم إلى بلاد الروم، وربما عدلوا بتجارتهم إلى القسطنطينية فيبيعوها، أو ربما ساروا إلى بلاد الفرنجة يبيعونها هناك، ومن أنطاكية مروراً عبر الفرات إلى بغداد)) [2].

ويستشف من النص بعض الأمور لعل من أبرزها تنقل اليهود بين مختلف بلدان الشرق والغرب، وأنهم يتكلمون بلغات البلدان، العربية والفارسية والرومية والإفرنجية

1- طبي سمير، دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي، ص122.

2- المسالك، ص153-154.

(الفرنسية) والأندلسية (الاسبانية) والصقلبية [1]. وذلك يؤكد تواصلهم مع أهل تلك البلاد بلغاتهم، وذلك أمر يحسب للتاجر الحذق، وأن البضائع المنقولة تميزت بأنها من مستلزمات القطاع الحرفي أو الصناعي مثل الجلود وغيرها، وكذلك مسألة إسهامهم بنقل الرقيق من الغرب الأوربي، وتلك من التجارات السيئة التي مارسها أهل الذمة ولاسيما التجار اليهود، ففي القرن (4 هـ / 10م) أصبحت التجارة الوسيلة الرئيسة للحصول على الرقيق، إذ لم يكن بالإمكان داخل حدود الدولة العربية الإسلامية التي تضم المسلمين وأهل الذمة تحويل أي منهم إلى رقيق [2]، فلا يجوز للمسلم أن يسترق ذمياً [3]، وذلك يمثل الفرق الشاسع بين التشريع الإسلامي الذي جعل من الإنسان القيمة العليا التي لا يمكن المساس بها، على العكس من الغرب الأوربي الذي يعد عملية تحويل الإنسان الحر إلى رقيق أمراً مقبولاً وذلك يتنافى مع القيم الدينية والدنيوية.

وكان من الطبيعي أن تزدهر تجارة يهود العراق الخارجية في الحقبة ما بين القرن (2-5هـ / 8-11م) لكونها ارتبطت بالتيارات التجارية السائدة في العالم الإسلامي، وبعد ما اتخذ شكل كتلة اقتصادية موحدة [4]، ووجود جاليات يهودية عراقية منتشرة في معظم أنحاء العالم الإسلامي كما أشير إلى ذلك من قبل هذا إلى جانب كون يهود العراق مرجعاً دينياً لبقية اليهود الذين انتشروا في العالم الإسلامي، مما أسهم في تفعيل تلك العلاقة [5]. يضاف إلى ذلك أن قوة التجارة اليهودية في العراق أساسها الطوائف اليهودية المنتشرة في أرجاء العالم، آسيا وأفريقيا وأوربا، ولاسيما أن البعض منهم اختار السكن في المراكز التجارية أو المدن والقرى التي تمر عبرها الطرق التجارية البرية والبحرية [6].

ويذكر موريس لومبار: ((أن نص ابن خرداذبه، إذا كان عظيم الأهمية، فهو ليس النص الوحيد الذي بين أيدينا، لأن عدداً من المؤلفين العرب والفرس يؤيدونه كما تؤكده

1- المسالك، ص153.

2- فهمي عبد الرزاق سعد، العامة في بغداد، ص86؛ وسن حسين محيميد الغريري - أهل الذمة في العصر العباسي، ص214.

3- ابن القيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، 1 / 130-131.

4- موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ص310.

5- هشام فوزي عبد العزيز، يهود العراق في ظل الخلافة العباسية، ص115.

6- لومبار، الاسلام، ص310-315.

تواريخ اليهود والتواريخ اللاتينية في الغرب المسيحي)) [1]. إلا أنه لم يورد أي نص أو إشارة ذكرتها المصادر التاريخية أو البلدانية بل وحتى الدينية منها. ويرى الباحث أن كلامه يراد منه إيهام القارئ بوجود دور كبير لليهود بالنشاط التجاري الخارجي خلال العصر العباسي، ودليل ذلك قوله: ((ومهما يكن من شيء، فإن نسبة مهمة من التجارة كانت محتكرة بيد اليهود وفي بيوت تجارية يهودية)). وقوله هذا ليس دقيقاً لأمرين، الأول: عدم وجود أي دليل يؤكد كلامه، والثاني: هو لا يمكن مقارنة النشاط التجاري للمسلمين لكونه أوسع بكثير إذا ما قورن مع النشاط اليهودي، وقد سبقت الإشارة إليه في مواضع عدة ومع ذلك فإنه لا يمكن إنكار دورهم في الجانب الاقتصادي الذي غلب عليه النشاط المالي أكثر من التجاري.

ولم تستمر أوضاع يهود العراق اقتصادياً حسنة، بل تراجعت منذ القرن (5 هـ/11م) فصاعداً عندما اضطربت الأوضاع السياسية والاقتصادية والعسكرية للخلافة العباسية بعدما سيطر الجند الأتراك والديلم وغيرهم على أمور الخلافة، وعندما خضعت الخلافة لسيطرة الدولة البويهية والسلجوقية، عندها أنتقل مركز النشاط التجاري من المشرق إلى مصر والمغرب [2].

أما عن دور اليهود في بلاد الشام في التجارة الخارجية، فقد ذكر ابن خرداذبه، رئيس ديوان البريد والذي عاش في القرن (3هـ/ 9م)، أن التجار اليهود الراذانية أدّوا دوراً مهماً في تجارة الشرق الإسلامي في العصور الوسطى الأولى، وأنهم كانوا يقومون بالترحال من غرب أوربا إلى بلاد الشرق ويعبرون البحر الأحمر إلى الهند، وكانت بلاد الشام من بين محطاتهم فذكر أنطاكية والجابية [3]. وعلى الرغم من عدم ذكر تفاصيل عن المعاملات التجارية لليهود في بلاد الشام إلا أنه من الطبيعي أن يكون هناك عمليات بيع أو شراء أو مقايضة للسلع التجارية، وكذلك يشير النص إلى أن بلاد الشام تعد بمثابة منطقة مرور للبضائع ما بين الشرق والغرب.

1- لومبار، الاسلام، ص314.

2- الدوري، اليهود في المجتمع الإسلامي، ص 105.

3- المسالك، ص154؛ القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ص87.

ونظراً لقلة المعلومات عن دورهم في التجارة الخارجية فقد عد النص المشار إليه المصدر الوحيد لدى الباحثين في الشرق والغرب، من مسلمين ويهود وغيرهم على حدٍ سواء كما أشير إليه من قبل. أما مسألة ندرة المعلومات فإن لها أسباباً لعل من أبرزها: إن بلاد الشام قد فقدت أهميتها كممر تجاري وبالذات بضائع الشرق، وتحول طرق التجارة عبر البحر الأحمر، يعضد ذلك قلة أعدادهم في عموم بلاد الشام، والمتواجد منهم فيها اختار العمل بحرفة أخرى غير التجارة [1]. ولا بد من الإشارة إلى أن مصر (الفسطاط) كانت من أهم المراكز التجارية في حوض البحر المتوسط آنذاك، ومن المعلوم أن اليهود أو غيرهم من التجار يلجئون إلى مثل هكذا أماكن لما توفره من فرص استثمارية لتحقيق نسب أعلى من الأرباح، وبذلك تبين أسباب قلة النشاط التجاري لليهود في بلاد الشام. وأن تواجدهم أو دخولهم إلى بلاد الشام قد اقتصر على زيارة اليهود للأماكن المقدسة في فلسطين.

ولا بد من الإشارة إلى أن النشاط التجاري الداخلي كان معظمه يدار من قبل عوائل أو تجار من يهود مصر، مثل عائلة نهراي بن نسيم، وهي – هافير بن موفهار وغيرهم إذ كان لهم ببلاد الشام وكلاء أو شركاء لتنظيم عملية التبادل التجاري الداخلي مع مصر والغرب الإسلامي وقد أشير إلى ذلك من قبل.

والملاحظ أن كل ما ورد في وثائق الجنيزة قبل سيطرة الصليبيين على بلاد الشام، يؤكد أن السلع التي تصل إلى بلاد الشام من صقلية محدودة، والغريب في الأمر إن تلك السلع تصل إلى الشام عن طريق الفسطاط، ومع أنه كانت هناك سفن تصل من الغرب الأوربي إلى الساحل الشرقي، ولكن بصورة عامة لم تتطور عملية نقل السلع من صقلية إلى مدينة صور مباشرة من دون المرور بالفسطاط، ويعود السبب لعدم توفر البنى التحتية التي تحتاجها لحركة (النقل) السلع الأساسية، وكذلك اختيار التجار للمدن الكبرى، ومن ثمَّ تمكن التجار اليهود في الفسطاط إلى حد كبير من تأدية دور الوسيط التجاري ما بين صقلية وبلاد الشام الجنوبية [2].

1- عن حرف اليهود في بلاد الشام، ينظر الفصل الخامس.

2- Jessica L. Goldberg, Trade and Institutions، P.227.

أما عن نوعية تلك السلع المتداولة فذكر Goitein: أن وثائق الجنيزة تظهر حوالي (200) سلعة مختلفة تنقل من أسواق الغرب عن طريق تجار الفسطاط، وقسم من تلك السلع كانت ترسل إلى بلاد الشام [1]. ومن السلع المتبادلة التي ذكرت في الوثائق التوابل والأصباغ والعطور وملح النشادر، ومعدن النحاس والقصدير والزئبق، والأحجار الكريمة وغيرها [2]. وهناك وثائق (خطابات) جنيزة، أرسلها برهان بن موسى التاهرتي إلى نهراي بن نسيم، من صقلية والقدس خلال قيامه برحلاته التجارية بين عدة مدن منها، ترابانى [3]، وباليرمو [4]، والإسكندرية ورمله وصور وعسقلان، والقيروان والمهدية، وبينت تلك الوثائق العديد من السلع مثل: الكتان والخشب وأنواع مختلفة من الثياب وغيرها [5].

وهناك الكثير من وثائق الجنيزة المرسلة من تونس أو صقلية، تضم تفاصيل لإرسال الكتان إلى الشام، وأوزان الحمولة المرسلة وأسعارها، والكمية المباعة وسعرها، وجميع تلك الوثائق كتبت حوالي سنة (432هـ / 1040م) [6].

من المعلوم أن ازدهار التجارة يعتمد على استقرار وأمن المناطق التي تؤمها السفن والقوافل التجارية، فضلاً عن أمن الطرق التي كانت تمر بها تلك المتاجر، ونظراً لتعرض طرق التجارة في بلاد الشام لهجمات الصليبيين [7]، وترتب على ذلك أمران الأول توقف النشاط التجاري ليهود الراذانية التي كانت بلاد الشام من أهم الطرق التي يسلكونها، والأمر الثاني أعطى لمدينة عدن الإنفراد بأمان الطرق التجارية منها وإليها، ولهذا تحولت

1- A Mediterranean، vol.1,P.209-210.

2- Goldberg, Trade and Institutions,p.230.

3- ترابانى (طرابنش) مدينة تقع في صقلية، يحيط بها البحر من جميع جهاتها، ويسلك إليها عن طريق قنطرة على باب شرقيها، ومرساها بالجانب الجنوبي. الإدريسي، نزهة المشتاق، 2 / 601؛ الحميري، الروض المعطار، ص390.

4- باليرمو، مدينة كبيرة وتقع في صقلية وتعد من أعظم مدنها تقع على شاطئ البحر، فتحها إبراهيم بن الأغلب سنة 287هـ. الحموي، معجم، 1 / 483؛ الحميري، الروض المعطار، ص102.

5- Goldberg, Trade and Institutions,p.231.

6- Goldberg, Trade and Institutions، p.234.؛ Goitein, A Mediterranean، vol.1,P.224-228.

7- عصام عبد الرءوف الفقي، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، 162وما بعدها.

جميع السفن والمراكب التجارية إلى عدن حتى أصبحت من أهم موانئ الشرق [1]، وأصبحت بوابة الطريق التجاري إلى مصر عبر البحر الأحمر.

والمهم هو دور يهود عدن في التجارة الخارجية، التي أصبحت مركزاً للجالية من خلال الهجرات اليهودية من فارس والعراق وشمال إفريقيا، وعكست وثائق الجنيزة وجودهم في المدينة، فقد عثر على حوالي مائة وخمسين وثيقة تشير إلى وجود مهاجرين من أصول غير يمنية في عدن [2]، ويشير أحد الباحثين إلى أن هناك نسبة معينة من سكان عدن اليهود ترجع أصولها إلى أسلاف التجار اليهود القادمين من موانئ البحر المتوسط للتجارة مع الهند، ثم استقروا في عدن وأصبحوا جزءاً من ذلك المجتمع [3].

وضمت وثائق الجنيزة بين طياتها الكثيرة من المعلومات حول إسهام يهود عدن أو غيرهم من الجالية اليهودية المقيمة بعدن أو شركات قائمة بين اليهود والمسلمين بالمدينة أو مع يهود مصر. لكن قبل البدء بذكر الوثائق لا بد من التنويه إلى أن الباحثين من اليهود أتبعوا أسلوب تعميم الوثائق الخاصة على العامة أي تعميم ما هو خاص باليهود وإعطائه الطابع العالمي وفي ذلك عملية إيهام للقارئ بأن قيادة التجارة القادمة من الهند كانت بيد اليهود، ومثال ذلك ما فعله جواتين عندما جمع الوثائق الخاصة بيهود عدن تحت عنوان " القيادة في تجارة الهند " [4]، مع أن تلك الوثائق تشير إلى وجود شركاء مسلمين معهم في تلك التجارة، وذلك ما سيتضح بالصفحات اللاحقة.

ففي أولى الوثائق التي أوردها Goitein، والمؤرخة في سنة (525هـ / 1130م) تشير إلى شراكة ما بين حسان بن مضمون بن يافث وكيل التجار في عدن مع تاجر مسلم اسمه بلال بن جرير في تجارة مع سيلان، وتشير إلى وجود أعمال تجارية لهم في سيلان، وذكر فيها أنه سافر معه إخوانه في الدين على متن القارب نفسه، وهم سالم وهو ابن لأحد رجال الدين في الكنيس، وابن حديدا الحداد، والبطيطي صانع أحذية، وثلاثة ممن يعملون بالصياغة[5].

1- الدهشا، النشاط التجاري لعدن، ص162.

2- En.Judaica, vol.1,P.387.

3- Schechtman, The Jews Of Aden, p.133.

4- Goitein, Letters of Medieval, p. 181.

5- Letters of Medieval,, p.183.

ويستشف من وثيقة أن الأعمال التجارية بينهم تتعلق بالذهب، وبضائع مصنعة من الحديد أو غيره من المعادن، والاستعانة بأعمالهم التجارية بأناس من ذوي الخبرة في الأعمال المذكورة.

وفي سنة (534هـ / 1139م) تشير إحدى الوثائق المرسلة من عدن إلى مالابار التي تقع على الساحل الجنوبي الغربي للهند كتبها خلف بن إسحاق بن بوندار، إلى أبي إسحاق ابراهام، وأنه استلم من ابن المقدم، أباريق وأحواض وشمعدانات، وأخذ منه ثلاثين رطلاً (13.5 كغم) من الهيل، وضمت قائمة بسلع منزلية معظمها أواني مختلفة من الزجاج، وطلب منه إرسال قيمة البضائع من الحرير بدلاً من الذهب [1]. وبوثيقة أخرى خصصت لسلع من النحاس مرسلة من الهند إلى عدن [2].

وهناك وثيقتان تتعلقان بتاجر وناخوذة من عدن يعرف باسم محروس بن يعقوب، ويرجع تاريخ إحدى الوثيقتين إلى سنة (529هـ / 1134م)، تشير إلى أن عدن كانت مركزاً لنشاطه وكان محروس يلقب بالعدني، وكان محروس في بعض الأحيان يسافر في مركبه الخاص متبعاً طريق عدن – مانجالور، الهند [3].

وفي بعض الأحيان كان محروس يسافر في مراكب أخرى أحدها ملكاً لمضمون وكيل تجار عدن، الذي كان في الوقت نفسه رئيساً على يهود اليمن، وغالباً ما يكون في الهند فضلاً عن خطابات كثيرة كانت قد أرسلت من وكيل التجار في عدن أبي زكرى كوهن، المرسلة في المدة مابين (527هـ – 543هـ / 1132–1148م)، ويضيف Goitein بخصوص تلك الخطابات أن شخصية المرسل إليه قد يكون حلفون بن نيثانيل شريكه في تجارة الهند [4].

ومن الرحلات التجارية التي تلقي الضوء على تجارة عدن مع شبه القارة الهندية رحلة يوسف اللبدي، التي نتعرف عليها من خلال رسالة أرسلها احد التجار الهنود بعد عودته إلى القاهرة، إلى وكيل التجار في عدن حسان، فيعرض فيها التفاصيل والمحن التي صادفت التاجر اليهودي يوسف اللبدي من وقت خروجه من شمال إفريقيا، فقبل أن

1- Ibid, p. P.185-192.

2- Ibid,p.192.

3- Goitein، Studies in Islamic history, p. 353.

4- Ibid, p. 353-354.

يستعد للإقلاع شرقاً إلى الهند سافر إلى المهدية في تونس وجمع بضائع من تجار آخرين من خلال شراكة تجارية معهم، ثم عرج على مصر وفعل الأمر نفسه على نطاق واسع إذ ائتمنه أبو يعقوب الحكيم وكيل التجار في مصر على أنواع من النسيج المختلفة، وكميات من النحاس والأواني الفضية وعقاقير طبية، وطلب منه تسليم نصف البضائع إلى حسان بن بوندار، كثمن لحمولة فلفل، أما النصف الآخر فعليه مبادلته بالصمغ من إقليم الجوجرات الذي يقع في الشمال الغربي للهند، وصل يوسف اللبدي إلى عدن واصطحب معه منها أخوه وكيل التجار حسان إلى الهند، وسادت الرحلة خسائر كثيرة تعرض على إثرها للمحاكمة أمام المحكمة الربانية على مدى أحدى عشر جلسة عقدت فيما بين (491-492هـ / 1097-1098م) لمخالفته الشروط التي نص عليها عقد الشراكة [1].

وقد غلبت على تجارة عدن – تجارة الترانزيت – إذ كانت مؤهلة لتأدية هذا الدور في التجارة العالمية آنذاك حيث موقعها المتوسط بين الشرق والغرب، وتاريخها القديم في العمل، فضلاً عن عناية حكامها بالتجارة كمصدر أصيل للدخل، وتعاونهم في تنمية الميناء ومشاركتهم في شركات تجارية تعمل مع الهند، وخضع السوق في عدن لنظرية العرض والطلب، فقد كان الحديد من السلع التي لا يتداولها اليهود في أسواق البحر المتوسط، بيد أنه احتل مكاناً بارزاً في تجارتهم مع الهند، واشتهرت الأخيرة بصناعة المعادن [2]. ففي خطاب موجه من وكيل التجار في عدن مضمون بن حسان، إلى ابراهام بن براهاي بن يجو اليهودي التونسي صاحب الأنشطة التجارية والصناعية خلال الحقبة (527-544هـ / 1132-1149م) على ساحل اللمبار في الهند [3]، طلب مضمون منه بالنيابة عن أحد عملائه المدعو أبا الخير ونصه: ((سؤالك في أن تهتم له في إنفاذ ما تبقى من حديد وهيل وجميع باقي حسابه، تنفذ له جميع ذلك في أول مركب يخرج من الهند، والحديد هذه السنة كان في عدن بايع، وجميع ألوان الحديد والسنة الآتية يكون أيضاً في عدن نافق لأن ما بقي في البلد منه شيء)) [4].

1- Goitein, Letters of Medieval, p. P. 177-178;

بشير، من تاريخ اليمن، ص121.

2- بشير، من تاريخ اليمن، ص123.

3- Goitein, From Aden to India, p. 47.

4- Goitein, From Aden to India، p.47.

ومن سلع الترانزيت الأخرى الفلفل الذي جلب إلى عدن من الهند، وقد لا تخلو أي قائمة من قوائم السلع التي نشرت من وثائق الجنيزة من هذه السلعة، ويبدو أنه اكتسب أهمية خاصة في أوربا حتى صار هناك مثل شائع في العصور الوسطى بتشبيه الشيء النادر بالفلفل فيقولون: (غال كالفلفل)[1]. ونظراً لندرته وارتفاع ثمنه، كان رؤساء الكنيسة الفرنسية يتقاضون العشور توابل، وكان اليهود يدفعون ضريبة من الفلفل والزنجبيل للسماح لهم بحيازة مدافن ومدارس[2]. ووصلت إلى عدن كميات من الخزف الصيني النقي الذي يوضع على مناضد الأثرياء، وتشير إحدى وثائق الجنيزة المؤرخة في سنة (525هـ /1130م) إلى إرسال ستة مجموعات كؤوس من الخزف المشار إليه كهدية إلى رئيس الجالية اليهودية في القاهرة، من ممثل التجار في عدن[3].

وتفوقت تلك السلع على باقي الواردات الهندية كماً ونوعاً [4]، والخطابات المتبادلة بين عدن والهند تعدد ورودها بكميات كبيرة، كما خرجت أيضاً بضائع الترانزيت الآتية من مصر وبلدان البحر الأحمر في طريقها إلى الهند على وفق طلبات وكلاء التجار هناك، مثل المنسوجات المصرية وأوراق الكتابة والسكر والتمر والسلع المنزلية، وهذه البضائع التي تظهر في وثائق الجنيزة، وأغلبها بضائع لاستعمال التجار اليهود وغيرهم من المقيمين في شبه القارة الهندية[5]. ومن ثم يمكن القول إن السلع الهندية كانت أكبر من حيث الكم والنوع، وعموماً تشمل حاصلات زراعية ومواداً خامية، وأما البضائع التي يصطحبونها لمبادلتهم ببضائع الهند فهي من المنتجات الصناعية والبضائع الاستهلاكية[6]. ومن تلك البضائع التي أرسلت من عدن إلى الهند، حلوى يمنية مصنوعة من الجوز والقمح والذرة وقطع من القماش المصري وأواني زجاجية مصرية ويمنية، وأدوات منزلية[7].

1- شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، ص215.
2- نفسه، ص216.
3- Goitein, A Mediterranean Society, vol. 4, p.146.
4- بشير، من تاريخ اليمن، ص124.
5- Goitein, From Aden to India، p. 46.
6- Goitein، Studies in Islamic history, p.341.
7- Ibid, p. 343.

أما عن دور يهود عدن في تجارة الرقيق، فهناك نوع من التعتيم لاسيما من قبل الكتاب اليهود يصاحبه دفاع قوي عن عدم اشتراكهم في تلك التجارة بعد القرن (3هـ / 9م) وحتى القرن (10هـ / 16م)، ويشير Goitein إلى ذلك بقوله: ((وفي جميع ما توصلت إليه أيدينا من وثائق الجنيزة... لم ترد لنا إشارة واحدة عن اتجار اليهود في تجارة الرقيق، سواء في البحر المتوسط أو في المياه الأفريقية أو الهندية. ومن الطبيعي أن يشار إلى الرقيق باستمرار في الوثائق، ولاسيما كخدم أو كوكلاء لرجال الأعمال، ونحن نقرأ عن حيازة وبيع أشخاص منهم، ولكنه ليس هناك في أي وثيقة إشارت إلى اتجار اليهود في هذه التجارة. ووفقاً للمصادر الأدبية، فإن اليهود تاجروا في الرقيق خلال القرن التاسع، وقد أثبتت وثائق جنيزة القرن السادس عشر ذلك، وأوردت أنهم في قد أصبحوا نشيطين في هذا الأمر، ولأسباب لا نستطيع مناقشتها هنا،... ونتيجة لذلك، فإن أوراق الجنيزة لا تحتوي على أية معلومات عن هذا الجانب الهام في تجارة الهند وافريقية))[1]. وإن الكلام المذكور لا يكفي كدليل على عدم تعاملهم مع الرقيق القادم من الهند إلى عدن، لاسيما أنه لم يورد أي نص أو وثيقة تشير إلى الرقيق كخدم أو وكلاء لرجال الأعمال، وكذلك نصوص تخص حيازة أو بيع أشخاص منهم، وهناك بعض المعطيات التي تؤكد مشاركة اليهود في عدن بهذه التجارة، منها أنه كان في عدن سوق قد خصص لبيع الرقيق[2]، وتلك دلالة على أن التجارة كانت نشطة، وأن العبيد والجواري يؤتى بهم من بلاد الهند[3]، ليس ذلك فحسب بل من المعلوم أن اليهود امتهنوا حرفة تجارة وخصي العبيد، فقد ذكر المقدسي المتوفي (380هـ / 990م). أن مدينة بجانة الأندلسية كانت مركزاً هاماً لتجارة وخصي العبيد[4]، أي أنه في نهاية القرن (4 هـ / 10م) كانت تجارتهم بالرقيق قائمة مما يناقض القول السابق بتوقف اليهود عند القرن (3هـ/9م)، وهناك الكثير من التجار اليهود الذين جاءوا من الأندلس وشمال إفريقيا وعملوا على نفس الخط التجاري مع الهند واتخذوا من عدن موطناً، فما المانع أن يكونوا قد شاركوا في هذه التجارة[5]، وبالذات إذا كان بعض أصناف الغلمان الذين يجلبون من الهند[6].

1- Goitein، Studies in Islamic history, p.341.

2- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص164-166

3- رحلة ابن بطوطة، 3 / 59.

4- أحسن التقاسيم، ص242.

5- بشير، من تاريخ اليمن، ص125.

6- ابن المجاور، صفة بلاد اليمن، ص162؛ أبي مخرمة، تاريخ ثغر عدن، 1 / 63.

ولا بد من الذكر أن هناك باحثين من اليهود وغيرهم أكدوا ممارسة اليهود تجارة الرقيق وما يتعلق بها، فيشير الباحث اليهودي Ashtor بقوله: ((وكان اليهود يجرون عملية الخصي في معظم الأحيان في مدينة فيردن (Verdun) من بلاد الغال (فرنسا)، وفيها سوق مشهورة لتجارة الرقيق))(1). ويقول باحث آخر: ((أن عملية خصي العبيد تتم من قبل التجار اليهود))(2). وبذلك فإن ما ذكر من الأدلة تنفي ما يحاول بعض الكتاب إلى إنكار دور التجار اليهود في تجارة الرقيق. ولعل البعض يشير أن ما ورد من الأدلة حول الأمر أنما وقعت في الأندلس أو بلاد الفرنجة وللإجابة على ذلك إن أهم تجارة مارسها يهود الأندلس واحتكروها هي تجارة الرقيق، إذ كانوا يجلبون إلى الأندلس أعداداً كبيرة من الفتيان والفتيات الصغار، يشترونهم من شمال اسبانيا، وبلاد الفرنجة وغيرها، وبعد عرضهم في أسواق الأندلس، يحمل التجار اليهود الذين يزيدون منهم إلى شمال إفريقيا وإلى المشرق الإسلامي إذ يتم بيعهم هناك(3). ومن الطبيعي أن يشارك يهود الشرق إخوانهم من يهود الأندلس في تلك التجارة.

ولا بد من الذكر إن هناك الكثير من وثائق الجنيزة لكنها لا تكاد تعدو ما ذكر أعلاه من حيث البضائع وفي الغالب مصدرها من الهند(4).

أدت التجارة في مصر دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية، نظراً لأهمية موقعها الجغرافي المتميز الذي جعلها وسيطاً بين الشرق والغرب، ومن التجار اليهود الذين أدّوا دوراً في التجارة الخارجية بين العالم الإسلامي والغرب الأوربي، وكانوا على صلات وثيقة مع يهود مصر، هم ما أطلق عليهم " الراذانية " المشار إليهم سابقاً.

وكان أولئك التجار يقومون بالترحال من دول غرب أوربا إلى الهند والصين في الشرق، مروراً بالبحر الأحمر (القلزم) والفرما الذي كان من أهم حلقات الاتصال بين الشرق

1- The Jews of Moslem Spain، vol.1, p.289.

2- كونستيل، التجارة والتجار، ص307.

3- ابن حوقل، صورة الأرض، ص110؛ المقدسي، أحسن التقاسيم، ص242؛ خالد يونس الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين، ص410.

4- للمزيد عن تلك الوثائق الخاصة بتجارة اليمن الخارجية ينظر:

Goitein and Friedman، India traders، p.315, 320-321, 341-345, 440, 583, 612-629, 637-672.

والغرب وبالعكس [1]. وبذلك فإن مصر كانت أول مناطق الاتصال مع الغرب الأوربي وان جزءًا من ذلك الاتصال كان عن طريق اليهود وتحديداً التجار منهم، ولا نستبعد أن يشاركهم يهود مصر بذلك النشاط ومن الممكن أن يكون بعضهم قد رافقهم في رحلاتهم إلى الهند والصين، ومع عدم وجود إشارات حول ذلك الأمر، إلا أن الأمر الوحيد أن يهود مصر استمر نشاطهم التجاري من دون باقي أجزاء الدولة الإسلامية بما يوحي بذلك الأمر.

وأشار احد الباحثين إن نشاط التجار اليهود الراذانية قد استمر عبر الدولة الإسلامية حتى منتصف القرن الرابع للهجرة، وتوقف هذا النشاط في ذلك الوقت بسبب ظهور التجار الكارمية[2] في المياه الإسلامية وتوليهم أمر التجارة بين الشرق والغرب[3]. وتجار الكارم كما تشير إليهم وثائق الجنيزة فئة من كبار التجار اشتغلوا باحتكار تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وما إليها من السلع الأخرى، وكان مركز نشاطهم الأول في المحيط الهندي[4]، وكان منذ القدم يعد السوق التجاري الكبير الذي تتجمع فيه موانئه سلع الشرق الأقصى والهند وغيرها[5].

وبقدر تعلق الأمر باليهود فقد وردت في بعض وثائق الجنيزة إشارات حول مشاركتهم بالتجارة الكارمية، ومن بين تلك الوثائق خطاب أرسله محروس اللبدي من عدن إلى أحد أبنائه الذي كان يعيش عند خاله سليمان بن أبي زكري كوهن في الوقت الذي كان فيه مبحراً من الهند في طريق عودته منها بعد أن مكث بها طويلاً، وفي فقرات الخطاب التي يتحدث فيها محروس عن بعض قطع الكريستال التي اشتراها وسلمها إلى مضمون ممثل التجار في عدن، ليرسلها بدوره مع أحد تجار الكارم المتوجهين إلى القاهرة[6]. وهناك جزء من خطاب

1- رمضان، اليهود في مصر الإسلامية، ص349.

2- الكارم، تعددت الآراء حول التسمية إلا أنها في معظمها تستند إلى اشتقاق الكلمة من بلاد الكانم التي تقع وسط إفريقيا، ثم عممت لتشمل الذين يعملون بتجارة التوابل، ولا سيما المجموعة المقيمة بمصر التي جلبت أنواع البهارات من الهند وجنوب شرق أسيا. للمزيد ينظر: أحمد حطيط، الكارمية وتجارة الكارم: إيلاف عاصم مصطفى القيسي، التجارة الكارمية في عصر المماليك: عبير عبد الكريم عبد الرضا، تجارة الكارم وأثرهم الاقتصادي والحضاري.

3- القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، ص87.

4- Goitein, New Light on the beginnings of the Karim Merchants, p.176.

5- Goitein, From the Mediterranean to India Documents on the Trade to India، p.181.

6- Goitein and Friedman, India traders, p.480.

مؤرخ سنة (525هـ / 1130م) استعمل ظهره كمسودة لعدد من السلع، والخطاب أرسله أبو زكري كوهن إلى صهره محروس اللبدي، ونصه: ((أما الكارم فقد وصلني منه كتاب من عند صهري محروس من سواكن يحكي أنه ثلاثة آلاف عدل[1]. وقد خرج في الكارم من أصحابنا اليهود سبعة محروس وست أسماء أخرى لا غير))[2]. ويعكس النص أنه يبلغ وكيل التجار اليهود شريكه، الذي كان في ذلك الوقت في عدن، بحجم البضاعة المحملة في ذلك العام إلى ميناء سواكن على البحر الأحمر، وهم في طريق العودة إلى بلادهم مصر وشمال إفريقيا[3]. وكذلك يشير أن الكارم لم ينزلوا بعدن، ولكنهم ساروا مباشرة من الهند إلى سواكن أو بعض الموانئ اليمينة هذا وقد لاحظ جواتين من وثائق يرجع تاريخها إلى سنة (491هـ / 1097م) أن بعض السفن كانت تسير رأساً إلى الشاطيء الأفريقي من دون أن تمر بعدن، وربما كان ذلك نظاماً مجرباً متبعاً في ذلك الوقت أو بسبب حالة البحر[4].

وهناك خطاب آخر يرجع إلى نفس الحقبة الزمنية التي نتحدث عنها لرجل من ساحل مالبار الغربي في طريق عودته إلى زوجته في القاهرة ويخبرها فيها، أنه أرسل إليها خادمة تبلغ من العمر ست سنوات، وعدداً من أساور بها لؤلؤ وملابس، وإناء وإبريق من النحاس، وأن هذه الهدايا ستصلها مع مانياح الكارمي، ويعدها في ختام رسالته بأنه سوف يرسل لها سفرتين للمائدة، وأشياء أخرى مع شخص يدعى أبا سرور كوهن ابن الدوانقي[5].

وبخطاب آخر أرسله أبو زكري كوهين وكيل التجار اليهود بالقاهرة في سنة (535هـ / 1140م) يخبره فيه عن وصول التجار الكارم إلى عيذاب وقال فيه: ((وصل جميع من خرج من أصحابنا في الكارم بأتم السلام)) [6].

1- العدل (عديلة)، مكيال سعته نصف الحمل للجمل ما بين (125-150كغم) هنتس المكاييل والأوزان، ص39؛ عمارة، معجم المصطلحات، ص369-370.

2- Goitein، Studies in Islamic, p.354.

3- Ibid, p355.

4- Goitein، Studies in Islamic, p355.

5- Ibid, p. 355؛

القوصي، أضواء جديدة على تجارة الكارم، ص19-20.

6- Goitein, Studies، p.356-367.

وفي خطاب آخر أرسل حوالي سنة (535هـ / 1140م) من الإسكندرية إلى عدن أو ربما إلى ميناء آخر في المحيط الهندي، يقول فيه الكاتب: ((وما كنا غير أن ننتظرك في كارم السنة وقد وصل خطابك..)). وضمن رسالة أخرى أرسلها تاجر من أحد موانئ جنوب شرق الهند إلى القاهرة وهو معاصر للتاجر مضمون يذكر فيه لزوجته أنه مرسل إليها بعض توابل الشرق وبعض الفواكه، وسبعة أرطال ونصف من الجوز الفاخر، بقوله عنها: ((ما في الكارم مثلها)) [1].

وبعد إيراد بعض النصوص الخاصة التي وردت فيها أسماء ليهود يتبين أن التجار اليهود في عهد الفاطميين يشتركون مع التجار المسلمين جنباً إلى جنب في تجارة الكارم طوال تلك المدة، إلا أن إسهامهم كان محدوداً وما يثبت ذلك النصوص التي استند إليها الباحثون اليهود [2]، ويفهم من وثائق الجنيزة بأن غالبية التجار اليهود انخرطوا في تجارة الشرق واستقر عدد كبير منهم في مصر، إلا أنهم كانوا يميلون إلى الاعتماد على بضائع الترف في تجارتهم مثل الأحجار الكريمة والأدوات الذهبية والفضية والحرائر والمنسوجات الفاخرة والسجاد، وبينما كان تجار الكارم من المسلمين يتجاوبون مع الحاجيات البشرية فيما لا يمكن الاستغناء عنه من الأشياء ذات الوزن الثقيل إلى حد ما مثل الفلفل والتوابل والملح والسكر وسائر المنتجات الشرقية إلى جانب بضائع الترف في تجارتهم [3].

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك من بين تجار الكارم يهود من أصل مغربي، ولم نورد نصوصاً خاصة بهم لكونهم غير مشمولين بالرقعة الجغرافية للموضوع قيد الدراسة.

أما عن التجارة خارج نطاق الكارم فتشير وثائق الجنيزة إلى إسهام يهود مصر في النشاط التجاري خارج أقاليم الدولة الإسلامية. ومن بين تلك الإسهامات ما ورد في وثائق الجنيزة الخاصة بعائلة ابن عوكل، فمن بين السلع التي تعامل بها النيلة (Indigo) من أنواع الصباغة وله أهمية كبرى، وهي صبغة زرقاء تستخرج من نبات النيلة فضلاً عن نبات

1- Ibid, p.356-357.

2- Ashtor، The Karimi Merchants، p. 47-56; Goitein, New Light, p.175-184.

3- Fischel, Jew in Economic, p. 75؛

محمد عبد الغني الأشقر، تجار التوابل في مصر، ص46.

الوسمة (Woad)، وقد كانت النيلة الساندانى تأتي في الغالب من الهند، وذكرت مرة واحدة[1].

ومن السلع الأخرى الخشب البرازيلي البكام (Baqqam) وهو من أنواع الأصباغ يستورده ابن عوكل للعالم الإسلامي من الهند وجنوب شرق أسيا ولاسيما من جزيرة سومطرة، والخشب البرازيلي يعد من السلع الرائجة، ففي خطاب مرسل من سمحون بن داوود، ذكر أنه باع صفقة من الخشب البرازيلي لأبن عوكل بربح قدره (300 %)[2]، وبخطاب يعود لسنة (478هـ / 1085م) تاجر مغربي ذكر فيه أنّه باع خشباً برازيلياً إلى أوربيين في فلسطين بهامش ربحي (150 %)[3]. وضمن وثيقة تعود إلى سنة (421هـ / 1030م) قائمة لأسعار أرسلها هارون بن الغزال إلى يوسف بن عوكل من بينها مادة الكافور[4]، ومن السلع الأخرى التي وردت في وثائق الجنيزة اللك أو طلاء اللك (Lac) وهي من بين أنواع الأصباغ الشرقية ومركزها الهند[5]، ومن بين الوثائق التي ذكرت فيها تخص عائلة يوسف بن ديفد اللبدي، وكانت من بين البضائع التي جلبها من الهند[6]، وبوثيقة أخرى كتبت في مصر وأرسلت إلى المغرب، فحواها عودة يوسف اللبدي ومعه كميات كبيرة من البضائع للتجار المسلمين ومن بين هذه البضائع الفلفل واللك ومواد أخرى[7]. وأرسلت شحنة من المادة نفسها (22 بالة) واشترك فيها يوسف اللبدي ومعه تاجران آخران يقيمان في عيذاب احدهما فرج والآخر أبو نصر[8]، من دون الإشارة إلى تفاصيل أخرى عنهما.

وتضمنت وثيقة مؤرخة في سنة (473هـ / 1080م) أرسلت من أبو سليمان داود بن اللبدي يقيم في القاهرة الكبرى إلى نهراي بن ناثان المقيم في الإسكندرية، ذكر فيها

1- Stilman، The Eleventh Century Merchant house، p.38.

2- Ibid, p.39-41.

3- Goitein, A Mediterranean، vol.1, p.45.

4- الكافور، نبات طيب الريح وهو ضرب من الطيب أو أخلاط من الطيب تركب من كافور الطلع. الزبيدي، تاج العروس، 14 / 59: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 7 / 6.

5- Stilman، The Eleventh Century Merchant house, 41-42.

6- Goitein and Friedman, India traders, p.28.

7- Goitein and Friedman, India traders, p.29, 237.

8- Ibid, p.245.

بضائع من البهارات وأصباغ وخشب وقيمة البضائع (200 دينار) وعائدية تلك البضائع لعائلة اللبدي [1].

وكان الفلفل من بين أهم أنواع البهار وما يؤكد ذلك وروده في خطابات الجنيزة، ومنها شحنة أرسلها ابن عوكل إلى صقلية في أواخر سنة (411أو 422هـ / 1020أو 1030م) بلغت قيمتها (130 دينار) ولكن حجم الشحنة لم يذكر[2]. وفي نص آخر أرسل إبراهيم بن يجو بضاعة من الهند إلى التجار في عدن، وأشار أما أن تباع في عدن أو تصدر إلى مصر وشمال إفريقيا، وشملت الفلفل وتوابل مختلفة، وعطور[3]. وضمت وثيقة أخرى كتبت سنة (491 هـ / 1098م)، يشير فيها إلى أن معظم الفلفل قد شحن من الهند [4]، من دون ذكر تفاصيل أخرى ولعله كانت هناك مراسلات سبقته تبين تفاصيل المواد من حيث الكمية أو الوزن والتي يصعب تحديدها. ولقد أشار Goitein إلى هذه الصعوبات بقوله: ((وحتى في الوقت الذي لدينا فيه خطابات مكتوبة في أيدينا، فإننا لا نستطيع أن نجزم بالوزن بالضبط أو إجمالي الأحمال محدودة الحجم ومنها التوابل والقرفة والخشب البرازيلي))[5]. وتلك مسألة تحتاج إلى دراسة دقيقة ولا يمكن التطرق لها في هذا البحث نظراً لسعتها.

أما عن التوابل [6] (Spices) فقد تضمنت وثائق الجنيزة نصوصاً تخص تجارة اليهود بالتوابل، ومنها ما ورد في تجارة عائلة ابن عوكل بالتوابل الصغيرة والتي تسمى (سقط) ومعظمها ضمن ما يصدره للغرب فذكرت التوابل الصغرى في أرشيف العائلة مرتين فقط، ولكن واحدة من تلك الوثائق وهي قائمة حساب تعود إلى سنة (430 هـ / 1038م)، أشارت إلى كميات توابل صغيرة وسلمت بكميات كبيرة في شحنة واحدة مكونة من

1- Ibid, p.255-256.

2- Stilman، The Eleventh Century Merchant house, p. 44.

3- Goitein and Friedman, India traders, p.59.

4- Goitein، Letters of Medieval, 177-181.

وللمزيد حول الخطابات بخصوص مادة الفلفل ينظر:

Goitein and Friedman, India traders, p. 200-202, 204, 239, 409, 420, 504, 515, 524, 735.

5- Goitein, A Mediterranean، vol.1, p.221.

6- التوابل (التابل)، وهي المواد التي تعالج بها الأطعمة، كالكمون والكزبرة ونحو ذلك، وكذلك يطلق عليه كلمة السقط. ينظر، الجوهري، الصحاح، 6 / 2244؛ ابن سعيد، شمس العلوم، 5 / 3118؛ ابن منظور، لسان العرب، 2 / 563.

سبعة عشر بالة[1]. وقد ذكرت التوابل في الوثائق الخاصة بعائلة جوزيف اللبدي وولده أبي البركات، وان من بين الصادرات الخاصة بالعائلة سلع خفيفة الوزن محدودة الحجم ومنها التوابل والقرفة والخشب البرازيلي [2].

وضمن خطابين أرسل الأول من عدن إلى إبراهيم بن يجو في الهند، والثاني أرسل من عدن إلى الفسطاط، وتثبت تلك الرسائل طبيعة البضائع التي تضم بشكل رئيسي التوابل والمواد العطرية وأصباغ نباتية، مثل الفلفل والأهليلج والزعفران والقرفة الصينية [3]. ويستشف من خلالها وجود عملية تنسيق ما بين اليهود في مصر وعدن والهند لتحديد البضائع التي تجلب من الهند، وكانت عدن تمثل إحدى المحطات ما بين مصر والهند والصين.

وما يؤكد أهمية التوابل أنها كانت ترسل كهدايا ففي وثيقة مؤرخة في سنة (526هـ / 1131م) أرسلت من خلف بن اسحق إلى هلفون ها – ليفي بن ناثينال، ويتضح من خلالها إرسال هدايا لوجهاء الفسطاط، عبارة عن توابل شرقية [4].

وهناك بضائع أخرى ورد ذكرها في وثائق الجنيزة التي تخص عائلة اللبدي، وأثناء عودة يوسف اللبدي تحطمت سفينته وتعرض لمسألة قانونية بخصوص بضائع التجار، وهناك ثمانية عشر وثيقة تتعلق بهذا، وكانت الشحنة تشمل أنواعاً مختلفة من البضائع، النحاس والفضة وأواني، ومواد طبية ومرجان [5]. وهناك خطابات أوردها جواتين تخص إبراهيم بن يجو، تضمنت إشارة لنوعية البضائع المتبادلة، وكانت بتجارته مع الهند بضائع تجارية غير المألوفة في تجارة البحر المتوسط، مثل النحاس، والتوابل والعطور والبضائع الكمالية والكافور وجوز الطيب والأخشاب الهندية، والمسك والعنبر، وتبادلها مع بضائع كالنسيج المصري والأندلسي، وورق الكتابة، وكان غير متوفر في الهند،

1- Stillman, The Eleventh Century Merchant, p.45-47.

2- Goitein and Friedman, India traders, p.33.

3- Ibid, p.440.

4- Ibid, p.451.

للمزيد عن دور اليهود في تجارة التوابل ينظر:

Ibid, p.469, 515, 546; Goitein، Letters of Medieval, p.197-201.

5- Goitein، From the Mediterranean to India, p.191-195.

والسكر والزبيب والبلح وبضائع منزلية مختلفة الأنواع، وكانت إحدى تلك الخطابات مرسلة إلى إبراهيم بن يجو وكان الوسيط التجاري فيها شماس مسيحي يدعى عبد المسيح، وكانت البضاعة مغطاة بالخيش، وقد نقلت البضائع على مركب رجل من سيراف مسلم يسمى دامشت [1].

والملاحظ أن إسهامهم بالتجارة الخارجية مع الغرب الأوربي قد تميزت بقلة المعلومات عنه سوى ما ذكر عن دور اليهود الراذانية وقد سبق ذكرهم، وهناك بعض الوثائق التي تشير إلى دورهم في تلك العلاقة، ومن تلك الوثائق إسهام ابن عوكل في تصدير الكتان، ففي إحدى المرات تراكم في ميناء الإسكندرية (5000 حمل) منه ليشحن منها إلى تونس وصقلية، وفي سنة واحدة ومن ميناء الإسكندرية شحنت كميات كبيرة من الكتان عن طريق بيت ابن عوكل لصقلية وسفينة واحدة إلى بالرمو بلغت (60 قنطار/ 8600 كغم تقريباً) [2]. وفي عدد من الخطابات نجد شكوى من وصول الكتان مبتلاً، واحد أقرباء ابن عوكل إسماعيل بن يعقوب كتب من صقلية أنه ألقى أكثر من خمسة وعشرين قنطاراً (4000 كغم تقريباً) من الكتان، وجميع الوثائق التي ذكر فيها تجارة الكتان الخاصة بابن عوكل تعود لفترة متأخرة ما بين الأعوام (4111-422هـ/ 1020-1030م)، ولعل السبب في ذلك الزيادة في العلاقات التجارية مع أوربا [3].

كما تشير إحدى الوثائق المؤرخة في سنة (422هـ / 1030م) إلى بيع حمل من الفلفل في صقلية لأبن عوكل وقريبه ابن أبي عقبة بـ (83 دينار)[4]. وبوثيقة أخرى تعود لسنة (430هـ / 1038م)، أرسل ابن عوكل مادة النعناع من الفسطاط إلى الإسكندرية وخزنت في المخزن لشحنها إلى الغرب[5]. ويستشف من النص أنّه كان لأبن عوكل سياسة تجارية لخزن البضائع وإرسالها في أوقات معينة من السنة. ولم يقتصر الأمر على تصديره البضائع إلى صقلية وإنما لدينا اشارات حول استيراده مواد منها مثل الجلود إذ أرسلت

1- Goitein, From Aden to India, p.46-50.
2- Stillman، The Eleventh Century Merchant, p.29.
3- Ibid, 30-37.
4- Ibid, 40.
5- Ibid, p.48.

شحنة من صقلية إلى إسماعيل الأندلسي في تونس ومنها تشحن إلى مصر[1]، وفي أخرى أرسلت له شحنة من الملابس من صقلية[2].

وتشير إحدى الوثائق المرسلة من الإسكندرية تعود لسنة (611هـ / 1214م)، حول إرسال شحنة من الجبن (95 قطعة وزنها 160 باوند / 72 كغم) يؤكد فيها صلاحية الجبن، الذي يباع في الريف المصري، وهي مرسلة إلى فرج ها-كوهن بن الرابي يوسف ها كوهن[3].

وتعد مصر من أهم المناطق التي تنتج وتصدر السكر في العصور الوسطى، وذكر ابن دقماق، وجود سبعة وخمسين مصنع للسكر وكان لليهود إسهام واضح فيها[4]، وسيتم الحديث عنها لاحقاً وكان السكر المصري شائعاً في كل من الغرب الإسلامي وأوربا[5]. وذكر احد الباحثين المحدثين، أنه حتى بداية القرن الخامس عشر كانت عملية تصدير السكر مستمرة إلى أوربا وأماكن أخرى[6]. لكن على الرغم من ذكر السكر في وثائق الجنيزة في مواضع عديدة إلا أنها لم تشر إلى عملية تصديره، لكن لدينا بعض الدلائل تؤكد أنه كان من بين السلع المصدرة إلى أوربا، والسبب في ذلك امتلاك اليهود لمصانع للسكر في مصر[7].

وقدمت باحثة محدثة في إحدى الدراسات الحديثة إحصائيات مهمة حول نسبة رسائل (وثائق) الجنيزة الصادرة من التجار في القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر الميلادي ومن خلالها يمكن تحديد الحركة التجارية الداخلية والخارجية لليهود، وكانت نسبة الرسائل التي كتبها التجار اليهود بالشكل التالي مصر (95 %) من الرسائل، في حين أن إفريقيا كانت نسبتها (4 %)، وبلاد الشام (1 %)، وصقلية أقل من (1 %) [8]. ومن خلال الأرقام المذكورة يتبين أن مصر كانت محور حركة التجار اليهود.

1- Stillman, The Eleventh Century Merchant, p.67.

2- Ibid, p.75.

3- Shlomo simonsohn, The Jews in Sicily, p.446-447.

4- الانتصار، 1 / 41-46.

5- Stillman، The Eleventh Century Merchant, p.47.

6- Abraham David, The role of Egytian Jews, p.106.

7- ابن دقماق، الانتصار، 1 / 42-46.

8- Goldberg, Trade and Institutions, p.200.

وضمن إحصائية أخرى شملت مصر بمختلف مناطقها ومن بينها الريف المصري وبلاد الشام وإفريقيا وصقلية بمجموعة من الرسائل بلغ عددها (603) رسالة، كانت نسبة مصر بأجزائها المختلفة (65 %)، وإفريقيا (18 %)، وبلاد الشام (12 %) وصقلية (5 %)، وبتوزيع تلك الرسائل على المناطق التي كتبت فيها، نلاحظ أن عدد الرسائل لمدينة الإسكندرية كانت الأعلى بعدد (281) رسالة وبنسبة (47 %)، وبذلك يتبين مدى أهمية الإسكندرية بالنسبة للتجار [1]. والراجح أن سبب ذلك يعود إلى موقع الإسكندرية الجغرافي الواقعة على سواحل البحر المتوسط، فأصبحت مركزاً لعبور البضائع التجارية ما بين المشرق الإسلامي، والمغرب الإسلامي من جهة وأوربا من جهة أخرى.

وبمقارنة مصر كوحدة كاملة والشرق والغرب تكون نسبة الرسائل الخاصة بمصر أكثر من (65 %) من الرسائل التي تعود إلى القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر الميلادي، بينما كانت نسبة الرسائل للغرب (24 %) والشرق (11 %) [2]. وتلك الإحصائية تعكس أمور متعددة لعل من أبرزها، أن مصر كانت مركزاً رئيسياً للتجار اليهود، وكذلك فإن الحركة التجارية لليهود في داخل أقاليم الدولة الإسلامية كانت أكثر من الخارجية.

1- Goldberg, Trade and Institutions, p.202.

2- Ibid, p.203.

الفصل الخامس

النشاط الحرفي والصناعي

المبحث الأول: المناصب الحكومية.

المبحث الثاني: المهن الخدمية.

المبحث الثالث: الحرف اليدوية.

المبحث الرابع: الصناعات.

الفصل الخامس
النشاط الحرفي والصناعي

لم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الأعمال[1]، وكانت الحرف مفتوحة للمسلمين وغيرهم، وكان الناس أحراراً في اختيار المهنة التي يريدونها[2]، وكان غالبية أصحاب الحرف من الموالي وأهل الذمة ويبدو أن العرب في تلك الحقبة لم يشاركوا في الصنائع لأنفتهم منها ولرسوخهم في البداوة[3]. وذلك لا يعني الازدراء بأصحاب الصنائع، والواقع أن المسلمين كانوا في منتهى التسامح مع غير المسلمين بشرط أن لا يظهروا العداء للإسلام والمسلمين، على عكس مما يفعله اليهود والنصارى عندما تكون لهم الشوكة، فلا يرى المسلمون منهم إلا الذبح، حدث ذلك في الحروب الصليبية والأندلس[4]. وما يؤكد التسامح الإسلامي مع أهل الذمة عامة واليهود بصورة خاصة، ما جرى الحديث عنه سابقاً، ومزاولتهم للأعمال المختلفة الزراعية والتجارية، وكذلك ما سيتم التطرق إليه في الصفحات اللاحقة من نشاط حرفي وصناعي.

1- متز، الحضارة الإسلامية، 1/ 65.
2- الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص107.
3- ابن خلدون، المقدمة، ص318.
4- محمد علي البار، معاملة غير المسلمين، ص108.

المبحث الأول
المناصب (الوظائف) الإدارية

ومما يلفت الانتباه أننا لا نرى ذكراً لاستخدام اليهود في الوظائف الإدارية خلال القرون الأولى للدولة الإسلامية ويعلل الجاحظ ذلك بسوء العلاقة بين المسلمين واليهود منذ مجاورتهم في المدينة المنورة إذ خبروا منهم المكر والخديعة، بينما استعانوا بالنصارى في الشام ومصر لأنهم يحمدون لهم حسن وفادتهم للمهاجرين الأوائل إلى الحبشة، ولأن النصرانية كانت منتشرة بين القبائل العربية من لخم وغسان وقضاعة وطي وتغلب، ولم تكن اليهودية منتشرة أو غالبة على قبيلة عربية [1]، ويضيف الجاحظ أن النصارى كان منهم الكتاب والأطباء والأشراف والعطارين والصيارفة بينما لا تجد من اليهود إلا الصباغين والدباغين والحجامين والقصابين والشعابين [2].

وتورد المصادر إشارات محدودة عن تولي اليهود للوظائف الإدارية، ففي عهد الخليفة المأمون (198-218هـ / 813-833م) طرد بعض الكتاب الذميين من دواوين الخدمة إذ استأذن على المأمون أحد الفقهاء، فلما دخل عليه رأى بين يديه رجلاً يهودياً كاتباً، فأنشد الفقيه قائلاً:

إن الذي شرفت من أجله　　　يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى اليهودي، فأمر المأمون حاجبة بإخراج اليهودي، وأنفذ عهداً بأن لا يستعين بأحد من أهل الذمة في شيء من أعماله [3].

وكان عدد من صرف من أهل الذمة ألفين وثمانمائة، وبقي جماعة من اليهود منحازين إلى حماية بعض جهاته، فخرج توقيعه بما نسخته: ((أخبث الأمم اليهود، وأخبث اليهود

1- الرسائل، 3 / 237.
2- رسائل، 3 / 239. الشعابين، الشعاب، الملئم، وحرفته الشعابة وهو من شعب الصدع في الإناء، أي إصلاحه وملائمته. الفراهيدي، العين، 1 / 262.
3- ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، مج 1، ق1 / 359.

السامرة، وأخبث السامرة بنو فلان، فليقطع ما بأسمائهم من ديوان الجيش والخراج إن شاء الله تعالى)) [1]. ويستشف من النص العدد الكبير لأهل الذمة في الوظائف الإدارية الأمر الذي دفع الفقهاء للتنبيه على ذلك.

ولعل ابرز الوظائف الإدارية التي تولاها اليهود في الدولة الإسلامية وتحديداً إقليم العراق كانت الجهبذة[2]، وأولى الإشارات على ذلك تعيين يوسف بن فنحاس اليهودي جهبذاً للأحواز في وزارة ابن الفرات[3] الأولى (296-299هـ / 908-911م). فقد ذكر الصابي ذلك بقوله: ((وأحضر يوسف بن فنحاس الجهبذ اليهودي وكان جهبذ الأحواز، فقال له: إن هذه الحال وافت ولم يتأهب أصحابنا لها، وقد سببت أرزاقهم على مال الأحواز، ولابد أن تقدم لهم مالاً لشهرين. فذكر كثرة الأموال التي ألزم تعجيلها من معاملة الأحواز، وأنه لا يتمكن من غير ذلك، فلم يزل معه في مناظرة حتى استجاب إلى إطلاق جاري شهر معجل في ذلك اليوم))[4]. وأشار الدوري، أن الغاية من تعيين هذا التاجر جهبذا، هي حاجة الدولة إلى المال قبل موعد الجباية، فيقوم الجهبذ بالتسليف ثم يستوف أمواله بعدئذ من ضرائب الأحواز [5].

إلا أن معاملات الجهبذين اليهوديين هارون بن عمران ويوسف بن فنحاس، كانت شخصية أو خاصة بالوزير ابن الفرات وأنه أسند إليهما حفظ كل الأموال المصادرة، وما يؤكد ذلك قول التنوخي: ((ما عمله ابن الفرات في وزارته الأولى، فإنه نصب يوسف بن فنحاس، وهارون ابن عمران الجهبذين...وما صح من مال المصادرين، وغيرهم ممن يجري مجراهم، إلا أجراه على أيديهما، دون يد صاحبي بيت المال العامة والخاصة)) [6]. وأورد في موضوع آخر أن الوزير علي بن عيسى (300-304هـ / 912-916م) أمر بإحضار

1- ابن قيم الجوزية، أحكام أهل الذمة، 1 / 219.
2- الجهبذ، النقاد الخبير بغوامض الأمور، البارع العارف بطرق النقد، الزبيدي، تاج العروس، 9 / 392.
3- أبو الحسن الوزير، علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات، تولى أمر الدواوين أيام الخليفة المكتفي بالله (ت 295هـ / 907م)، ووزر للخليفة المقتدر بالله (ت 320هـ / 932م) ثلاث مرات، توفي سنة (312هـ / 924م). الذهبي، تاريخ الإسلام، 23 / 436 - 437؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 22 / 91-94.
4- الصابي، تحفة الأمراء، ص198.
5- تاريخ العراق، ص186.
6- نشوار المحاضرة، 8 / 38.

هذين الجهبذين، وطالبهما بما أودع ابن الفرات لديهما، وبعد ضغط شديد اعترفا انه بقي لديهما مائة ألف درهم لحساب ابن الفرات، ولكن الوزير علي لم يقنع بذلك وألزمهما بمائتي ألف درهم [1]. وهذا يبين ان الجهبذين اليهوديين لم يكونا رسميين، بل مختصين بابن الفرات [2].

وأمر تعيينهم أخذ صفة رسمية في وزارة علي بن عيسى الذي يرجع إليه الفضل في إنشاء مصرف رسمي، الذي اضطرته حالة الخزينة الحرجة، أن يدفع الجهبذين اليهوديين إلى تأسيس مصرف للدولة[3]. فأقدم على استدعائهما وقال لهما: ((إني احتاج في كل هلال إلى مال ادفعه في ستة أيام من ذلك الشهر إلى الرجالة ومبلغه ثلاثين ألف دينار، وربما لم يتجه في أول يوم من الشهر ولا الثاني، وأريد أن تسلفاني في أول كل شهر مائة وخمسين ألف درهم، وترتجعانها من مال الأحواز في مدة الشهر، فإن جهبذة الاحواز إليكما فيكون هذا المال سلفاً لكما أبداً... فلم يزل هذا الرسم يجري على يوسف بن فنحاس وهارون بن عمران، ومن قام مقامهما مدة ستة عشرة سنة وبعد وفاتهما لأنهما ما صرفا إلى أن ماتا))[4].

وقد ظل نفوذ الجهبذين اليهوديين قوياً طيلة الربع الأول من القرن الرابع للهجرة، وانعكس صدى تلك القوة في وثائق الجنيزة. فهناك خطابات كثيرة ورد فيها ما يفيد بقوة نفوذهما خلال المدة. ومن هذه الخطابات خطاب أرسله الجاؤن سعديا سعيد بن يوسف الفيومي (269-331هـ / 882-942م)، الجاؤن الأكبر ببغداد، إلى مصر سنة (316هـ / 928م) لأحد التجار اليهود يطلب منه القدوم إلى بغداد [5]. ويقول فيه ما نصه: ((إذا كانت لديك أية مشاكل مع الحكومة فعليك أن توضحها لي ونحن نستطيع أن نسويها بدورنا مع الحكام في بغداد، فهنالك رجالنا من أولاد نصيره وأولاد هارون، وبعد ذلك سوف تعاملك السلطات كأنك سيد وسوف تسهل لك أمورك فافعل هذا ولا تفعل غيره)) [6].

1- نفسه، 8 / 39-40.

2- الدوري، تاريخ العراق، 187.

3- نفسه، 187-188.

4- التنوخي، نشوار المحاضرة، 8 / 41-42.

5- القوصي، اليهود في ظل الحضارة الإسلامية، 107.

6- Fischel, Jewish in Economic، p.34-36.

واستمرت أعمال عائلة هارون بالجهبذة إلى سنة (329هـ / 940م) عندما قبض أمير الأمراء بجكم على علي بن هارون وأمر بقتله، وسبب ذلك أن علياً كان جهبذ الوزير ابن شيرزاد (327-329هـ / 938-940م) [1].

ولقد جند تجار اليهود كل إمكانياتهم في تلك المدة (بداية القرن الرابع الهجري)، التي تعرف في تاريخهم بالفترة الجاؤنية، في اتحاد رؤوس أموالهم في العراق وخراسان وفارس والشام ومصر وشمال افريقية والأندلس للوقوف خلف الجهابذة اليهود وإمدادهم بالمال المطلوب للخلافة، وذلك لكسب المركز الاقتصادي والاجتماعي الممتاز في العالم الإسلامي[2].

ولقد عاش اليهود عصرهم الذهبي في بلدان الدولة العباسية في الربع الأول من القرن الرابع في عهد خلافة المقتدر بالله (295-320هـ / 907-932م)، وأبنه الراضي بالله (322-329هـ / 934-940م). وبدأ ذلك العصر في التلاشي والنقصان مع بداية الربع الثاني من هذا القرن [3]، والراجح أن علي بن هارون بن عمران، لم يكن كوالده من حيث النفوذ والإمكانيات المادية. ويبدو أيضاً أن التجار اليهود أحجموا عن مساعدة الجهبذ علي بالأموال بعد وفاة الخليفة المقتدر، ذلك لأن هؤلاء التجار فقدوا الثقة بالدولة بعد وفاة هذا الخليفة وخافوا على أموالهم بسبب تردي الأوضاع السياسية والاقتصادية في الدولة العباسية آنذاك [4]. وبالذات في مدة أمرة الأمراء (324-334هـ / 935-945م)، وخربت البلاد نتيجة المنازعات والحروب بين الأمراء الطامحين ونتيجة فوضى الجند [5].

والملاحظ أنّه لم يرد ذكر لتعيين جهابذة من اليهود إلا بعد ما يقرب من القرنين من الزمان، للأسباب أعلاه وكذلك للتغييرات التي طرأت على الدولة الإسلامية وانسلاخ دويلات في المشرق والمغرب، وكذلك ضعف مؤسسة الخلافة الإسلامية في أعقاب سيطرة البويهيين

1- الصولي، أخبار الراضي بالله، ص147.
2- القوصي، اليهود، ص107-108.
3- نفسه، ص108.
4- نفسه، ص108-109.
5- الدوري، تاريخ العراق، ص62 وما بعدها.

والسلاجقة. فمن الجهابذة الذين ورد ذكرهم أبي طاهر بن شبر اليهودي (ت 601هـ/1205م) جهبذ الديوان العزيز [1].

ومن الوظائف المهمة الأخرى الوزارة التي ظهرت بصورة واضحة في زمن الدولة الفاطمية، ولعل ابرز من تولى المنصب يعقوب بن يوسف بن كلس، الذي أشير إليه سابقاً. فبعد وفاة المعز لدين الله الفاطمي (365هـ / 975م) تولى الحكم من بعده العزيز بالله في ذلك العام، وقد حظي يعقوب بن كلس بمكانة مرموقة في عهده، فنال الوزارة وغدا الرجل الأول للعزيز[2]، وفي شهر رمضان سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة لقب بـ " الوزير الأجل " وأمر أن لا يخاطبه أحد ولا يكاتبه إلا به[3]. وربما كان لنفوذ اليهود في البلاط الفاطمي زمن المعز والعزيز أثر في ذلك التعيين، إذ إن أطباء القصر أمثال موسى بن العيزار كانوا من اليهود [4].

ويبدو واضحاً أن ابن كلس كان متحيزاً لأبناء جلدته من اليهود إذ وضعهم في المناصب الحساسة في مصر وبلاد الشام ولا سيما الوظائف العسكرية والاقتصادية منها[5]. ومن الأمثلة على ذلك ما حدث سنة (368هـ / 978م) فأرسل ابن كلس حملة عسكرية لمساندة واليه على دمشق ويدعى قساماً، من أجل مواجهة أحد الزعماء المحليين ويدعى أبا تغلب ابن حمدان عامل الخراج في دمشق، الذي رفض الدخول في طاعة العزيز، وأراد الاستيلاء على دمشق، وكان قائد الحملة العسكرية التي خرجت من مصر، الفضل بن الفضل، وكان أصله يهودياً، ولم تنجح تلك الحملة[6]، فأرسل ابن كلس حملة أخرى سنة (372هـ / 982م) وأعاد دمشق إلى الهيمنة الفاطمية [7].

1- ابن الساعي، الجامع المختصر، 9 / 162-163.

2- هشام فوزي عبد العزيز، يعقوب بن كلس اليهودي وأثره في الدولة الفاطمية، ص196.

3- ابن الصيرفي، الإشارة إلى من نال الوزارة، ص49.

4- القفطي، أخبار العلماء، ص240؛

Bernard Lewis, The Jews of Islam, p.97-98.

5- عبد العزيز، يعقوب بن كلس، ص209.

6- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص22-23؛

Yaacov Lev, The Fatimid Ya'qub Ibn Killis, p. 242-244.

7- الدواداري، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، ص205-207.

ومن عماله في الشام ابن أبي العود اليهودي، وكان نائباً له في عمله وضياعه، وعيناً من عيونه في بلاد الشام، ويكتب إليه بأخبار البلد، وقتل ابن أبي العود سنة (372هـ / 982م) وكذلك استناب في الشام رجلاً يهودياً يعرف بمنشا بن إبراهيم الفرار ومعه عيسى بن نسطورس، فاعتز بهما النصارى واليهود، واستولى أهل هاتين الملتين على الدولة فكتب رجل من أجلاء المسلمين رقعة وسلمها إلى إمرأة فاعترضت العزيز ورفعت الظلامة إليه ومضمونها: ((يا أمير المؤمنين يا الذي عز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار، وأذل المسلمين بك ألا نظرت في أمري))[1]. فأمر بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتاب النصارى، وإنشاء الكتب إلى الشام بالقبض على منشا بن الفرار والمتصرفين من اليهود وأن تسند الأعمال في الدواوين إلى الكتاب المسلمين، إلا أنه أعاد ابن نسطورس إلى ما كان عليه قبل عزله، بعد أن استشفع بابنة العزيز ست الملك، وحمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار، لكنه اشترط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله[2].

ويشير ابن عساكر أن منشا ابن الفرار اليهودي، كان مدبر العسكر في دمشق[3]. أما المقريزي فذكر أنه كان على عطاء العسكر وتدبيره [4]. وتلك إشارات واضحة المعالم حول تولي أهل الذمة واليهود بصورة خاصة وظائف مهمة بل وسيطرتهم على الجوانب الإدارية في الدولة الفاطمية.

وممن تولى الوزارة في الدولة الفاطمية أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وكان يهودياً فأسلم، استوزره المستنصر (427-487هـ / 1035-1094م)، سنة (436هـ / 1044م) واستمرت وزارته ثلاث سنوات، وكان معه أبو سعد التستري اليهودي يدبر الدولة له، فقال بعض الشعراء:

يـــهـــود هــــذا الـــزمـــان قـــد بـلـغـوا
غـــايـــة آمـــالـــهـــم وقـــد مـلـكـــوا

1- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص29.
2- ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص33.
3- تاريخ دمشق، 74/ 203.
4- اتعاظ الحنفا، 1 / 296.

العز فيهم والمال عندهم
ومنهم المستشار والملك

يا أهل مصر إني نصحت لكم
تهودوا قد تهود الفلك[1]

ومن الوزراء اليهود الآخرين أبي علي الحسن بن أبي سعد إبراهيم بن سهل التستري، الذي أسلم واستوزره المستنصر بالله سنة (456هـ / 1063م)[2]، وذكر الصيرفي أن وزارته دامت عشرة أيام ثم استعفي، وكان يتولى بيت المال قبل إسناد الوزارة إليه[3].

ومن الوظائف الأخرى الكتابة، فلدينا إشارة واحدة إلى أن ابن أبي الدم اليهودي، ولي ديوان الإنشاء في الدولة الفاطمية أيام المستنصر[4]. ومع ذلك فإن المقريزي أورد نصاً مهماً قال فيه: ((وأما كاتب الجيش فإنه كان في غالب الأمر يهودياً))[5]. ويتضح من خلال النص أن اليهود كانوا يتولون مناصب إدارية حساسة وبالذات إذا كان الأمر يخص جيش الدولة.

ومع قلة الإشارات التي تشير إلى موظفين من اليهود في أعمال إدارية إلا أن توليهم للوزارة يستدل على أن العاملين معه في إدارة الدولة من الطبيعي أن يكونوا من أهل ملته.

وكذلك عمل بعض اليهود في الوظائف الإدارية للدولة الفاطمية منهم " أبو المنجا بن شعيا اليهودي " الذي كان مهندساً وأشرف على القناة التي عرفت باسم " بحر أبي المنجا " سنة (506هـ / 1112م)[6]. وفي عهد الآمر بأحكام الله الفاطمي أنشأ وزيره الأفضل بن أمير الجيوش، ديواناً أطلق عليه اسم ديوان التحقيق، كانت مهمته مراجعة أعمال سائر دواوين الدولة، ثم الغي بعد الدولة الفاطمية حتى أعاده الملك الكامل الأيوبي

1- السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، 2 / 201؛ محمد حمدي المناوي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، ص254-255.
2- المقريزي، اتعاظ الحنفا، 2 / 149-150.
3- الإشارة إلى من نال الوزارة، ص91.
4- القلقشندي، صبح الأعشى، 1 / 130.
5- المواعظ، 3 / 338.
6- القلقشندي، صبح الأعشى، 3 / 336-337؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 7 / 148-149.

(618-635هـ / 1221-1238م). وجعل المسؤول عنه ابن كوجك اليهودي، ولكنه لم يلبث أن ألغاه بعدها بعامين [1].

وهناك إشارات عديدة لتولي اليهود الوظائف الحكومية إلا أنها لم تنحصر ضمن حقبة تاريخية واحدة، وذلك ما سيتضح من خلال الحديث. فكان في بغداد شخص يدعى أبا سعد بن سمحا اليهودي (ت485هـ/ 1092م)، اصبح وكيلاً للسلطان ألب ارسلان (465-485هـ/ 1072-1092م) ونظام الملك وزير السلاجقة (ت 485هـ / 1092م)[2]، ويبدو أنه كان يتولى عملية إنفاق الأموال، وما يؤكد ذلك أن الوزير نظام الملك حاسب ابن سمحا اليهودي بإحالاته وتوقيعاته فوجدها في أشهر قد اشتملت على ثلاثين ألف دينار[3]. ولم يقتصر عمله على الجوانب المالية، فقد تولى الإشراف على بستان ودار لنظام الملك[4]. والملاحظ أن هذه هي الحالة الوحيدة التي ذكرت في المصادر التي تمكن الباحث من الاطلاع عليها خلال الحقبة السلجوقية، واللافت للنظر أن الوزير نظام الملك ذكر: أنه ينهى عن إسناد الأعمال والمناصب إلى اليهود والنصارى والمجوس، وعن توليهم شؤون المسلمين[5]، وبموضع آخر أنه لا يسمح لليهودي بتولي الكتابة للأتراك السلاجقة وإدارة شؤونهم[6].

أما في العصر الأيوبي فإن المصادر التاريخية تورد العديد من الإشارات حول تولي اليهود مناصب متعددة ومهمة.

ومن الذين تولوا مناصب مهمة من اليهود في بعلبك وتحديداً الوزارة، الطبيب مهذب الدين يوسف بن أبي سعيد بن خلف السامري (ت 624هـ / 1226م)، الذي التحق بخدمة الملك فرخشاه (ت 578هـ / 1182م) وغدا طبيبه الخاص واشتهر بحسن العلاج والمداواة، ثم استوزره وعلت منزلته عنده حتى صار هو المدبر لجميع الدولة والأحوال بأسرها لا تعدل عن أمره ونهيه، ولذلك قيل فيه:

1- ابن ميسر، تاريخ مصر، 2 / 77.
2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 8 / 338.
3- ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، 5 / 2487.
4- ابن الجوزي، المنتظم، 6 / 298.
5- نظام الملك الطوسي، سير الملوك أو سياست نامه، ص201.
6- نفسه، ص196.

الملك الأمجد الذي شهدت
له جميع الملوك بالفضل
أصبح في السامري معتقداً
ما اعتقد السامري في العجل [1]

ولم يزل كذلك حتى كثرت الشكاوى من أهله وأقاربه من السامرة، فإنه قد جاءه إلى بعلبك جماعة منهم من دمشق واستعملهم في جميع الجهات، واستغل السامرة نفوذهم وقوتهم وتحصنوا بسلطة مهذب الدين الوزير، وسيطروا على مقدرات بعلبك واستأثروا بالمهن الشريفة والوظائف الرئيسة، ولما تحقق الملك الأمجد أن الأموال قد أكلوها وكثر فسادهم، ولامته الملوك في تسليم دولته للسامرة، فقبض على المهذب السامري وعلى جميع السامرة المستخدمين واستخلص منهم أموالاً كثيرة، وبقي معتقلاً عنده مدة، ولم يبق له شيء يعتد به، عندئذ أطلقه فغادر إلى دمشق ومات فيها [2].

ومع كل ما ذكر عن السامرة إلا أن الملك الأمجد استوزر سنة (627هـ / 1321م)، أمين الدولة أبي الحسن بن غزال بن أبي سعيد ابن شقيق مهذب الدين، كان سامرياً واسلم، ولما توفي الأمجد سنة (628هـ / 1322م) استوزره الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل الذي تملك بعلبك، فساس الدولة أحسن السياسة وبلغ في تدبير المملكة نهاية الرياسة[3]، وتمكن من مساعدة الملك الصالح إسماعيل، في أن يتملك دمشق سنة (643هـ / 1245م)[4]. وكان أمين الدولة في مدة وزارته يحب جمع المال، وحصل لصاحبه أموالاً عظيمة من أهل دمشق وقبض على كثير من أملاكهم[5]. وبقي في خدمة الصالح مطاع الكلمة كثير العظمة، إلى أن استولى الملك الصالح نجم الدين أيوب (637-647هـ / 1240-1249م) على دمشق، وقبض نائبه في دمشق على أمين الدولة وصادر أمواله وأرسله إلى القاهرة سنة (643هـ

1- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص721-722.
2- ابن أبي اصيبعة، عيون، ص722؛ ابن نظيف الحموي، التاريخ المنصوري، ص132؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 29 / 89.
3- ابن أبي اصيبعة، عيون، ص723.
4- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 8 / 725؛ ابن واصل، مفرج الكروب، 5 / 220.
5- ابن أبي اصيبعة، عيون، ص723.

/ 1245م) وظل سجيناً في قلعتها حتى نفذ حكم الموت بحقه سنة (648هـ / 1250م) ومع وفاته انتهى نفوذ السامرية في بلاد الشام [1].

وهناك روايتان تخصان يهوديين اثنين كانا يعملان موظفين إداريين وقد انفرد بذكرهما ابن الشعار الموصلي، أولهم يدعى، أبو الغنائم عبد السلام بن أبي علي بن يحيى بن مناحيم اليهودي من حلب، وقد كان متصرفاً في الأعمال الديوانية، ولديه معرفة بعلم الحساب، وكان يتولى الاستيفاء بديوان حلب [2].

وأما الثانية فتخص أبو المعالي نبأ بن أبي غانم بن حسين بن عبد السيد، المعروف بابن الزعفراني اليهودي (ت 635هـ / 1237م)، من أهل حلب، ومن أربابها المتصرفين في الأعمال السلطانية. وقد خدم متصرفاً في ديوان حلب سنين عدة وكان أعلم أهل ملته بالتصرف وعلم القوانين الديوانية، ورسوم القواعد الحسابية، والاطلاع على غوامضها[3].

والملاحظ أن كلاهما يعملان في المسائل التي تتعلق بالشؤون المالية، ولعل السبب في ذلك أن أهل الذمة ومنهم اليهود هم أكثر حرصاً في أعمالهم من أجل الحفاظ على مصالحهم، وبذلك هم أكثر ولاءً للملوك والأمراء.

أما في العصر المملوكي فيلاحظ تواجد واضح لليهود في الوظائف الحكومية المختلفة، وما يؤكد ذلك وجود موظفين من اليهود المراسيم التي كان يصدرها السلاطين، تأمر بعدم استخدام أحد من أهل الذمة اليهود والنصارى في المباشرات الديوانية وأن يصرفوا منها، ومن تلك المراسيم ما أصدره الملك المنصور سيف الدين قلاوون (678-689هـ / 1279-1290م) موجهاً إلى الشام وأن لا يستخدم أحد منهم في الوظائف الحكومية، فصرفوا عنها وكان ذلك سنة (689هـ / 1290م) [4]. وضمن أحداث سنة (825هـ / 1421م) أصدر السلطان الملك الأشرف سيف الدين برسباي (82-841هـ / 1421-1437م) مرسوماً نودي به في القاهرة، أن لا يستخدم أحد من اليهود ولا النصارى في ديوان من دواوين

1- سبط ابن الجوزي، مرآة، 8 / 748؛ ابن أبي اصيبعة، عيون، ص724.
2- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، 3 / 371-372.
3- نفسه، 9 / 82.
4- ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، 8 / 93؛ النويري، نهاية الإرب في فنون الدب، 31 / 171.

السلطان والأمراء [1]. والراجح أن السبب في إصدار تلك المراسيم كثرة أعدادهم في الوظائف الإدارية أو تمتعهم بنفوذ واسع على الرغم من قلة أعدادهم.

فأشار ابن الجزري ضمن حوادث سنة (732هـ / 1331م) أن نائب ديوان الجيش يهودي يدعى النجيب أبي الفرج [2]. وممن تولى الاستيفاء بصفد بن أبي البيان الإسرائيلي (ت 741هـ / 1340م)، الذي كان يهوديا، واسلم [3]. وكلا الوظيفتين تعدان من الوظائف المهمة فالأولى تخص ديوان الجيش ومفاده أن من يشغل المنصب يكون مطلعاً على كل ما يتعلق بالجيش من حيث العدة والعدد، والاستيفاء يعرف من خلاله مقدار أموال الخزينة.

ومن الذين تولوا في دمشق حسين بن عبد الله السامري الأصل، باشر كتابة السر بدمشق سنة (812هـ / 1409م)، ثم صرف عنها وباشر عند الأمراء. وتولى نظر الجيش سنة (825هـ / 1421م)، ثم أضيفت إليه كتابة السر مع نظر الجيش بدمشق ولم يجتمعا لأحد قبله، وصرف عن كتابة السر في سنة (828هـ / 1424 م)، ثم أعيدت إليه واستمرتا معه إلى أن توفي سنة (831هـ / 1427م) [4].

وتولى اليهود العمل بالترجمة بصفة رسمية، فقد أشارت المصادر إن منصب كبير التراجمة في البلاط المملوكي في القرن (9هـ / 15م) كان معظمهم من يهود أوربا [5]. وكان منصب كبير التراجمة في العصر المملوكي أشبه بمنصب وزير الخارجية في عصرنا الحالي. فهو الذي تناط به مهمة استقبال الرسل والسفراء والرحالة والحجاج الأوربيين الذين يفدون إلى القاهرة... وهو الذي يقوم بعرض ما يحملون من رسائل إلى السلطان وترجمتها إلى اللغة العربية أو التركية قبل تشرفهم بالمثول بين يديه حتى تتاح له دراستها، وهو الذي يصحبهم إلى القصر بالقلعة حيث يستقبلهم السلطان ويقوم بمهمة ترجمة الحديث المتبادل بينه وبينهم [6].

1- ابن تغري، النجوم الزاهرة، 14 / 248.
2- تاريخ حوادث الزمان أنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه، 2 / 534.
3- ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، 6 / 257.
4- المقريزي، السلوك، 7 / 182؛ ابن حجر، أنباء الغمر، 3 / 410.
5- أحمد دراج، المماليك والفرنج، ص38.
6- نفسه، ص37.

فكان كبير التراجمة في عهد السلطان برسباي (825-843هـ / 1421-1439م) مملوكاً من أصل يهودي قشتالي من مواليد اشبيلية يدعى (حايم)، وقد جاء إلى القدس مع أبيه وهو طفل، وبعد وفاة أبيه بيع في سوق الرقيق وأصبح أحد المماليك[1]، وكان يهودياً ثم أسلم، وغير اسمه من" حايم إلى صايم"[2]. كما تحدث الرحالة ميشولام بن مناحم عن مترجم يهودي آخر يحمل نفس الاسم " حايم "، وكان على دراية بسبع لغات وهي، العربية والايطالية والتركية واليونانية والألمانية والفرنسية إلى جانب اللغة العبرية، وهو يهودي هاجر من أسبانيا[3]. وأشار الرحالة اليهودي عبوديا إلى الرابي موسى جراسو (Mosses Grasso) الذي احترف مهنة الترجمة للجالية البندقية في الإسكندرية، حتى اكتسب ثقتهم وثقة العرب الذين أعطوه قدره. ولعل إتقانه للغات الأجنبية أهلته للعمل في الجمارك المصرية، وما يؤكد ذلك قول عوبديا: ((ودفعت مبلغاً كعمولة للرابي موسى جراسو مفوضاً إياه بأن ينقل متاعي من السفينة الكبيرة إلى القاهرة)) [4]. وهذا يعني أن جراسو عمل موظفاً في الإدارة المملوكية، وكان مستأمناً في التعامل مع الأجانب بما لديه من مهارة في اللغات [5].

كما كان كبير التراجمة في عهد السلطان قايتباي (901-904هـ / 1495-1498م)، والسلطان قانصوه الغوري (906-922هـ / 1500-1516م)، الأمير تغردي بردي الذي يقال إنه أحد اليهود الأسبان الذين ارتدوا عن اليهودية واعتنقوا الإسلام بعد أن انخرط في سلك المماليك [6]. وقد قبض عليه وسجن في سنة (917هـ / 1511م) لمكاتبته الفرنج بأحوال المملكة، منها عجز السلطان على تجهيز حملة بحرية، وخلو السواحل من التحصينات الحربية وبقي في السجن حتى أطلق سراحه سنة (919هـ / 1513م) [7]. وكان يقوم مقامه يونس الترجمان وهو من أصل يهودي أوربي من أحدى مدن ايطاليا [8]. وهنا يتبين مدى

1- نفسه، ص37.
2- طافور، رحلة طافور، ص65.
3- Meshullam, p.167.
4- Obadiah., pp.223.
5- السيد، اليهود في شرق البحر المتوسط، ص92.
6- دراج، المماليك، ص120 .
7- ابن إياس، بدائع الزهور، 4 / 210، 316؛ دراج، المماليك، ص147.
8- حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام، ص240.

أهمية تلك الوظيفة التي يمكن لمن يتولاها أن يمثل خطراً تجاه الدولة أو المؤسسة التي يعمل بها.

وكان لكبير المترجمين مساعدون يتولون مهمة الترجمة والإرشاد للرحالة والحجاج الأوربيين بالأماكن المقدسة، ويأتي في مقدمة هؤلاء ترجمان القدس الذي يتولى مهمة استقبالهم في يافا والقدس، واثبات شخصية كل واحد منهم في بطاقة خاصة يرسلها إلى كبير المترجمين في القاهرة ليعرضها على السلطان [1]. ومن التراجمة اليهود الذين خدموا الحجاج في الأراضي المقدسة، يذكر الرحالة بوم جارتن (Bum Garten) الذي زار القدس سنة (913هـ / 1507م) إنهم توجهوا تحت حماية اليهودي الذي كان يعمل ترجماناً لهم، والعربي الذي كان يقوم بحراستهم لكي يزوروا الأماكن المقدسة [2].

وهناك شخصية يهودية مهمة ظهرت على مسرح الإحداث بعد اجتياح التتار للعالم الإسلامي، ولم تكن تلك الشخصية أقل شأناً وتأثيراً من يعقوب بن كلس لذا ارتأى الباحث أن يفرد الحديث عنها بصورة منفصلة، وذلك الشخص هو سعد الدولة بن هبة الله اليهودي (ت 690هـ / 1291م)[3]. أصله من الموصل وكان في أول أمره دلالاً في سوق الصاغة بها فانتقل إلى العراق واشتغل بالطب وعلوم الحكمة[4]، انتظم في عداد الأطباء الذين كانوا يشرفون على علاج أفراد الأسرة الحاكمة في عهد أرغون بن أباقا (683-690هـ / 1284-1291م)، واتخذ من بغداد مقراً له[5]. وكان كثير الاختلاط بالناس، ويلم بعدة لغات، كما كان على دراية كاملة بأوضاع موظفي بغداد والعراق ومسئوليها الماليين[6].

وترجع شهرة سعد الدولة عندما مرض السلطان أرغون، ووصف له نوعاً من الدواء وشفي من مرضه[7]، وبذلك صار مقرباً إليه إذ تبين وهو في خدمته، ما في قلب الأيلخان

1- دراج، المماليك، ص37-38.
2- علي، القدس في العصر المملوكي، ص104.
3- الهمذاني، جامع التواريخ، مج2،ج2 / 139.
4- الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص239.
5- فؤاد عبد المعطي الصياد، الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، ص162-163.
6- عباس إقبال، تاريخ المغول، ص248؛ إمام شافعي محمد حمودي، موقف اليهود من الصراع الإسلامي المغولي، ص137.
7- القصبي، نفوذ اليهود في عهد المغول الايلخانيين، ص9.

من حب للمال، فذكر له ما يعرفه من إسراف عمال بغداد وتبذيرهم[1]. فأمر أرغون في سنة (687هـ / 1288م) سعد الدولة واثنين من أمراء المغول بالذهاب إلى بغداد وتحصيل بقية الضرائب، وإصلاح أحوال الرعية فيها[2]. وتمكن سعد الدولة من استحصال مبالغ طائلة من ولاية بغداد، وأودعها الخزانة العامة للدولة، وثبتت لأرغون كفاءته وخبرته وبعد نظره، وزادت ثقته به [3]، وذلك ما يؤكده ابن الفوطي بقوله: ((وأعيد أمر الأشراف بالعراق إلى سعد الدولة، وتقدم بإعادة ما أخذ من الرعية... ثم طولب ولاة الأعمال والضمناء بما عليهم من البقايا وضويقوا على ذلك، فأدوا أموالاً كثيرة))[4].

وفي أوائل جمادى الآخرة سنة (688هـ / 1289م) أسند أرغون خان إلى سعد الدولة منصب الوزارة... وقوي مركزه للغاية، وكان جاهه يسمو يوماً بعد يوم[5]. فما كان من سعد الدولة اليهودي إلا أن أعطى أقرباءه والمقربين إليه المناصب المهمة والمؤثرة في الدولة الايلخانية[6]، فرتب في العراق أخاه فخر الدولة[7]، كما عين أقاربه في حكم أكثر الولايات، إذ عين لبيد بن أبي الربيع اليهودي في بعض مناطق أذربيجان، وولى حكم فارس شخصاً آخر من أقاربه هو شمس الدولة، وأوكل مهمة الإشراف على تبريز إلى ابن عمه مهذب الدولة أبو منصور اليهودي، وكانت تربطه بسعد الدولة علاقة نسب، كما تعاون مع يهودي آخر يدعى رشيد الدولة وكانا يتوليان مع سعد الدولة أمور إدارة الأرزاق[8]. وبقي سعد الدولة بمنصبه إلى أن سنة (690هـ / 1291م) قتل سعد الدولة بعد أن اتهمه المغول بقتل أرغون بالسم[9]. وعلى الرغم مما وصل إليه اليهود من منزلة إلا أن المصادر التاريخية لم تشر إلى أية نشاطات اقتصادية لهم.

1- حسن الأمين، المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، ص260.
2- الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج2 / 139-140؛ إقبال، تاريخ المغول، ص248.
3- الصياد، الشرق الإسلامي، ص166.
4- الحوادث الجامعة، ص491.
5- الهمذاني، جامع التواريخ، مج2، ج2 / 150.
6- عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدولة المغولية في إيران، ص176.
7- ابن الفوطي، الحوادث الجامعة، ص494.
8- لؤي، تاريخ يهود إيران، 3 / 97-98.
9- الذهبي، العبر في خبر من غبر، 5 / 366؛
ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، 1 / 96.

أما اليهودي الآخر الذي تولى الوزارة في الدولة الايلخانية، فكان فضل الله بن أبي الخير بن عالي الهمذاني، المشهور برشيد الدولة (ت 718 هـ / 1317م) كان عطاراً طبيباً أسلم، ومات والده يهودياً [1]. وعن طريق عمله بالطب في بلاط اباقا خان (664-681هـ / 1265-1282م) صار يترقى شيئاً فشيئاً إلى أن عين وزيراً في عهد السلطان غازان (695-704هـ / 1296-1304م)، واستمر يتقلد أعباء هذا المنصب في عهد السلطان خدابندا (704-716هـ / 1304-1316م) وابنه السلطان أبي سعيد بهادر (716-736هـ / 1316-1335م)[2]. وكانت وفاته مشابهة لوفاة سعد الدولة، فقد أتهم بتسميم خربندا وقتله، فأمر بقتله، وحمل رأسه إلى تبريز، ونودي عليه: هذا رأس اليهودي الذي بدل كلام الله [3].

ولقد انتشر الاعتقاد بيهوديته انتشار النار في الهشيم إلى حد أنَّه بعد وفاته بقرن قام ميران شاه حاكم تبريز بنبش عظامه من مقبرة المسلمين في تبريز من اجل دفنها في مقبرة اليهود، حتى لا يظل مدفوناً في مقابر المسلمين. وخطت نهاية رشيد الدين مصير العراق وفارس، وكانت المؤشر على زوال التأثير اليهودي بشكل النهائي من الحياة العامة لعدة قرون... والتي عانى فيها اليهود من السقوط الاقتصادي والسياسي، وتمثل ذلك بنهاية سعد الدولة، ورشيد الدولة [4].

ولا بد من الإشارة إلى أنَّه كان هناك من اليهود أطباء خاصين للخلفاء والأمراء سيتم ذكرهم مع أقرانهم لاحقاً ولكون عملهم كان يشمل العامة أيضاً.

1- البرزالي، المقتفي على كتاب الروضتين، 4 / 318.
2- عباس اقبال، تاريخ إيران بعد الإسلام، ص571.
3- البرزالي، المقتفي، 4 / 318.
4- فيشل، يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية، ص143.

المبحث الثاني
الحرف (المهن) الخدمية

عاش أهل الذمة بما فيهم اليهود مع المسلمين جنباً إلى جنب، واشتركوا معهم في بناء المجتمع الجديد، وأسهموا في ازدهار الحرف أو المهن الخدمية، كالتعليم والتنجيم والصيرفة والطب وغيرها.

وقد اهتم اليهود في العالم الإسلامي بتعلم الطب، وعدوه وسيلة لكسب وللحصول على مناصب رفيعة لدى الخلفاء والحكام والأمراء، وتعلم اليهود الطب في المراكز العلمية الإسلامية على أيدي أطباء من المسلمين الذين اثبتوا جدارة وتفوق في هذا المجال وأكثروا من التأليف فيه[1]. ويظهر ذلك جلياً من خلال المصادر التاريخية التي قدمت تراجم للأطباء اليهود، ولعل من أبرزها ما أورده ابن أبي اصيبعة في كتابه " عيون الأنباء في طبقات الأطباء ".

كان علم الطب من أول العلوم التي اهتم بها الأمويون، وهو علم لا يمكن الاستغناء عنه في كل زمان ومكان لعلاج أبدانهم، وقد ظهر في العصر الأموي كثير من الأطباء [2]، وبقدر تعلق الأمر باليهود فقد برز منهم ماسرجويه اليهودي الطبيب البصري، كان إسرائيلياً في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ / 717-719م)، وربما قيل ما سرجيس، وتولى لعمر بن عبد العزيز ترجمة كتاب أهرن القس في الطب، وهو كناش [3] فاضل من أفضل الكنايش القديمة [4]. إلا أن ابن جلجل الأندلسي، قال: ((إن ماسرجويه كان يهودي المذهب سريانياً، وهو تولى في الدولة المروانية تفسير – ترجمة – كتاب أهرن بن أعين القس إلى العربية، ووجده عمر بن عبد العزيز في خزائن الكتب، فامر بإخراجه ووضعه

1- الخالدي، اليهود تحت حكم المسلمين، ص496.

2- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، ص336-337.

3- الكناش، كلمة تطلق على البحوث أو الملاحظات التي تتعلق بكل ما يخص الطب، دوزي، تكملة المعاجم العربية، 9 / 153.

4- القفطي، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص242-243.

في مصلاه، فاستخار الله في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع بـه،... فأخرجـه إلـى النـاس وبثّه في أيديهم))[1]. والراجح ما ذكره ابن جلجل لكونه يحدد مصدر معلوماته التي نقلها[2]، وكتابه يعد من أقدم المصادر التاريخية التي تحدثت عنه، وجميعهم نقل المعلومات عن ابن جلجل[3]. ويتبين أن ترجمته لكتاب أهرن كان بأمرٍ رسمي وما يؤكد ذلك أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أخرجه من خزائن الكتب.

ومن أطباء اليهود المشهورين فرات بن شحناثا اليهودي وهو ممن عاصروا الدولة الأموية والعباسية، فاضل كامل في وقته متقدم العهد، وكان تياذوق الطبيب يرفعه على تلاميذه، وكان قد شاخ وكبر وخدم الحجاج بن يوسف الثقفي (95هـ / 714 م) وهو حدث، وصحب في آخر عمره عيسى بن موسى العباسي (ت 168هـ / 784م) ولـي العهد في أيام الخليفة المنصور (136-158هـ / 753-774م)، وكان يشاوره في كل أموره ويعجبه عقله ورأيه وصواب قصده،... ومات فرات هذا في أيام المنصور، وكان عيسى بن موسى يتذكره بعد وفاته كلما وقع له شيء من الأمور التي كان ينذره بوقوعها ويقول: ((أبا فرات سقى عهدك كأنك كنت شاهداً يومنا هذا)) [4].

أما في العصر العباسي فلا يختلف عن سابقه من حيث العناية بعلم الطب، وتجدر الإشارة إلى أن مهنة الطب في العراق كانت في الغالبية العظمى بيد النصارى، إلا انه وجد عدد من الأطباء اليهود قد برزوا في مزاولتها في العراق، ولعل ما يؤيد ذلك اعتماد الخلفاء والأمراء على أطباء منهم [5].

ومن هؤلاء الأطباء فرات ابن شحناثا الذي سبق ذكره، ومنهم كذلك ابن قوسين، وكان طبيباً مشهوراً في زمانه، وله دراية بصناعة الطب، ومقامه بالموصل، كان يهودياً فاسلم، وله من الكتب مقالة في الرد على اليهود [6].

1- طبقات الأطباء والحكماء، ص61.
2- عن تحديد المصدر ينظر، ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص61-62: الهوامش (8، 9).
3- عن المصادر ينظر، القفطي، أخبار الحكماء، ص242-243: ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص232-233: ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص192-193: ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، 9 / 384-387.
4- القفطي، أخبار العلماء، ص194-195.
5- إيناس محمد جمال احمد الزيني، يهود العراق في العصر الإسلامي، ص189.
6- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص333.

واشتهر بالكوفة من أطباء اليهود موسى بن عيسى (ت 222هـ / 836م)، خدم وهو حدث عيسى بن موسى بن محمد ولي العهد[1]، وخدم كذلك أبا إسحاق إبراهيم بن المهدي (ت 224 هـ / 838م)، واختص بخدمته وتقدم عنده وله ذكر مشهور بين الأطباء، وكان قليل العلم بالطب إذا قيس بمن كان في دهره من مشايخ المتطببين، إلا أنه كان أملأ لمجلسه منهم بخصال اجتمعت منها فصاحة اللهجة مع علم النجوم ومعرفة بأيام الناس ورواية للأشعار، وكان أبو إسحاق إبراهيم يحتمله لهذه الخلال ولأنه طيب العشرة جداً يدخل في كل ما يدخل فيه منادمو الملوك[2].

وكذلك ربن الطبري يهودي من أهل طبرستان، كان حكيماً طبيباً عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة، وترجم كتباً حكمية من لغة إلى أخرى، وكان ولده علي طبيبه شهوراً انتقل إلى العراق وسكن سامراء، وربن هذا كان له تقدم في علم اليهود [3]، وكان لربن الطبري ولد هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري، أسلم على يد الخليفة المعتصم (218-227هـ / 833-841م) فقربه وظهر فضله وأدخله الخليفة المتوكل (232-247هـ / 846-861م) في جملة ندمائه[4]. وله عدد من الكتب منها، فردوس الحكمة وكتاب إرفاق الحياة وكتاب منافع الأطعمة والأشربة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة وآخر في الحجامة[5].

ومن أطباء بغداد أبو داوود بن سليمان الشريطي اليهودي (ت 300هـ / 933م) ولد ببلدة سورا، ودرس في مدرستها وله بعض الأقوال في الطب لكنه برز في التنجيم أكثر[6].

وبرز أهل الذمة ومنهم اليهود في مهنة الطب في العصر السلجوقي، لدرجة أن البعض وصف دورهم بأنه احتكار لمهنة الطب لاسيما في قصر الخلافة[7]، وعلى الرغم من المبالغة في هذا الوصف إلا أنه يشعر بمدى سيطرة أهل الذمة ولاسيما النصارى على هذه المهنة[8].

1- نفسه، ص230.

2- القفطي، أخبار العلماء، ص238.

3- نفسه، ص299-300.

4- ابن النديم، الفهرست، ص358.

5- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص414.

6- الدوميلي، العلم عند العرب، ص 452.

7- Rashad, The Abbasid, p.171.

8- يحيى أحمد عبد الهادي حسين، أهل الذمة في العراق في العصر السلجوقي، ص251.

ومما يؤكد تلك السيطرة ما ذكره الإمام الغزّالي من انتقاده للعلماء والفقهاء الذين يشتغلون في العلوم الشرعية بحجة أنها علوم الدين مع وجود الكثير من العلماء الذين يشتغلون في هذا المجال ويتركون علوم فرض الكفاية أو علوم فرض العين التي لا يوجد فيها مختصون، ويضرب لذلك مثالاً وهو علوم الطب فيقول: ((فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة، ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه، ثم لا نرى أحداً يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات)) [1]. وأشار بموضع آخر: ((ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء إليها وأقربها الطب إذ لا يوجد في أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعاً ولا يرغب أحد من الفقهاء في الاشتغال به)) [2]. إن قول الإمام الغزّالي يؤكد قلة انتشار هذه المهنة بين المسلمين وهي لا تفِ بحاجة الكثير من المدن والقرى، بعكس أهل الذمة. وبقدر تعلق الأمر بأهل الذمة فيشير الكلام أعلاه إلى مدى التسامح الإسلامي معهم وأنهم سيطروا على مهنة الطب على الرغم من مساسها بحياة الناس ولم تكن حكراً على المسلمين.

ومـا يؤكد سيطرتهم اعتماد الخلفاء والأمراء عليهم، إذ أن الكثير منهم خدموا لدى الخلفاء، حتى أن الخلفاء كانوا يصدرون أوامـر بمنع استخدام أهـل الذمـة في الوظائف الحكومية، وكان يستثنى الأطباء منهم، فالخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ / 1180-1225م)، أمر بعدم استخدام أحد من أهل الذمة في الديوان [3].

ومن أولئك الأطباء إسحاق بن شليطا اليهودي البغدادي، كان في خدمة الخليفة المطيع لله الفضل بن المقتدر (334-363هـ / 945-973م)، الذي مات في حياة المطيع[4].

والطبيب أبي الحسن بن كشكرايا الذي عمل في خدمة سيف الدولة بن حمدان (ت 356هـ / 966م) صاحب حلب، واستعمله عضد الدولة البويهي (367-372هـ / 977-982م)، وجعل رئيساً للبيمارستان العضدي ببغداد، وعاش ومات يهودياً [5].

1- إحياء علوم الدين، 1 / 21.
2- إحياء علوم الدين، 1 / 43.
3- سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، 8 / 378.
4- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص321.
5- القفطي، أخبار العلماء، ص297؛ محمد علي البار، معاملة غير المسلمين، ص141.

لكن يجب الإشارة إلى أن مهنة الطب في العصر السلجوقي، كانت غالبيتها العظمى بيد النصارى إلا انه وجد عدد من الأطباء اليهود لكنه لم يكن يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

أما الآخرون فكان من أبرزهم أوحد الزمان هبة الله بن علي بن ملكا أبي البركات البلدي (توفي نحو 560هـ / 1165م)، ولد ببلد وسكن بغداد وكان يهودياً فأسلم في أواخر عمره، وخدم الخليفة المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م)[1]، ولما مرض أحد سلاطين السلاجقة استدعاه من بغداد فتوجه إليه وخدمه إلى أن شفي من مرضه، فأعطاه العطايا الجمة من الأموال والمراكب والملابس والتحف وعاد إلى العراق على غاية ما يكون من التجمل والغنى[2].

وبلغ أبو البركات مكانة رفيعة، ولكن ذلك لم يمنع من أن يتعرض للهجاء، فقد هجاه أحدهم بقوله:

لنا طبيب يهودي حماقته
إذا تكلم تبدو فيه من فيه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة
كأنه بعد لم يخرج من التيه

ولما سمع أبو البركات ذلك علم أنه لا يبجّل بالنعمة عليه إلا بالإسلام فقوي عزمه على ذلك[3]. وفي أحد الأيام دخل إلى مجلس الخليفة فقام له جميع الحاضرين إلا قاضي القضاة لم يقم له لكونه يهودياً، فقال أبو البركات: ((يا أمير المؤمنين، إن كان قاضي القضاة لم يوافق الجماعة لكونه يراني على غير ملته فأنا أسلم بين يدي أمير المؤمنين ولا أتركه ينقصني بهذا وأسلم))[4]، وكان بعد إسلامه يتنصل كثيراً من اليهود ويلعنهم ويسبهم، وفي أحد الأيام كان يجلس في مجلس يضم بعض الأعيان والأكابر وفيهم طبيب

1- القفطي، أخبار العلماء، ص256؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 38/ 341.
2- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص210.
3- القفطي، أخبار الحكماء، ص257.
4- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص375-376.

نصراني أمين ابن التلميذ وكان بينهما عداوة فقال أبو البركات: ((لعن الله اليهود، فقال أمين الدولة: نعم وأبناء اليهود، فوجم أبو البركات عرف أنه عناه بالإشارة ولم يتكلم))[1].

عاش أبو البركات نحو ثمانين سنة، وفي آخر حياته لحقته الأمراض فأصيب بالعمى، وكان يملي على طلابه كتابه المعتبر [2].

أما السموأل بن يحيى بن عباس المغربي (توفي نحو 570هـ / 1175م)، فإن أصله من بلاد المغرب وسكن مدة ببغداد ثم انتقل إلى بلاد العجم ولم يزل بها إلى آخر عمره، وكان عالماً بصناعة الطب وفي العلوم الرياضية، وكان يهودياً ثم اسلم، بلغ في العدديات مبلغاً لم يبلغه أحد في زمانه، كما بلغ في الصناعة الجبرية الغاية القصوى، وله رسائل في الجبر والمقابلة، وأقام بديار بكر وأذربيجان[3]، وخدم البهلوان وأمراء دولتهم، وأقام بمدينة مراغة، وله أولاد ساروا على منواله في الطب، وصنف كتاباً في إظهار معايب اليهود وكذب دعاويهم في التوراة ومواضع الدليل على تبديلها وأحكم ما جمعه في ذلك، وله كتاب المفيد الأوسط في الطب صنفه سنة (564هـ / 1178م) ببغداد، وكتاب القوانين في الحساب الهندي ألفه سنة (568هـ / 1182م)، وغيرها وكانت وفاته بمراغة[4].

أما عن أطباء اليهود في باقي أقاليم الدولة العربية الإسلامية وبالذات بلاد الشام ومصر فلا يمكن فصل الحديث عن أي منها منفرداً، ولعل السبب في ذلك أنه لم تكن هناك أية عوائق أو قيود تمنع أي شخص من المسلمين أو غيرهم من أهل الذمة أن ينتقلوا من بلد إلى آخر، وكذلك إن كلا الإقليمين غالبا ما يحكمان من قبل دولة واحدة كالأيوبية وغيرها، وسيتم التطرق لهم التسلسل التاريخي وتعاقب الملوك والأمراء في تلك البلدان قدر المستطاع.

ومن أولئك الأطباء اسحق بن سليمان الإسرائيلي (توفي حوالي 320هـ / 932م) ويعرف بالإسرائيلي المصري، هاجر إلى القيروان وخدم أبا محمد عبيد الله المهدي صاحب

1- نفسه، ص376؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 38 / 342.
2- الصفدي، نكث الهيمان في نكت العميان، ص290.
3- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص471.
4- القفطي، أخبار العلماء، ص161؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 40 / 329.

افريقيا [1]، وكان عبيد الله يثق به ويأتمنه على تطبيب نفسه وعياله [2]، وكان مشهوراً بالحذق والبراعة في الطب [3]، خلف إسحاق عدة كتب في الطب وهي: كتاب الحميات، وكتاب الأغذية والأدوية، وكتاب البول [4]، وكتاب الحدة (الغضب) قدمه إلى عبيد الله المهدي الفاطمي. وكان الطبيب إسحاق جليساً لعبيد الله، يستمع إلى محاضراته وآرائه في الطب الروحي، وله كتب أخرى في الفلسفة [5].

وعائلة موسى بن العازار الإسرائيلي (ت 363هـ /973م)، وتتكون منه وابنيه الطبيب إسحاق بن موسى، وإسماعيل بن موسى، وحفيده يعقوب بن اسحق. وقد عملت هذه العائلة في زمن المعز (362-365هـ/ 972-975م)، فذكر ابن أبي اصيبعة، أن موسى وابنه إسحاق كانا يعملان في خدمة المعز لدين الله الفاطمي، وكانا من الأطباء الخاصين بالقصر، وكان إسحاق جليل القدر عند المعز ومتولياً أمره كله في حياة أبيه، واغتم المعز لموت إسحاق، لموضعه منه ولكفايته وجعل موضعه أخاه إسماعيل بن موسى وابنه يعقوب بن إسحاق وكان ذلك في حياة أبيهم موسى، ولموسى بن العازار كتب " الكتاب المعزي في الطبيخ " ألفه للمعز، و" مقالة في السعال "، جواب مسألة سأله عنها أحد الباحثين عن حقائق العلوم الراغبين جني ثمارها " كتاب الاقراباذين " [6].

ومن الأطباء في العصر الفاطمي الطبيب صقر اليهودي (ت 400هـ / 1009م) عُينَ طبيباً خاصاً للحاكم بأمر الله (386-411هـ / 996-1020م) وخلع عليه في عام (398هـ/ 1007م) خلفاً للطبيب ابن نسطاس النصراني الذي توفي عام (397هـ / 1006م). ويذكر المقريزي أن الحاكم بأمر الله كان قد أمر بحمله على بغلة تكريماً له، كما أهداه ثلاث بغلات بسروج ولجم، ومنحه أفخر الثياب، وأعطاه داراً لسكناه فرشت وزينت وعلق على أبوابها الستور، وزود بكل ما يحتاج إليه، وقدرت قيمة هدايا الحكام بأمر الله إليه عشرة آلا ف دينار[7].

1- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص479؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 8 / 269.
2- ابن جلجل، طبقات الأطباء، ص84.
3- الذهبي، تاريخ، 23 / 625.
4- نفسه، 23 / 625.
5- الحمد، دور اليهود العرب، ص259؛ الدوميلي، العلم عند العرب، ص237.
6- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص545.
7- اتعاظ الحنفا، 1 / 369، 376.

والطبيب اليهودي الحقير النافع، كان طبيباً جراحاً، حسن المعالجة، يرتزق بصناعة مداواة الجرح، وهو من أهل مصر. والحقير النافع " ليس أسمه، فابن أبي اصيبعة لم يذكر اسمه، ولكنه لقب أطلقه عليه الحاكم بأمر الله عندما عمل تركيب دواء عالج به جرح مزمن في رجله فشفي خلال ثلاثة أيام، في الوقت الذي فشل غيره من أطباءه الخاصين، فعندئذ لقبة بالحقير النافع، وقد منحه الحاكم مكافأة تقدر بألف دينار، كما خلع عليه وجعله من أطباءه الخاصين [1].

ومنهم الطبيب اليهودي أبو كثير افرائيم بن الحسن بن اسحق بن إبراهيم بن يعقوب بن الزمان، (توفي بحدود 480هـ / 1087م)، يعد من أشهر أطباء مصر وقد خدم الفاطميين [2]، فحصل له من جهتهم من الأموال والنعم شيئاً كثيراً جداً. وكان لهذا الطبيب مكتبة كبيرة تضم الكثير من كتب الطب وغيرها، وكان يعمل لديه نساخ برواتب ثابتة، منهم محمد بن سعيد بن هشام الحجري المعروف بابن ملساقة، وذكر ابن أبي اصيبعة أنَّهُ رأى عدة كتب بخطه كتبها لأفرائيم، وعليها خط افرائيم. ويشير ابن أبي اصيبعة في محادثة تمت بينه وبين أبيه، أن الطبيب افرائيم كان قد باع حوالي عشرة آلاف مجلد من الكتب التي عنده إلى رجل من العراق، كان قد أتى إلى مصر ليشتري كتباً. وعندما علم بذلك الوزير الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش (ت 515هـ / 1121م)، رفض أن تخرج هذه الكتب من مصر وان تظل بها، فبعث إلى الطبيب افرائيم بالمال الذي كان اتفق عليه مع العراقي، ليشتري الكتب بدلاً منه، وبالفعل نقلت الكتب إلى خزانة الأفضل،وكتبت عليها ألقابه، ويذكر ابن أبي اصيبعة أنه وجد كتباً كثيرة من الطبية وغيرها عليها اسم افرائيم وألقاب الأفضل أيضا [3].

وقد خلف افرائيم من الكتب ما يزيد على عشرين ألف مجلد. ومن كتبه كتاب "تعاليق ومجريات" وكان هذا الكتاب بخط الطبيب افرائيم، وذكر فيه الأمراض ومداوتها. وكتاب "التذكرة الطبية في مصلحة الأحوال البدنية"، ومقالة في التقرير القياسي على أن البلغم يكثر تولده في الصيف، والدم والمرار الأصفر في الشتاء [4].

1- عيون الأنباء، ص549.
2- لم تشر المصادر إلى أسماء الحكام الفاطميين الذين عمل لديهم. ينظر: ابن أبي اصيبعة، ص567؛ الذهبي، تاريخ، 32 / 302.
3- عيون الأنباء، ص568.
4- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص568؛ عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، 2 / 308.

والطبيب أبو الخير سلامة بن مبارك بن رحمون بن موسى كان موجوداً بحدود سنة (510هـ / 1116م)، من أطباء مصر وفضلائها وله أعمال حسنة في صناعة الطب، وذكر ابن أبي اصيبعة أن ابن رحمون كان يعتمد على كتاب (صناعة الطب) للطبيب اليهودي أفرائيم وذلك في عمله [1]. وقد اجتمع به الطبيب أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي، عندما وصل من المغرب إلى مصر حوالي سنة (510هـ / 1116م)، زمن الآمر الفاطمي (495-524هـ / 1101-1129م) وذكره ابن أبي الصلت في رسالته المصرية عندما ذكر من رآه من أطباء مصر. ومن كتبه في الطب، مقالة في خصب أبدان النساء بمصر عندما تناهي الشباب [2].

وكان قد نصب نفسه لتدريس كتب المنطق جمعها وجميع كتب الفلسفة الطبيعية والإلهية، وشرح بزعمه وفسر ولخص، ولم يكن في تحصيله وتحقيقه هنالك بل كان يكثر كلامه فيضل، ويسرع جوابه فيزل [3].

ومبارك بن أبي الخير سلامة بن مبارك بن رحمون، كانت ولادته ونشأته بمصر، وكان طبيباً فاضلاً، وله من الكتب مقالة في الجمرة المسماة بالشقفة والخزفة مختصره[4].

أما الطبيبان أبو منصور صمويل (شموئيل) ابن حنانيا (ت 554هـ / 1140م)، والآخر يعرف بابن قرقة (ت 529هـ / 1134م)، وكان خبيراً بالاستعمالات وكانا من أطباء الخاص للحافظ لدين الله الفاطمي (524-544هـ / 1129-1149م)، فكان الحافظ قد استدعاهما إليه لعمل تركيبة من السم للتخلص من ولده حسن [5]. فيذكر أن أبا منصور حضر ففاوضه الحافظ في عمل تركيبة السم " السقية القاتلة " لولده، فتحرج أبو منصور من ذلك، وأنكر معرفته وحلف برأس الخليفة وبالتوراة أنه لا يعرف شيئاً من هذا فتركه، ثم حضر ابن قرقة ففاوضه في السقية، فقال: الساعة، ولا يتقطع الجسد، بل تفيض النفس لا غير، فأحضرها في يومه وقد شربها " حسن " ومات. وبعد موت ابنه قبض الحافظ على ابن قرقة الذي عمل

1- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص569.

2- القفطي، أخبار العلماء، ص161؛ ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص568-569.

3- ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص348.

4- ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص570.

5- ابن تغري، النجوم الزاهرة، 5 / 242.

تركيبة السم، وصادر جميع أملاكه وأودعها في الديوان ثم قتله عام (529هـ / 1134م). وفي المقابل أنعم على أبي منصور وجعله رئيس اليهود، وحصلت له نعمة ضخمة [1].

إلا أن ابن الأثير انفرد في سرد هذه الحادثة بطريقة مختلفة، لاسيما أنه ذكر أن الطبيبين اللذين استدعاهما الحافظ كان أحدهما يهودي والآخر مسلم، وجعل اليهودي هو الذي يرفض عمل تركيبة السم، في الوقت الذي جعل فيه الطبيب المسلم يوافق على عملها، والغريب أن ابن الأثير يشير أن الحافظ بعد موت ولده مسموماً، أحضر الطبيب المسلم، وقال له: ((ينبغي أن تخرج من عندنا من القصر، وجميع مالك من الانعام والجامكية [2] باق عليك))، وأحضر اليهودي وزاده وقال له: ((أعلم أنك تعرف ما طلبته منك، ولكنك عاقل فتقيم في القصر عندنا)) [3].

والراجح أن الرواية الأولى التي ذكرها المقريزي وابن تغري بردي هي الصحيحة، والسبب أنهما يوردان اسمي الطبيبين، وذلك لم يورده ابن الأثير فضلاً عن أن التفاصيل لديهما أوسع مما هي لدى ابن الأثير، والأمر المهم كيف يعقل أن الحافظ يترك الطبيب المسلم حراً وهو الذي أمر بعمل تركيبة السم.

ومن الأطباء الذين خدموا في العصر الفاطمي الطبيب أبو جعفر يوسف بن احمد بن حسداي بن يوسف الإسرائيلي الأندلسي (ت 530هـ / 1135م)، قدم من الأندلس إلى مصر في حوالي سنة (516هـ / 1122م) زمن الآمر بأحكام الله (495-524هـ/ 110-1129م)، وقد اختص بالوزير المأمون محمد بن نور الدولة (ت 522هـ / 1128م) مدة أيام دولته وتدبيره للملك. ويذكر ابن أبي اصيبعة ان المأمون كان في أيام وزارته له همة عالية ورغبة في العلوم، فكان قد أمر يوسف بن احمد بن حسداي أن يشرح له كتب أبقراط إذ كانت أجل كتب هذه الصناعة، وأعظمها جدوى وأكثرها غموضاً، وكان ابن حسداي قد شرع في ذلك[4].

1- المقريزي، اتعاظ الحنفا، 3 / 153-155؛ ابن تغري، النجوم، 5 / 242 - 243.

2- الجامكية، لفظ فارسي مشتق من جامعة بمعنى اللباس، أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب. دهمان، معجم الألفاظ التاريخية، ص 51.

3- الكامل في التاريخ، 9 / 60-61.

4- عيون الأنباء، ص499.

وذكر المقريزي أنه لما قدم ابن حسداي (حسدية) من الأندلس، صار ضيفاً على الدولة، فأقطعت له داراً، وأعطي كسوة وغير ذلك، وكتب له منشوراً بذلك، ويشير المقريزي أن الطبيب ابن حسداي بعد هذا المرسوم، ((انتصب لطالبي علم الطب، وأقبل أطباء البلدين إليه، واجتمع في أيدي الناس من أماليه كثير، وجعل له يومين في الجمعة يشتغل فيهما، ويتوفر في بقية الأسبوع على التصنيف، وحمل ذلك إلى الخزائن، واستخدم كاتبين لتبييض ما يؤلفه)) (1).

وللطبيب يوسف بن حسداي من الكتب، الشرح المأموني لكتاب الإيمان لأبقراط المعروف بعهده إلى الأطباء صنفه للوزير المأمون، وشرح المقالة الأولى من كتاب الفصول لأبقراط، وتعاليق وجدت بخطه كتبها عند وروده على الإسكندرية من الأندلس، وفوائد مستخرجة استخرجها وهذبها من شرح علي بن رضوان لكتاب جالينوس إلى أغلوقن من القول على أول الصناعة الصغيرة لجالينوس، وكتاب الجمال في المنطق (2).

وفي أواخر العصر الفاطمي، الطبيب هبة الله الإسرائيلي وهو الرئيس هبة الله نثانئيل بن موسى ها – ليفي (توفي بحدود 585هـ / 1189م)) وكان مشهوراً بالطب، حسن المعالجة. وقد خدم الفاطميين بصناعة الطب، وكانت له منهم الرواتب الوافرة والصلات المتوالية (3).

والطبيب الأسعد المحلي، اسعد الدين يعقوب بن إسحاق، يهودي من مدينة المحلة من أعمال ديار مصر، وكان يقيم بالقاهرة وسافر منها إلى دمشق في أول سنة (598هـ/ 120م) وأقام بها مدة قصيرة، ثم رجع ذلك إلى مصر وتوفي بالقاهرة. وهو من المشهورين في صناعة الطب، خبير بالمداواة والعلاج، ومن كتبه، مقالة في قوانين طبية وهي ستة أبواب، وكتاب المنزه في حل ما وقع من إدراك البصر في المرايا من الشبه، ومسائل طبية وأجوبتها سألها لبعض الأطباء بدمشق وهو صدقة بن منجا السامري (ت 623هـ / 1126م)(4). والملاحظ أن هناك بعض الأطباء قد عاصروا الفاطميين ومن بعدهم الأيوبيين،

1- اتعاظ الحنفا، 3 / 94-95.
2- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص500.
3- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص580.
4- نفسه، ص583-584.

وتنقلوا ما بين مصر وبلاد الشام، ويبدو ذلك واضحاً بعد الجهود التي بذلها السلطان نور الدين زنكي (ت 569هـ / 1173م) ومن بعده السلطان صلاح الدين الأيوبي (589هـ / 1193م) في توحيد البلاد الإسلامية.

ففي مدينة حلب هناك الطبيب عفيف بن عبد القادر بن سكرة اليهودي، كان حياً سنة (584هـ / 1188م)، كان عارفاً بالطب مشهوراً بالعمل وجوده النظر، وله أولاد أكثرهم اشتغل بالطب ومقامهم بحلب، وله من الكتب مقالة في القولنج [1]. وكان ممن يعالج الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين (ت 577هـ / 1181م) من مرضه بالقولنج [2].

وممن خدم الملك الناصر صلاح الدين الموفق بن شوعة اليهودي (ت 579هـ / 1183م) بالطب عندما كان في مصر، وعلت منزلته عنده. وكان الطبيب الموفق شاعراً، ويلعب بالقيثارة. ويبدو أن علاقته بالطبيب اليهودي ابن جميع كانت سيئة ويشوبها التوتر، فقد كان يهجو ابن جميع في أشعاره ويقول:

يا أيها المدعي طباً وهندسة
أوضحت يا ابن جميع واضح الزور

إن كنت في الطب ذا علم فلم عجزت
قواك عن طب داء فيك مستور

تحتاج فيه طبيباً ذا معالجة
بمبضع طوله شبران مطرور

وكانت وفاته بالقاهرة [3].

والطبيب ابن جميع اليهودي، لقب بالشيخ الموفق شمس الرياسة، واسمه بالكامل كما أورده ابن أبي اصيبعة هو أبو العشائر، هبة الله بن زين بن حسن بن افرائيم بن يعقوب بن جميع الإسرائيلي. وهو من الأطباء المشهورين كثير الاجتهاد في صناعة الطب، وكان مولده ومنشأه في الفسطاط، خدم الملك الناصر صلاح الدين، وحظي في أيامه وكان

1- الصفدي، الوافي بالوفيات، 20 / 59.
2- ابن العديم، زبدة الحلب، ص379؛ الذهبي، تاريخ، 40 / 236.
3- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص581-582؛ الذهبي، تاريخ، 40 / 299.

رفيع المنزلة عنده، عالي القدر نافذ الأمر، يعتمد عليه في صناعة الطب. وكان الطبيب ابن جميع يقوم بتدريس الطب، فيذكر ابن أبي اصيبعة أن له مجلساً عاماً للذين يشتغلون بصناعة الطب [1].

وقد تعرض ابن جميع لنقد ابن المنجم المصري الذي كانت له أهاجي في ابن جميع، منها:

كـــذبـــت وصـــحـــفـــت فـــيـــمـــا ادعـــيـــت
وقـــلـــت أبـــــوك جـــمـــيـــع الـــيـــهـــود

ولـــيـــس جـــمـــيـــع الـــيـــهـــودي أبـــاك
ولـــكـــن أبـــــاك جـــمـــيـــع الـــيـــهـــود

كما تعرض لنقد الطبيب اليهودي الموفق بن شوعة، وقد سبق ذكرها [2].

وذكر ابن أبي اصيبعة في سياق حديثه، أن ابن جميع كان له دكان في سوق القناديل بفسطاط مصر [3]. وكلمة دكان تثير التساؤل، فابن جميع لم يشر ابن أبي اصيبعة إلى انه كان تاجراً، وربما ذلك الدكان كان عيادة يستقبل فيها مرضاه.

ولأبن جميع العديد من الكتب الطبية منها: كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد أربع مقالات، ومقالة في الليمون وشرابه ومنافعه، ومقالة في علاج القولنج واسمها الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية [4].

ومن أطباء اليهود الذين عاصروا الدولة الفاطمية في آخر عهدها، وخدم حكامها، ثم خدم بعد ذلك الملك الناصر صلاح الدين، الطبيب أبو البيان بن المدور الملقب بالسديد (ت 580هـ / 1184م)، وكان عالماً بصناعة الطب، حسن المعرفة بإعمالها، وله مجريات كثيرة وآثار محمودة. ولقد عمر أبو البيان حتى أصابه الوهن والضعف بسبب كبر سنه، فأطلق له الملك الناصر صلاح الدين في كل شهر مبلغاً من المال قدره أربعة وعشرين ديناراً

1- عيون الأنباء، ص576.
2- نفسه، ص578.
3- نفسه، ص577.
4- نفسه، ص579.

مصرياً، ويكون ملازماً بيته ولا يكلف خدمة،وبقي على هذا الحال ويصل إليه المال نحو عشرين سنة [1].

وعلى الرغم من انقطاعه في بيته إلا انه لم ينقطع عن عمله بالاشتغال في صناعة الطب، وكان لا يمضي إلى أحد لمعالجته في تلك المدة إلا من يعز عليه جداً [2]. وكذلك يقرئ الطب في داره بمصر [3].

ومن أطباء اليهود الذين جمعوا بين أكثر من وظيفة (منصب) الطبيب أبو الفضائل بن الناقد الملقب المهذب، وقد سبق الحديث عنه في المناصب الإدارية، كان طبيباً مشهوراً بالطب والكحل، أي بطب العيون، ويعده ابن أبي اصيبعة متخصصاً في الطب العيون، فيقول: ((إلا أن الكحل كان اغلب عليه)) [4].

ويستشف من كلام ابن أبي اصيبعة، مدى ارتفاع دخله من عمله بالطب، وزيادة الطلب عليه بصفته طبيباً ماهراً، ومن ثمَّ اشتهاره. فقد كان قيمة ما حصل عليه في يوم واحد يقدر بنحو ثلاثمائة درهم، وذلك ما جعله يعلق عليه بقوله: ((وهذا يدل على معاش زائد وقبول كثير)). ولأبي الفضائل من الكتب، مجرباته في الطب [5].

أما الطبيب أبو المعالي تمام بن هبة الله بن تمام اليهودي فقد كان غزير العلم، وافر المعرفة. وكان مشهوراً في الدولة، خدم بصناعة الطب الملك الناصر صلاح الدين، ومن بعده خدم أخاه الملك العادل أبي بكر أيوب (596-615هـ / 1199-1218م) ولأبي المعالي من الكتب، تعاليق ومجربات في الطب [6].

وفي مدينة حلب الطبيب أبو الفضل بن يامين اليهودي الحلبي المعروف بالشريطي (ت 604هـ / 1208م)، شارك بممارسة الطب وعالج الفقراء والمحتاجين بالمجان، وقد اشتهر بين الناس بالتنجيم والطب [7].

1- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص579-580.
2- نفسه، ص580.
3- الذهبي، تاريخ، 40 / 306؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 15 / 80.
4- عيون الأنباء، ص580.
5- نفسه، ص580.
6- نفسه، ص582.
7- القفطي، أخبار العلماء، ص313.

ومن أطباء السلطان صلاح الدين اليهود، الرئيس موسى بن ميمون القرطبي (ت605هـ / 1208م)، قال عنه ابن أبي اصيبعة: ((هو أوحد زمانه في صناعة الطب وفي أعمالها))[1]. ذكر القفطي أنَّ موسى بن ميمون أظهر الإسلام عندما كان يقيم بالمغرب، والتزم بجزئياته من القراءة والصلاة، إلى أن مكنته الفرصة من الوصول إلى مصر ومعه أهله ونزل مدينة الفسطاط بين يهودها فأظهر دينه، وسكن محلة تعرف بالمصيصة[2]. وقد خدم السلطان صلاح الدين بالطب، وكان يعالجه هو وولده الملك الأفضل علي[3].

ومن كتبه في الطب: اختصار الكتب الستة عشر لجالينوس، مقالة في البواسير وعلاجها، ومقالة في تدبير الصحة صنفها للملك الأفضل علي بن الملك الناصر صلاح الدين، مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القاتلة، كتاب شرح العقار[4].

والطبيب أوحد الدين عمران بن صدقة الإسرائيلي (ت 637هـ / 1240م)، كان مولده بدمشق في حي اليهود (حي الأمين) سنة (561هـ / 1165م)، وكان أبوه طبيباً مشهوراً، تعلم صناعة الطب على الشيخ رضي الدين الرحبي (674هـ / 1275م) وكان رئيساً لأطباء عصره في البيمارستان الكبير، وصار عمران من أكابر أطباء دمشق المعنيين بالمعالجة، ونال حظوة لدى الملوك واختص به الملك العادل أبو بكر بن أيوب، الذي حرص بأن يستخدمه في الصحبة. وكان الملك الناصر داود بن الملك المعظم (624-637هـ / 1226-1139م) صاحب الكرك، قد توعك فاستدعى عمران إليه من دمشق فأقام عنده وعالجه حتى صلح حاله، فخلع عليه ووهب له مالاً كثيراً، وقرر له راتباً شهرياً قدره ألف وخمسمائة درهم إن لأزمه في الكرك، ثم عاد إلى دمشق. وكان يتردد إلى خدمة الدولة السلطانية بالقلعة، وكان أكثر عمله بالبيمارستان الكبير يعالج المرضى به ويدرس الطلاب، وكانت وفاة الحكيم عمران في مدينة حمص سنة سبع وثلاثين وستمائة، وقد استدعاه صاحبها لمداواته[5].

1- عيون الأنباء، ص582.
2- أخبار العلماء، ص239.
3- عيون الأنباء، ص582؛ ابن شاكر، فوات الوفيات، 4 / 175.
4- ابن ابي اصيبعة، عيون الأنباء، ص583.
5- نفسه، ص696-697.

ومن الأطباء في العصر الأيوبي صدقة بن منجا بن صدقة السامري (ت 623هـ / 1126م) ولد في حران وتعلم فيها الطب والفلسفة، ثم انتقل إلى دمشق، وكان من الأكابر في صناعة الطب ومن المتميزين بين أهل الصنعة، وكان كثير الدراسة والبحث وافر العلم جيد الفهم، حسن الدراية بالفلسفة متقناً لغوامضها. وخدم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل (626-635هـ / 1228-1237م)، وكان الأشرف يحترمه غاية الاحترام ويكرمه ويعتمد عليه في المعالجة[1].

وكان للحكيم صدقة تصانيف في الطب منها كتاب النفس وفيه كثير من التعليقات الطبية ذكر فيها الأمراض وعلاماتها، وشرح كتاب الفصول لأبقراط، ومقالة في أسامي الأدوية المفردة ومقالة أجاب فيها عن مسائل طبية سأله عنها الأسعد المحلي الطبيب اليهودي[2].

وممن خدم الملك العادل أبا بكر بن أيوب، الطبيب الشيخ سديد الدين أبو الفضل داود بن أبي البيان المصري توفي بحدود (640هـ / 1242م) [3]. قال عنه ابن أبي اصيبعة: ((كان شيخاً محققاً للصناعة الطبية متقنا لها متميزاً في علمها وعملها، خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة))، وكان ابن أبي اصيبعة قد عمل معه في البيمارستان الناصري بالقاهرة، وشاهد طرقه في علاج المرضي فيقول: ((ولقد شاهدت منه حيث نعالج المرضى، ومن حسن تأنيه لمعرفة الأمراض وتحقيقها، وذكر مداواتها، والاطلاع على ما ذكره جالينوس فيها ما يعجز عن الوصف. وكان ابن أبي البيان اقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها على ما ينبغي، حتى أنه كان في أوقات يأتي إليه من المستوصفين من به أمراض مختلفة، أو قليلة الحدوث، فكان يملي صفات أدوية مركبة بحسب ما يحتاج إليه ذلك المريض من الأقراص والسفوفات والأشربة أو غير ذلك، وهي في نهاية الحدود وحسن التأليف)) [4].

وللشيخ بن أبي البيان من الكتب كتاب " الأقراباذين " وهو اثنا عشر بابا قد أجاد في جمعه، وبالغ في تأليفه واقتصر على الأدوية المركبة المستعملة المتداولة في

1- نفسه، ص717-718؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 16 / 173-175.
2- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص721.
3- الصفدي، الوافي بالوفيات، 13 / 292.
4- ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء، ص584

البيمارستانات بمصر والشام والعراق وحوانيت الصيادلة. ويذكر ابن أبي اصيبعة أنه قرأه عليه وجمعه معه. وله كذلك كتاب تعاليق على كتاب العلل والأعراض لجالينوس [1].

ومن أطباء اليهود الطبيب يوسف أبو الحجاج الإسرائيلي المغربي الفارسي، أتى إلى مصر، وكان فاضلاً في الطب والهندسة، درس الطب على الرئيس موسى بن ميمون القرطبي، ثم سافر إلى الشام وأقام بحلب، وخدم الملك الظاهر غازي (582-613هـ / 1186-1216م) وكان يعتمد عليه في الطب، توفي بحلب، وله رسالة في ترتيب الأغذية اللطيفة والكيفية في تناولها وشرح الفصول [2].

أما في العصر المملوكي فالملاحظ أن هناك استمرار لعمل اليهود في مهنة الطب، ورغم قلة عدد اليهود بالنسبة للمجتمع ككل فإنهم أدّوا دوراً كبيراً في مجال الطب وغيره من الأعمال الأخرى، فقد استعان بعض سلاطين المماليك بالأطباء اليهود فصارت لهم منزلة رفيعة ومكانة متميزة في قصور هؤلاء السلاطين [3].

وتشير إحدى الباحثات المحدثات ويفهم من بعض مصادر العصر المملوكي أن عدد الأطباء اليهود كان ضخماً بالنسبة إلى عدد اليهود في المجتمع المصري[4]، فأبن سعيد المغربي، يشير بقوله: ((إن أكثر ما تعيش به اليهود والنصارى هو جباية الخراج والطب))[5].

وذكر ابن الأخوة الذي عاش إبان القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر الميلادي، بأن المسلمين لا يعملون في مجال الطب، وان بعض البلاد خلت تماماً من الأطباء المسلمين، وليس فيها إلا طيب من أهل الذمة [6]. وما يؤكد ذلك قول احد الشعراء:

لعن النصارى واليهود لأنهم
سحروا الملوك وغيروا الأحوالا

1- نفسه، ص584.
2- الصفدي، الوافي بالوفيات، 29 / 171.
3- محاسن محمد الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص103.
4- نفسه، ص103.
5- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة، ص28.
6- معالم القربة في طلب الحسبة، 166.

وغــــــدوا أطـــبـــاء وحـــســـابـــا لـهـــم

فـتـقـاسـمـوا الأرواح والأمـــــــوالا[1].

والظاهر أن ذلك لم يكن جديداً على العصر المملوكي بل شاعت منذ عصر مبكر بدليل ما ذكره الجاحظ، أن المسلمين لا يفلحون في الطب، وكان الميل إلى الاستعانة بأطباء أهل الذمة[2]. وبقدر تعلق الأمر باليهود فقد ارتبطت هذه المهنة بهم إلى حدٍ بعيد إذ استطاعوا من خلالها التأثير الواضح على رجال البلاط، مما ترتب عليه علو مكانتهم بين أهل طائفتهم وتوليهم الإشراف على شؤونهم[3].

فتذكر المصادر المعاصرة أن بعض الأطباء اليهود كانوا في الوقت نفسه زعماء للطائفة، مثل الشيخ أبي الحسن بن الموفق بن النجم بن المهذب بن صموئيل، الذي كان طبيباً وتولى رئاسة اليهود سنة (684هـ/1285م)، وكتب له ابن المكرم كاتب الدرج الشريف تقليداً بذلك[4]. وعبد اللطيف بن إبراهيم بن شمس الذي كان يعمل طبيباً فضلاً عن كونه رئيساً لليهود[5].

ومن الأطباء الآخرين في العصر المملوكي، معافى الطبيب اليهودي (714هـ / 1314م)، ذكر البرزالي أنه كان يجلس بباب البريد بدمشق [6]، وربما كانت عيادته بالقرب من باب البريد التي عرفت بهذا الاسم نسبة إلى أحد أبواب جامع دمشق [7]. وذكر البرزالي، انه كان معروفاً بالطب مدة طويلة [8].

وعبد السيد بن إسحاق بن يحيى الحكيم الفاضل بهاء الدين المهذب (ت 715هـ / 1315م)، الطبيب الكحال يقيم بدمشق، كان يهودياً فأسلم وحسن إسلامه، وتعلم القرآن، وجالس العلماء وكان طبيباً فاضلاً، توفي سنة خمسة عشر وسبعمائة، ودفن بجبل قاسيون[9].

1- السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، ص39.
2- البخلاء، 2 / 4.
3- Mark Kohen، Jews in the Mamluk, p.436.
4- ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات، 8 / 18-21.
5- Cohen, Jews in the Mamluk, p.435-436.
6- المقتفي، 4 / 147؛ الوفيات، ص260.
7- الحموي، معجم، 1 / 306.
8- الوفيات، ص260.
9- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، 3 / 65.

واستطاع بعض اليهود أن يتولى رئاسة الأطباء كما حدث مع الحكيم شهاب الدين أحمد المغربي الأشبيلي، كان يهودياً وأسلم سنة (690هـ / 1291م) في زمن الملك الأشرف بن قلاوون (689-693هـ / 1290-1293م)، تولى رئاسة الطب بالديار المصرية [1]. وقال عنه البرزالي: ((وكان رجلاً فاضلاً يعرف الطب والمنطق وعلم الهندسة والنجوم، وكان لا يتعدى في تعليمه لفظ الكتاب، وكان اسمه في اليهود سليمان)) [2].

ومن أطباء الملك الناصر محمد بن قلاوون (709-741هـ / 1310-1340م) السديد الدمياطي اليهودي (ت 743هـ / 1342م)، ويذكر الصفدي أنه رآه في القاهرة أكثر من مرة وحضر معالجته بالطب مرات، وكان رجلاً فاضلاً ويستحضر كثيراً من كلام الأطباء، وكان سعيد العلج لم يكن في عصره مثله في العلاج[3]. ويبدو أن نساء العصر المملوكي كن يفضلن بدورهن الطبيب اليهودي عن أي طبيب آخر. بدليل ما ذكره الصفدي بقوله: ((هؤلاء نساء القاهرة إن لم يكن الطبيب يهودياً شيخاً مائل الرقبة، سائل اللعاب وإلا فما لهن إقبال عليه))، وأضاف قائلاً أنه يريد بذلك الطبيب السديد الدمياطي لأنه بهذه الصفة[4].

وممن استطاع أن يتولى رئاسة الأطباء بمصر سنة (813 هـ / 1410م)، علم الدين سليمان بن جنيبة (ت 824هـ / 1421م)، كان أبوه يهودياً، وقد نشأ سليمان هذا مسلماً، ويتكسب بمهنة الطب، واستطاع بمهارته الفائقة أن يحوز شهرة واسعة بفضل حسن معالجته للمرضى[5].

وتبين المصادر المعاصرة أن أطباء اليهود استطاعوا أن يصلوا إلى منزلة عالية، وكانت لهم مكانة رفيعة، إلى درجة أن بعض سلاطين المماليك كانوا يلجئون إليهم عند الضرورة، بل أن بعضهم صار طبيباً خاصاً لبعض سلاطين المماليك مثل السلطان الأشرف برسباي (825-841هـ / 1421-1437م) الذي كان طبيبه الخاص الريس زين الدين خضر الإسرائيلي، والسلطان خشقدم الذي اتخذ من الريس محب الدين طبيباً خاصاً له [6].

1- البرزالي، الوفيات، ص455؛ المقريزي، السلوك، 3 / 9.
2- الوفيات، ص455.
3- الوافي بالوفيات، 15/ 80؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي، 5 / 384.
4- أعيان العصر، 5 / 181.
5- المقريزي، السلوك، 7 / 49؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 14 / 235.
6- ابن إياس، بدائع الزهور، 2 / 133، 185، 452.

وبذلك يتبين مدى أهمية مهنة الطب لدى اليهود في العالم الإسلامي، من بين المهن الخدمية التي برعوا فيها وتحقق لهم من خلالها المنزلة الرفيعة لدى الخلفاء والملوك والأمراء، وكذلك تحقيق الكسب المادي.

أما عن باقي المهن الخدمية كالتعليم أو التنجيم فهذه تكاد تكون نادرة وتنصب في الجوانب الثقافية، ولم يكن لها أثر واضح على حياة اليهود الاقتصادية. أما ما يخص الصيرفة والجهبذة فقد سبق الحديث عن جزء منها وما يتعلق بها، علماً أن الباحث لم يأت بجديد فيما يخصها [1].

1- Walter Fischel, The Origin of Banking in Mediaeval Islam ; A Contribution to the economic history the Jews of Baghdad, p.569-603;

فهمي، دور اليهود، ص17-37.

المبحث الثالث
الحرف اليدوية

لقد سبقت الإشارة إلى أن جميع المهن والحرف كانت مفتوحة للمسلمين وغيرهم، وكان الناس أحراراً في اختيار المهنة التي يريدون، وكان غالبية أصحاب الحرف من الموالي وأهل الذمة، ويدخل أصحاب الحرف في غمار العامة وهم في مرتبة دنيا في المخطط الاجتماعي فكان الفقير هو العامل بيده مثل: الخياط والصباغ والاسكافي والخراز ومن أشباههم[1].

وخير تقدير لحالتهم الاقتصادية ما ذكره أبو الفضل الدمشقي: ((وأما الصنائع العملية وهي المهن فقد قيل قديماً الصناعة في الكف أمان من الفقر وأمان من الغنى، وذلك أن الصانع بيده لا يكاد كبه يقصر عن إقامة ما لا بد له منه، ولا يكاد كسبه يتسع لاقتناء ضيعة أو عقد نعمة))[2].

وكانت المهنة تعد رابطة أساسية بين أصحابها إذ يقبل اليهودي والمسيحي والمسلم بالشروط نفسها فهم يتساندون ويتعاونون ففي إحدى وثائق الجنيزة أشارت إلى مثل هذا التعاون فكان دخل العمل الذي يعمله اليهودي في يوم الجمعة يعود له، ودخل العمل في يوم السبت يعود إلى شريكه المسلم[3].

ومع أن الحرفة كانت مفتوحة للجميع من أصحاب الديانات إلا أن هناك بعض الحرف كانت فيها أكثرية من دين واحد ويعود ذلك في بعض الأحيان إلى الوراثة، فكانت الحرفة تنتقل من الأب إلى الابن ومن جيل إلى جيل آخر، وهكذا قضت الظروف لأبناء الحرف الواحدة أن يتقنوها أتقاناً تاماً وأن تبقى في العائلة نفسها[4]. وكانت بعض الصناعات

1- أبو يوسف، الخراج، ص137.

2- الإشارة إلى محاسن التجارة، ص94.

3- Goitein، A Mediterranean Society, vol.2, p.296.

4- Goitein، studies in Islamic history، p.26.

تعد عند بعض العرب البدو من الصناعات الوضيعة وأنفوا من امتهانها ونظروا إلى أصحابها نظرة دونية مثل الدلالين والحاكة والاساكفة والحجامين والحلاقين[1]. فتركزت مثل هذه الصناعات بيد اليهود[2]. وتكشف لنا أوراق الجنيزة ان اليهود عملوا في كل الحرف والصناعات تقريباً[3]. وهو الأمر الذي تؤكده المصادر العربية أيضاً. ومن أبرز تلك الحرف التي امتهنها اليهود:

- الصباغة:

كانت الصباغة من ابرز الحرف التي تركزت بأيدي اليهود حتى كادوا ينفردون بها أينما كانوا، وما يؤكد ذلك قول الجاحظ الآنف الذكر: ((ولا تجد اليهودي إلا صباغاً...))[4].

ويؤكد المقدسي الأمر نفسه عندما يتحدث عن إقليم الشام بقوله: ((وأكثر الجهابذة والصباغين والصيارفة والدباغين بهذا الإقليم يهود)) [5].

والملاحظ أن الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي أشار إلى أن اليهود كانوا يحتكرون صناعة الصباغة في المدن التي يتواجدون فيها، فذكر أن ببيت المقدس معملاً للصباغة يستأجره اليهود من ملك القدس – المريك(569-588هـ / 1162-1173م) – سنوياً فتنحصر بهم هذه المهنة دون غيرهم[6]. وفي مدينة يافا يهودي واحد صباغ[7]، وكذا الحال فيما يخص اللد والقريتين وزيرين(زرعين أو حبرين)[8]. ومن ثمَّ فإن مجمل الروايات التي أوردها بنيامين حول الصباغين من اليهود تشير إلى تمركزهم في بلاد الشام، من دون ذكره تفاصيل عنهم، ولعل السبب في ذلك يعود إلى عدة أمور منها: أنها متوارثة لدى هؤلاء اليهود المتواجدين في بلاد الشام، وكذلك وقوع المدن التي أشار إليها بالقرب من السواحل

1- الأشبيلي، المستطرف في كل فن مستظرف، ص309-310.
2- الجاحظ، رسائل، 3 / 316.
3- Goitein، A Mediterranean Society, vol.1, p.72.
4- الجاحظ، رسائل 3 / 316.
5- أحسن التقاسيم، ص183.
6- رحلة، ص126.
7- نفسه، ص136.
8- نفسه، ص122، 137، 148.

مما يسهل عملية تصدير المواد المصبوغة، وكذلك وفرة المواد الأولية التي تستعمل في تلك الصناعة، ومنها معدن النيل[1]، والوسمة وهو نوع من أنواع النيل[2].

كما مهر اليهود في الحصول على دودة القرمز، وهي حشيشة في أصلها وردة حمراء لا تنبت إلا في ثلاثة مواضع من الأرض، في ناحية المغرب بأرض الأندلس، وفي تارم من ناحية شيراز، وفي أرض فارس، ولا يعرف مواطن هذه الحشيشة إلا اليهود فكانوا يتولون قلعها في الشهر الثاني عشر من السنة الشمسية فتيبس تلك الدودة ويصبغون بها الابريسم (الحرير) والصوف[3]. وكذلك استعملوا الزعفران للصباغة باللون الأصفر، وقد اشتهرت مدينة سلمية بزراعته [4].

ونظراً لبراعة اليهود في هذه الحرفة في دول المشرق فقد ظلت مصدراً اقتصادياً مهماً لهم حتى القرن الثالث عشر للهجرة / التاسع عشر الميلادي، وقد تضمنت وثائق الجنيزة القاهرية أسماء العديد من الصباغين من العصر الفاطمي والأيوبي والمملوكي، من بينهم ميخال بن يوشع الصباغ، وجميع بن يوسف الصباغ، كما أشارت هذه الوثائق إلى اثنين من الشركاء كانا يعملان في مدينة الفسطاط بحرفة الصباغة، أحدهما يدعى افراهام الصباغ، والثاني حلفون وقد هاجر أحدهما إلى فلسطين ووكل إلى شريكه رعاية أملاكه وأسرته بالفسطاط، ونقرأ في وثائق أخرى من الفسطاط عن دار ابن الفضل الصباغ وعن يوسف الصباغ والشيخ محرز الصباغ[5].

ـ الصياغة:

وعلى الرغم من قلة الإشارات عن إسهام اليهود في حرفة الصياغة، إلا أنها تعد من أهم حرفهم، وبقدر تعلق الأمر باليهود في العالم الإسلامي، فأولى الإشارات التي أوردتها المصادر أن الصياغة كانت من أهم الصناعات التي قام بها يهود المدينة [6]، وهو ما اشتهر

1- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص174-175، 180.

2- أبو الفداء، تقويم البلدان، ص228.

3- الجاحظ، التبصر بالتجارة، ص24.

4- اليعقوبي، البلدان، ص161.

5- Ashtor، history of the Jews, vol.1, p.180.

6- الكتاني، التراتيب الإدارية، 2 / 45.

به يهود بني قينقاع وتخصصوا فيه، وكان لهم آلة خاصة لصياغة الحلي، عثر عليها المسلمون بعد جلاء بني قينقاع على بعض آلات الصياغة [1].

وكان يهود بني قينقاع يصنعون أنواعاً كثيرة من الحلي، ومنها: الأساور والدمالج[2]، والخلاخيل والأقراط والخواتم والعقود من الذهب أو الجوهر والزمرد، وعقود أظفار مجزع بالذهب[3] وقد عثر المسلمون على جميع هذه الأنواع من الحلي في كنز بني النضير الذي كانوا نقلوه معهم إلى خيبر بعد جلائهم عن المدينة ووضع المسلمون أيديهم عليه بعد فتحهم لخيبر[4].

ومن الإشارات الأخرى ما ذكره الأصفهاني، إن أحد صاغة خراسان كان يهودياً ثرياً اشترى فص ياقوت أحمر بثلاثين ألف درهم[5]. لكن ذلك لا يعني أنه كان يحترف الصياغة.

والملاحظ ندرة المعلومات عن امتهان اليهود للصياغة في العصور الإسلامية المختلفة، والسبب في ذلك أنهم يمثلون أقلية إذا ما قورنوا بغيرهم من أهل الذمة كالنصارى على سبيل المثال لا الحصر، لكن ابن الفوطي، يشير أنه في العصر العباسي كان اليهود والنصارى يمتهنون حرفة الصياغة[6]، ومن الدلائل الأخرى عن عمل اليهود بالصياغة أن سعد الدولة اليهودي، الذي سبق ذكره كان أول أمره دلالاً بسوق الصاغة بالموصل [7]، فلابد من وجود صاغة من اليهود يتعامل معهم.

أما في العصرين الأيوبي والمملوكي فقد كان معظم الصياغ من اليهود والنصارى، وكانوا يمتلكون المحلات في أسواق الصاغة في معظم مدن بلاد الشام لعرض ما تمت صناعته من المصوغات[8]. أما في مصر فقد كانت الصياغة من أهم الصناعات زمن

1- ابن سعد، الطبقات، 2 / 29.
2- الدمالج، السوار الذي يلبس في العضد للزينة. محمد رواس قلعجي وحامد صادق قنيبي، معجم لغة الفقهاء، ص 211.
3- الحلبي، السيرة الحلبية، 3 / 62.
4- الحلبي، السيرة، 3 / 62؛ سامي حمد أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي، ص204.
5- الأغاني، 16 / 223.
6- الحوادث، ص38.
7- العمري، مسالك الأبصار، 27 / 437.
8- الغزي، نهر الذهب، 1 / 94؛ السيد، القدس في العصر المملوكي، ص204؛ حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، ص107؛
Goitein, Studies in Islamic history، p.2, 1.

سلاطين المماليك، وقد أشارت وثائق الجنيزة إلى العديد من أشكال ومجموعات التحف المعدنية المزينة بالأحجار الكريمة التي وردت بصفة خاصة في قوائم جهاز العرائس وفي غيرها من الوثائق[1]. وكانت منطقة صياغة الذهب تقع على الطريق الرئيس لحي بين القصرين، كما يفهم من كتابات بعض الرحالة الذين ذكروا أيضا أن عدداً كبيراً من اليهود كانوا يعملون في صياغة الذهب وأن أعمالهم تركزت في حي الصاغة المذكور[2].

أما عن باقي حرف اليهود فقد أجمعت المصادر التاريخية أنها لا تختلف ما بين إقليم وآخر أو مدينة أو أي جزء من الدولة الإسلامية ففي العراق قد سبق ذكر كلام الجاحظ، إن اليهودي لا يكون إلا صباغاً أو دباغاً أو حجاماً أو قصاباً أو شعاباً[3]. أما في بلاد الشام فالمقدسي حددهم بمهن الجهبذة والصباغة والصيرفة والدباغة[4]. وفي أصبهان وتحديداً اليهودية فقد أشار الأصبهاني، أن اليهود مقبلين على صناعاتهم القذرة، كالحجامة والدباغة والقصارة[5] والقصابة[6].

أما في مصر وتحديداً في العصر المملوكي فيذكر الباحث اليهودي Eliyahu Ashtor، أن حرفة الخياطة مارسها اليهود بكثرة وقد وصلتنا عنها عدة إشارات مهمة من خلال وثائق الجنيزة ترجع إلى القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر الميلادي، تذكر أسماء بعض اليهود الذين احترفوا الخياطة لدى بعض أصحاب الصناعات من المصريين[7]. وفي وثائق يرجع تاريخها إلى سنة (840هـ / 1436م)، وأخرى ترجع إلى تاريخ مقارب، يحمل كل منها توقيع " أبو نصر الخياط بن محفوظ"[8].

1- Goitein, A Mediterranean Society، vol. 1,p.103-108.

2- حسن الوزان، وصف أفريقيا، ص 518: الوقاد، اليهود في مصر المملوكية، ص172.

3- رسائل، 3 / 316.

4- أحسن التقاسيم، 183.

5- القصارة (القصار)، الذي يعمل على تحوير (تقصير) الثياب، والقصار نسبة إلى الآلة المستعملة في ذلك. ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، 6 / 198.

6- تاريخ أصبهان، 1 / 36.

7- History of the Jews, vol.1, p.183-184.

8- Ashtor, the Jews and the Mediterranean, p.23-25.

ومن حرف اليهود الأخرى الامشاطي أي الذي يعمل في مجال صناعة المشاط، ولدينا قصيدة شعرية للشاعر يوسف بن تنحوم الأورشليمي يهنئ فيها صدوق بن شموئيل الديان المعروف بابن الامشاطي بمناسبة زواجه في سنة (689هـ / 1290م)، ولفظة الامشاطي تعني هنا صانع المشاط وتلك الحرفة كانت منتشرة بين يهود مصر في زمن سلاطين المماليك [1].

واحترف اليهود أيضاً صناعة الحلوى والكعك، فيذكر الفقيه المغربي ابن الحاج الذي زار مصر في القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر الميلادي، أن كثيرا من اليهود يعملون الكعك ويبخونه بالشيرج بأفواههم، وحذر المسلمين من الشراء منهم خوفاً من الدنس الموجود في فم اليهودي [2]. وأشار بموضع آخر، إن الطحانين من المسلمين كانوا يستعينون ببعض الصبية من اليهود والنصارى، للقيام بنقل الغلة من البيوت وإعادتها إليها ثانية [3]. فضلاً عن جانب انهماك اليهود بحرفة نسخ الكتب ولاسيما نسخ أوامر المشنا وتفسير التوراة ففي إحدى رسائل الجنيزة يطلب فيها شخص يهودي في الرحلة من صديقه في القدس أن يرسل إليه ببعض الكتب لأن الكتبة كانوا في الرملة قليلين [4]. وبوثيقة أخرى عبارة عن خطاب من يهودي يعمل نساخاً متجولاً في الأقاليم [5]، كما كان بعض اليهود في الإسكندرية والمحلة الكبرى يتكسبون عيشهم من نسخ الكتب [6].

1- Ashtor, History of the Jews, vol.1, p.183

2- المدخل، 1 / 287-288.

3- نفسه، 4 / 165.

4- Moshe Gil, A history of Palestine, p.232.

5- Mann, The Jews in Egypt, vol.1,p.242.

6- Ashtor, The Numbers of the Jews, pp.10,38-39.

المبحث الرابع
الصناعات

صناعة الزجاج:

تعد صناعة الزجاج من بين أهم تلك الصناعات التي مارسها اليهود، وقد تركزت معظمها في بلاد الشام، وتقدمت هذه الصناعة بصورة ملحوظة في العصر العباسي وكان للصناع اليهود دور كبير في هذه الصناعة [1]، وتخصص يهود الشام في تصنيع الزجاج والأواني الزجاجية وكانت بأيديهم معظم صناعة الزجاج [2]. ومن أهم المراكز الشامية التي اشتهرت بتصنيع الزجاج مدينة صور فقد احتفظ زجاج صور دائما بشهرتها القديمة الراجعة إلى شفافيته غير العادية [3]. وما يؤكد ذلك ما ذكره بنيامين بقوله: ((ومن بين يهود صور من يحترف صناعة الزجاج النفيس المعروف بالزجاج الصوري الشهير في العالم)) [4].

ويعود سبب شهرة الزجاج الصوري إلى مهارة الصناع وكلهم تقريباً من اليهود، وإلى جودة المواد الأولية (البوتاس المستخلص من الرماد) التي ينتجها البلد نفسه، وكان التجار يصدرون الزجاج إلى جهات بعيدة ويحصلون منه على أرباح كثيرة[5] وقد أشاد الجغرافيون بزجاج صور فالإدريسي يقول: ((وبها يعمل جيد الزجاج والفخار)) [6]. وذكر آشتور، بأن أهالي البندقية الموجودين في صور تعلموا صناعة الأواني الزجاجية الفنية وأعمال التطعيم على يد الصناع اليهود [7].

1- Goitein, Studies in Islamic history, p.26.

2- Gil, A history of Palestine, p.238.

3- هايد، تاريخ التجارة، 1 / 191؛ حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي، ص198.

4- رحلة، ص 119.

5- هايد، تاريخ التجارة، 1 / 191.

6- نزهة المشتاق، 1 / 365-366.

7- التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، ص400.

ومن المدن الشامية التي اشتهرت بصناعة الزجاج أنطاكية وفيها عشرة من اليهود يحترفون صنع الزجاج [1]. وكانت حلب من بين المراكز التي اشتهرت بصناعة الزجاج وقد تحدث القزويني عند زيارته مدينة حلب عن عجائب سوق الزجاج، التي كانت تحمل منه إلى سائر البلاد التحف والهدايا [2]، وكانت مادة المعدن التي تستخدم في عمل الأواني الزجاجية تؤخذ من جبل البشرى في جهات دير القائم الأقصى [3]، الواقع على شاطئ الفرات من الجانب الغربي في طريق الرقة من بغداد[4]. وكانت عكا بين المدن المشهورة بالزجاج [5]، كما تعاطى السامرة في نابلس صناعة الزجاج [6]. فضلاً عن ذلك أن كثيراً من هؤلاء اليهود الذين يقومون بصناعة الزجاج، كانوا يأتون إلى مصر منحدرين من السواحل الشامية (ما بين عكا وطرابلس) إذ كانت معروفة هناك منذ الأزمنة القديمة [7].

وتشير إحدى وثائق الجنيزة المؤرخة سنة (402هـ / 1011م) أرسلها ممثل التجار خلف (هلفون) بن موسى بن هارون، يخول الرابي سليمان، الذي بقي في الفسطاط لجمع مستحقات (سلال، حزم) من الزجاج، الذي كان جزءا من ملكية شراكة مع ابراهام بن حبشي وهارون بن جاكوب [8].

صناعة الحرير:

اشتغل اليهود في الأعمال الحريرية، ابتداءً من تفكيك غزله إلى نسجه وصياغته، وكانت هذه الصناعة متشعبة ذات تخصص عال، وكان اليهود منهمكين فيها في كل أقطار البحر المتوسط، وربما يرجع السبب وراء مهارة اليهود في صنع الحرير هو اتصال تجارهم المبكر مع الصين، فضلاً عن توفر تربية دودة القز في بلاد الشام [9]. ولم يقتصر عمل

1- رحلة بنيامين، ص113.
2- آثار البلاد، ص183-184.
3- الغزي، نهر الذهب، 1 / 100.
4- الحموي، معجم، 2 / 526.
5- Gil, A history of Palestine, p.238.
6- رنسيمان، الحروب الصليبية، 2 / 473.
7- سيمسنوفا، تاريخ مصر الفاطمية، ص123.
8- Gil, A history of Palestine, p.238.
9- Goitein، studies in Islamic history، p.261.

اليهود بالحرير في بلاد الشام، بل إنهم كانوا يبحثون عن المناطق ذات الظروف المناخية المؤاتية لتربية دود الحرير، فمن المعروف أن اليهود السوريين الذين قد هاجر منهم إلى الفيوم بمصر، خمسمائة يهودي قد قاموا بزراعة أشجار التوت وتربية دود القز، وذلك في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر الميلادي [1].

وتشير إحدى الباحثات المحدثات بقولها: ((ومن الواضح إن سيطرة اليهود على حرفة نسيج الحرير كانت لها علاقة بالتجار اليهود الراذانية الذين وضعوا أيديهم على تجارة غرب أوربا مع الشرق، واستطاعوا من خلال سفراتهم إلى الصين التعرف على كل مهاراتهم في هذه الصناعة)) [2]. إلا أن ذلك الكلام لا يمكن الجزم بصحته لعدة أسباب منها، أن الكلام يعمم الخاص على العام وذلك غير دقيق فاليهود في عموم بلاد الشام وغيرها أقلية، وصناعة الحرير ذات علاقة وثيقة بالعمل الزراعي، وهذا العمل كما تشير المصادر مرتبط بالمسلمين والنصارى بشكل عام [3]. وهل يعقل أن لا ينتبه أهل البلاد إلى مثل تلك الحرفة التي تدر أرباحاً كبيرة. وأمر آخر أن كتب الرحالة اليهود التي سبق إيرادها في الصفحات السابقة، لم تشر إلى سيطرة اليهود على هذه الصناعة ومنهم على سبيل المثال الرحالة بنيامين الذي زار معظم مدن بلاد الشام، وحدد عمل اليهودي الواحد المتواجد فيها كما ذكر سابقاً في مهنة الصباغة. بل إنه أشار بصورة واضحة إلى أنه أغلب يهود قسطنطينية يحترفون حياكة الأثواب الحريرية [4]. ومع ذلك لا يمكن إنكار إسهام اليهود في هذه الصناعة. وذلك ما تؤكده وثائق الجنيزة فتوضح لنا بجلاء أن اليهود قد اشتغلوا في نسج الحرير والكتان في المحلة وقليوب وبهنا العسل وشطانوف وغيرها [5]. ويذكر أن النساء اليهوديات شاركن في صناعة الحرير في جميع مراحله العملية [6].

1- سيمينوفا، تاريخ مصر، ص119.
2- سيمينوفا، تاريخ مصر، ص119.
3- عن الجوانب الزراعية في بلاد الشام، ينظر، قسطا بن لوقا البعلبكي، الفلاحة الرومية؛ ابن وحشية، الفلاحة النبطية؛ حجازي، أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي، ص177-195؛ أهل الذمة في بلاد الشام في العصر الأيوبي والمملوكي، ص90-102.
4- رحلة، ص 108.

5- Ashtor, The Numbers of the Jews, pp.10,14,33-23.

6- The Jewish Enc, vol.7, p.132.

وكانت صناعة الحرير في العصور الوسطى في الشرق على درجة عالية من الرقي، لاسيما في بلاد الشام إذ كان إنتاج الحرير وتصديره من الأنشطة المهمة، ويعرف ناسج الحرير في العربية باسم القزاز[1]، وقد أمدتنا وثائق الجنيزة بأسماء العديد من القزازين، ففي وثيقة ترجع إلى القرن الرابع للهجرة / العاشر الميلادي، ورد أسم سلامة اليهودي القزاز، وترجع الوثيقة إلى الفسطاط، وفي أخرى تعود لسنة (585هـ / 1189م)، ورد فيها اسم أبي الفضل القزاز أبو البركات. وقد ورد اسم بيت افراهام القزاز في وثيقة ترجع إلى القرن السابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي [2].

وكان يطلق عليه أحيانا اسم الحريري مثل الرابي يوسف بن الحافظ الحريري الذي أشارت إليه إحدى وثائق الجنيزة من القرن السابع للهجرة / الثالث عشر الميلادي، كما تضمنت أسئلة الرابي افراهام بن موسى بن ميمون فورده خمسة أسماء لشركاء كانوا يعملون في محل للصباغة وبيع الحرير، أما بخصوص أماكن صناعة الحرير فيبدو أنها تركزت في أماكن سكن الأقباط التي كانت تضم عدداً من اليهود، كما أشارت وثائق الجنيزة غير المؤرخة إلى بعض أماكن الغزل الخاصة بيهود الفسطاط كدار الغزل القديمة، ودار الغزل المعروفة [3].

صناعة النسيج:

أسهم اليهود في تجارة الكتان سواء داخل أقاليم الدولة الإسلامية أم خارجها وذلك ما بينته وثائق الجنيزة التي أشير إليها في الفصل الخاص بالجوانب التجارية، على الرغم من أنَّه لم يكن أقل أهمية من الحرير، إلا أنه لم يجتذب اليهود كثيراً، إلا في مراحل تصنيعة النهائية، أما نسج الكتان في مراحله الأولى فيكون من قبل سكان البلاد من النصارى [4].

أما عن مراكز صناعة النسيج فقد توزعت في مناطق عدة ولعل من أبرزها مدينة تستر فكانت تصدر منها الكثير من أنواع المنسوجات من الديباج والثياب وغيرها[5].

1- الوقاد، اليهود في مصر، ص174.

2- Ashtor، History of the Jews, vol.1, p.184.

3- Ashtor، History of the Jews, vol.1, p.180,184.

4- Goitein، Studies in Islamic history، p.261.

5- المقدسي، أحسن التقاسيم، ص416.

وبقدر تعلق الأمر باليهود فتبين وثائق الجنيزة الدور الواضح لهم في صناعة النسيج وما يتعلق بها في تستر من حيث إنتاجها أو تصديرها إلى بلدان أخرى، ومعظم تلك الوثائق كتبت في القرن السادس للهجرة / الثاني عشر للميلاد [1].

وهناك وثائق أخرى تشير إلى وجود منسوجات من الحرير تصدر من إقليم إيران، خراسان وطبرستان [2]. إلا أنها تحدد أن دور اليهود قد اقتصر على التجارة بتلك المنسوجات.

وقد أورد الجغرافيون نصاً مهماً ربط من خلاله بين اليهود والحياكة عندما تحدثوا عن مدينة أصبهان (اليهودية) وهو: ((لو أنك فتشت نسب أجل من فيهم من الثناء والتجار لم يكن بد من أن تجد في أصل نسبه حائكاً أو يهودياً)) [3].

أما في بلاد الشام فهناك العديد من الإشارات التي يمكن التوصل من خلالها إلى أسهام اليهودي في الصناعات النسيجية، فتشير أحدى وثائق الجنيزة إلى وجود حائك يهودي في بيت المقدس، يدعى هبة الله نثانال بن يوسع المقدسي، ولديه وكيل في قيسارية يرسل إليه ما ينتجه من المنسوجات لبيعها في تلك المدينة [4].

كما أهتم اليهود بنسيج القطن والصوف، ففي مدينة حلب يوجد معمل كبير لغزل القطن يدور على الماء وكان تأسيسه على يد تجار من اليهود في حدود سنة (689هـ / 1290م)[5]. وذكر الرحالة اليهودي إسحاق بن شيلو الذي زار فلسطين سنة (735هـ / 1334م) أن اليهود هناك عملوا بتجارة القطن وكانوا يقومون بنسجه وصبغه بأنفسهم، كما شاهد إثنين من أغنياء اليهود الأسبان لهم مصانع قطن في مدينة الرملة[6]. كما اشتهر يهود صفد بصنع المنسوجات الصوفية التي نشطت بقدوم المهاجرين الأسبان أثر سقوط غرناطة سنة (898هـ / 1492م)[7]. وقد اشتهرت مدينة

1- Goitein، A Mediterranean Society, vol.1,pp.50,164-165؛ Letters of Medieval, p. 37.

2- Gil, A history of Palestine, p.247؛ Goitein، A Mediterranean Society, vol.1,p103.

3- ابن الفقيه، البلدان، ص535؛ الحموي، معجم، 1 / 209.

4- Gil، A history of Palestine, p.230-231.

5- الغزي، نهر الذهب، 1 / 97.

6- Adler, Jewish Travelers, pp.135,138.

7- طه ثلجي الطراونة، مملكة صفد في عهد المماليك، ص141.

الرملة بصناعة فيها حيث تشير الكثير من وثائق الجنيزة الخاصة بعقود الزواج أن العروس تأخذ سجادة رميلة [1].

وقد أسهمت النساء اليهوديات في عمليات النسج، واعتمدت في نسج الملابس على أنواع معينة من الأقطان فكن ينسجن الملابس غالباً من الصوف أو الكتان [2]، وظهرت هناك تجمعات صناعية عديدة استخدمت النساء في صناعة النسيج [3].

صناعة السكر:

وعن عمل اليهود في صناعة السكر فلم تورد المصادر أي إسهام لهم إلا في مصر، وقد أمدتنا المصادر اليهودية والعربية بالعديد من الإشارات التي تدل على مدى حرص اليهود على القيام بهذه الصناعة[4]. وقد زودنا ابن دقماق بقائمة اشتملت على سبعة وخمسين مطبخاً (مصنع) للسكر من بينها ستة مطابخ كانت ملكاً لليهود، وأول تلك المطابخ للأمير نور الدين بن فخر الدين عثمان الذي أصبح من بعده لليهود، ومطبخ إبراهيم المشنقض اليهودي، ويقع بوسط سوق المعاريج[5]، ومطبخ ابن المسنقص اليهودي، كان بيد اليهود ومن بعدهم أصبح لنجم الدين ابن الرفعة المعروف بالطويل، ومطبخ يقع بالربع العادلي، كان بيد اليهود ثم انتقل إلى كريم الدين الكبير، وذكر ابن دقماق أنه يباع به الموز في زمنه[6].

ومطبخ سعيد اليهودي، اشتراه منه نجم الدين ابن الرفعة وعمره فندقاً [7]، ومطبخ نور الدين بن عنان [8]. وجميع تلك المطابخ بالمدينة خلال القرن الثامن للهجرة / الرابع عشر الميلادي وذلك ما أكده المقريزي [9]. لكن الملاحظ أن مطبخين منها توقفت عن إنتاج

1- Goitein، studies in Islamic history، p.266.

2- زكي شنودة، المجتمع اليهودي، ص506.

3- عطا، اليهود في العالم العربي، ص179.

4- Ashtor، History of the Jews, vol.1, p.185.

5- الانتصار، 1 / 41-42.

6- نفسه، 1 / 44.

7- الانتصار، 1 / 44.

8- نفسه، 1 / 46.

9- المواعظ والاعتبار، 2 / 170، 215.

السكر بحسب قول ابن دقماق فأحدها تحول لمحل يباع فيه الموز، والآخر حول إلى فندق وبذلك لم يتبق إلا أربعة مطابخ لإنتاج السكر لليهود، وأمر آخر أن ابن دقماق لم يبين آلية العمل في الإنتاج هل أن اليهود كانوا يقومون به بأنفسهم، أم أنهم استعانوا بأشخاص من غير اليهود، ولا نستبعد أن يكونوا تعاونوا مع غيرهم من المسلمين أو النصارى بحكم الاندماج الذي وفره الإسلام لمختلف النواحي وبما فيها الاقتصادية.

كما مهر اليهود في صناعات دقيقة مثل أقفال الأبواب والسكاكين والأمواس والإبر وعصا الكحل [1]، وغيرها من الصناعات.

1- Goitein, studies in Islamic history، p.251-258.

الخاتمة

من دراستنا في هذه الأطروحة يمكن التوصل إلى نتائج متعددة عن اليهود في المشرق الإسلامي للحقبة الإسلامية قيد الدراسة مع العلم إن كل ما ذكر في الصفحات السابقة من إسهام لليهود إنما يعود الفضل فيه للشريعة الإسلامية السمحاء التي أقرت حقوق جميع فئات المجتمع بدون أي تمييز بينهم، ولعل من أبرز تلك النتائج:

1 - إن اليهود استوطنوا في الأماكن الواقعة على الطرق التجارية المشهورة أو التي اشتهرت بأنشطتها الاقتصادية كالزراعة وغيرها في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، ولم تكن هناك أية قيود مفروضة عليهم من قبل الدولة تمنعهم من الإقامة في أي إقليم يرغبون إلا الأماكن التي حددت في الجزيرة العربية والتي سبق وأشير إليها، وذلك عكس ما كان مفروضاً عليهم في ظل الدول التي كانت قائمة قبل الدولة الإسلامية. بل يمكن القول إنه لا تكاد تخلو مدينة منهم، لكن يتباين عددهم من مدينة إلى أخرى بحكم عوامل اقتصادية ودينية وغيرها. وعلى الرغم من انتشارهم الواسع إلا أنهم لم يمثلوا سوى أقلية مقارنة بباقي فئات أهل الذمة بل إن هناك مدناً كالقدس على سبيل المثال لا الحصر كان تواجد اليهود فيها قليل جداً في العصور الإسلامية المختلفة وذلك ينفي ما ذهب إليه الكتاب المحدثين لاسيما اليهود منهم، حول أحقيتهم في بعض البلدان الإسلامية.

2 - إنَّ أولى الحرف التي مارسها الإسرائيليون كانت رعي الأغنام، بل إن حياة الرعاة كانت الحياة المثالية للمجتمع الإسرائيلي، وذلك ما تم إثباته بالأدلة التي تيسرت للباحث الإطلاع عليها وذلك الأمر عكس ما يتبادر إلى الأذهان بأن مهنتهم الرئيسة في العصور الوسطى هي التجارة وربما الأشكال الذي وقع فيه الباحثين المحدثين هو إسقاط

النصوص التاريخية التي تخص اليهود في أوربا على اليهود في العالم الإسلامي، مع أنه لا يمكن إنكار دورهم في مختلف الجوانب الاقتصادية في ظل الدولة الإسلامية بما يتناسب وحجمهم الحقيقي. وإن الإشارات التي أوردتها المصادر التاريخية حول إسهاماتهم في الجانب الزراعي كانت نادرة على العكس من النصارى، وسبب ذلك كونهم كانوا يمثلون أقلية في المجتمع الإسلامي، والأمر الأخر إنهم تأثروا بالتطور الاقتصادي الذي حدث في الدولة الإسلامية من مجتمع تغلب عليه الحياة الزراعية وما يرتبط بها إلى مجتمع ذو صبغة شملت كافة الجوانب الاقتصادية بما فيها التجارة.

3 – إن اليهود مارسوا النشاط الاقتصادي بجوانبه المختلفة كغيرهم، فعند ذكرهم يتبادر إلى الأذهان علاقتهم بالمال والتجارة، ويعتقد البعض أن التجارة كانت مهنتهم منذ العصور الغابرة، إلا أن ذلك ليس دقيقاً. لكون إن الديانة اليهودية لم تحبذ العمل بالتجارة، والسبب في ذلك أن التوراة تدعي بأن اليهود هم شعب الله المختار، وأنه يجب عليهم ألا يتعاملوا مع الشعوب الأخرى لأن اليهود يظنون أنهم أعلى درجة من غيرهم، وأصبحت تلك الفكرة أساساً لفكرة التعصب العرقي عندهم، ونشأ عن ذلك مبدأ عدم الاختلاط بغيرهم من الشعوب، ومن ثم عدم الاتجار معهم ونتيجة لذلك تكون التجارة في أضيق الحدود، بل إن سوء معاملة الدول غير الإسلامية كان له الأثر السيئ عليهم وبالتالي على اشتغالهم بالتجارة بعكس ما لاقوه من المعاملة الحسنة من المسلمين، التي كان لها الأثر الحسن عند اليهود وتشجيعهم للقيام بالأعمال التجارية. وذلك ما تؤكده النصوص التاريخية الكثيرة التي أوردناها في صفحات البحث.

4 – إن تطور الأوضاع الاقتصادية لأهل الذمة ولاسيما اليهود في الدولة الإسلامية، بدأت تتغير منذ أواخر القرن الثالث الهجري، إذ ظهر منهم التجار والجهابذة الذين لعبوا أدّواً كبيراً في الحياة الاقتصادية، وما إن جاء القرن الخامس للهجري حتى ظهرت تجارة واسعة لليهود، وكانت شركاتهم تتاجر عبر الأقطار. وأنهم شاركوا في الحركة التجارية أو الثورة التجارية كما يسميها البعض والتي بدأت في القرن (3 هـ / 9م)، وقامت طبقة برجوازية يهودية ساهمت في حركة النشاط التجاري وارتبطت مصالحها بالأقطار التي عاشت فيها وربطت مصيرها وحياتها بها، فمنهم من هاجر من المغرب إلى

مصر ، ومنهم من ظل يزاول تجارته في المغرب ، ومنهم من باشر أعماله في اسبانيا فأصبحت مصالحهم وحياتهم مرتبطة بتلك الأقطار التي تعد موطن لهم ، ولم يربطه بيهودي في قطر آخر إلا الدين ورسائلهم تتضمن الحنين على الوطن الذي يعيشون فيه ، وفيه مصالحهم ، وهو المجتمع الذي بدأ باكتساب عاداته وتقاليده وأسلوبه في الحياة ، ولم يكن هناك محاذير تمنعهم على الرغم من محاولات بعض رجال الدين اليهود لحثهم على عدم الارتباط بالأغيار .

5 – إنهم عاشوا في مدن وقرى أقاليم الدولة الإسلامية ، وتمركزوا بصورة أساسية في المدن التي تقع على طرق المواصلات المهمة البرية والبحرية على حدٍ سواء ، وكونوا فيها جاليات تجارية أدت دوراً مهما في الحركة الاقتصادية على الرغم من قلة أعدادهم التي تقيم في تلك المناطق ، وثمة سمات مشتركة بين الأقليات اليهودية المتناثرة ، هي اشتغال أعضائها بالتجارة والربا والحرف والصناعات الاستهلاكية . وكذلك فإن اليهود انتقلوا من مدنهم التي ولدوا فيها ، قاصدين أهم المراكز الاقتصادية الإسلامية كعدن والإبلة والبصرة والفسطاط والإسكندرية ، على وفق ما تقتضيه مصالحهم التجارية منها أو المالية ، إلا أن ذلك لم يكن ليحدث لولا التسامح الذي أقره الدين الإسلامي من دون التمييز بين فئات المجتمع التي تعيش على أرض الإسلام من دون النظر إلى ديانتها ، إذ عليها من الحقوق الشيء اليسير من دون أن تكلف أكثر من قدرتها ، ولها حرية التنقل من دون أية عوائق تذكر .

6 – أن محلات اليهود لم تكن منفصلة عن أسواق المسلمين وإنما هي جزء منها ، وكان لهم الحرية باختيار النشاط التجاري من بيع وشراء من دون فرض أي قيود عليهم ، إلا ما اقره الشرع بحقهم للعامل منهم بالتجارة فيؤخذ من أهل الذمة نصف العشر إذا بلغت قيمة تجارته مائتي درهم ، وإن كان قيمة ذلك أقل من مائتين لم يؤخذ منها شيء ، أو بيع وشراء المواد المحرمة في أسواق المسلمين كالخنازير والخمور .

7 – إن اليهود مارسوا مختلف الأعمال الاقتصادية وإن جميع المهن والحرف كانت مفتوحة أمامهم حالهم كحال المسلمين ، وكانوا أحراراً في اختيار المهنة التي يريدون ، مع أن غالبية أصحاب الحرف من الموالي وأهل الذمة ، ويدخل أصحاب الحرف في غمار العامة

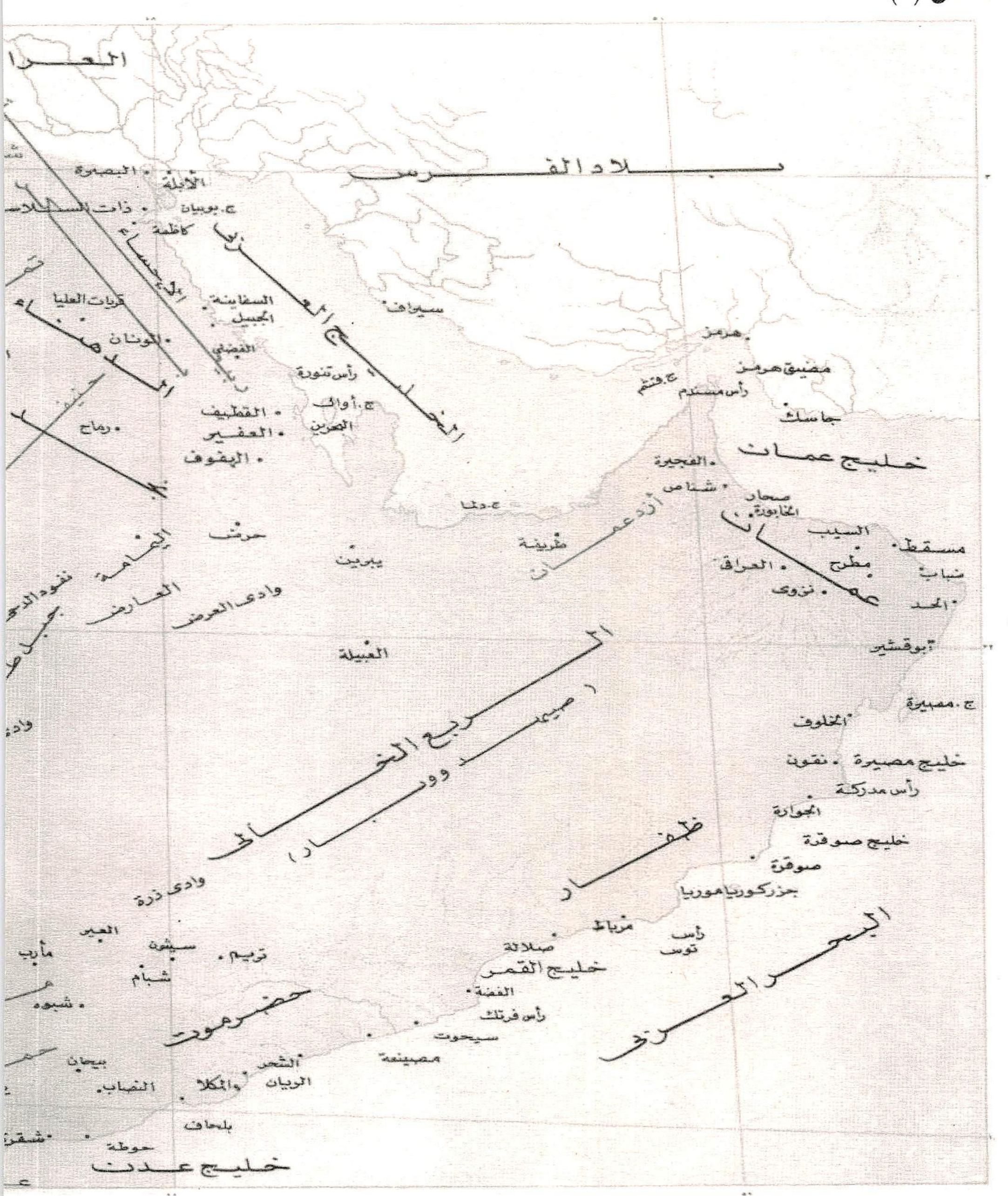
وهم في مرتبة دنيا في المخطط الاجتماعي فكان الفقير هو العامل بيده مثل: الخياط والصباغ والاسكافي وغيرها. وأنهم برزوا في بعض الصناعات لاسيما النسيج والزجاج والسكر في مصر.

وأخيرا: فهذا ما فتح الله به عليَ، وسهل لي الكتابة في هذا الموضوع، فإذا كنت قد وفقت في إلقاء الضوء على بعض الحقائق المهمة عن فئة من فئات المجتمع الإسلامي وهم اليهود، فحسبي أن القارئ يدرك ما كان عليه اليهود في ظل الدولة الإسلامية من التسامح بكل ما تحمله الكلمة من معنى، مقارنة بما يفعله اليهود في فلسطين بالوقت الحاضر. وأنفقت فيه الوقت والجهد والمال، فذلك حسبي وهو ما يبتغيه كل باحث، فإذا خانني التوفيق فحسبي أني طالب علم، وأسأل الله تعالى أن يوفقني لخدمة الإسلام والمسلمين، وأن يغفر زلاتي، ويقيل عثراتي فهو حسبي ونعم الوكيل.

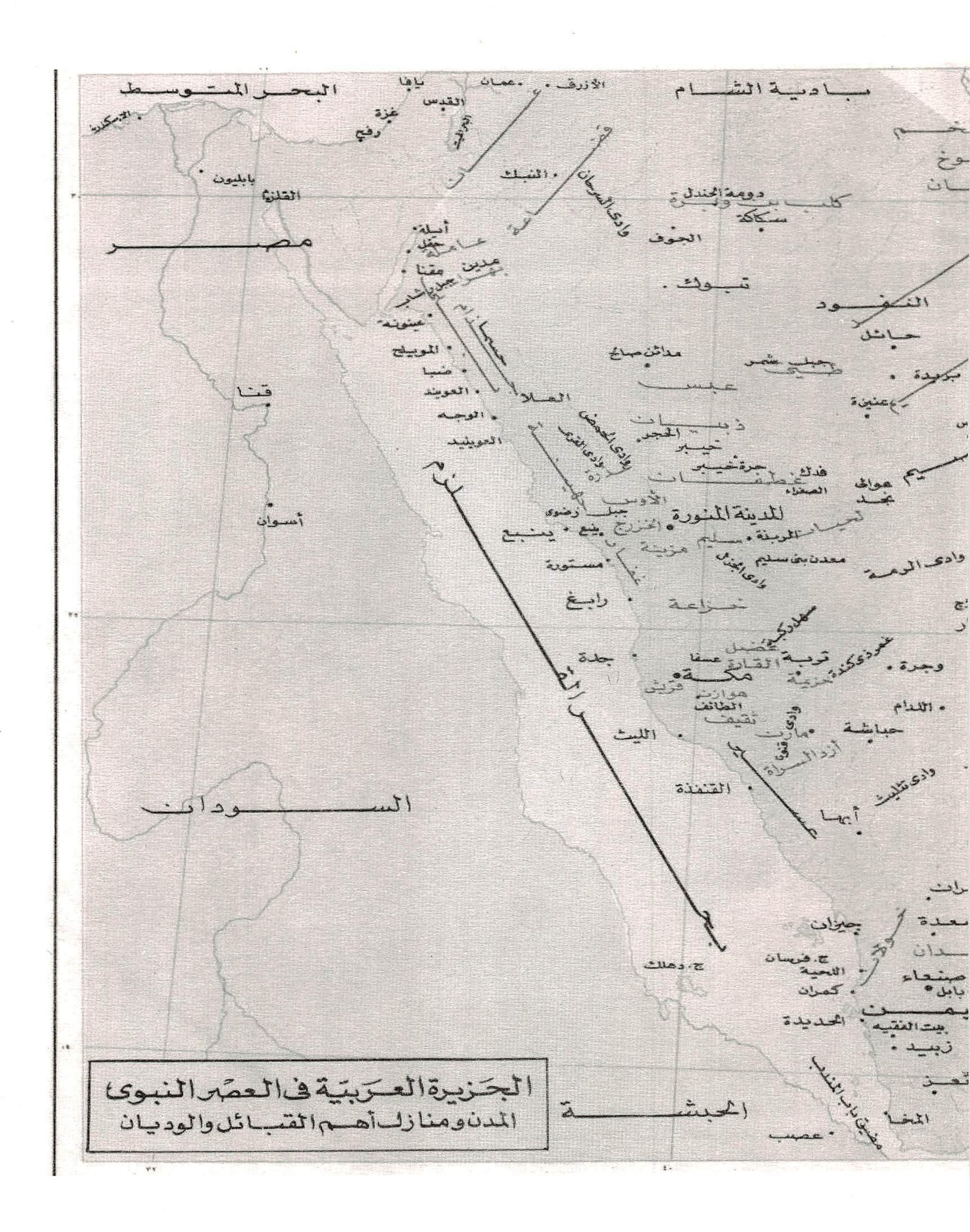
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الملاحق

الملحق (1)

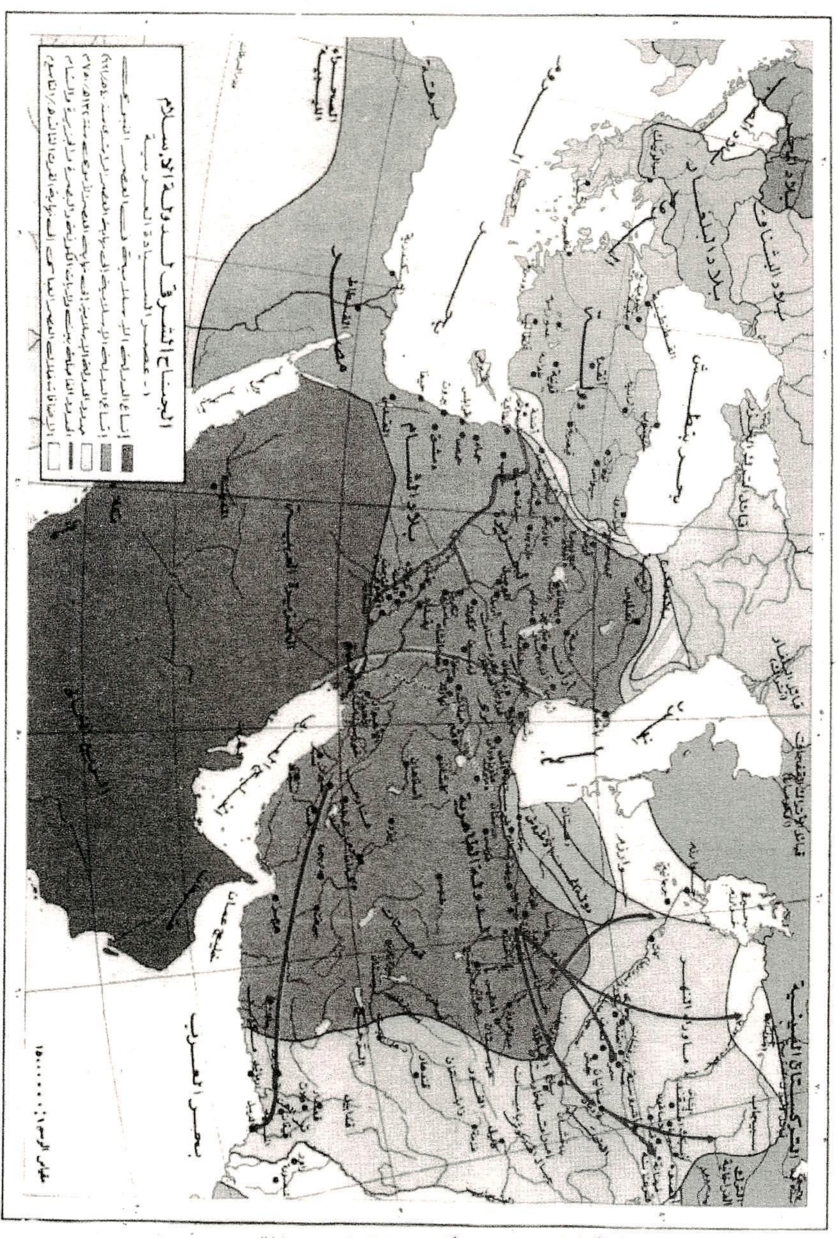


خارطة رقم (1)، حسين مؤنس، أطلس تاريخ الاسلام، (دار زهراء ط1407، 1هـ / 1987م، ص45–55



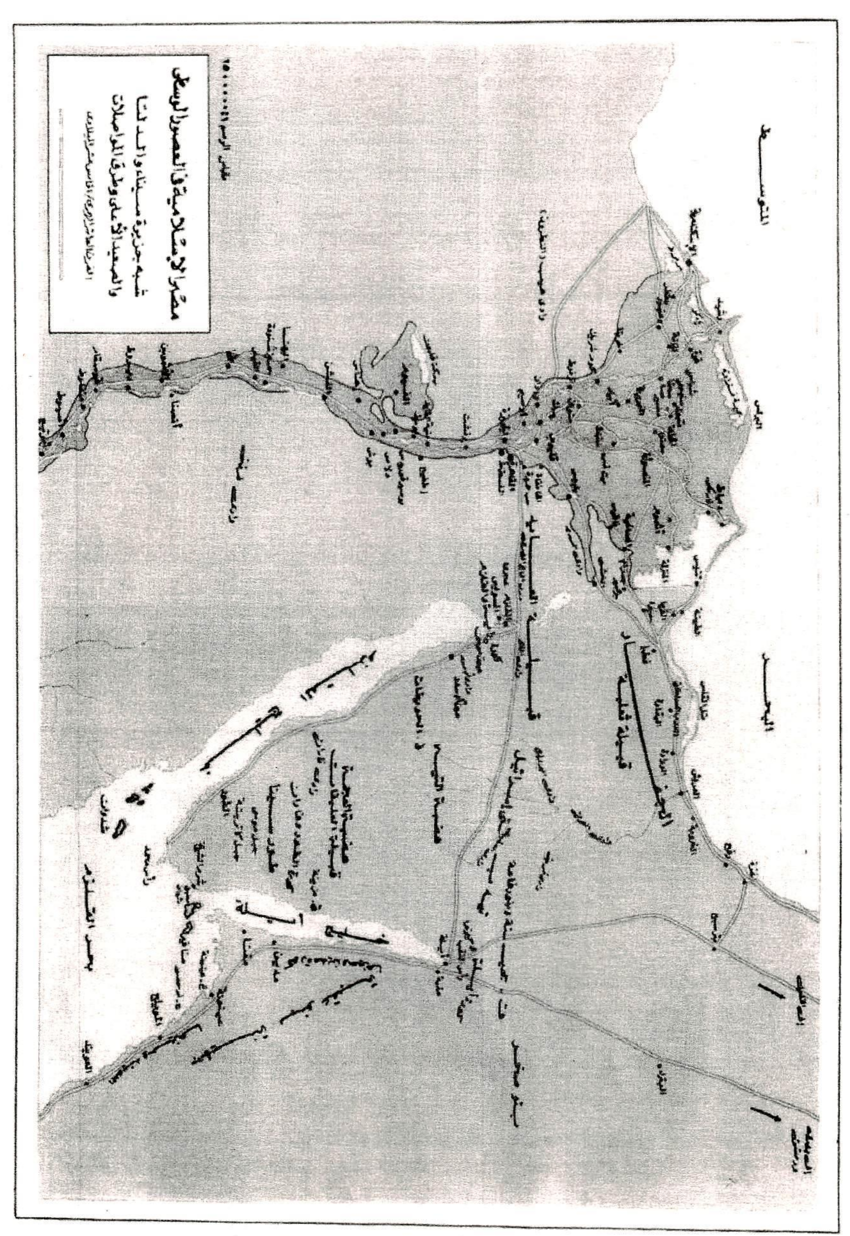
الجزيرة العربية في العصر النبوي
المدن ومنازل أهم القبائل والوديان

الملحق (2)



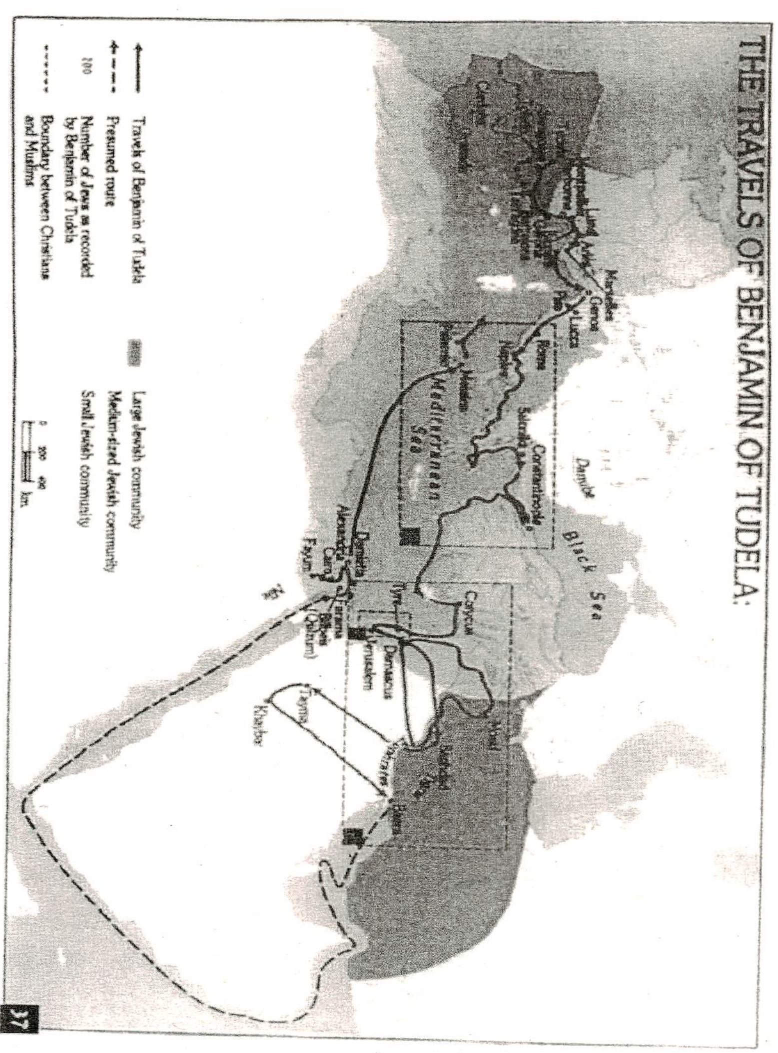
خارطة رقم (٢) ، مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٢١٦ .

الملحق (3)



خارطة رقم (٣) ، مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ص٣٢٠ .

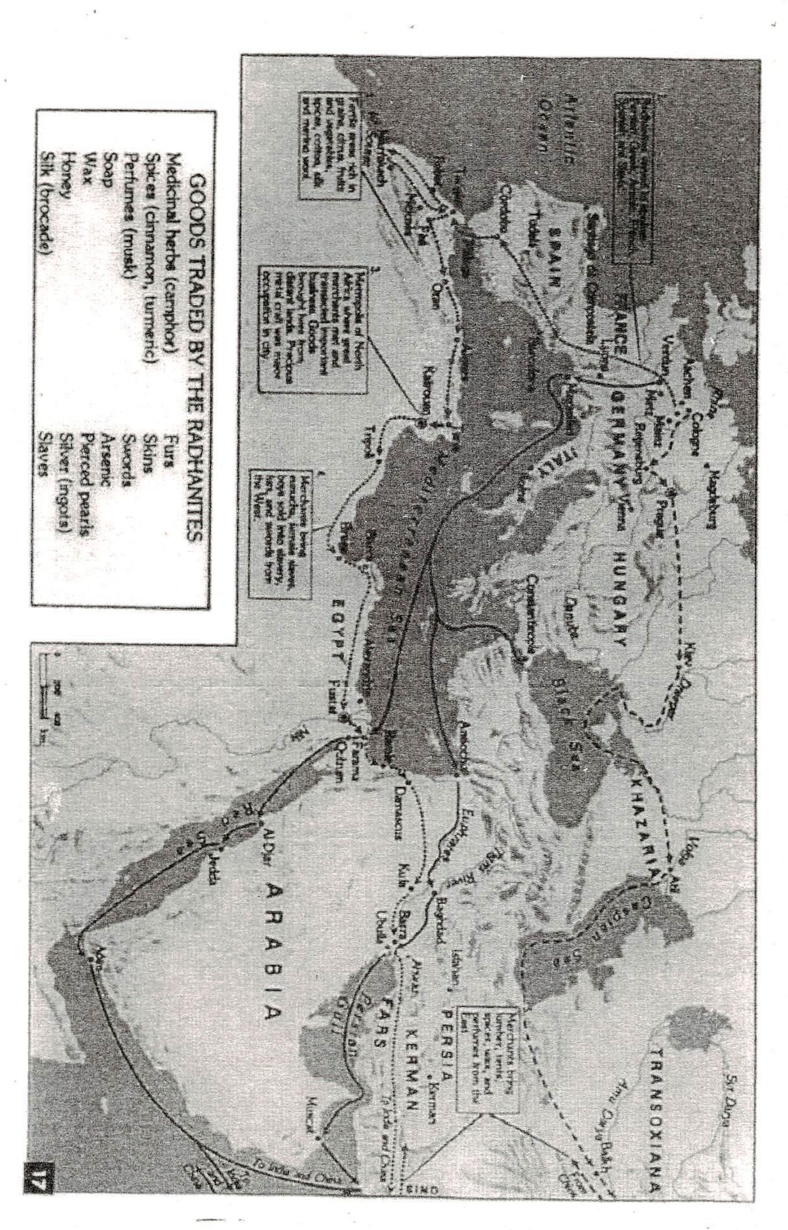
الملحق (4)



خارطة رقم (٤)

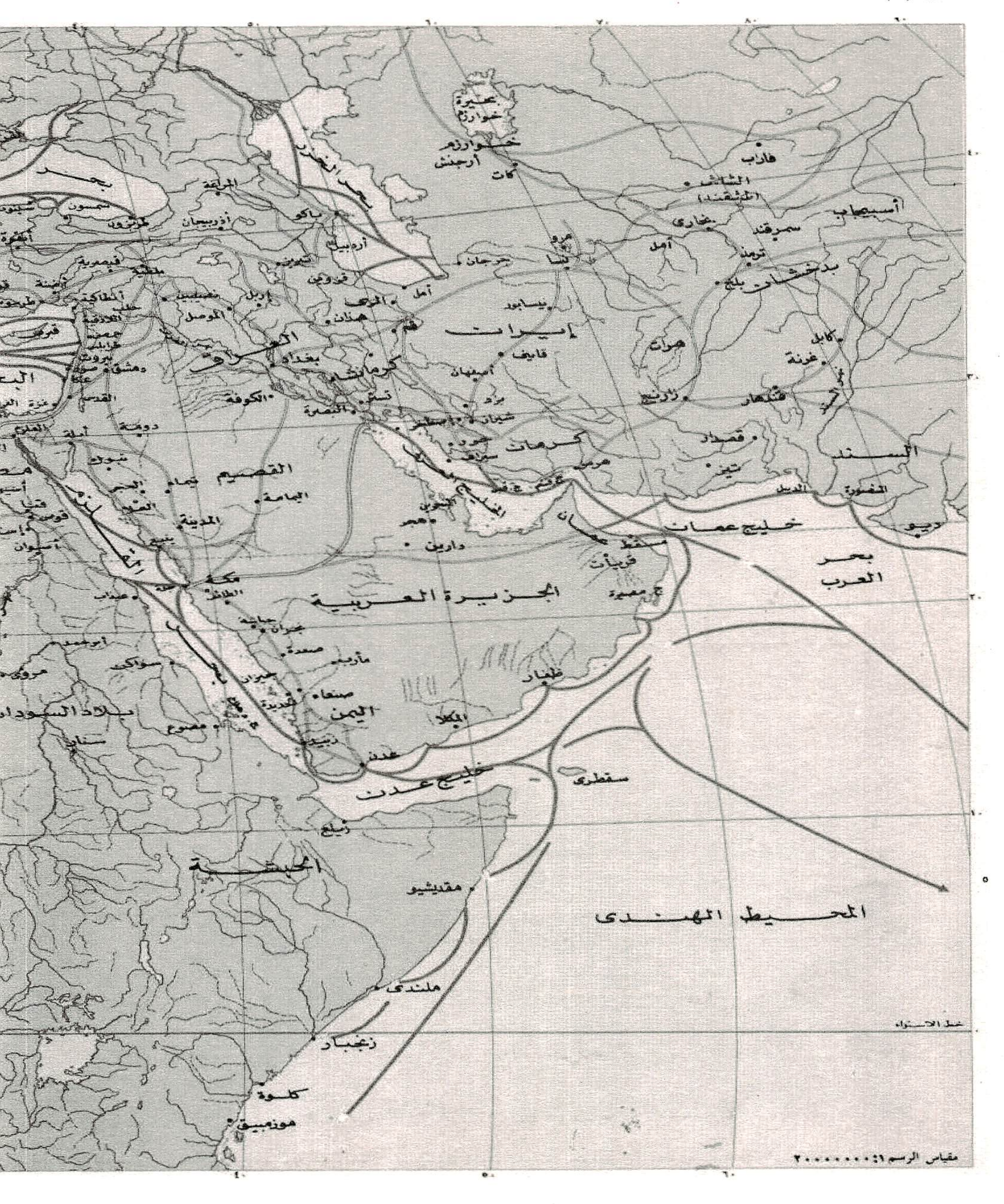
Haim Beinart , Atlas of Medieval Jewish History (Jerusalem, carta , 1992) , p.45

الملحق (5)



خارطة رقم (٥)، Beinart , Atlas ، p.26 .

الملحق (6)



خارطة (6) مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 386-387.



خريطة إقتصادية
للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى

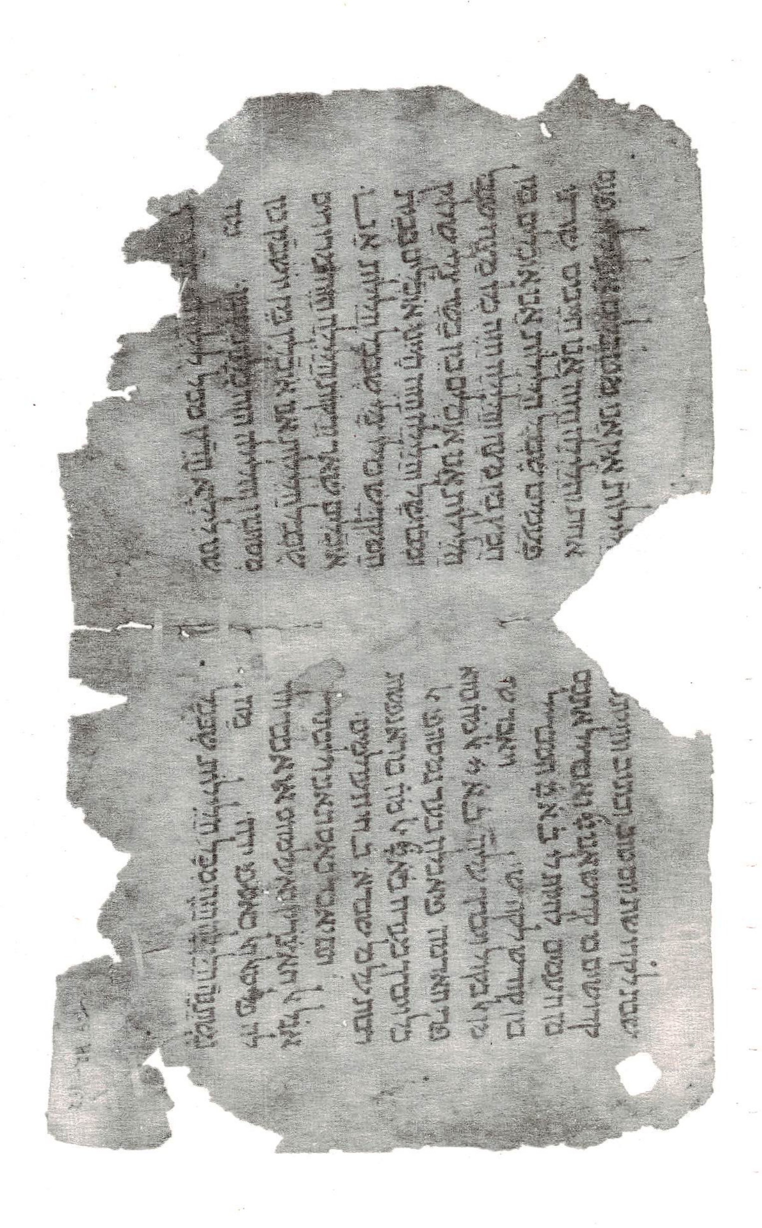
الطرق الرئيسية للتجارة البحرية فى العالم الإسلامى

الطرق الرئيسية للتجارة البرية فى العالم الإسلامى

الملحق (7)

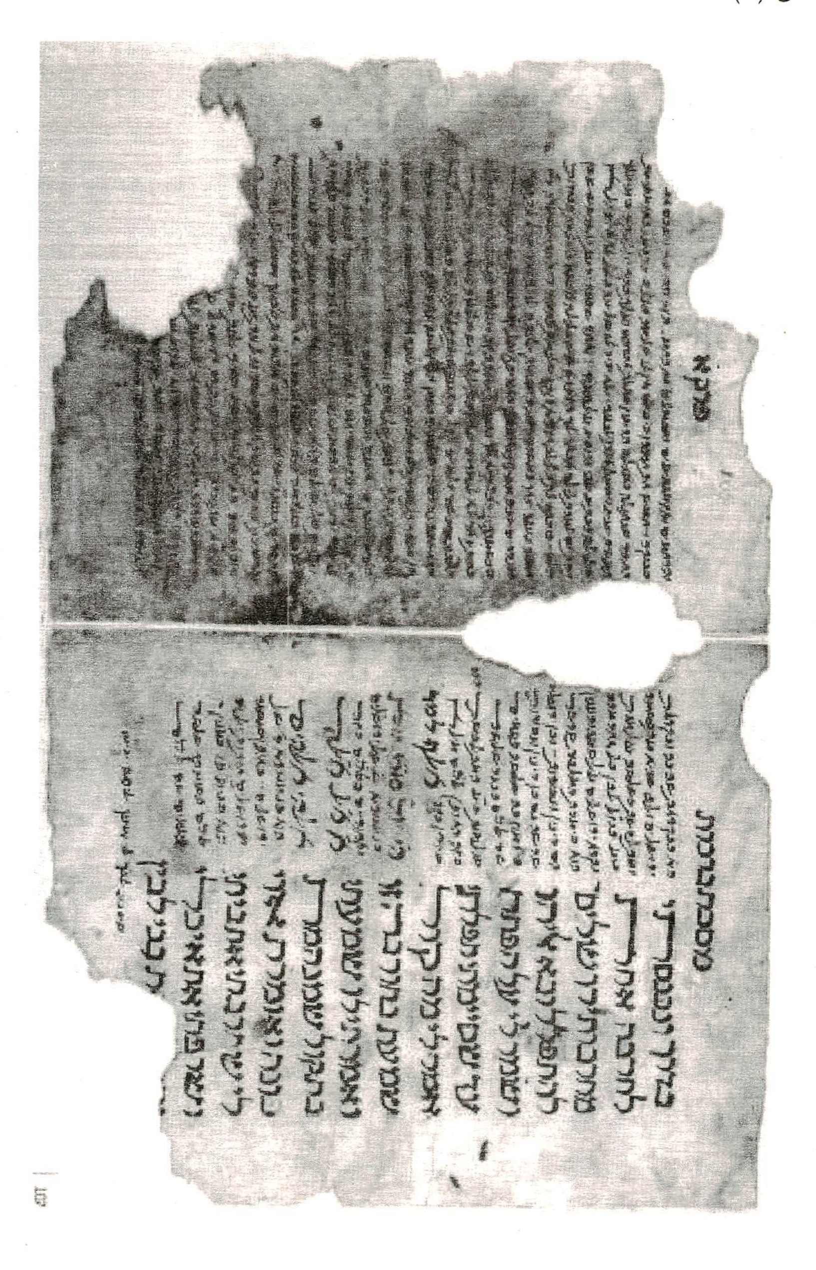
نموذج وثيقة الجنيزة (٧)

الملحق (8)



نموذج وثيقة الجنيزة رقم (٨)

الملحق (9)



نموذج وثيقة الجنيزة رقم (٩)

الملحق (10)

نموذج وثيقة الجنيزة رقم (١٠)

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

- الكتاب المقدس.

أولاً: المصادر العربية والمعربة:

- الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور (ت 852هـ / 1321م).

1 - المستطرف في كل فن مستطرف، (عالم الكتب، بيروت، ط1، 1419هـ / 1998م).

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت 630هـ / 1232م).

2 - أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد عوض، عادل احمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ / 1994م).

3 - الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417هـ / 1997م).

- ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد (ت 606هـ / 1209م).

4 - النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية، بيروت، ط1، 1399هـ / 1979م).

- ابن الأخوة، محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد (ت 729هـ / 1328م).

5 - معالم القربة في طلب الحسبة، (مطبعة المعارف، بغداد، 1407هـ / 1986م).

- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله (ت 560هـ / 1164م).

6 - نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ / 1988).

- الأصبهاني، أبي الفرج علي بن الحسن (ت 356هـ / 966م).

7 - الأغاني، تحقيق: سمير جابر، (دار الفكر، بيروت، ط2، د.ت).

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن احمد بن أسحق (ت 430هـ / 1038م).

8 - تاريخ أصبهان (أخبار أصبهان)، تحقيق: سيد كسروي حسن، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ / 1990م).

- الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد، (ت 346هـ / 957م).

9 - المسالك والممالك، (دار صادر، بيروت، 1425هـ / 2004م).

- الأصفهاني، الحسن بن عبد الله (ت 311هـ / 923م).

10 - بلاد العرب، تحقيق: حمد الجاسر، صبحي الصالح، (دار اليمامة، الرياض، ط1، 1388هـ / 1968م).

- ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت 668هـ / 1269م)

11 - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (مكتبة الحياة، بيروت، 1385هـ/1965م).

- الأعشى، ميمون بن قيس (ت 7هـ / 629م).

12 - ديوان الأعشى، (دار صادر، بيروت، 1386هـ / 1966م).

- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت 930 هـ / 1523م).

13 - بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (1403هـ / 1983م).

14 - المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1421هـ / 2000 م).

- بتاحيا، الراتسبوني (ق 6هـ / 12م).

15 - رحلة الربي بتاحيا، ترجمة ودراسة وتحقيق: فؤاد عبد الرحيم الدويكات، (دار الكتاب الثقافي، الأردن، اربد، ط1، 1431هـ-م2011م).

- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت 256هـ / 869م).

16 - الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، (دار الشعب، القاهرة، ط1، 1407هـ/ 1987م).

- البرزالي، علم الدين أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف (ت 739هـ / 1338م).

17 - المقتفي على كتاب الروضتين المعروف بتاريخ البرزالي: تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1427هـ / 2006م).

18 - الوفيات، تحقيق: أبو يحيى عبد الله الكندري، (دار غراس: الكويت، ط1، 1426هـ/ 2005م).

- ابن البطريق، سعيد (ت 328هـ / 940م).

19 - التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1327هـ/ 1909م).

- ابن بطوطة، ممد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي (ت 779هـ / 1377م).

20 - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجاب الأسفار، المعروف برحلة ابن بطوطة، (أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1417هـ / 1995م).

- البعلبكي، قسطا بن لوقا (توفي نحو 300هـ / 912م).

21 - الفلاحة الرومية، (دار البشر، 1420هـ / 1999م).

- البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل (ت 739هـ / 1338م)

22 - مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، (دار الجيل، بيروت / ط1، 1412هـ / 1991م).

- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت 487هـ / 1094م).

23 - معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، (عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ / 1982م).

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت 279هـ / 892م).

24 - أنساب الأشراف، تحقيق: سهيل زكار، رياض الزركلي، (دار الفكر، بيروت، ط1، 1417هـ / 1996م).

25 - فتوح البلدان، تحقيق نجيب الماجدي (المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ / 2008م).

- بنيامين، بن يونه التطيلي الأندلسي (ق 6هـ / 12م).

26 - رحلة بنيامين، (دار الوراق، بغداد، ط1، 1431هـ / 2011م).

- ابن تغري بردي، يوسف بن عبد الله (ت 874هـ / 1469م).

27 - المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمد أمين، سعيد عبد الفتاح عاشور، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م).

28 – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب مصر، 1963م).

– التلمحري، ديونيسيوس.

29 – تاريخ الزوقنيني (تاريخ الأزمان)، ترجمة: شادية توفيق حافظ، (المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 1429هـ / 2008م).

– التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم (ت 384هـ / 994م).

30 – نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الثالجي (د.م، 1391هـ / 1971م).

– ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام (ت 728هـ / 1327م).

31 – الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق: علي حسن وآخرون، دار العاصمة، السعودية، ط2، 1419هـ / 1999م).

– الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور (ت 429هـ / 1037م)

32 – ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، (دار المعارف، القاهرة، د.ت).

33 – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قمحية (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ / 1983م).

– الثقفي، سليمان بن يحيى

34 – سيرة الإمام احمد بن سليمان (532–566هـ)، تحقيق: عبد الغني محمود عبد العاطي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2002م).

– الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان (ت 255هـ / 868م).

35 – التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب التونسي، (مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1414هـ / 1994م).

36 – رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ/ 1964م).

– الجارود، عبد الله بن علي (ت 307هـ / 919م).

37 – المنتقى من السنن المسندة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ / 1995م)

- ابن جبير، محمد بن احمد (ت 614هـ / 1217م).

38 - رحلة ابن جبير، تحقيق: حسين نصار، (دار مصر لطباعة، ط2، 1413هـ / 1992هـ).

- ابن الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم (ت 738هـ / 1337م).

39 - تاريخ حوادث الزمان ووفيات الأكابر والأعيان، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1426هـ / 2006م).

- ابن جلجل، أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت بعد 384هـ / 994م).

40 - طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ / 1985م).

- الجهشياري، أبي عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ / 942م).

41 - الوزراء والكتاب، تحقيق: حسن الزين، (دار الفكر الحديث، بيروت، 1408هـ / 1988م).

- ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ / 1200م).

42 - المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412هـ / 1992).

- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، (ت 393هـ / 1002م).

43 - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ / 1987م).

- ابن الحاج، أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد، (ت 737هـ / 1336م).

44 - المدخل، (دار الفكر، بيروت، 1401هـ / 1981م).

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد (ت 405هـ / 1014م).

45 - المستدرك على الصحيحين، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ / 1990 م).

- ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت 354هـ / 965م).

46 - الثقات، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط1، 1393هـ / 1973م).

- ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (ت 837هـ / 1433م).
47 – خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، (دار ومكتبة الهلال، دار البحار، بيروت، ط1، 1425هـ / 2004م).

- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد (ت 852هـ / 1448م).
48 – إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق: حسين حبشي، (لجنة أحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ / 1969م).
49 – تهذيب التهذيب، (مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط1، 1326هـ / 1908م).
50 – الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط2، 1392هـ / 1972م).
51 – فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار المعرفة، بيروت، 1379هـ / 1959م).

- ابن حزم الظاهري، أبو محمد علي بن احمد بن سعيد (ت 456هـ / 1063م).
52 – المحلى بالآثار (دار الفكر، بيروت، د.ت).

- الحكمي، نجم الدين عمارة ابن أبي الحسن عمارة اليمني (ت 569هـ / 1173م).
53 – تاريخ اليمن، تحقيق حسن سليمان محمود، (مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط2، 1430هـ/ 2009م).

- الحلبي، علي بن إبراهيم بن أحمد (ت 1044هـ / 1634م).
54 – السيرة الحلبية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1427هـ / 2006م).

- الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ / 1228م).
55 – معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ط1، 1416هـ / 1995م).

- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، (ت 900هـ / 1494م).
56 – الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ط2، 1401هـ / 1980م).

- الحميري، نشوان بن سعيد (ت 573هـ / 1177م)
57 – شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين عبد الله العمري وآخرون، (دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ط1، 1420هـ / 1999م).

- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت 241هـ / 855م).

58 – مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ / 2001م).

- ابن حوقل، محمد أبو القاسم محمد (ت 367/ 977م)

59 – صورة الأرض، (دار صادر أفست لندن، بيروت، 1357هـ / 1938م).

- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (ت نحو 400هـ / 1009م).

60 – الإمتاع والمؤانسة، (المكتبة العصرية، بيروت، 424 هـ / 2003م)

- ابن خرداذبه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت 280هـ / 893م).

61 – المسالك والممالك، (دار صادر، أفست ليدن، بيروت، 1307هـ / 1889م).

- الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي، (ت 463هـ / 1070م).

62 – تاريخ بغداد (مدينة السلام)، (دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت).

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ / 1406م).

63 – المقدمة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 1427هـ / 2006م).

- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت 681هـ 1282م)

64 – وفيات العيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس (دار صادر، بيروت، ط1، 1391هـ / 1971كم).

- الخوارزمي، محمد بن أحمد بن يوسف (ت 387هـ / 997م).

65 – مفاتيح العلوم، تحقيق: إبراهيم الابياري، (دار الكتاب العربي، ط2، د.ت).

- ابن خياط، أبو عمرو خليفة، (ت 240هـ / 854م).

66 – تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: أكرم ضياء العمري، (دار القلم، دمشق، ومؤسسة الرسالة، بيروت ط2، 1397هـ / 1976م).

-ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد (ت 808هـ / 1405م).

67 – الانتصار لواسطة عقد الأمصار، (المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د.ت).

- الدمشقي، أبي الفضل جعفر بن علي (ت 850هـ / 1446م)
68 - الإشارة إلى محاسن التجارة، تحقيق: بشرى الشوربجي، (الإسكندرية، ط1، 1397هـ/ 1977م).

- الدواداري، أبي بكر عبد الله بن أيبك (ت 732هـ / 1331م)
69 - الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (المعهد الألماني للآثار الإسلامية، القاهرة، 1961م).

- الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري (725هـ / 1325م).
70 - زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد س. ريتشاردز، (المهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ط2، 1431هـ / 2010م).

- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ / 1347م).
71 - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413هـ / 1993م).

- الرازي، أحمد بن عبد الله بن محمد الصنعاني (ت 460هـ / 1068م)
72 - تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق: حسين عبد الله العمري، (دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ط3، 1409هـ / 1989م).

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت 606هـ / 1209م)
73 - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ / 1999م).

- ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد (ت 795هـ / 1392م).
74 - الاستخراج لأحكام الخراج، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1405هـ / 1985م)

- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، (ت 1205هـ / 1790م).
75 - تاج العروس من جواهر القاموس، (دار الهداية، مصر، 1307هـ / 1889م).

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ / 1143م).
76 - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ / 1986م).

- ابن زنجويه، أبو احمد حميد بن مخلد (ت 251هـ / 865م).

77 - كتاب الأموال، تحقيق: شاكر ذيب فياض، (مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط1، 1406 هـ/ 1986 م).

- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف قزاوغلي (ت 654هـ / 1256م).

78 - مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، (دار المعارف العثمانية: حيدر آباد، 1370هـ / 1951م).

- السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت 756هـ / 1355م).

79 - فتاوى السبكي، (دار المعارف، مصر، د.ت).

80 - معيد النعم ومبيد النقم، تحقيق: محمد فتحي النادي (دار العلياء، القاهرة، 2008م).

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت 902هـ / 1496م).

81 - التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى (دار الكتب والوثائق، القاهرة، 1423هـ / 2002م).

- ابن سعد، أبو عبد الله محمد (ت 230هـ / 844م).

82 - الطبقات الكبرى، (دار صادر، بيروت، د.ت).

- ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي بن موسى (685هـ / 1286م).

83 - الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، (المكتب التجاري، بيروت، ط1، 1970م).

- ابن سلام، أبو عبد القاسم بن عبد الله الهروي (ت 224هـ / 838م).

84 - الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (دار الفكر، بيروت، د.ت).

- السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد (ت 911هـ / 1505م).

85 - وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ / 1998م).

- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت 581هـ / 1185م).

86 - الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000م).

- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت 458هـ / 1065م).

87 - المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000 م).

88 – المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ / 1996م).

– السيرافي، أبو زيد حسن بن يزيد (ت330هـ / 941م).

89 – رحلة السيرافي، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1420هـ / 1999م).

– السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ / 1505م).

90 – حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1430هـ / 2009م).

91 – الخصائص الكبرى، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).

– الشابشتي، أبي الحسن علي بن محمد (ت 388هـ / 998م).

92 – الديارات، تحقيق: كوركيس عواد، (دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1406هـ / 1986م).

– أبي شاكر، بطرس بن أبي الكرم بن المهذب (ت 681هـ / 1282م).

93 – تاريخ أبي شاكر المعروف بابن الراهب، عني بنشره لويس شيخو، (مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1321هـ / 1903م).

– ابن شاكر الكتبي، محمد بن أحمد (ت 764هـ / 1363م).

94 – عيون التواريخ، تحقيق / فيصل السامر، نبيلة عبد المنعم داود، (دار الرشيد، بغداد، 1401هـ / 1980).

95 – فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط1، 1394هـ / 1974م).

– أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (665هـ / 1266م).

96 – الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ / 2002م).

– ابن شبه، عمر (ت 262هـ / 875م).

97 – تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، (جده، 1399هـ / 1285م).

98 – الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، ج1 ق1، تحقيق: دومينيك سورديل، (المعهد الفرنسي، دمشق، 1953م) ج2 ق1، تحقيق سامي الدهان، (المعهد الفرنسي، دمشق، 1956م).

- ابن الشعار الموصلي، كمال الدين ابي البركات المبارك (ت 654هـ / 1256م).

99- قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، تحقيق كامل سليمان الجبوري، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ / 2005م).

- ابن أبي شيبه، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت 235هـ / 849م).

100 - مصنف أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (مكتبة ارشد، الرياض، ط1، 1409هـ / 1988م).

- الصابي، أبو الحسن الهلال بن الحسن (ت 448هـ / 1056م).

101 - تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (مكتبة الإيمان، د.ت)

- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ / 1374م).

102 - أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: علي أبو زيد وآخرون (دار الفكر المعاصر، بيروت / دار الفكر، دمشق، ط1، 1418هـ / 1998م).

103 - نكث الهميان في نكت العميان، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دا ر الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ / 2007م).

104 - الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ / 2000م).

- ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي (ت 542هـ / 1147م).

105 - الإشارة إلى من نال الوزارة، (الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1411هـ / 1990 م).

- الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله (ت 335هـ / 946م).

106 - أخبار الراضي بالله والمتقي لله، تحقيق: ج هيوث دن، (مطبعة الصاوي، مصر، 1354هـ / 1935م).

- طافور، خوان دياز.

107 - رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي، ترجمة: حسين حبشي، (دار المعارف، مصر، 1388هـ / 1968م).

- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير (ت 360هـ / 970م).

108 - المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد الحميد السلفي، (مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، 1415هـ / 1994م).

- الطبري، محمد بن جرير (310هـ / 922م).

109 – اختلاف الفقهاء، (دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت).

110 – تاريخ الرسل والملوك، (دار التراث، بيروت، ط2، 1387هـ / 1967م).

111 – جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1420هـ / 2000م).

- الطوسي، نظام الملك (ت 485هـ / 1088م).

112 – سير الملوك (سياست نامه)، (دار المناهل، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ / 2007م).

- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه (ت 953هـ / 1546م).

113 – مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق: خليل منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ / 1998 م).

- ابن العبد، طرفة بن سفيان بن سعد (ت 564م).

114 – ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1423هـ / 2002م).

- ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت 463هـ / 1070م).

115 – بهجة المجالس وانس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1402هـ / 1981م).

116 – الدرر في اختصار المغازي والسير، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ / 1999م).

- ابن عبد الحكم، أبو محمد عبد الله المصري (ت 214هـ / 829م).

117 – سيرة عمر بن عبد العزيز، تحقيق: أحمد عبيد، (عالم الكتب، بيروت، ط6، 1404هـ / 1984م).

- ابن عبد الحكم، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله (257هـ / 870م).

118 – فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد الحجيري، (دار الفكر، بيروت ن ط1، 1416هـ / 1996م).

- ابن العبري، غريغوريوس بن أهرون بن توما (ت 685هـ / 1286م).

119 – تاريخ مختصر الدول، تحقيق: أنطوان صالحاني، (دار الرائد، لبنان، ط2، 1415هـ / 1994م).

- ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت 660هـ / 1261م).

120 – بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، دمشق، د.ت).

121 – زبدة الحلب في تاريخ حلب (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ / 1996م).

- العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي، (ت 380هـ / 990م).

122 – المسالك والممالك (الكتاب العزيزي)، (د.م، د.ت).

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ / 1175م).

123 – تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر، بيروت، 1415هـ / 1995م).

124 – تهذيب تاريخ دمشق، هذبه الشيخ عبد القادر بدران، (دار المسرة، بيروت، ط2، 1400هـ / 1979م).

- العلوي، علي بن محمد العباسي (ت 298هـ / 911م).

125 – سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ط2، 1981م).

- العليمي الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن ببن محمد (ت 928هـ / 1521م)

126 – الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد الجليل نباته، (مكتبة دنديس، عمان، د.ت).

- ابن عمرون اليحصبي، عياض بن موسى بن عياض (ت 544هـ / 1149م).

127 – مشارق الأنوار على صحاح الآثار، (دار الكتب العتيقة ودار الحديث، د.ت).

- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت 749هـ / 1348م).

128 – مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423هـ / 2002م).

- الغزّالي، أبو حامد محمد بن محمد (505هـ / 1111م).

129 – إحياء علوم الدين، (دار المعرفة، بيروت، 2004م).

- أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل (ت 732هـ / 1331م).

130 – تقويم البلدان، (دار الطباعة السلطانية، د.م، 1256هـ / 1840م).

- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو (ت 170هـ / 786م).
131 – العين، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال، د.ت).

- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت 807هـ / 1404م).
132 – تاريخ ابن الفرات، تحقيق: قسطنطين زريق، (المطبعة الاميركانية، بيروت، 1361هـ / 1942م).

- ابن أبي الفضل، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي (ت 709هـ / 1309م).
133 – المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط، ياسين محمود الخطيب (مكتبة السوادي، ط1، 1423هـ / 2003م).

- ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحق (ت 289هـ / 903م).
134 – البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، (عالم الكتب، بيروت، ط1، 1416هـ / 1966م).
135 – مختصر كتاب البلدان، (مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ / 1884م).

- ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق بن أحمد (ت 723هـ / 1323هـ).
136 – الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق: بشار عواد معروف، عماد عبد السلام رؤوف، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1418هـ / 1997م).

- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت 276هـ / 889م).
137 – المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1413هـ / 1992م).

- ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت 337هـ / 948م).
138 – الخراج وصناعة الكتابة، (دار الرشيد، بغداد، ط1، 1402هـ / 1981 م).

- القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ / 1283م).
139 – آثار البلاد وأخبار العباد، (دار صادر، بيروت، د.ت).

- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت 671هـ / 1272م).
140 – الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، (دار عالم الكتب، الرياض، 1423هـ / 2003م).

- القفطي، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ / 1248م).
141 – أخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1426هـ / 2005م).

- ابن القلانسي، أبي يعلى حمزة (ت 555هـ / 1160م).
142 – ذليل تاريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1326هـ / 1908م).

- القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م).
143 – صبح الأعشى في صناعة النشا، تحقيق: يوسف علي الطويل (دار الفكر، دمشق، ط1، 1408هـ / 1987م).

- ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد (ت 751هـ / 1350م).
144 – أحكام أهل الذمة، تحقيق: صبحي الصالح، (دار العلم للملايين، لبنان، 1415هـ / 1994م).
145 – زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامي، الكويت، ط27، 1415هـ / 1994م).

- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ت 774هـ / 1372م).
146 – البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408هـ / 1988م).

- المالكي، ابي بكر عبد الله بن محمد (ت 453هـ / 1061م).
147 – رياض النفوس، تحقيق: بشير البكوش، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1415هـ / 1994م).

- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد (ت 450هـ / 1058م).
148 – الأحكام السلطانية، (دار الحديث، القاهرة، د.ت).
149 – النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).

- ابن المجاور، محمد بن مسعود بن علي بن احمد (ت 690هـ / 1291م).
150 – صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر تحقيق: ممدوح حسن محمد، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1417هـ / 1996م).

- مجهول، (ت بعد 372هـ / 982م).

151 - حدود العالم من المشرق إلى المغرب، حققه وترجمه عن الفارسية، السيد يوسف الهادي، (الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1423هـ / 2002 م).

- أبي مخرمة، أبي عبد الله الطيب بن عبد الله بن أحمد (ت 947هـ / 1540م).

152 - تاريخ ثغر عدن، تحقيق: علي حسن علي عبد الحميد، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1411هـ/1991م).

- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 34هـ / 957م).

153 - التنبيه والأشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، (دار الصاوي، القاهرة، د.ت).

- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت 421هـ / 1030م).

154 - تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق، أبو القاسم أمامي، (سروش، طهران، ط2، 1421هـ/2000م).

- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت 1041هـ / 1631م).

155 - نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1418هـ/1997م).

- المنجم، إسحاق بن الحسين، (ت ق 4هـ / 10 م).

156 - آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، (عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ/1987م).

- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت 378هـ / 988م).

157 - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط3، 1411هـ / 1991م).

-المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، (ت 845هـ / 1441م).

158 - اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج1 تحقيق: جمال الدين الشيال، ج2، ج3 تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (دار إحياء التراث، القاهرة، ط1، د.ت).

159 - إمتاع الاسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1420هـ / 1999م).

160 - تاريخ اليهود وآثارهم في مصر، تحقيق: عبد المجيد ذياب، (داز الفضيلة، القاهرة، 1418هـ/1997م).

161 – السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ / 1997م).

162 – المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1418هـ/1997م).

– ابن المقفع، عبد الله (ت 142هـ / 759م).

163 – رسائل البلغاء، اختيار وتصنيف محمد كرد علي، (مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ط4، 1374هـ / 1954م).

– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (711هـ / 1311م).

164 – لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ / 1993م).

– ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف (ت 677هـ / 1278م).

165 – أخبار مصر، ج2، تحقيق: هنري ماسيه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1338هـ / 1919م).

– ناصر خسرو (ت 481هـ / 1088م).

166 – سفرنامه، تحقيق: يحيى الخشاب، (دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1404هـ / 1983م).

– ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد (ت 438هـ / 1046م).

167 – الفهرست، تحقيق: إبراهيم رمضان، (دار المعرفة، بيروت، ط2، 1417هـ / 1997م).

– النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (ت 733هـ / 1332م).

168 – نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1424هـ / 2004م).

– النيسابوري، ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (405هـ / 1014م).

169 – تلخيص تاريخ نيسابور، تلخيص أحمد بن محمد المعروف بالخليفة النيسابوري، ترجمة بهمن كريمي، (دار كتابخانه ابن سينا، طهران، د.ت).

– النيسابوري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج (ت 261هـ / 874م).

170 – المسند الصحيح (صحيح مسلم)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).

- ابن نظيف الحموي، أبي الفضائل محمد بن علي (644هـ / 1146م).
171 – التاريخ المنصوري، (المسمى تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان)، تحقيق: أبو العيد دودو، (مطبعة الحجاز، دمشق، 1401هـ / 1981م).

- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي، (928هـ / 1520م).
172 – الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ / 1990م).

- أبو نواس، الحسن بن هانئ (ت 199هـ / 814م).
173 – ديوان أبي نواس، (دار صادر، بيروت، ط2، 1998م).

- الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت 334هـ / 945م).
174 – صفة جزيرة العرب، (مطبعة بريل، ليدن، 1302 هـ / 1884م).

- الهمداني، محمد بن موسى بن عثمان، (ت 584هـ / 1188م).
175 – الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، تحقيق: محمد حمد الجاسر، (دار اليمامة، الرياض، 1415هـ / 1994م).

- الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (ت 716هـ / 1316م).
176 – جامع التواريخ، ترجمة: محمد صادق نشأت، فؤاد عبد المعطي الصياد، (وزارة الثقافة والإرشاد، د.ت).

- الهروي، علي بن أبي بكر بن علي (ت 611هـ / 1214م).
177 – الإشارات إلى معرفة الزيارات، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423هـ / 2002م).

- الهروي، محمد بن احمد بن الأزهري (ت 370هـ / 1214م).
178 – تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1422هـ / 2001م).

- ابن هشام، عبد الملك (ت 213هـ / 828م).
179 – السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1375هـ / 1955م).

- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ / 1297م).

180 - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ج2، تحقيق: جمال الدين الشيال، (المطبعة الأميرية، القاهرة، 1377هـ / 1957م).

ج5، تحقيق: حسنين محمد ربيع، سعيد عبد الفتاح عاشور، (مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1977م).

ج6، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، 1407هـ / 2006م).

- الواقدي، محمد بن عمر (207هـ / 873م).

181 - المغازي، (دار المعارف، القاهرة، 1385هـ / 1965م).

- ابن وحشية، أبو بكر أحمد بن علي بن قيس (ق 4هـ / 10م).

182 - الفلاحة النبطية، تحقيق: توفيق فهد، (المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1417هـ / 1995م).

- ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر (ت 852هـ / 1448م).

183 - خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق: أنور محمود زناتي، (مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 1428هـ / 2008م).

- بن الوزان، الحسن (956هـ / 1549م).

184 - وصف أفريقيا، ترجمة: عبد الرحمن حميدة، (الرياض، 1979م).

- اليعقوبي، أحمد بن اسحق بن جعفر بن واضح (ت 292هـ / 904م).

185 - البلدان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ / 2001م).

- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب (182هـ / 798م).

186 - الخراج، تحقيق: طه فؤاد عبد الرءوف، سعد حسن محمد، (المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د.ت).

- يوسيفوس، اليهودي.

187 - تاريخ يوسيفوس اليهودي، (بيروت، 1289هـ / 1872م).

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم، محمد كريم.

188 - عدن دراسة في أحوالها السياسية والاقتصادية (476-626هـ / 1083-1228م)، (مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، 1406هـ / 1985م).

- إبراهيم، ناجية عبد الله.

189 - ريف بغداد، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1409هـ / 1988م).

- أرمسترونج، كارين.

190 - القدس مدينة واحدة عقائد ثلاثة، ترجمة: فاطمة نصر ومحمد عناني (مكتبة الأسرة، القاهرة، 1430هـ / 2009 م).

- اسكندر، ميخائيل مكس.

191 - القدس عبر التاريخ، (القاهرة، 1390هـ / 1970م).

- آشتور، إلياهو.

192 - التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة: عبد الهادي عبد الله، (دار قتيبة، دمشق، 1406هـ / 1985م).

- الأشقر، محمد عبد الغني.

193 - تجارة التوابل في مصر المملوكية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1420هـ / 1999م).

- إقبال، عباس.

194 - تاريخ المغول، ترجمة وتحقيق: عبد الوهاب علوب، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، 1420هـ / 2000م).

- آل عمر، محمد علي محمد.

195 - عقيدة اليهود في الوعد بفلسطين، دار البيان، الرياض، ط1، 1424هـ / 2003م)

- أمين، بديعة.

196 - المشكلة اليهودية والحركة الصهيونية، (دار الطليعة، بيروت، ط1، 1394هـ / 1974م).

- الأمين، حسن.

197 - المغول بين الوثنية والنصرانية والإسلام، (دار التعارف، بيروت، لبنان، د.ت).

- أنترمان، آلان.

198 - اليهود عقائدهم الدينية وعباداتهم: ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ،(الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1425هـ / 2004م)

- البار، محمد علي.

199 - معاملة غير المسلمين، (دار القلم، دمشق / الدار الشامية، بيروت، ط1، 1425هـ/ 2004م).

- باشميل، محمد احمد.

200 - غزوة بني قريظة، (دار الفتح، 1966م).

- براو، أريك.

201 - يهود كردستان، ترجمة: شاخون كركوكي وعبد الرزاق بوتاني، (دار أراس، اربيل، العراق، ط1، 1423هـ / 2002م).

- براور، يوشك.

202- عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم، محمد خليفة حسن (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1420هـ / 1999م).

- بشير، عبد الرحمن.

203 - من تاريخ اليمن صراع السلطة والوجود اليهودي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهر، ط1، 1429هـ / 2009م).

- البعلبكي، منير.

204 - المورد، (دار العم للملايين، بيروت، 1404هـ / 1983م).

- بلتاجي، محمد.

205 - منهج عمر بن الخطاب في التشريع، (دار السلام، القاهرة، ط2، 1424هـ / 2003م).

- بيضون، إبراهيم.

206 - الحجاز والدولة الإسلامية، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1983م).

- ترتون، أ.س.

207 - أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، (دار المعارف، القاهرة، ط2، 1387هـ / 1967م).

- التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله.

208 - موسوعة الفقه الإسلامي (بيت الأفكار الدولية، ط1، 1430هـ / 2009م).

- التيمائي، محمد حمد السمير.

209 - تيماء، (الإدارة العامة للنشاطات الثقافية، الرياض، ط1، 1411هـ / 1991م)

- الجاسر، حمد.

210 - بلاد ينبع، (سلسلة هذه بلادنا، الرياض، د.ت).

- أبو جبل، كاميليا.

211 - يهود اليمن، (دار نمير، دمشق، ط1، 1420هـ / 1999م).

- جروهمان، أدولف.

212 - أوراق البردي العربية، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1955م).

- الجليلي، محمود.

213 - المكاييل والأوزان، (دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1426هـ / 2005م).

- الجميلي، عبد الله رشيد.

214 - دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي (541-631هـ)، (دار النهضة العربية، بيروت، 1970م).

- الجنابي، هاشم خضير.

215 - التركيب الداخلي لمدينة الموصل، (دار الكتب، الموصل، 1403هـ / 1982م).

- الجويسري، منال.

216 - النشاط التجاري للمدن والموانئ اليمنية، (مكتبة، الكويت، ط1، 1433هـ/2012م).

- **حتي، فيليب.**

217 – تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة جورج حداد وعبد الكريم رافق (دار الثقافة، بيروت، د.ت).

- **الحربي، عاتق بن غيث بن زوير بن حمود.**

218 – معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، (دار مكة، مكة المكرمة، ط1، 1402هـ/ 1982م).

- **حريتاني، محمود.**

219 – تاريخ اليهود في حلب (دار شعاع، حلب، ط1، 1428 هـ / 2008م).

- **حسين، عماد عبد السميع علي.**

220 – الإسلام واليهودية، (دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ / 2004م).

- **حمودي، إمام شافعي محمد.**

221 – موقف اليهود من الصراع الإسلامي والمغولي (دار الكتاب الحديث، القاهرة، 1432هـ/ 2011م).

- **الخالدي، خالد يونس.**

222 – اليهود تحت حكم المسلمين في الأندلس، (دار الثقافة والإعلام، الشارقة، ط2، 1423هـ / 2002م).

- **الخربوطلي، علي حسني.**

223 – العلاقات السياسية بين العرب واليهود في العصور القديمة والإسلامية (معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1389هـ / 1969م).

- **أبا خليل، محمد بن إبراهيم بن صالح.**

224 – تاريخ الخلفاء الراشدين، (دار الفضيلة، الرياض، ط1، 1430هـ / 2009م).

- **الخيرو، رمزية عبد الوهاب.**

225 – تجارة الخليج العربي، (دار الشؤون الثقافية، بغداد 1979م).

- **دراج، أحمد.**

226 – المماليك والفرنج، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1381هـ / 1961م).

- درادكة، صالح موسى.
227 – العلاقات العربية اليهودية حتى نهاية عهد الخلفاء الراشدين، (الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1412هـ/ 1992م).

- درويش، هدى.
228 – أسرار اليهود المتنصرين في الأندلس، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1428هـ/ 2008م).

- دهمان، محمد أحمد.
229 – معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (دار الفكر المعاصر، بيروت ودار الفكر، دمشق، ط1، 1410هـ/ 1990م).

- الدوري، عبد العزيز.
230 – تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 1420هـ/ 1999م).

231 – النظم الإسلامية، (بغداد، 1950م).

- دوزي، رينهارت بيتر آن.
232 – تكملة المعاجم العربية، ترجمة: محمد سليم النعيمي، جمال الخياط، (دار الرشيد، العراق، ط1، 1401هـ/ 1980م).

- الدومييلي.
233 – العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة: محمد يوسف موسى، عبد الحليم النجار، (دار القلم، القاهرة، 1382هـ/ 1962م).

- دينيت، دانيل.
234 – الجزية والإسلام، ترجمة: فوزي فهيم جاد الله، (دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1379هـ/ 1959م).

- ديورانت، ول.
235 – قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، (دار الجيل العربي، بيروت، د. ت).

- رشاد، يوسف.
236 - اليهود المتخفون، (دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1431هـ / 2010م)
- رمضان، أحمد.
237 - المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، (القاهرة، 1398هـ / 1977م).
- رمضان، هويدا عبد العظيم.
238 - اليهود في مصر الإسلامية من الفتح الإسلامي حتى العصر الأيوبي (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1422هـ / 2001م).
- رنسيمان، ستيفن.
239 - تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، (دار الثقافة، بيروت، 1417هـ / 1997م).
- زاكن، مردخاي.
240 - يهود كردستان، ترجمة: سعاد محمد خضر، (المركز الأكاديمي للأبحاث بيروت، ط2، 1434هـ / 2013م).
- الزغيبي، أحمد بن عبد الله.
241 - العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1418هـ / 1998م).
- زيادة، نقولا.
242 - الجغرافية والرحلات عند العرب، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1382هـ/ 1962م).
- سالم، السيد عبد العزيز.
243 - طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1386هـ/ 1966م).
- السروري، محمد عبده محمد.
244 - الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في اليمن في عهد الدويلات المستقلة (429-626هـ/ 1037-1228م)، (وكالة الأهرام للتوزيع، ط1، 1997م).

- سعد، فهمي عبد الرزاق.

245 – العامة في بغداد في القرنين الثالث والرابع للهجرة (دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1413هـ/ 1993م).

- سعفان، كامل.

246 – اليهود تاريخ وعقيدة، (دار الاعتصام، القاهرة، 1409هـ/ 1988م).

- سلطان، عبد المنعم عبد الحميد.

247 – الحركة التجارية ونظام السواق في مصر الفاطمية، (المكتب الجامعي، الحديث، القاهرة، ط1، 1433هـ/ 2012م).

- سوسه، أحمد نسيم.

248 – العرب واليهود في التاريخ، (دار العربي، ط7، 1411هـ/ 1990م).

249 – ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1422هـ/ 2001م).

- سوسة، أحمد وجواد مصطفى.

250 – دليل خارطة بغداد (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1378هـ/ 1958م).

- السيد، علي أحمد محمد.

251 – اليهود في شرق البحر المتوسط، (عين للبحوث والدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1427هـ/ 2006م).

- سيمينوفا، ل.أ.

252 – تاريخ مصر الفاطمية، ترجمة: حسن بيومي، (منشورات المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1422هـ/ 2001م).

- شاحاك، إسرائيل.

253 – التاريخ اليهودي، الديانة اليهودية تحت وطأة ثلاثة آلاف سنة ترجمة: علي صالح سواح، (دار بيسان، بيروت، ط1، 1416هـ/ 1995م).

- الشامي، عباس علي.
254 – يهود اليمن قبل الصهينة وبعدها، (سلسلة كتاب السير اليمانية، ط2، 1409هـ / 1988م).
- شراب، محمد محمد حسن.
255 – المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، دار القلم، دمشق / الدار الشامية، بيروت، ط1، 1411هـ / 1990م).
- الشريف، أحمد.
256 – مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1405هـ / 1985م).
- شقير، محمد بن سعد.
257 – فقه عمر بن عبد العزيز، (مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1424هـ / 2003م).
- شمسان، إيمان احمد.
258 – اليمن في العصر العباسي الأول (132–203هـ / 750–818م)، (دار الثقافة العربية، عدن، ط1، 2001م).
- شنودة، زكي.
259 – المجتمع اليهودي، (مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت)
- الشهابي، قتيبة.
260 – معجم دمشق التاريخي، (منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1420هـ / 1999).
- صبري، سناء عبد اللطيف حسين.
261 – الجيتو اليهودي، (دار القلم، دمشق، ط1، 1419هـ / 1999م).
- الصديقي، محمد أشرف بن أمير بن علي (ت 1329هـ).
262 – عون المعبود شرح سنن أبي داود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ / 1995م).
- الصلابي، علي محمد محمد.
263 – صلاح الدين الأيوبي (دار المعرفة، بيروت، ط1، 1429هـ / 2008م).
- الصياد، فؤاد عبد المعطي.
264 – الشرق الإسلامي في عهد الايلخانيين، (منشورات مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، د. ت).

- طقوش، محمد سهيل.

265 – تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، (دار النفائس، بيروت، ط2، 1420هـ / 1999م).

- ظاظا، حسن.

266 – أبحاث في الفكر اليهودي، (دار القلم، دمشق، ط2، 1423هـ / 2002م).

- ظاظا، حسن وعاشور، السيد محمد.

267 – اليهود ليسوا تجاراً بالنشأة، (القاهرة، 1359هـ / 1975م).

- عاشور، سعيد عبد الفتاح.

268 – الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، (مكتبة الأنجلو – المصرية، 1383هـ / 1963م).

- عامر، فاطمة مصطفى.

269 – تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1420هـ / 1999م).

- العاني، عبد الرحمن عبد الكريم.

270 – البحرين في صدر الإسلام، (الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط1 و 1421هـ / 2000م).

- العباسي، محفوظ.

271 – إمارة بهدينان العباسية، (مطبعة الجمهورية، الموصل، 1389هـ، 1969م)

- عبد السلام، غادة حمدي.

272 – اليهود في العراق، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1429هـ / 2008م).

- عبد العلم، مصطفى كمال وراشد، سيد فرج.

273 – اليهود في العالم القديم (دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ / 1995م).

- عبد العليم، مصطفى كمال.

274 – اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان، (مكتبة القاهرة الحديثة، ط1، 1388هـ / 1968م).

- عبد اللطيف، عبد الشافي محمد.

275 – السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (دار السلام، القاهرة، ط1، 1428هـ / 2007م).

- عبده، علي إبراهيم وقاسمية، خيرية.

276 – يهود البلاد العربية، (منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، بيروت، 1390هـ/ 1970م).

- عثمان، شوقي عبد القوي.

277 – تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، (سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1411هـ / 1990م).

- عطا، زبيدة محمد.

278 – اليهود في العالم العربي، (عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 1424هـ / 2003م).

279 – اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، (الدار الثقافية، القاهرة، ط1، 1428هـ / 2007م).

- العطار، فادي فرج درويش.

280 – شرح الأحكام الشرعية في التوراة، (مركز ابن العطار التراث، القاهرة، ط1، 1425هـ / 2004م).

- العقيلي، محمد رشيد.

281 – اليهود في شبه الجزيرة العربية، (المطبعة الأردنية، عمان، 1401هـ / 1980م).

- العلبي، أكرم حسن.

282 – يهود الشام في العصر العثماني (الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، 1432هـ / 2011م).

- علي، جواد.

283 – تاريخ العرب قبل الإسلام، (الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 1431هـ / 2010م).

284 – المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (دار الساقي، بيروت، ط4، 1422هـ / 2001م).

- العلي، صالح احمد.

285 – الحجاز في صدر الإسلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1410هـ / 1990م).

- علي، علي السيد.

286 – القدس في العصر المملوكي، (دار الفكر، القاهرة، 1407هـ / 1986م).

علي، فؤاد حسين.

287 – إسرائيل عبر التاريخ (دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت).

- عمارة، محمد.

288 – قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، (دار الشروق، بيروت، ط1، 1413هـ / 1993م).

- العمايرة، خالد محمد سالم.

289 – موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، (دار الملك عبد العزيز، الرياض، 2007م).

- عمر، أحمد مختار وآخرون.

290 – معجم الصواب اللغوي، (عالم الكتب، القاهرة، 1429هـ / 2008م).

- عمر، أحمد مختار عبد الحميد وآخرون.

291 – معجم اللغة العربية المعاصرة، (عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1429هـ / 2008م).

- عوض، محمد مؤنس.

292 – الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1413هـ/1992م).

- الغازي، عبد الله بن محمد.

293 – إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق عبد الملك عبد الله دهيس، (مكيبة الأسدي، مكة المكرمة، ط1، 1430هـ / 2009م).

- الغزي، كامل حسين بن محمد.

294 – نهر الذهب في تاريخ حلب (دار القلم، حلب، ط2، 1419هـ / 1998م).

- غندور، يوسف.

295 – جزيرة ابن عمر، (دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1411هـ / 1990م).

- غوانمة، يوسف درويش.

296 – تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي (الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ط1، 1403هـ / 1982م).

- غنيمة، يوسف رزق الله.

297 – نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، (دار الوراق، لندن، ط4، 1430هـ/2009م).

- الفاروقي، إسماعيل راجي.

298 – الملل المعاصرة في الدين اليهودي، (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1968م).

- فتاح، عرفان عبد الحميد.

299 – اليهودية، (دار عمار، عمان، ط1، 1417هـ / 1997م).

- فخري، أحمد.

300 – اليمن ماضيها وحاضرها، (معهد الدراسات العربية، القاهرة، 1377هـ / 1957م).

- الفقي، عصام عبد الرءوف.

301 – بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، (دار الفكر العربي، القاهرة، 1975م).

- فهمي، عبد السلام عبد العزيز.

302 – تاريخ الدولة المغولية في إيران، (دار المعارف، القاهرة، 1981م).

- فهمي، نعيم زكي.

303 – دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب، (مطابع سجل العرب، القاهرة، 1393هـ / 1971م).

304 – طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1393هـ / 1973م).

- فولتز، ريتشارد.

305 – الروحانية في ارض النبلاء، ترجمة: (الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م).

- فيشل، وولتر.ج.

306 – يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية للدولة الإسلامية، ترجمة: سهيل زكار (دار التكوين، دمشق، 1426هـ / 2005م).

- قاسم، عبده قاسم.

307 – اليهود في مصر، (دار الشروق، القاهرة، ط1، 1414هـ / 1993م).

- القاسمي، محمد سعيد.

308 – قاموس الصناعات الشامية، تحقيق: ظافر القاسمي، (دمشق، دار طلاس، 1409هـ / 1988م).

- قلعجي، محمد رواس و قنيبي، حامد صادق.

309 – معجم لغة الفقهاء، (دار النفائس، بيروت، ط2، 1408هـ / 1988م).

- كاتبي، غيداء خزنة.

310 – الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 1422هـ / 2001م).

- كاشف، سيدة إسماعيل.

311 – مصر الإسلامية وأهل الذمة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1414هـ / 1993م).

312 – مصر في فجر الإسلام، (دار الرائد العربي، بيروت، ط3، 1407هـ / 1986م)

- الكتاني، محمد عبد الحي بن عبد الكبير.

313 – التراتيب الإدارية، تحقيق: عبد الله الخالدي، (دار الأرقم، بيروت، ط2، د.ت).

- كحالة، عمر رضا.

314 – معجم المؤلفين، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت).

-كسرائي، شاكر.

315 – اليهود في إيران (مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط1، 1432هـ / 2011م).

- كونستيل، أوليفياريمي.

316 – التجارة والتجار في الأندلس، (مكتبة العبيكان، ط1، 1423هـ / 2002م).

- كيوان، مأمون.
317 – اليهود في إيران، (دار بيسان، بيروت، ط1، 1421هـ / 2000م).
318 – اليهود في الشرق الأوسط (دار الأهلية، عمان، ط1، 1417هـ / 1996م).
- لاندوا، يعقوب (تحرير).
319 – تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية (1517–1914م)، ترجمة: جمال أحمد الرفاعي، أحمد عبد اللطيف حماد، (المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1421هـ/ 2000م).
- لسترنج، كي
320 – بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (مطبعة الرابطة، بغداد، 1954م).
- لطيف، مازن (تحرير).
321 – يهود العراق، (دار ميزبوتاميا، بغداد، ط2، 2012م).
- لوبون، غوستاف.
322 – اليهود في تاريخ الحضارات الأولى، ترجمة: عادل زعيتر، (مكتبة النافذة، الجيزة، ط1، 1430هـ / 2009م).
- لومبار، موريس.
323 – الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي، (دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط3، 1411هـ / 1990م).
- المباركفوري، صفي الرحمن.
324 – الرحيق المختوم، (دار المعرفة، بيروت، ط1، 1424هـ هـ / 2003م).
- متز، آدم.
325 – الحضارة الإسلامية، ترجمة: محمد عبد الهادي ريدة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 1429هـ / 2008م).
- أبو المجد، ليلي.
326 – عقود الزواج، ترجمة وتعليق على متن المشنا وشروح التلمود، (القاهرة، د.ت).

- المرصفي، سعيد.
327 – أسطورة الوطن اليهودي، (مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1413هـ / 1992م).
- مزنر، فؤاد حسين.
328 – أطماع اليهود وأسفارهم، (دار الكتب الثقافية، بيروت، 1409هـ / 1980م).
- المسيري، عبد الوهاب.
329 – الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي، (دار نافع، القاهرة، 1975م).
330 – موسوعة اليهود واليهودية، (دار الشروق، مصر. 1999م).
- الملاح، هاشم يحيى.
331 – موقف اليهود من العروبة والإسلام في عصر الرسالة، (دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1988م).
- المناوي، محمد حمدي.
332 – الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، (دار المعارف، مصر، د.ت).
- منصور، مصطفى عبد المعبود سيد.
333 – ترجمة متن التلمود (المشنا)، (مكتبة النافذة، القاهرة، ط1، 2008م).
- منيمنة، حسن.
334 – تاريخ الدولة البويهية، (الدار الجامعية، الإسكندرية، 1408هـ / 1987م).
- مهران، محمد بيومي.
335 – بنو إسرائيل، (دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1420هـ / 1999م).
- الناصر، علي حسين سليمان.
336 – النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى، (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1400هـ / 1980م).
- ناجي، سليمان.
337 – اليهود عبر التاريخ، (دار قتيبة، دمشق، ط1، 1428هـ / 2007م).

- نعيسة، يوسف.

338 – يهود دمشق، (دار المعرفة، دمشق، 1409هـ / 1988م).

- هايد.

339 – تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، ترجمة: أحمد محمد رضا (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1406هـ / 1985م).

- هنتس، فالتر.

340 – المكاييل والأوزان الإسلامية، ترجمة: كامل العسلي (منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1390هـ / 1970م).

- هندلر، عزرا سبايز.

341 – يهود إيران، (مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، 1973م).

- الهواري، محمد.

342 – السبت والجمعة في اليهودية والإسلام، (الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط1، 1414هـ/ 1994م).

- هيك، جين.

343 – الجذور العربية للرأسمالية الأوربية، ترجمة: محمود حداد، (الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 1429هـ / 2008م).

- أبو الوفا، طارق محمد.

344 – تاريخ صنعاء منذ فجر الإسلام وحتى أواخر القرن الرابع الهجري، (دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م)

- وافي، علي عبد الواحد.

345 – اليهودية واليهود، (دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت).

- الوقاد، محاسن محمد.

346 – اليهود في مصر المملوكية في وثائق الجنيزة (648-923هـ / 1250-1517م)، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1420هـ / 1999م).

- الوكيل، محمد السيد.

347 – يثرب قبل الإسلام، (دار المجتمع للنشر، جدة، ط1، 1406هـ/ 1986م).

- ولفنسون، إسرائيل.

348 – تاريخ اللغات السامية، (مطبعة الاعتماد، مصر، ط1، 1348هـ/ 1929م).

349 – تاريخ اليهود في بلاد العرب (مطبعة الاعتماد، مصر، 1346هـ/ 1927م).

- ويكرم، دبليو. أي و ويكرام، أدكار. تي. أي.

350 – مهد البشرية، ترجمة جرجيس فتح الله، (دار أراس، اربيل، ط4، 1431هـ/ 2010م).

ثالثاً: كتب الوثائق والمصادر الأجنبية:

- Benjamin

1- Benjamin of Tudela, (1165-1173 A.D) in J.T, (ed) Adler, (London, 1930).

- Ibn Chelo, Isaac ben Joseph, (1334A.D)

2- The Roads from Jerusalem، in J.T(ed) Adler, (London, 1930).

- Eisenstein, J.D. (ed)

3- A Compendium of Jewish Travels (New York, 1926)، (Hebrew).

- Gil, Moshe

4- The Jewish، Merchants in the Light of Elenth - Century Geniza Documents، JEHO, 46, 3.

- Goitein، S.D.

5- A Mediterranean Society the Jewish Communities of the world as portrayed in the Cairo Geniza (5 vols، University of California, 1967, 1978, 1999).

6- The Cairo Geniza as a Source for the history of Muslim Civilization, (S I, III, IV, 1955).

7- The Documents of the Cairo Geniza as a Source for Mediterranean Social history, (J A O S، No, 2, 1960).

8- Letters and Document on the India trade in Medieval tim in studies of Islamic history and institutions, (Leiden, 1966).

9- Letters of Medieval Jewish traders، (New Jersey, USA, 1973).

- Goitein and Friedman, Mordechal A.

10- India traders of the Middle Ages ; Documents from the Cairo Geniza, (Brill, Leiden, Boston, 2008).

- AL- Harizi, (1216 A.)

11- Makamen dem Tachkemont، (Berlin، 1845).

- Jechiel, Rabbi Jacob، (1238-1244 A.D)

12- The Messenger off Rabbi Jechiel of paris, in، J.T, (ed) Adler, (London, 1930.

-Meshulam، (1481 A.D)

13- Rabbi Meshulam Ben R. Menaham of volterra, in، J.T, (ed) Adler, (London, 1930).

- Obediah (1487-1490 A.D).

14- Obedia Da Bertinoro، in، J.T, (ed) Adler, (London, 1930).

- Patacha (1170-1187 A.D).

15- Rabbi petach of Ratisbon, in, J.T, (ed), Adler, (London, 1930)

16- Travels of Rabbi petchia of Ratison Care by A. Benisch (London, 1856).

- The Chronicle of the Theophanes of the Theophans; An ; An English translation of Anni Mundi (A.D, 02-813).

Wright, Thomas.

Early Travel in Palestine (London, 1848).

رابعاً: المراجع والأبحاث الأجنبية:

Arkin, marcus,

18-Aspects of the Jewish Economic history، (varda books, USA, 2002).

-Ashburner, Walter,

19- The Rnodian Sea-Law, (Oxford, 1909).

-Asherr, A

20- The Itneray of Rabbi Benjamin of Tudela, (London, 1841).

-Ashtor, Eliyahu Strauss,

21- History of the Jews in Egypt and Syria under the Rule of the Mamluks, (vol,1, 2, Palestine, 1944,1951; vol,3 Mossad Harav kook, Jerusalem, 1970), (Hebrew).

22-The Jews and the Mediterranean Economy 10-15th Centuries; (London, 1983).

23- The Jews in the Mediterranean trade in the later middle ages.

24- The Jews of Moslem Spain، (Philadelphia, Jerusalem, 1992).

25- The Karmi Merchants, J.R.A.S, 56Queen, (London, 1956).

26- The Numbers of the Jews in Mediaeval Egypt, J.J.S, vol.19, (London, 1968).

27- Prolegomena to the Medieval history of Oriental Jewry, (J.Q, 1959).

28-Saladin and the Jews,(HUCA, No, XXVII, Jerusalem, 1956).

- Baron، Salo w.

29-A Social and Religious history of the Jews،(Columbia university، 1952).

- Bloom، James J.

30- The Jewish Revolts against Rome، A.D.66-135, (Mcfarland, London, 2010).

-Botticini, Maristella and Eckstein، Zvi.

31- From Farmers to merchants ; A Human Capital Interpretation of Jewish Economy history، (Boston university, January, 2003).

- Burns,

32- Western Civilization, (London، 1993).

- Cohen، Mark R.

33- Jews in the Mamluk Enviroment ; the crisis of 1442, (BSOAS, vol.47, No.3, London, 1984).

34- poverty and charity in the Jewish community of medieval Egypt، (Oxford, 2005).

- Daiches، Samuel.

35- The Jews Babylonia in the time of Ezra and Nhemiah According to Babylonian، (London، 1910).

-David, Abraham

36- The Roule of Egyptian Jews، in from A sacred source Genizha studies (ed) B.M outhuaite and S. Bhayro (Brill، Leiden, Boston, 2011).

-Drazin, Nathan,

37- History of Jewish Education، (The Johns Hopkins press, Baltimore, 1940).

-Feldman, Lous H.and Reinnhold Meyer (ed).

38- Jewsh life and Thought among Greek and Romans, (Augsburg fortress, Scotland, 1996).

- Fischel, Walter.

39- Jews in the Economic and political life of medieval Islam، (London, 1937).

40- The Origin Bankin in mediaeval Islam ; A contribution to the Economic history، (J R A S, No.3, Jui, 1933, Great Britain and Irland).

-Frank، Daniel and Goldish، Matt(ed).

41-Rabbinic Culture and its critics، (wayne, U S A, 2007).

- Gil, Moshe.

42- The Rodhanit merchants and the land of Radhan, (J E S H O، vol.17, No.3, sep,1974).

- Goitein, S.D.

43- Bankers Accounts from the eleventh century A.D, (J E S H O, vol. 9.part, 2, Leiden، 1960).

44- From Aden to India specimens of the correspondence of India traders of the Twelfth century, (JESHO, vol. XXIII, parts land II).

45- From the Mediterranean to India Documents of the trade to India (Speculum, vol.29. no.2,pqrt, 1,Apr.1954).

46- Jews and Arabs A concise history of their social and cultural relations, (New York. 2005).

47- New light of the beginnings of the karim merchants، (J E H O, vol.1, part2, 1960).

48- Studies in the Islamic history and institutions, (Brill, Leidn, Boston، 2010).

- Goldberg, Jessical.

49- Trade and institutions in the medieval Mediterranean the Geniza merchants and their business world، (Cambridge, 2012).

- Haney, Lewis H.

50- History of Economic thought، (New York. 1916).

- Hoffman، Adina and Betercole,

51 - sacred trash the lost and found world of the Cairo Geniza, (New York، 2010).

- Jacob, Marcus.

52- The Jew in the medieval world, (Atheneum, New York, 1999).

- Kahle، paul E.

53- The Cairo Geniza, (New York. 1960).

- Lev, Yaacov

54- The Fatimid Vizier Ya'Qub Ibn Killis and beginning of the Fatimid A dministation in Egypt، (D I، vol.58، 1981).

- Lewis، Bernard.

55- From Babel to Dragoman, (Oxford،2004).

56- The Jews of Islam, (Princeton university, New Jersey, 1984).

- Mann, Jacob.

57- The Jews in Egypt and Palestine under Fatimid Calphs, (Oxford, 1920).

- Margolioth، D.S.

58- A Jewish - Persian Law report، (J Q، vol. 11, No.4, Jul, 1899).

59- The Relation between Arabs and Israelites prior the rise of Islam، (London، Oxford, 1924).

- Oppenheimer, Aharon,

60- Babylonia Judaica in the Talmudie period, (Wiesbaden, 1983).

- pellat, charles

61- The life and works of Jahiz, (Berkeley, California, 1969).

-Rashad, Abdul Munim.

62- The Abbasid Caliphate، (Doctor of London, S.O.A.S, 1963).

- Rustow, Marina

63- Heresy and the politics of community; the Jews of the Fatimid Caliphate, (cornell university, USA, 2008).

- Sassoon, Daid Solomon.

64- A history of the Jews in Baghdad، (Simon Wallenberg، USA, 2007)

-Schechtman, Joseph. B.

65-The Jews of Aden، (J S S، vol.13, no,2, apr.1951).

- Shammai, Haggai.

66- A Jewish wool merchant in Tenth-century Mosul, in, Texts and studies in Jewish history (ed) Joeil L. Kraemer and Michaed G.w. (Chicago، 2012).

- Sharf, Andrew.

67- Byzantine Jewry from Justinian to the fourth crusade, (Routledge and Kegan paul، London, 1971).

- Sourdel-thomine,Janin

68- Trois Actes de vente Damascains du debut du Ive/ Xe Siecle، (J E S H O, vol.8, part2, 1965).

- Sklare, David Eric.

69- Samuel ben Hofni Gaon and his cultural world، (Brill، leiden, 1996).

- Stillman, Norman A.

70- The Eleventh century merchant house of Ibn 'Awkal، (J E S H O, vol.16, 1973).

- Tobi, Yosef.

71- the Jews of Yemen studies in their history and cultural, (Brill, Leiden, Boston, 1999).

- Watt, Montgomery.

72- Muhammad and stateman, (Oxford، 1964).

-Wilson, Arnold T.

73- The Persian Gulf, (George Allen, Third impression, London, 1959).

خامساً: الموسوعات اليهودية:

74- Encyclopedia Judaica, (USA, 2007).

75- Jewish Encyclopedia، (New York. 1916)

سادساً: المصادر والمراجع الفارسية:

- ذيلابي، نكار.

1 – تمركز جمعيتي يهوديان در شهرهاي إيران، از عصر سلجوقي تا حملة مغول، (تحقيقات تاريخ اجتماعي، سال أول، شمارة أول، بهار وتا بستان، 1390).

- لؤي، حبيب.

2 – تاريخ يهود إيران، (طهران، 1960)

- نيشابوري، ابو عبد الله حاكم.

3 – تاريخ نيشابور، (نشر آكه، تهران، 1391).

ثامناً: الأطاريح والرسائل الجامعية:

- الجبوري، سعد رمضان محمد بلال.

1 - النشاط التجاري في العراق في عصر الخليفة هارون الرشيد (170-193هـ / 786-809م)، (ماجستير، آداب، موصل، 1426هـ / 2005م)

- الحارثي، الشريف حسين بن علي بن عون.

2 - المعاهدات في عصر الخلفاء الراشدين، (ماجستير، جامعة أم القرى، 1408هـ / 1988م).

- حجازي، فايزة عبد الرحمن.

3 - أهل الذمة في بلاد الشام في العصر العباسي (13-334هـ / 749-944م)، (دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1421هـ / 2000م).

4 - أهل الذمة في بلاد الشام في العصرين الأيوبي والمملوكي، (ماجستير، جامعة اليرموك، 1412هـ / 1992م).

- الحديدي، خلف عايد عبد الله.

5 - الطرق البرية في ظل الخلافة العباسية، (ماجستير، كلية التربية، موصل، 1424هـ / 2003م).

- حسين، يحيى أحمد عبد الهادي.

6 - أهل الذمة في العراق العصر السلجوقي (447-590هـ / 1055-1193م)، (دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1421هـ / 2000م).

- الحياني، علي شيت.

7 - يهود الموصل (دكتوراه، آداب، موصل، 1433هـ / 2012م).

- الدهشا، محمد حسن علي.

8 - النشاط التجاري لعدن في العصور الوسطى، عصر النبي رسول (628-858هـ / 1230-1454م)، (ماجستير، جامعة أسيوط، كلية الآداب، 1432هـ / 2011م).

- أبو زهري، سامي حمدان.

9 - يهود المدينة في العهد النبوي، (ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 1424هـ / 2004م).

- زيادة، أحمد السيد محمد.
10 - التجار الأجانب في مصر في العصر الفاطمي (358-567هـ / 968-1171م)، (ماجستير، جامعة الزقازيق، الآداب، 1428هـ / 2007م).

- الزيني، إيناس محمد جمال علي أحمد.
11 - يهود العراق في العصر الإسلامي، (132-656هـ / 749-1258م)، (ماجستير، جامعة المنيا، 1432هـ / 2011م).

- سمير، طبي.
12 - دور أهل الذمة في الدولة الإسلامية في العصر العباسي (132-447هـ / 749-1055م)، (ماجستير، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، باتنا، 1427-1428هـ / 2007-2008 م).

- أبو سنة، عصمة أحمد فهمي.
13 - رأي أبي يوسف في الحياة الاقتصادية للدولة الإسلامية في عهد هارون الرشيد، (ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1405هـ / 1406هـ / 1985-1986م).

- الشاوي، عبير كريم عبد الرضا.
14 - تجار الكارم، أثرهم الاقتصادي والحضاري من القرن الرابع وحتى القرن التاسع الهجري، (دكتوراه، جامعة بغداد، تربية بنات، 1426هـ / 2005 م).

- الشريف، حامد محمد الهادي محمد الصالح.
15 - أهل الذمة في بلاد الشام في الفترة الأموية، (ماجستير، الجامعة الأردنية، 1418هـ / 1997م).

- الشواف، عبد المعين محمد طاهر.
16 - دمشق بين سقوط الفاطميين وظهور الأيوبيين، (468-569هـ / 1075-1173م)، (دكتوراه، جامعة دمشق، آداب 2007-2008م).

- الطائي، ابتهال عادل إبراهيم.
17 - اليهود في المصادر المسمارية خلال الألف الأول قبل الميلاد، (دكتوراه، جامعة الموصل، آداب، 1423هـ / 2002م).

- العامري، علي حسين فرج.
18 - أسماء المواضع القديمة في بلاد بابل في فترتي العهد القديم والتلمود، (ماجستير، جامعة بغداد، كلية اللغات، 1419هـ/ 1998م).

- عبد الرحمن، خالد سليمان حمد.
19 - إدارة بلاد الشام في العصر الأيوبي، (دكتوراه، الجامعة الأردنية، 1418هـ/ 1997م).

- العزاوي، إيمان سليمان أحمد.
20 - أهل الذمة في العصر البويهي (334-447هـ/ 945-1055م)، (ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الآداب، 1422هـ/ 2001م).

- العواجي، غالب بن علي.
21 - الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، (ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة، 1398-1399هـ/ 1977-1978م).

- العويدي، هبة رمضان محمود.
22 - يهود غرب أوربا وعلاقتهم ببلاد الشام من كليرمونت 1095م حتى سقوط عكا 1291م، (ماجستير، جامعة عين شمس، القاهرة، 1430هـ/ 2009م)

- الغريري، وسن حسين محيميد.
23 - أهل الذمة في العصر العباسي (ماجستير، بغداد، تربية بنات، 1423هـ/ 2002م).

- الفسيل، سامية محمد عبد الله.
24 - عدن نشاطها التجاري والحياة الاجتماعية لتجارها في الفترة (5-7هـ 11-13م)، (ماجستير، الجامعة الإسلامية، ماليزيا، 1427هـ/ 2006م)

- القيسي، إيلاف عاصم مصطفى.
25 - التجارة الكارمية في عصر المماليك (1260- 1517م)، (دكتوراه، جامعة بغداد، كلية ابن رشد 1427هـ/ 2006م).

- محمود، فتحي أحمد.
26 - اليهود والدعوة الإسلامية في الحجاز، (ماجستير، جامعة الموصل، كلية الآداب، 1401هـ/ 1980م).

- الناصري، علي عبد الحمزة لازم.

27 - موجز تاريخ يهود بابل لـ ابراهام بن يعقوب (دبلوم عالي، جامعة بغداد، كلية اللغات، 1421هـ / 2000م).

- ياسين، خالدة عبد اللطيف حسن.

28 - موقف الرسول من يهود الحجاز، (ماجستير، فلسطين، جامعة النجاح، 1430هـ / 2009 م).

تاسعاً الدوريات والأبحاث:

- بارتولد، ف. ف.

1 - شارلمان وهارون الرشيد، ضمن كتاب دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى، ترجمة: عزيز حداد، (مركز الدراسات الفلسطينية، جامعة بغداد).

- حطيط، أحمد

2 - الكارمية وتجارة الكارم في عصر المماليك، (الجامعة اللبنانية، كلية الآداب، مقال، د.ت).

- الدوري، عبد العزيز.

3 - اليهود في المجتمع الإسلامي، (ضمن كتاب أوراق في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1428هـ / 2007م).

- صراي، حمد بن محمد.

4 - اليهود والخليج العربي، (حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، العدد: 21، 1422هـ / 2001م).

- شاهين، رياض مصطفى أحمد.

5 - أوضاع اليهود وموقفهم في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية، (الجامعة الإسلامية، غزة، 1426هـ / 2005م).

6 - النشاطات الاقتصادية لليهود بالحجاز في الجاهلية وعصر الرسول (مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد: 12، العدد: 2، 1425هـ / 2004م).

- الشريف، عبد الله حسين.
7 - موقف يهود الشام من الفتح الإسلامي، (مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج16، العدد: 28، شوال 1424هـ 2003م).

- عبد العزيز، هشام فوزي.
8 - يعقوب بن كلس اليهودي وأثره في الدولة الفاطمية، (مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، دبي، العدد: 8، 1430هـ / 2009م).
9 - يهود العراق في ظل الخلافة العباسية (132-656هـ / 749-1258م)، (الجمعية التاريخية السعودية، الرياض، 1429هـ / 2008م).

- فارس، عبد الغني غالي.
10 - الحياة الاقتصادية للأمم والشعوب القديمة، من خلال القرآن الكريم (مجلة آداب البصرة، العدد: 50، سنة، 1430هـ / 2009م).

- فوزي، فاروق عمر.
11 - لمحات تاريخية عن أحوال اليهود في العصر العباسي (132-656هـ / 750-1285م)، (ضمن كتاب الوسيط في تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ / 1999م).
12 - يعقوب بن كلس اليهودي، (ضمن كتاب الوسيط في تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1420هـ / 1999م).

- القصيبي، سعد بن عبد العزيز.
13 - نفوذ اليهود في عهد المغول الأيلخانيين، (مجلة الدرعية، السنة الثانية، العدد6-7، ربيع الآخر، 1410هـ/ 1990م).

- القوصي، عطية.
14 - أضواء جديدة على تجارة الكارم، (المجلة التاريخية المصرية، المجلد 22، 1975م)
15 - صلاح الدين واليهود، (المجلة التاريخية المصرية، المجلد: 24، 1977م).

Abstract

" From the end of the ancient Jewish state until the impact of the Renaissance on Italian and French Jews, there is an almost total lack of historical writing, even a rejection of history... This lack of interest in history among Jews of that period and of that background is the more remarkable if we reflect that some of them were living among peoples with a very strong interest in history, like the Romans or the Arabs, and were in other respects profoundly influenced by the cultures in which they lived. Historians, in those days, were employed by the state or the church. Since the Jews had neither, they had no history."

Although the above paragraph seems frustrated especially when It uttered by a very arrogant Jewish historian, and defy the wish to write a faithful study about the Jews under Islam, It give , on the other hand the researcher an impulse to choose this specialization as a field of research. In fact, the Semitic studies was a very neglected in in our modern Arabic historiography. This owing to many difficulties like the language obstacles, the shortage of the primary sources, and the great amount of modern western and Jewish studies, etc.. This, at any rate, will not conceal the actual need for building an Arabic and Islamic field of research devoted to Jewish studies.

No doubt the lack of Jewish chronicles does not means a complete absence of the historical materials related with the Jews and their contributions in the Islamic history; firstly there are the Geniza, the huge documents materials

which constitute a mine of information utilized by the modern historians like D. S. Goitein , Mann, etc. besides there are a variety of materials like the travelers narratives, the Muslim and Christens medieval historical works, the theological texts,etc..

This study have its objectives and limitations. My first intention is to write a Thesis about the Jewish presence in Islamic history and civilization. This topic is fall under the hegemony of ideas and conceptions drawn by orientalists and Jewish scholars. The Muslim point of view are completely denied by them , and they are, accordingly, unfaithful to the true fact that the Jews are lived under Islam their glorious eras with incomparable tolerance.

The sources and the nature of the materials lead me to concentrate my research on two topics: the dispensation of the Jews in the Islamic East and their economic activities until the Ottoman penetrating of the Arab homeland.

The thesis falls into five chapters: Chapter one dealt with the first topic. It studied the Jewish dispensation in the Islamic east. It is obvious that the Jews are concentrated on the main centers of the East owing to its proximity to the trade routes, and the big markets. They also gathered in the cultivated land in Yemen, Iraq, and Egypt.

Chapter Two tackles the agricultural activates of the Jews in the Islamic east. The thesis asserts that the agricultural activities of the Jews are more substantial than the trade as it usually clamed. We use the geographical divisions in dealing with this topic. Starting with Arabia as the main center of the Jews at the birth of Islam. Then we moved to the fertile crescent, i.e. Iraq and Bliad Ash-sham(Greater Syria).

The modern researchers use to talk about the trade as a synonymous of the Jews in the Medieval world. We chose to devote two chapters to examine this theme and investigate the real Jewish contributions into the commercial history of the Islamic State. The first chapter(actually the third one) discuss that the Jews as a traders. The evidence proofs that the trade wasn't the prior activity of them, they are farmers and craftsmen in the first place, but this does not means that there are no Jewish commercial institutions in the Islamic world. The researcher focus on The Radhanites, the Jewish merchants whom used to undertake commercial transactions between the Christian and Islamic worlds during the early Middle Ages.

Chapter Four subdivided into two items: the types of traders like wholesale and retail traders. The second item dealt with the internal and external trades. The internal trade include the main trading centers like, Tustur, Baghdad ,Eden, Damascus and Alexandria along the road to Islamic Spain. We also investigate the main merchandise the traders are interested. The international commerce is the trading activities between the Islamic world and the other places like India, China, Europe, etc.. The researcher reach a conclusion that there is an exaggeration in estimating the real contribution of the Jewish traders in the internal and the international commerce, they are a minority, and their activities must be understood according their actual proportion in the Islamic world.

The Fifth chapter talk about the professions and the industrial activities of the Jews in the Islamic east. It is clear that the Islamic legislations didn't prevent the Jews from practicing any profession or Job , in contrary they had a protection they never enjoyed at any other place or time. They even ascended

high positions in the Islamic administration especially under the Fatimids, And to lesser extend in the Ayybids.

The Chapter also examined the professions the Jews usually occupied, like medicine, banking, dyeing, and jewelry. In the field of medicine the Jews chose this profession because it makes them nearer to the influential peoples, we can hardly found no Jewish Doctors in every era of Islamic history. This can also be implemented on the above mentioned professions.

This thesis doesn't claim that it satisfy the need for an Islamic field of research for medieval Jewish studies, it just an attempt to shed lights on gaps in our modern Arabic studies.

من إصدارات
دار صفحات

1) **الأموريون الساميون الأوائل (التاريخ ، المثولوجيا ، الطقوس ، الفنون)، خزعل الماجدي، 2016م.**

2) **ملحمة كلكامش قراءة جديدة للمعاني الإنسانية في الملحمة، الأب يوسف نبيل جزاوي، 2016م.**

3) **القراخانيون، دراسة في أصولهم التاريخية وعلاقاتهم السياسية ودورهم في الحياة العلمية (315 – 607هـ/927 – 1210م)، أ.د. سعاد هادي حسن إرحيم الطائي، 2016م.**

تعد قبيلة القراخانيين إحدى هذه القبائل التركية التى لم تخط بدراسات تاريخية شاملة، نظراً لندرة المصادر التى تحدثت عنها. تناولت في دراستى هذه الأصول التاريخية للقراخانيين، ومناطق استقرارهم، وأهم المدن التى استقروا فيها. وأشرت إلى لغتهم وألقاب أمرائهم ومدلولاتها السياسية، وتناولت – بشكل مفصل – أهم الديانات التى اعتنقوها، وكان آخرها الدين الإسلامى ،وأشرت إلى دورهم في نشره بين القبائل التركية وكفاحهم الطويل في محاربة الكفار من القبائل التركية. وتناولت – أيضاً – اهتمام الأمراء القراخانيين بالبناء والعمران،وعلاقتهم مع الخلافة العباسية وتطورها، إذ تميزت باستقرارها مع تبادل الرسل والوفود، ومنحهم الألقاب الفخمة .

وعرجت على أهم ما حققه الأمراء القراخانيين من إنجازات سياسية وعسكرية عبر المراحل التاريخية لإمارتهم، من خلال الإشارة إلى علاقاتهم السياسية مع الإمارات الإسلامية المجاورة والمعاصرة لها في تلك المرحلة التاريخية ، وأهم ما تمخّض عن هذه العلاقات من نتائج سياسية وعسكرية،مع الإشارة إلى أهم السفارات المتبادلة بينهم.

وتناولت – أيضاً – أهم الملامح الرئيسة لتطور الحياة العلمية في عهدهم، ولاسيما في بلاد ما وراء النهر ، التى تضمنت تطور علوم مختلفة، الإنسانية منها، والعقلية؛ مثل علوم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم وتفسيره وعلوم الحديث النبوى الشريف والتاريخ والرياضيات والفلك والهندسة والطب وعلوم السياسة والأخلاق وغيرها ، وقد توضح هذا التطور العلمي من خلال اهتمام عدد من أمراء الإمارة القراخانية بالعلم والعلماء .

4) **الموانئ الأندلسية في عصري الإمارة والخلافة - الخدمات والتسهيلات التجارية138-422 هـ/756 – 1031 م، د. خليل خلف الجبوري، 2016م.**

عالجت الدراسات التاريخية أغلب تاريخ بلاد الأندلس، فكانت هذه الدراسة موقوفة على الخدمات والتسهيلات التي قدمت في الموانئ الأندلسية، والتي كان لها الدور الكبير في استيعاب الحركة التجارية آنذاك . تقسيم الدراسة إلى خمسة فصول مسبوقة بتمهيد، تطرق إلى التعريف بالميناء، ثم التعرف على الموانئ التي كانت تتعامل مع بلاد الأندلس. أما الفصل الأول؛ فقد تناول الطبيعة الجغرافية لتلك البلاد، من مناخ مميز بتنوعه، ثم تناولنا التضاريس الأرضية وطبيعة تلك التضاريس وتنوعها من جبال كبيرة، كانت سمة لتلك البلاد وتطرقنا إلى السهول في بلاد الأندلس، وأهميتها. أما الفصل الثاني؛ فقد عالج الواقع السياسي لبلاد الأندلس من خلال تقسيمه إلى قسمين الأول عصر الإمارة، وما واجههُ الأمراء الأمويون من تحديات داخلية وخارجية. والقسم الثاني هو عصر الخلافة، ففيه وضحنا بشكل مختصر تلك الأحداث التي جرت في بلاد الأندلس خلال تلك المدة ، وكيف أن ذلك العصر كان مكملاً لعمل عصر الإمارة. وتضمن الفصل الثالث النشاط الاقتصادي في بلاد الأندلس، وقام على ثلاثة أركان؛ هي الزراعة، والصناعة، والتجارة. أما الفصل الرابع؛ فقد عرض وبالتفصيل الخدمات وطبيعة تلك الخدمات وسياسة الدولة التي كانت تقوم على الاحتفاظ بملكية أراضي الموانئ. وعرض الفصل الخامس التسهيلات التجارية في الموانئ الأندلسية، والتي كان أشهرها حرية التنقل التي ساعدت – وبشكل كبير – على تسهيلٌ تنقل التجّار القادمين من خارج بلاد الأندلس.

5) غرناطة في عصر بني الأحمر الحياة العلمية والثقافي (629-897هـ/1232-1492م)، تأليف الدكتورة رفاه تقي الدين عارف، 2016م.

جاء اختيار موضوع الحياة العلمية والثقافية في غر ناطة في عصر بني الأحمر (629 –897 هـ /1232-1492م) نتيجة لعدم وجود دراسة تفصيلية متكاملة في هذا المجال حيث أن ما تطرق إليه بعض الباحثين لا يتعدى بضع صفحات ، ولأن بعض الكتب قد ركزت على الجانب السياسي في تاريخ مملكة غر ناطة بينما تطرقت إلى الجانب الثقافي بصورة مختصرة. كما أن البعض الآخر عالج الجانب الثقافي في تاريخ مملكة غر ناطة ، ولكن من خلال شخصية بعينها، تكتسب الحياة العلمية والثقافية في غر ناطة أهميتها من الثراء العلمي والثقافي الواضح الناتج عن جهود العديد من العلماء والأدباء والشعراء الذين ساهموا في إغناء الحياة العلمية والثقافية بمؤلفات قيمة وغزيرة ملأت المصادر، إلى درجة أن من يقف على هذا الكم الهائل من التراث العلمي والثقافي الغرناطي لا يمكن إلا أن يشعـر بالانبهار وبإكبار تلك المجهودات القيمة في نفس الوقت. إضافة إلى أن مساهمات علماء تلك الفترة لم تقتصر على البحث والتأليف بل شملت تدريس العلوم والآداب المختلفة في مدارس غر ناطة ومساجدها ، وبذلك كان لهم أيضاً فضل كبير على مجموعة من مشاهير علماء العرب المسلمين ذوي المكانة المرموقة التي حفظها لهم التاريخ على مر العصور ، والذين تتلمذوا على أيديهم .

6) تاريـخ حــمــــص وتراثها الشعبي، د. منذر الحايك، 2015م.

تتالت على مدينة حمص عبر تاريخها الطويل ثلاثة عهود شهدت فيها ازدهاراً خاصاً بها ونابعاً منها، حيث بدأت بعصر ذهبى مع أسرة شمس غرام ومعبد الشمس الذى تمكن كاهنه اليافع من تولى منصب الإمبراطور في روما. ثم تلاه عصر فضى عندما أصبحت مركزاً لجند الفتح المقدم، ومستقراً للعدد الأكبر من الصحابة، مما مكنها من تأسيس أولى مدارس الحديث الشريف في صدر الإسلام. ثم جاء عصر برونزى مع أسد الدين شيركوه الذى أقام فيها واحدة من أقوى الممالك الأيوبية التى وقفت في وجه الفرنج. ويستكمل التراث الذى هو تاريخ الشعب الحقيقى قصة حمص، فنجد المُصَدّر الحمصى كاملاً بكل تفاصيله، مع المُعَنّا. والاحتفالات الشعبية بالمناسبات الدينية: رمضان، والأعياد، ورحلة الحج. ثم خمسانات حمص الفريدة والمشهورة: النبات، والحلاوة، والمشايخ. وتجد البيئة الطبيعية مكانها في التراث الشعبى في احتفالات الربيع: عيد الخضر وأربعة المرتعشى والسيران. ولا يكتمل التراث بدون الأساطير الشعبية التي كانت تنتشر في حمص. وينتهي الكتاب بجولة أثرية على أهم المواقع في المدينة القديمة.

7) الفتنة الكبرى - المؤامرة الأولى على الإسلام وانعكاساتها سنة 35للهجرة، دحمور منصور، 2015م.

الكل يسميها الفتنة والكثير يضيف إليها كلمة الكبرى لتكون في عرف العالم الإسلامى على أنها الفتنة الكبرى، وأغلبهم يحكّم فيها خلفياته الذهنية وينظر إليها بنظرة الدونية في تاريخ تكتبه يد الحكمة الإلهية، ومنها يبتدر السبّ واللعن وتحكيم العين الشيطانية، ولكن لا أحد يتعظ ولا أحد يعتبر ويرى بعين الحقيقة عين الواقع عين العقل، لماذا يصفق الكثيرون لما لا يرون، ويحيون من لا يعرفون ويهتفون لما لا يدركون ويتراكضون إلى ما يجهلون، يقولون أننا في عصر غريب عن عصر الراشدين وبعيد عن مواطئ المهديين"، وصحيح أن كلامنا فيما جرى سنة 35 للهجرة هو منطلق دراسة الأحداث من خلال صاحب "المروج" وصاحب "العبر" ولكنه في أصله حديث إلى عصر قيل عنه عصر تقدّم، ولكنه تقدّم في الحروب والأعراض والشرف الإنسانى، لا نكاد نسمع فيه إلا إراقة دماء المسلمين وتتويه ذهنية غيرنا من شعوب الأرض.

8) التطورات السياسية الداخلية في الولايات المتحدة الأمريكية بعد حرب الاستقلال، د. نغم طالب عبد الله، 2015م.

وضعت التطورات السياسية الداخلية التي شهدتها الولايات المتحدة عقب حرب الاستقلال، ومنذ عام 1783 حين أقر السلام بموجب معاهدة باريس ولغاية 1789 حجر الأساس لتشكيل حكومة قوية في إطار الدستور الفدرالي، الذي اعتمد على التجربة التي رافقت نمو الجمهورية الأمريكية. مُنح المؤتمر القاري سلطة رسمية للعمل بصفة حكومة عامة لتوجيه الحرب مع بريطانيا، ومع إعلان الاستقلال نظمت المستعمرات نفسها في ولايات، صاغت وتبنت دساتير خاصة بها، واتحدت عام 1781 في ظل بنود الائتلاف الكونفدرالي، التي أثبتت عدم فاعليتها و ملائمتها بل وقصورها في الواقع. يكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة في معرفة أبرز التحديات التي أعقبت حرب الاستقلال وعهد

الكونفدرالية، التي كانت حاسمة وحرجة للغاية، في ظل حالة الانقسام والإحاطة بها، ولذا ارتأينا أن نتتبع التطورات التي أدار المؤتمر والولايات من خلالها الشؤون السياسية في تلك الحقبة .

9) سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في الفيليبين، د. رجاء الموسوي، 2015م.

نظراً لما تميزت به الفيليبين من أهمية جيوستراتيجية، فضلاً عن المميزات الأخرى، لذلك اتجهت الولايات المتحدة لاحتلالها، واتخاذها قاعدة أساسية لتحقيق طموحاتها الاستعمارية التوسعية في عموم القارة الأسيوية. ولاسيما أنها كانت تواجه منافسة يابانية حول الفيليبين بهدف الوصول إلى الصين مركز التجارة الدولية. لذلك اتبعت الولايات المتحدة سياسة استعمارية في الفيليبين تهدف إلى تثبيت وجودها هناك وأبعاد المنافسة اليابانية عنها، أن عرض تفاصيل السياسة الأمريكية في الفيليبين وتحليلها، وردود الأفعال الفيليبينية والأمريكية تجاه هذه السياسة لم يتم تناولها في الدراسات العربية الأكاديمية، كما أن هذا البحث سيكون قاعدة لفهم طبيعة العلاقات الأمريكية – الفيليبينية بعد الاستقلال في حال تناولها بفعل أية دراسة أكاديمية مستقبلية، وحدد اطار البحث بالمدة بين عامي 1898و 1946، إذ أشّر التاريخ الأول بدء الاحتلال الأمريكي للفيليبين بعد انتصارها على القوات الإسبانية في الحرب الإسبانية – الأمريكية عام 1898، أما التاريخ الثاني فأشّر البداية لاستقلال الفيليبين.

10) نلسون مانديلا حياته ودوره السياسي، د. عفراء الريس، 2015م.

أن الاهتمام الذى أثاره تاريخ دول القارة الإفريقية لدى عدد كبير من الباحثين قد اثمر عن دراسات كثيرة اتسمت بالعلمية والرصانة ، وخصوصاً ما يتعلق منها بتاريخ دولة جنوب أفريقيا . لكن الملاحظ أن تلك الدراسات ، على جزالتها ورصانتها، لم تغوص، بعيداً، في عمق النضال الذى احترفه الشعب ، فبقيت تفاصيل كثيرة ، مرغوبة ومطلوبة ، بعيدة عن المنهج التاريخى التتبعى الذى يؤرخ لموقف الحركة الوطنية من سياسة التمييز العنصرى التى طبعت حكم الأقلية البيضاء للأكثرية السوداء . ولما كانت السياسة المذكورة مفعمة بالتداعيات التى تستفز المشاعر الإنسانية في كل مكان ، ولما كان للرموز الوطنية أهمية وموقعاً فريدين في الذاكرة الشعبية في اغلب بلدان " العالم الثالث " ، هذه الذاكرة التى تختصر ، إلى اقصى حد ممكن ، المسافة بين الحقيقة والخيال لتضفى على رمزها هالة تمتزج فيها تفاصيل الواقع وسحر الأسطورة ، وتخلق منه انموذجاً يحتذى ومكانة تقدس ، فان التأريخ لحياة نلسون مانديلا بدا لنا هو الاختيار المنطقى ، بوصفه موضوعاً يستحق دراسة علمية أكاديمية ، ليس لقيمته التاريخية وحسب ، بل وكذلك لما انطوى عليه من دروس وعبر ، يختصرها القول أن الشعوب ولدت لتحيا حرة . وانصب اهتمام هذه الدراسة على شخص مانديلا ، المناضل والمكافح ، والرئيس لـ " حزب المؤتمر الوطنى الإفريقى " ، والزعيم الذى قاد شعبه وأبناء جلدته في رحلة كفاح طويلة من اجل الحرية، رحلة كانت مفعمة بالآمال والطموحات ، كما كانت مترعة بالآلام والإخفاقات ، وهو ما اضفى على شخصية مانديلا زخماً واقعياً ميز الهالة الأسطورية .

11) نهاية الدولة العثمانية وتشكيل الشرق الأوسط، ديفيد فرومكين - قراءة وتقديم د. منذر الحايك . ترجمة: وسيم حسن عبده، 2015م.

قام تشرشل، الذى كان بوش يحتفظ له بتمثال في مكتبه البيضاوى، بالدور الأكبر لتأسيس معظم دول الشرق الأوسط، وقد تأتى لواحد من أنجب تلامذته في المدرسة الاستعمارية، أن يسعى لتقليده في إعادة تكوين شرق أوسط جديد، وذلك من خلال ما قام به بوش من مغامرات لم يصلحها ضعف وتردد وانسحابات أوباما، ربما لترافقها بمرحلة، سيطر عليها العنف بمقاييس غير مسبوقة ولم تنته حتى الآن، عرفت بالربيع العربى. كل ذلك أضعف قدرة أنظمة دول الشرق الأوسط على البقاء، وفضح حججها في تسويغ شرعية وجودها. وبرؤية شمولية لتكوين الشرق الأوسط جمع هذا الكتاب لأول مرة إجابات كاملة عن أسئلة كانت ولا تزال رمز الحيرة والتعمية والتضليل، منها: كيف شكلت بريطانيا الكيانات الجغرافية والسياسية للشرق الأوسط؟ ولماذا كانت تلك الكيانات وتلك الشخصيات تحديداً؟ وماذا كانت تريد أن تحقق وهى تتخذ قرارات مصيرية لملايين الناس؟ ومن هم أولئك الرجال الذين صاغوا أخطر القرارات؟ ويبقى الجزء الأهم من الكتاب وضعه لحدود الواقع والخيال لما كنا نعرفه عن تلك المرحلة: الجمعيات

العربية، ابن سعود، الشريف حسين، الملك فيصل والأمير عبد الله، وعد بلفور وغيرهم. حيث سيدرك القارئ معنى المصادفة في التاريخ، وسيعرف معنى التآمر لتمرير السياسات حتى ضمن الجهاز الواحد للدولة، وسيصعب عليه أن يصدق كثيراً مما ورد، ولذلك قد يخلق الكتاب أزمة ثقافية، فهو يقلب كل ما تعلمناه أو جله، ولكن الأخطر هو الأزمة الروحية التي سيخلفها بعد قراءته، مما يفسر لماذا عده كثيرون عملاً غير مسبوق.

12) الاتحاديون دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر- 1908)، د. نادية ياسين عبد، 2014م.

مثلت "جمعية الاتحاد والترقي" القوة الرئيسة التى حكمت الدولة العثمانية لنحو عقد من الزمان، امتد من العام 1908 إلى العام 1918، التى وضعت أسسا، بل رفعت أعمدة المرحلة التى تلته. فكان مؤسسو دولة تركيا الحديثة، بضمنهم الرؤساء الثلاثة الأوائل للجمهورية التركية، الذين تزعموا الحكومة التركية منذ العام 1923 إلى العام 1960، أعضاء سابقين في جمعية الاتحاد والترقى. الأهم من هذا إن الفكر السياسى الحديث، لا لتركيا فقط وانما لكل المنطقة الخاضعة للدولة العثمانية، حُددت ملامحه خلال المرحلة 1889-1908، واضطلع الاتحاديون بدور كبير في تلك العملية. كما كان لثورتهم دور متميز في إعادة تنظيم الشرق الأوسط والبلقان، وتعريف المنطقة بقيم وأفكار جديدة شكلا ومضمونا، كل ذلك وغيره يعطى أهمية كبيرة لدراسة خلفية الاتحاديين ومنهجهم الفكرى والسياسى، ويجعل منها أمرا ضروريا لأى محاولة لفهم التغيرات والتطورات التى حصلت في السنين الأخيرة من عمر الدولة العثمانية، والسنين الأولى للجمهورية التركية.

13) خديعة مخطوطات البحر الميت . مايكل بيجنت . ريتشارد لي - ترجمة وسيم حسن عبده – مراجعة وتقديم د. منذر الحايك، 2010م. ط2 - 2014

جاء الكشف عن المخطوطات ليؤكد أن الدين اليهودي كان يشهد صراعاً حاداً مع بداية العهد المسيحي، يعكس المحاولة اليائسة لصياغته صياغة قومية، انتهت بالإخفاق، ومما لاشك فيه أن الصهيونية أدت دوراً كبيراً في تأخير نشر اللفائف، وحاولت إيهام الرأي العام بأن المخطوطات تحتوي على فخ يستهدف الأديان، وبالمقابل حاولت الصهيونية جاهدة التركيز على أن هذه المخطوطات جاءت لتؤكد أصالة اليهود في المنطقة من التوجه نحو فكرة أن اليهودية هي أصل الديانات السماوية، وهو ما تثبت الدراسة المتأنية للمخطوطات عكسه تماماً، ووضح الكتاب "بأن كشف لفائف البحر الميت جعلنا نتوقع إلقاء المزيد من الأضواء على التاريخ الإنجيلي، وعلى شخصيات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وعلى جذور المسيحية وعلى نحو ما الإسلام. وبطبيعة الحال لا ينبغي التوقع من كشف، مهما بلغ حجمه، أن يسقط الكنيسة، وليس لنا أن نتوقع أي شيء مروع كهذا العمل، ويوضح الكتاب على نحو غير مسبوق أسرار تجارة الآثار غير المشروعة، وطرق تحرك القطع من مناطق اكتشافها في الشرق الأوسط نحو أوروبا، مع نماذج طريفة من طرق العرض وأساليب البيع قبل مهربي آثار مخضرمين، ومتورطين طامعين، والكثير من المدفوعين بسياسات وآيديولوجيات متناقضة، ونستطيع الآن أن نقول إن لفائف البحر الميت قدمت لنا رؤية جديدة عن الأديان السماوية، التي ولدت في الشرق العربي، فقد بينت مدى تداخل هذه الأديان وتشابهها، وأن كل الخلافات بينها لم تنجم عن اختلاف القيم الروحية أو سوء فهمها، بل نجمت عن حب السيطرة والتسلط، والجشع والأنانية وغطرسة سوء التفسير الوقحة، وأوضح أمثلتها في العصور الوسطى غزوات الفرنجة للأراضي المقدسة، وفي أيامنا الحركة الصهيونية التي دمرت سكان تلك الأرض وقتلتهم وهجرتهم، ولا تزال ترتكب المجازر، مدفوعة بتهيؤات، رفضها اليهود أنفسهم منذ قرون طويلة، فسعت الصهيونية لإقامة دولة اليهود الدينية من بوساطة حركة انبعاث أصولية، تقوم على التعصب الأعمى، وعدم التسامح، والتشدد الذي ولّد صحوة أصوليات أخرى، كانت هاجعة منذ فترة طويلة.